Ancora Imparò



العدد ٨ مجلد ٢ شعاع الحكمة يجذبنا اليك ابريل ١٩٢٨
٥٨٢٩ - ٢٨

الاسترلوغيا

أى التنجيم وأثره فى تحديد التصورات الانسانية على مر العصور

١ — تمهيد

لقد كان للاساطير والخرافات آثار ظهرت في التاريخ الانسانى حتى ليخيل الينا أن هذه الاساطير قد تأصلت جذورها في صميم النفس الانسانية وانها قد بلغت منها الاعماق. فان ضعف الانسان عن أن يحتكم فى سير الحوادث الكونية، وعجزه عن أن يهيء للظاهرات مساراً يرضي تصوراته وأحلامه، وعدم قدرته على أن يدرك مصيره ومنقلبه، جماع هذه الاشياء قد غرست في ذهنه فكرة أنه ليس أكثر من العوبة تتقاذفها أيد قوية قاهرة، بعيدة عن ادراكه، قصية عن مدار معرفته، حتى لقد تعذر عليه، مع تصوره هذا، أن ينظر في تلك القوة القاهرة نظرة القانع بأنها من الاشياء التى يمكن أن تتحد مع الحياة ذاتها وتكون جزءاً منها.

فلماذا، مثلا، يمكن أن يحطم هذا الهيكل الانسانى على كال بنائه ومتانة تركيبه،

بل لماذا تفنى الحياة ذاتها ، اذا هى اصطدمت بأتفه توافه الطبيعة التى لا نخلص من التأمل فيها إلا بالسخرية منها،ومع هذا فالانسان عاجز عن أن يقاومها أو ينتصر عليها فى معركة يشهرها،أو حرب يعلنها،ولو فى خطرات الوهم،ومصورات الخيال ؟ ومع هذا فان كل ما يتضمن هذا الكون الفسيح من الظاهرات له قواعده وسننه، التى لا تحدث إلا خضوعا للسببيات الطبيعية التى لا تتبدل ولا تتغير . أو بالاحرى يمكن القول بان ما يدعى «مصادفة» ماهو إلا خيال ووهم لا حقيقة له . ومع هذا فان لنا أن نتساءل . اذا كان من الصعب على الذين عرفوا قواعد المنطق واستوعبوا النظريات،وعلى الذين وقفوا على نواميس الطبيعة وقضايا الفلسفة، أن يفقهوا حقيقة المبادىء الاولية التى تخضع لها تلك القوات العظمى والحوادث الكبرى التى تترك فى الحياة الانسانية آثارها المحتومة البعيدة النتائج ، فالى أى حد تذهب هذه الصعوبة بالذين لم يتثقفوا ولم يعرفوا شيئاً من مبادىء العلم الاولية ، وبالسلالات الانسانية التى هى أقل ذكاء وقدرة ذهنية من السلالات العليا ، والتى عاشت خلال عصور التاريخ الاولى،اذا أراد أهلها أن يقفوا على بعض تلك المبادىء التى تربط بين الظاهرات الطبيعية فى أبسط حالاتها ؟

***

٢ — أصل الاساطير والخرافات

ان عجز الانسان عند ادراك وجوه الارتباط التى تصل بين ظاهرات الطبيعة المختلفة ،هى الاصل الذى نشأت منه الاساطير . فالقوات السرية ، والخير والشر ، والارواح ، كل هذه الاشياء وملابساتها ، انما تحتكم فى الغايات التى يرمى اليها الانسان فى الحياة وفى مستقبله بعد الموت ، بوسائل تختلف مقدرة الانسان فى ادراكها باختلاف الحالات والظروف . لهذا كان من الضرورى أن يستدرج الانسان تلك القوات الخفية ليربح عطفها عليه وان يعقد معها معاهدات السلام والتفاهم ، بان يبحث عن أصولها الخفية التى تبعث بها عليه فتنزل به الكوارث أو تحبوه السعادة والنعماء .

***

٣ــ نشوء الاسترلوغيا أي التنجيم

الاسترلوغيا ، لدى الواقع ، هي مجموعة تلك الخرافات والاساطير التي يربط الانسان بينها و بين النجوم. وهي في حقيقتها تقوم على تصورعقلي يمكن أن يقال فيه إنه أقرب الاشياء تأصلا في عقل الانسان في حالاته الفطرية الاولى. فان النجوم إذ تستوي من فوقنا على عرشها السماوي وفي عظمتها و بهائها وأبهتها المغرية، وانفرادها بذلك العالم الذي لن يتطاول اليه شيء من الارضيات ، ولا يمكن أن تتطال اليه يد البشر أوأوهامهم ، في عزلتها الابدية وفي أغوار اللانهاية ، لا بد من أن تكون قد كونت من التصورات الانسانية صوراً أوحت الى الانسان الاول، عند ما بدأ يتأمل في الزمان والحياة والنظام الطبيعي، بان تلك العوالم التي لا تزيد على الايام إلا بهاء ولا يشب الزمان إلا ليجدد من شبابها وعظمتها، لها الاثر الاكبر في الاشياء والنظامات الارضية ، في تصريف الرياح وتحديد المناطق وفي غل الخيرات وفي سعود الانسان ونحوسه، وفي نجاحه واخفاقه، على نفس الصورة التي نلحظ بها تأثير الشمس والقمر في تغيير مناخ الكرة الارضيه وفي احداث المد والجزر على تواتر الايام وكر الاعوام .

على أن في العقل الانساني نزوة غريبة تدفعه الى معرفة المبادىء والنواميس التي تعود اليها الظاهرات والحوادث الطبيعية، ونزعة تسوقه الى أن يعثر على الحلقات التي تصل بين مايحدث حفافيه من الظاهرات التي قد تقع على وجه التواتر والاطراد حينا، وعلى وجه التناقض والتضاد حينا آخر.

فاذا حدث أن وقع جليد و برد قارس، ثم تبع ذلك زلزال محطم وهزات أرضية مجتاحة، فان الانسان مسوق بطبيعته لان يصل بين بعض هذه الظاهرات و بعض. وكذلك الحال اذا ظهر مذنب يضيء الليل بوهجه وضيائه وتراخى في جوانب الفضاء، ووقع مع ظهوره و باء قتال أو مرض يذهب بالارواح ولا يبقى على شيء، فان العقل في حالاته الفطرية الاولى كان ينزع دائماً الى أن يجعل لظهور المذنب ضلع من المسئولية في ظهور الاوبئة والحوادث الجسام التي يعانيها أهل الارض. كل هذا وتلك الكرات السديمية السابحة في الفضاء تدور في أفلاكها الابدية

بريئة من ذنوب أهل الارض بعيدة عن أن تحمل مسؤولية ما ترميهم به الحياة من أكدارها واحزانها ، سابحة في عالمها الاثيرى المملوء بالجمال الفتان الذى لم يعرف بعد ما هى الارض ولا ما تحمل من خلائق بشرية أو غير بشرية .

ولا مراء مطلقا في أن الاسترلوغيا قد نشأت من مشاهدات مثل هذه حاول الانسان أن يربط فيها بين ظاهرات السماء وحوادث الارض . ولقد اتخذ المنجمون بضعة من النجوم الشديدة الضياء ومن الكوكبات المتقاربة ومن مواقع السيارات والقمر والثوابت ، مواضع يستخلصون منها ما ينكبون به العالم من نبوءآت . ولقد استحكم هذا التصور من عقول الناس فى العصور القديمة استحكاما رمى بأمم من أرقى الامم التى شهدتها الارض ذكاء ومقدرة فى أحضان الاسترلوغيا فاضلتهم ازمانا طوالا واحتكمت في عقولهم دهوراً مديدة .



٤ — تقدم الاسترلوغيا

لقد نشطت تصورات الاسترلوغيا وربت وآتت أكلها بين الامم الشرقية منذ أقدم العصور . ولم يكن علم الاسطرنوميا — الفلك — في تلك الايام بأزيد من وسيلة لقياس الزمان وتحديد الاوقات ، او بالاخرى « علم ميقاتى » ، ولم يستخدم رصد الكواكب فى شىء اللهم إلا فى تحديد الازمان وحسابها لمعرفة ايام الاعياد والحصاد . أما الاسترلوغيا — وهي تلك التصورات التى يمكن أن تعتبر الاخت العاقر لعلم الاسطرنوميا — فكانت في منزلة ، لا يحسدها عليها علم الفلك وحده ، بل قد تحسدها عليه بقية العلوم والمعارف الانسانية جمعاء

اما اقدم المنجمين الذين يروى لنا التاريخ اخبارهم فنشؤوا تحت سماء بلاد الكلدان القديمة ، ومن ثم ذاع فن استقراء النجوم بين المصريين والبابليين . ومن هنالك غزى ذلك الفن بلاد الاغريق والامبراطورية الرومانية ، وفى أواخر العصور الوسطى ، انتشر فى بقية بقاع أوروبا . وكان العرب والفرس والصينيون من انبغ الامم في قراءة النجوم ، ومنذ عهد قريب كنت تجد في البلاط الملوكي

لعاصمة بلاد الصين وظائف كثيرة يملؤها نفر من الذين كان يطلق عليهم هنالك اسم « المنجمون الملكيون » يؤدون وظيفة التنجيم للامبراطور الصيني ، ويستقرؤون له في صحفة السماء الصافية اكدار ماتملى عليهم تصورات الوهم وخطرات الخيال. بل أنك كنت تجد فى الجامعات التى قامت فى جنوب أوروبا معاهد لتدريس الاسترلوغيا ، درس فيها اساتذة اعترفت تلك الجامعات بأستاذيتهم ، ولم تلغ تلك المعاهد الا فى اواسط القرن السابع عشر ، في حين أن الملوك والامراء الذين أحتكوا في رقاب الناس فى تلك الأيام ، لم يقربوا من عروشهم الا أولئك الذين كانت تزيغ نظراتهم في فضاء الكون الاوسع ليستخلصوا من النجوم سر الموت والحياة ، ومستقبل الامم الانسانية ، دون العلماء الذين عكفوا على درس اسرار الطبيعة وقضوا أعمارهم فى الفقر والحاجة إرضاء لنزعات عقولهم الكبيرة ، فكان للانسانية من بؤسهم وشقائهم شيئان متناقضان : سبة الأبد ، والسعادة العملية.



٥ — الاعتقاد فى كشف الطوالع

يدعى كشف الطوالع في الغرب « هوروسكوب » _ Horoscope ومحصل هذه الخرافة الشائعة أن المنجمين يعتقدون أن مواقع النجوم لدى مولد أى إنسان تؤثر اثراً محتوماً في كل حيـاته . ولقد تدخلت النجوم من هذه الطريق فى كل الاعمال الانسانية. فلم يكن لانسان أن يقدم على مشروع كبير أو يبدأ رحلة من الرحلات الكبيرة أو يتزوج أو يرفع دعوى أو يعمل أى عمل من الاعمال ذات الاثر الواضح في الحياة من غير ان يستدر وحى النجوم . ولقد اعتقد فضلا عن هذا بان النجوم لها ضلع كبير في المسائل الطبية وفى التأثير فى انتشار الامراض وعلاجها . وفى خلع الاسنان المريضة ، وفي تركيب الديدان الطبية والفصد ، اذا احتاج العلاج لامر منها . حتى لقد قيل بان وقوع القمر أو الشمس أو السيارات بالقرب فى من موقع كوكبة من كوكبات السماء أوفى برج من الابراج يكون له تأثير على بعض أعضاء من الجسم الانساني دون بعض .

واتمد عهد كل الملوك والامراء وعظام القواد الى المنجمين يستمدون منهم

النصح والهداية في اعمالهم الدنيوية ، حتى انه لم يقدم قائد من القواد على أن يبدأ معركة من المعارك الكبيرة قبل أن يستمد الرأى من أحد كبار المنجمين. وكذلك كانت الحال لدى مولد أى طفل لعظيم من العظماء ، وان كشف طالعه كان من الاعمال الاولية التى تتوج بها حياته الدنيا . وكانت العادة أن يسجل فى دائرة تدعى دائرة كشف الطوالع ، كل مايتعلق بحياة الشخص المكشوف عن طالعه ، ليسترشدى بما توحى اليه به هذه الدائرة الخرافية في كل أعمال دنياه .



٦ — كيف يرسم الهوروسكوب .

يبحث أولا عن تلك النقطة من منطقة دائرة البروج أو كما يدعوها البعض سمت الشمس ، التى كانت ترتفع فوق الافق فى نفس الثانية التى يقع فيها ميلاد الشخص المراد كشف طالعه . ثم تقسم السماء الى اثنى عشر منزلة أو برجا ويسمى كل قسم من هذه الاقسام باسم يقابل حالة من حالات الحياة الانسانية ، فقسم للحياة ، وآخر للحظ ، وثالث للصحة ، ورابع للزواج ، وخامس للاسرة ، وسادس للدين ، وسابع للموت ، وثامن للعظمة والمجد الدنيوى ، وتاسع للصداقة والعداء وهكذا الى أن تتم تسمية الاقسام جميعها . أما مواضع هذه المنازل السماوية فكانت ترسم فى دائرة تدعى دائرة كشف الطوالع ، ثم تعين عليها مواقع السيارات والقمر والشمس ليحصل الرائى بذلك على صورة عامة لمختلف المواقع التى تنزل فيها النجوم ونسبة أوضاع بعضها لبعض . وكان المعتقد أن كلا من تلك الاجرام فيها قدرة على إحداث تأثيرات عالية قد تحدث سعودا أونحوسا فى حظوظ البشر. غير أن احداث هذه التأثيرات كان يتوقف حينا على المنزلة التى يقع فيها الجرم ، واحيانا على علاقته الموضعية واقتراناته بغيره من الاجرام .

ولقد تعدت هذه المعتقدات الى الفنون فظهرت آثارها فى النقوش والزخارف حتى إنك لتجد أن أحد الشعراء قد اشار الى هذه الاشياء فى ابيات من الشعر قال فيها :

« ليست السماء منبتاً للورود وحدها ، بل فيها تنبت الاشواك أيضاً . وان

ماتعقده الزهرة ، مقسمة الخطوط الحسنة السخية ، يحله مارس ، نجم النحوس ، ويمزقه أجزاء وقطعاً . »

وأشار بعض شعراء العرب ، واستشهد بقوله الفارابي الفيلسوف المعروف ، الى المعتقدات القديمة التي ورثوها عن خرافتهم الاولى ، وان المنة الآلهية قد بدلتهم منها بالتوحيد فاصبحوا يستمدون الخير من الله دون أجرام السماء وسياراتها فقال

أصبحت أرجو الخير منك وأمترى زحلا ونفس عطارد والمشترى

وكان الناس يعتقدون أن زحلا والمريخ من كواكب النحس ، وأن المشترى والزهرة من كواكب السعد . وأن للقمر تأثيرا يتراوح بين السعود والنحوس ، وهكذا كل بقية الاجرام . ولاجرم أن وضع دائرة الطوالع كانت تختلف باختلاف الأمم ، لان لكل أمة وجها من وجوه الاسترلوغيا تختص به دون غيرها من الامم . بل غالب ما كان يختلف المنجمون أنفسهم في طرق الكشف عن مخبآت المستقبل وحظوظ الامم والافراد .

٧ — مشاهير المنجمين

من المرجح أن يكون أشهر منجمى العصور القديمة كاهن « بعل » المسمى « بيروسوس » (١) — Berosus — الذى تروى المدونات التى وصلت الينا عن حياته أن كل نبوءآته قد تحققت وأن فراسته لم تخب في شيء . وكان بيروسوس من الموهوبين بالطبيعة . فكان قوى العقل واسع الحيلة بعيد النظر ذا معرفة بالقوات التى تسير نظام الطبيعة بمقدار ما عرف في زمانه ، وكان له نظرات فى الاشياء المستقبلة يبنيها على أسباب ونواميس لها بعض المبررات العقلية . ولقد أقيم له تمثال عند موته احياء لذكراه واحتفاظا بأثره الذى خلفه في أهل زمانه .

أما أكبر من ظهر من المتجمين في العصر الرومانى فرجل يدعى « فرمانوس » Firmanus — يقال إنه استقرأ النجوم فعرف منها اليوم الذى أسست فيه مدينة روما وعرف اليوم الذى سوف تهدم فيه . ومن الحقائق التى لا يمارى فيها أن صولا Sul'a قد أخبر « كاليغولا » Caligula تحقيقا عن الساعة التى سوف يموت فيها .

(١) كاهن بابلى ذاعت شهرته سنة ٢٧٥ ق . م .

أما الطرق الاسترلوغية ـ التنجيمية ـ التي ذاعت خلال العصور المتأخرة فمن المرجح أن يكون «فرميكوس ماترنوس» Firmicus Maternus أول من نشرها ووضع أسسها ، إذ كان يلقي فيها دروسا أقبل الناس عليها اقبالا كبيرا . أما شهرة العراف «نوستراداموس» — Nostradamus — وهو أكبر منجمي القرن السادس عشر ، فقد تنقلت في منازل الزمان حتى وصلت الى عصرنا الحاضر . ولقد خصه ملكان من ملوك فرنسا بعطفهما وحبواه بحبهما واحسانهما . أما نبوءآته فقد طبعت في كتيب أكب العالم المتمدين على قراءته . وعلى الرغم من أن نوستراداموس قد مات سنة ١٥٦٦ فان تحقيق نبوءآته قد اعتقد بصحتها وانتظر وقوعها في أوائل القرن الثامن عشر ، والظن الغالب أن اعتقاد الناس بصحتها كان يظل ثابتا أزمانا طويلة بعد هذا التاريخ ، لو لم يصدر أمر بابوى في بداءة القرن الثامن عشر ، حظر نشر هذا الكتيب ، لانه تنبأ فيه بسقوط البابوية . على أنك لا تستطيع أن تدرك مقدار ماتأثرت العقول بمثل هذه الاساطير منك اذا عرفت أن رجلا ممتازا كبير العقل واسع العلم مثل «كبلر» Kepler قد شغل نفسه زمانا بفن الاسترلوفيا . ولكن الظاهر أن اشتغال كبلر بهذا الفن لم يأت الا من طريق الفقر والحاجة طلبا للقوت ، وطالب القوت ما تعدى ، كما يقولون . ولنا في ذلك الامر بابي معشر ، العالم العربي ، أسوة . فانه اشتغل بالتأليف في تحويل المعادن الى ذهب ابتغاء الرزق ، وللاستعانة بذلك على مواصلة تجاربه الكيماوية المعروفة . فكأنه استعان بما نفقت سوقه ، على ما كسدت تجارته . وهكذا الناس في كل العصور انما تستغويهم الاساطير وتستهويهم الفلسفة دون الحق الثابت ودون الابحاث العميقة التي ترفعهم فعلا فوق افق الحيوانات ، أجدادهم الاقربين .

ولقد صنع كبلر دائرة لكشف الطوالع للقائد مارشال «وولنشتين» Wollinstein وكان من كبار المعتقدين بصحة هذا الفن ، ومن أشدهم اقتناعا بصدق موحياته ، ولكن على الرغم من اطالة النظر في مواقع السيارات على دائرته التي حملها ليل نهار ، فانها مع الاسف لم تنذره «بالمدية» المحدودة التي اغتالت

حياته في « ايجر » أحدى مدن « بوهيميا » . ولاتزال تلك « الدائرة » محتفظا بها الى الآن ، وهى مصنوعة من الذهب الخالص ، وكان القائد الكبير يحملها على الدوام فى عنقه كحليه وكعويذة يتقي بها شر ماتخبأ الايام .

* * *

٨ — مساويء الاسترلوغيا

ومن الطبيعي أن فنا كالاسترلوغيا ، بعيدا عن كل ماتقوم عليها حقائق هذا الوجود ، يحدث كثيرا من المساويء والشرور ، لانه في الواقع لا يساعد ذوى العقول الضعيفة على ادراك حقيقة يسترشدون بها ، أو الاستنارة بشيء من القواعد التى تنير لهم سبيل الحياة . ولن يكون أثر الاسترلوغيا سيئا بقدر ما يكون فى زمان تملكت فيه العقول فكرة أن الشر واقع وأن المصائب لامحالة حالة بالامم والافراد . فكم من دم أهرق وكم من حياة اختطفها الموت ، تحت تأثير الاعتقاد بنبوءآت لا يقبلها العقل ولا تسلم بها البديهة .

ولقد يروى لنا التاريخ أن منجمى الابلطة الملوكية كانوا يمهرون عادة فى فن إبعاد الاعداء واقصائهم والتخلص منهم . فمن المعروف مثلا أن منجم بلاط « تيبريوس » Tiberius الرومانى قد استطاع أن يقضى على أعداء ذلك الطاغية بان أوقعهم فى أشياء امتدت اليهم من طريقها فأس الجلاد . ومن الذائع أن الملك إريق الرابع عشر Eric XIV قد أعدم وزيره « ستور » Sture وكل أعضاء أسرته سنة ١٥٦٧ للا سبب إلا لان منجما قد أخبره انه سيعزل عن عرشه ، وان الذى سيعزله رجل اشقر الشعر يعيش فى بلاطه . ومن سوء الحظ أن الوزير وكل أهله كانوا شقرا ، فامتدت اليهم يد الموت من حيث لا يعلمون . على ان امثال هذه الحوادث هى لدي الواقع من أبسط الحوادث التى يرويها التاريخ ، إذا قيست بحوادث كبرى كانت فنون الاسترلوغيا سببا فيها ومنبتا لها .

* * *

٩ — الفزع من انتهاء العالم

إن النبوءآت المتوالية عن انتهاء العالم وفساد النظام الكونى ، قد أحدثت من

المساوىء والكوارث ما يطول بنا شرح آثاره . على أننا نأتى هنا على بعض الامثال التى تفصح عن حقيقة ما أخذ الناس من خوف ورعب وما تملكهم من فزع وهلع عند ذيوع نبوءة كاذبة يلقى اليهم بها منجم مفتون .

في سنة ١٥١٨ اذاع ستوفلر Stoefler وهو اذ ذاك من أشهر المنجمين المعروفين الذائعى الصيت فى أنحاء أوربا ، نبوءة بان طوفاناً عظيما سيغشى الارض في سنة ١٥٢٤ ، وانه لابد من أن يخربها ويذهب بما عليها من حياة . ولقد حدس أن السيارات زحلا والمشترى والمريخ ستجتمع جميعا فى برج الحوت في شهر فبراير من تلك السنة ، وان هذا في وهمه ، لابد من ان يحدث طوفانا مجتاحا وكوارث مخربة .

واقد ملك الجماعات من جراء هذه النبوءة فزع شديد وهلع مضن ، وكان كلما اقترب موعد الكارثة زاد هلع الناس واشتدت مخاوفهم ، بل كاد كثير من الناس يفقدون توازنهم العقلى . فوقف دولاب التجارة والمعاملات ، وترك الزارع حقولهم نهب الخراب والبوار ، وامتنع الناس عن العمل فى كل مكان ، ولم يف أحد من الناس ماعليه من دين ، وأخذ المكتنزون يسرفون في تبديد ماجمعت أيديهم فى تحصيل ما يستطيعون تحصيله من لذائذ آثمة .. وحاول الاغنياء أن لايقاسموا الفقراء المستضعفين نهايتهم المحزنة . فهاجر بعضهم الى رؤوس الجبال يعتصمون بها حيث لاعاصم من مد ذلك الطوفان ، وابتنى البعض الآخر سفناً كبيرة الاحجام قوية الدروع على نسق سفينة نوح . وعمد بعضهم الى عيش البذخ والاسراف لينفق آخر فلس يملكه قبل حلول الكارثة. ونزلت على البعض الآخر سكينة التقوى والخشوع فاستسلموا للقضاء والقدر . وكأن الدنيا فى خلال هذه السنوات التسع التى مضت منذ التنبوء بحلول الكارثة حتى ساعة حلولها، قد انقلبت بيمارستاناً عاماً ماترى فيه من شيء اللهم الا صور التطرف ، إما الى الرذيلة القصوى ، وإما الى جنون العبادة والتقوى .

وحل من بعد ذلك شهر فبراير سنة ١٥٢٤ ، ثم انقضت أيامه يوما بعد يوم والدنيا تسير فى هدوئها الابدى كما سارت منذ أبعد الازمان ، فلم يأت طوفان

ولاحلت كارثة . وهنا تنفس أهل الدنيا الصعداء ورجعوا الى دنياهم بعد أن انصرفوا سنوات الى أخراهم .

وكان يواكيم الاول الالمانى — Joachim 1 أمير البلاتينات منجماً ؛ وأسس له مرصداً فى أحد أبراج قصره . وفى ساعة من ساعات الشؤم والويل أخبره منجمه « يوهانس كاريون » Johannes Carion وكان يثق به كل الثقة ، أن « ستوفلر » قد أخطأ فى حسابه ، وأن الطوفان الذى تنبأ به سيقع في يوم ١٥ يولية سنة ١٥٢٥ ، وأن هذا الطوفان لايعم سطح الارض كما قال ، ولكنه سيغشي أرض ألمانيا وبرلين كولن Berlin-Coln على الاخص ، وهو القصر الذى كان يعيش فيه الامير . فصدرت الاوامر المشددة بأن تظل هذه النبوءآت في طى الكتمان الشديد ، حتى اذا كان أصيل يوم ١٥ يولية سنة ١٥٢٥ . ظهرت غيوم ملبدة فى الافق الغربى منذرة بويل شديد . ففتح باب القصر الملكي على مصراعيه وخرج منه عدد من المركبات الملوكية والخيل تعدو بها ملء فروجها ميممة شطر تل « كروزبرج » بجوار برلين ، كان للامير وأهله وحاشيته بمثابة جبل أرارات الذى آوى اليه الناس اتقاء لطوفان نوح ، ولقد ظل العوام ينظرون الى هذه الحركات نظر المشدوه الخائف الذى يتوقع كارثة لايعلم أين منبتها . ولما عرف السبب الذى من أجله فرت الاسرة الملوكية والحاشية والوزراء تسرب الفزع الى القلوب وتملك الهلع الافئدة ، وامتزج الخوف بشعور من الاحتقار والسخرية من الامير الذى أراد أن ينجو بنفسه من غير أن ينذر رعاياه بالخطر المحدق بهم ، بل تركهم يموتون وحشرات المدنية ، كأنهم سواسية فى القيمة عنده . وعند ما بدأ الليل يرخى سدوله هبت عاصفة ليست بذات شدة . ولما ودعت شمس ذلك اليوم قمة « كروزبرج » بدأ الشخص الوحيد الذى يحق لنا أن ننعته بوصف الرجولة ، وكان من الاسف سيدة ممن يضرب بشجاعتهن الامثال ، وهي اليصابات Elizabeth أميرة « البلاتينات » يشك فى حقيقة النبوءة ويشجع بقية الجمع على العودة الى القصر ، قائلة بأنه من الظاهر أن نهاية العالم لاتقع فى ذلك اليوم .

ورجعوا يجرون ذيول الخزى مرموقين من الرعية بعيون تنم عن الاحتقار والسخرية . ولكن صودف أن عربة الامير لم تكد تدخل فناء القصر حتى انقضت صاعقة قتلت سائق المركبة وجيادها الاربعة . فجمد الدم فى عروق الامير ، وكاد يذهب ضحية وهمه وتخيلاته الغريبة .

*

* *

١٠ — استخدام الاسترلوغيا .

لم يقتصر الاعتقاد بفن الاسترلوغيا على العوام وحدهم ، بل أن رجلاً من أكبر من يذكر التاريخ سعة فى العقل وشجاعة فى القلب ورسوخاً فى الايمان ، وكان منهم لوثر ، قد آمنوا بتأثير الكواكب ، وفيما يتنبأ به المنجمون . على أن من رجال الكنيسة ومن الامراء فئة لم تكن تعتقد بصحة مايوحى به المنجمون وكثيراً ما نفى منجمون من بلاد كثيرة كان من حسن حظها أن يقوم عليها رجال من هذا الطابع على رأس الحكومات وفى الكنائس .

على أن جنون الوهم الذى كانت تبثه فنون الاسترلوغيا قد ظل مؤثراً آثاره المحتومة حتى أواخر القرن السابع عشر . ويعتبر جان باتيست موران Jean Baptiste Morin الذى توفى بباريس فى سنة ١٦٥٦ آخر من يذكر التاريخ من كبار المنجمين .

غير أن للاسترلوغيا وجهاً واحداً من وجوه النفع لايجدر بنا اغفاله . فان هذه الفنون ساعدت على ترقية علم الفلك — الاسطرنوميا — وعلى وضع قواعده الاولية . مثل الاسترلوغيين فى هذا كمثل الالكيماويين Alchemists الذين سعوا عبثاً فى معاملهم وراء الحصول على « حجر الفلاسفة » الذى كان من شأنه أن يحبو الناس بالحياة الخالدة على معتقدهم ، وفى تحويل المعادن الدنيا الى ذهب خالص ، فانهم نجحوا أحيانا فى أستخلاص بعض قواعد فى علم الكيمياء لايزال يعترف الآن بما لها من الشأن والخطر . فان تحديد مواقع النجوم وحساب دوراتها قد وضعت القواعد الاولية لعلم الاسطرنوميا من طريق الاشتغال بالتنجيم .

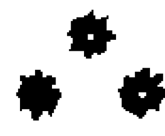
* *

١١ — انتعاش الاسترلوغيا في القرن العشرين

ولكن بأى شيء نعلل انتعاش هذه الفنون في عصرنا الحاضر؟ بأى شيء نعلل ذيوعها اليوم وسط تلك المستكشفات العلمية والفنية التى تحبونا بها ابحاث العلماء كل يوم؟ ولا جرم أن انتعاش هذا الفن الخرافى في القرن العشرين لمن أعجب ما يقع عليه الباحث في خصائص العقل الانسانى .

فكثيرا ما نقرأ في الجرائد تحت عنوانات كتبت بحروف كبيرة كلمات تسترعى النظر ، مثل فلان يقرأ مستقبلك ويعرف ماضيك ، والنجوم تحكم سير الظواهر الطبيعية ، والكواكب تقسم الحظوظ ، الى غير ذلك من الكلمات الجوفاء التى تدل على سفاهة ما بلغ اليها الناس في العصور الاولى . فان هذه الاعلانات تظهر في كل مكان وفى أرقى النشرات الدورية وبين ارقى الامم . بل الظاهر ان الذين يتخذونها وسيلة لترويج بضاعتهم يجنون من رواجها ربحا طائلا . وبهذا نرى أن فن كشف الطوالع وقراءة الحظوظ الذى هو من مخترعات القرون الوسطى ينتعش مرة أخرى في القرن العشرين ، عصر العلم الطبيعى القائم على التجربة والاختبار . قال برونو فلوجل الفلكى المعروف .

«منذ عهد قريب عين أحد الفلكيين الحديثى العهد في أحد المراصد الفلكية بمرتب «ملكى» قدره خمسة وأربعون جنيها في العام ، ولما ناقش الذين عينوه في ضؤولة المرتب قال له أحد مشهورى العلماء المعروفين «خير لك من الاشتغال بالعلم أن تؤسس بيتاً للتنجيم في حى من الاحياء الشهيرة في المدينة ، وأنت تجمع ثروة كبيرة في أقرب حين» وهذا الكلام صحيح من كل الوجوه



١٢ — الاسترلوغيا كما هي اليوم

لقد ذاع في أكبر عواصم أوروبا منذ عهد قريب مثل لندن وباريس وروما وبرلين ضرب من الاسترلوغيا قام به منجمون وجدوا من كثير من المتعلمين صدراً رحباً ، وراجت بضاعتهم وأعلنت عنها بكل الوسائل على أن حفظ النساء من حماية

المنجمين كان أضعاف حظ الرجل . ولقد جرت عادة أحد المنجمين في لندن أن ينشر خطابات كتبت اليه من رجال وسيدات من أنبل أبناء هذا العصر وسيداته الذين يشغلون في المجتمع الانجليزى أكبر مكانة ولهم أعظم احترام . على أن هذا المنجم لم يقتصر فى نشراته على اذاعة الخطابات التى ترد عليه بل كان يختم كل نشرة عما يأتى :

« ارسل شلنا واحداً ومعلومات كافية عن تاريخ ميلادك ، فيصلك كشف طالعك . ولا شك أنك ستدهش بما سوف تجد من دقة وضبط في معرفة ماضيك والكشف عن مستقبلك »

ومن السهل على غير المؤمنين بصحة هذه الصناعة أن يقابلوها ببسمات الاحتقار والسخرية . غير أن انتشار الفكرة فى التنجيم والاعتقاد بصحتها انتشاراً كبيراً فى هذه الايام يدعو الى شديد الانتباه من أن تنال الجماعات موجة من موجات الجنون بالاساطير شبيهة بتلك التى جرفت أمامها الجماعات في القرون الوسطى .

١٣ — ماهي الحقائق الراهنة

ان الفكرات المادية التى أخذت تستمكن من العقول خلال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، قد أحدثت فى نفوس الناس شعوراً بالحاجة الى النزوع الى الناحية التى تقابل جمود الماديات من التصورات الذهنية . ولقد عانى علماء الفلك المشهورين في أوروبا في الاعصر الحديثة أشد المتاعب مما كان ينهال عليهم من خطابات يسأل فيها مرسلوها عما يعرف علم الفلك من تأثير السيارات التى تجوب السماء في زمان من الازمان . ولا شبهة من أنهم ينزعون بهذا الى فن التنجيم متخيلين أن علماء الاسطرنوميا فى مستطاعهم أن يزودوهم بما تدل عليه حركات النجوم في السماء من نحوس أوسعود . على أن بعض المشتغلين بالاجتماعيات من علماء الفلك قد عنوا بمثل هذه الخطابات عناية خاصة وأخذوا يجيبون عليها ليرشدوا مرسلوها الى أن النجوم والسيارات بعيدة عن الارض بعدا عظيما بحيث لا يمكن أن يكون لها تأثير ما على أهل هذا السيار . بل زادوهم علما بان الجرم الوحيد الذى يمكن أن يكون له

علاقة مباشرة بالارض هو الشمس. بدليل أن حرارة الشمس هي التى تبعث الحياة وان الايام التى يكدر فيها الجو وتغيب الشمس يأخذ كثير من الناس انقباض شديد وحزن عميق لا تعرف من باعث له، وان حوادث الانتحار تكثر عندما تغيب الشمس عن أفق الارض أو تحجبها الغيوم الملبدة. وكذلك القمر فان له تأثيرا ضئيلا على تغيرات المناخ والطقس ولكنه تأثير جزئي لا يحدث من أثر كبير فى الحياة الانسانية.

وعلى الرغم من هذا فان هذه الحقائق لم تكن كافية لان تصرف الناس عن غيهم وأساطيرهم. ولا جرم أن هؤلاء المنجمين يباشرون صناعتهم هذه وهم أشد الناس اقتناعا بان الناس أحرص على أن يخدعوا منهم على أن يرشدوا.

« * »

١٤ — تأثير كبلر

ولا مرية مطلقا في أن من المنجمين فئة كانت تعتقد في صحة فن الاسترلوغيا اعتقادا بريئا عن الخداع والوقيعة بالناس. أما حكمتهم التى يلجأون اليها فكلمة شكسبير المعروفة. «ان فى السماء وفي الارض من العجائب ياهوراشيو، أكثر مما فى أحلام فلسفتكم». ولا جرم أن الحقيقة تبعد عن هذه الاقوال الشعرية التخيلية بقدر ما كانت تبعد فكرة شكسبير عن الاسطرنوميا. غير أنه مما يجعل موقف رجال الاسترلوغيا قويا أن رجلا من أكبر رجال العلم الحديث كان منجما. ونعنى به كبلر المعروف. وفي الحق أن هذا العالم الكبير قد اشتغل بالتنجيم زمانا، ولكن عن عقيدة واخلاص، وليس أدل على هذا من رسالة نشرها سنة ١٦١٠

ولقد عاش كبلر من سنة ١٥٧١ الى ١٦٣٠ وكان صورة مكبرة من نزعات عصره ومثالا للخيالات التى قامت في اذهان أهله، غير انه لا يداخلنا شك مع هذا في أن كبلر لم يلجأ الى الاشتغال بهذه الاساطير إلا مسوقا بحكم الجوع والفقر، فانه على الرغم من سعة علمه ونبوغه واكبابه الجدى على البحث العلمى كان معدما، ولاشك فى أنه كان يموت جوعا لو لم يلجأ الى مثل هذه الوسيلة ابتغاء أن يعيش بكسرة يسيغها. فان وزير المالية كان قد قطع عنه مرتبه في زمان اشتدت فيه الحروب

واستحكمت حلقات الازمة المالية . ولقد عجز صديقه المارشال وولنشتين عن أن يمد له يد المساعدة فى محنته. وفى سنة ١٦١٠ اضطر كبلر الى أن يسافر المدر بجنسبرج مدفوعا بعامل العوز وخشية أن يموت جوعاً. غير أن هذا الانهاك أثر في صحته فمات

هذه صورة من معتقد غشي على العقل الانساني ازماناطوالا وكان له أكبر الاثر في تصوير الاتجاهات التى اتجهت فيها الجماعات . على أنه مهما كان في هذه الصورة من أثر ، فان الصورة التى تخلفها فى العقل حقيقة أن كبلر مات من الجوع والفقر ، وهو بعد ذلك العالم الكبير المتجرد عن الدنيويات ، الراضى من الحياة بكسرة يتبلغ بها ، ثم لا يجدها ، ليس من شأنها أن تعطينا فكرة حسنة في حقيقة النزعات الانسانية

اسماعيل مظهر



النبوغ السجين

الى الشاعر العبقرى الاستاذ عبد الرحمن شكرى

اذا جحد الفذ النبوغ معاند
فنى الكون من بر النبوغ حسيب
وأنت برغم الصمت أفصح شاعر
يئن فتبكي للانين قلوب
وينتقص الحساد آيات خلده
فيزداد مجدا فى الخلود يطيب
تبسم ولاتحزن بدنيا عبوسة
فانك قبلى للنفوس طبيب !
ولاتشك من لؤم الانام فانما
شهادة نبل أن تذم أديب
تقبل اذا منى تهانىء مخلص
على القدح ، فهوالمدح ، وهوعجيب !
مضت زمر الاعوام والدهر عاصف
وقلبى على مر الزمان حبيب
وما خذل الالباب مثل تحاسد
فذلك داء للنبوغ مذيب
لقد حفر الشانى بذمك قبره
ويفعل غر مايعاف لبيب !
وعير حيناً بالشذوذ وما درى
بانك في أقصى الشذوذ أديب
فعد يانبى الشعر للشعر هاديا
اتسكت والشعر الكريم غريب؟

سجنت نبوغا عاش طلقا بطبعه
فكل محب يرتجيك كئيب
وقد راح عهد كان للوهم بأسه
ونحن بعهد لايسود مريب
اذا انت خاصمت الوجود جميعه
فلى بوفائى من هواك نصيب !
وانى الذى يبكي على جرح غيره
ومالى غير جرحى الدفين نحيب !
وأحمد غيرى إن اجاد وبزنى
فانى لتقديس الجمال طليب
وكل فتوح للجمال اعدها
فتوحى ، وخصمى ان اجاد نسيب!
فكيف بمن اخلصته الود غائبا
وهيهات عن ابى نداه يغيب؟
تحيك - رغم السخط - كل سنية
من الكون ، والكون الشكور رقيب
لحظك مستور ، وفي اسمك رمزه
وكم لك من شكر وليس خطيب!
فدعنى اذن اهدى الثناء معبرا
عن الفن ، فهو الكون ، وهو خصيب
ودعنى ارجى من ودادك عودة
الى الفن ، فالفن العزيز سليب
وأنت سماوى الشعور ومن له
شعورك - للحب الصميم يجيب

ابو شادي

(مذكرات أنا)

بقلم (ى)

— ٣ —

واستعرت نار الحرب العظمى فظنناها لاتدوم الا أشهر قليلة فاتبعنا الحكمة القائلة « لاتهتم بالغد فان الغد بك يهتم » ولم تسمح الظروف الحلفاء بتضييق الخناق على منطقتنا في بادىء الأمر فتمتعنا برخاء غير منتظر لهبوط الأسعار فالحاصلات المحلية لم يمكن تصديرها وجلها من الضروريات واما الواردات من الثياب والاثاث فقد استغنى عنها الناس لاعتقادهم بان الحرب ستنتهى بعد قليل لامحالة

ولكن سرعان ما خاب الرجاء وأخذنا نشعر بالضغط الذى أخذ يتزايد عندما بدأت السلطة العسكرية تحتكر المواصلات وتجند الشبان وتأخذ حاجات جحافلها من المحاصيل وغيرها من السلع فهاجم الجوع بادىء ذى بدىء مهج الفقراء وعبثا حاولوا سد جوعهم من النظريات الاخلاقية فاداروا لها ظهورهم وشغلوا في اقتناص المال بكل الوسائل التى تخطر ببالهم فاصبح العفاف لا يستحق نقطة مداد واحدة تهرق من أجل صيانته وكانت حاجتنا ميسورة لدرجة ما فاخذنا ننتقد ونقيس الفوضى التى نراها بمقياس الخير والشر وكيف لانفعل ذلك وكنا نسمع بالجوع دون أن نشعر بفتكه ولم يكن يخطر فى بالنا وجود شىء اسمه الحرمان التام وتسليم الروح على قارعة الطريق بعد أن تنتفخ البطن وتدق الاطراف كما تجلى ذلك لنا فيما بعد فدفعتنا المروءة لمد يد المساعدة ومكافحة عدو الانسانية الفتاك فجدنا بالقليل الذى كنا فى غنى عنه ولكنه لم يكن أكثر من قطرة أردنا بها ارواء سهل فسيح عطشان ، والفت آذاننا سماع انات المحتضرين ومرنت أعيننا على رؤية الاعراض تنتهك جهارا فاختلت فينا قدرة الموازنة الأخلاقية وعلمنا أن العادة أصل والظروف دوافع اذا اجتمعت هيأت الفكر البشرى لتفهم الخير والشر بصورة مخصوصة وتبين لنا ان الوعظ والارشاد لا يردان الواقف أمام الموت وجها لوجه

وعدت علينا عوادى الجوع فبدأنا نناضل من أجل الحياة في بادىء الامر ولكننا لم نلبث حتى الفناء فاستسلمنا و بتنا كبقية الناس نأكل الخبز جافا دون ادام حين كنا نحظى بقليل منه وتسربلنا بخلق الثياب ومست أجسادنا الأرض وهي نتيجة كنا نرهب الوصول اليها ولكنى الآن اصرح بأننى أحد القلايلين الذين اختبروا مبلغ السعادة التى يرفل البؤساء فيها . فليس البائس هو الذى يجوع فاذا ماعثر على لقمة التهمها بلذة تفوق الوصف . ولا يمكن لمن اختبرها تفهيمها للذى لم يتمتع بذوقها ولو مرة واحدة في العمر . وليس البائس هو الذى يشقى طيلة يومه حتى إذا ماجن الليل استسلم للنوم الهنى دون أرق و بعيدا عن مداعبة الكابوس

التعيس هو الذى يأكل وينام حتى الملل . فالراحة المستديمة هي التعب بذاته وليس ملء البطن في كل وقت من الامر الذى يهذا الناس فيه . اليس من العجب ان نتألم لمشاهدة الفقراء يتقلبون في حياة ملذة واليس من الغرابة بمكان أن لا يقدر المساكين النعمة التي يرفلون فيها و يحسدوننا على حياتنا المملة الغير متباينة؟

الراحة بعد الشقاء جديرة بان تسمى راحة ولكن الراحة المستمرة فليس لها لدى من اسم غير الشقاء . الا ترون العاطلين يروحون عن انفسهم باجهاد ذواتهم في الصيد والقنص فالعمل عندهم لذة وبالعكس يشعر الفقراء بلذة عدم العمل؟ ولكن اللذة لا تدوم فاذا دامت ألفناها وتطلعنا الى ضدها للترويح عن ذواتنا

هكذا حطمت الحرب صرح الأخلاق وكان بأس الغرام قد زعزعها وازادت كذبة الأستاذ احتقارى اياها ، وبالفعل حنقت عليها فانتهزت هذه الفرصة لأقف على اطلالها وقفة المنتصر الشامت أطأها بقدمى غير مهتم ولا عابىء بتلك النفوس التى كنت اكتسح عزتها في طريقي وما زلت دائباً على سخريتى الى أن ألفت تلك الحياة الجديدة فتحولت عنها الى غيرها ولكن كان بغضى للقديم لا يزال على ما كان عليه وشق على أن لا أجد لنفسى نظاما واجب الاتباع فاتمط في يدى عندما لم يخطر ببالى ما يجب أن افعل بعد ، وكيف يخطر لى ما لم أمرن عليه وقد نشأت على الأتكال وليس الابتكار ومرنت على أن لا

أحيدعما أفهمونيه قيد شعره

ولكن الانسان ميال بطبيعته للاشادة فاخذت ءابنى لى صرحا من الحقائق التى لاتقل سخافة عن الحقائق التقليدية وهل الحقيقة الا اوهام وتخيلات لا أثر لها الا فى ادمغتنا ؟

— ٤ —

وفى ذلك الوقت كنت قد انهيت عهد الدراسة وتسلمت تلك الوريقة التى تسبب الانغماس في الرعونة لاؤلئك الشبان السذج الذين بمجرد استلامها يعتقدون بانهم نفضوا عنهم الجهل وتسربلوا بسربال المعرفة الغير محدودة

واذكر انى ودعت عهدى المدرسى بدمعة هى آخر ما سكبته عيناى من الدموع الشبه بريئة ولم يكن سكبي اياها الشىء اللهم الا لانى بدأت اشعر شعوراً خفياً بأنى أقدمت على توديع عهد واستقبال آخر ولكن لشعورى بحاجتى الى كلمات التشجيع والتهنئة وكنت محروما منهما و بينا كان رفاقى محاطين بالآل والاحباب يقتبلون تهانيهم القلبية او اللسانية كنت أسير فريدا مطرقا نحو غرفتى والدمع يترقرق في عينى وهناك القيت بنفسى على الفراش واستسلمت لدور طويل من الضعف و بعد ذلك رجعت لنفسى وأخذت افكر طويلا فتضاربت الأفكار في دماغى و بت نشطا فاصلحت من شأنى واتجهت الى حيث كان مطلوب منى القاء خطبة وبالفعل القيتها وكانت مملوءة بالتكلم على المستقبل وما ينتظر ان نفعل فيه

و بدأت أظن ان أرباب المصالح سيتهافتون على و يفتحون أمامى ابواب الأمل فبدأت أرسم مشاريع لمؤلفاتى المقبلة وأدون مقترحاتى الاصلاحية التى ظننت أننى سأفاجىء العالم بها فادهش المخلوقات الخارقة في سباتها بما القيه عليهم من طرائف الافكار

ولكن ذهب انتظارى عبثا فلم يلتمس منى رجل مقاسمته فى ما يملك ومصاهرته كما كنت أتصور وهكذا مرت الاسابيع تلتها شهور فبت أحترق الارم وتملكتنى السويداء حتى خطر ببال صديق أن يرشحنى لوظيفة ضابط مدرسة فتمنعت قليلا وأخيرا قبلت وأنا أغش نفسى مدعيا ان الحكومة لم تجد من هو

أ كفأ مني لملء هذا المنصب الكبير. وكانت الوظيفة حقيرة و بدون أجر سوى الطعام والنوم بلا مقابل فالتحقت بهـا وقمت بدعوى طويلة عريضة أثبت بها لرفقائي أنني أكتسب عشرات من الجنيهات وا كبرت من النفوذ الذى أسند الى فتمنى كل لنفسه ولو نصف هذه السعادة.

وكأني خلقت لا كون ضابط مدرسة وأظن أن الدافع الاول لى للعمل هو أن المجال كان متسعا أمامى كي أظهر على غيرى من المخلوقات مهما صغر شأنهم. وكان يثلج قلبي اذا ما أشار الى الاولاد أو اذا استشهدوا باقوالى أو اذا التجأوا الى لتسوية مشاكلهم البريئة ولكن ساعدتني الظروف فالتزمت أن أنظر الى مهنتى بغير العين التى كنت بها اتطلع اليها. فقد تواكل الذين القيت اليهم مسئولية ادارة المدرسة فرمى المدير بحمله على وكيله وهذا على رئيس الضباط الذى تنحى عن المسئولية تمـاما للضابط الثانى ففضلنى هـذا عن ذاته وهكذا اكتفى الكل بالامضاء وقبض المرتبات وابقوا لى العمل المضنى بلا أجر

ولكنى عملت بقلب قوى وجنان ثابت لستة أشهر حاولت فيها تطبيق خيالات عن التربية متحاشيا ما كرهته أيام تلمذتى معززاً ما أحببته وكم كان سرورى عظيما عندما نجحت بعض النجاح وكوفئت بمرتب ضئيل فانحصرت لذتى في عملي ولم أمل من متابعة العمل من منتصف الساعة السادسة صباحا كل يوم الى منتصف الحادية عشر مساء. ولم يخطر ببالى أبدا الاستفادة من أجازتى الاسبوعية وكانت لاتزيد عن ست ساعات من يوم الجمعة مع ليله. وهكذا كانت لذة العمل سببا في انتزاعى من هوة التدهور الاخلاقى التى كادت تبتلعنى دون رحمة ولا شفقة

هكذا اتضح لى أن التعاليم المدرسية اذا لم تطابق تعود بالضرر على معظم الشبان فان الشاب الذى لا يرى الا وجهة واحدة من أوجه الحياة وتملأ رأسه بخيالات واصطلاحات يعتقد أنها دون غيرها الصحيحة لا يلبث حتى تختل موازنته عند ما يجد العالم غير ما كان يظنه وقد يصاب بصدمة تحول مجرى حياته الى هوة لا يجد من يغيثه وهو ينحدر نحوها

وكانت أسئلة تلك القلوب الصغيرة اليائسة تجبرنى على التظاهر بالتفاؤل الى

ان تعودت عليه ونسيت تلك الشهور التى قضيتها متشائما . وهكذا رجعت فجددت عهدى مع الانسانية الطفلة وانهمكت في درس رغباتهم ونزعاتهم

وكم فكرت منذ ذلك الوقت في مهمة ضابط المدرسة والمسئولية الملقاة على عاتقه فهو الملازم للطلبة طول الوقت وهو الواقف على مايفعلونه؛ فعليه تقع مسئولية انشاء النشء بعقلية جديدة. ولا يجب أن ينحصر همه كما هو الحال في مصر فى تأدية أعماله آليا من تنفيذ العقوبات والقيام بحفظ النظام. ومن الغريب أنه بينما يتكل الوالدان على المدرسة إتكالا تاما فى مسألة تربية النشء تجد ناظر لمدرسة منزويا فى غرفته مغلقا بابه دون تلك الافئدة البريئة المحتاجة الى مرشد ومشجع، هذا فى الوقت الذى يكون فيه المدرس كقرص الحاكي ينقل ماملأ به دماغه من محتويات الكتب على اسماع صفوف الطلبة ويعتقد أنه بذلك يؤدى وظيفته. فبين المنزل والمدرسة يضيع الشبان ويخرجون شرا مما دخلوا

الا أن للطفل آلام من الواجب وجود من يستمع لها ويساعده على تفريجها وأن له أسئلة يتطلب من يصغى ثم يجاوب عليها. ويحتاج الى من يرشده الى تفهم العالم كما هو. ولا بأس من أن يدلى اليه بعد افهامه الحقائق بما يتصوره عن كيف يجب أن يكون العالم الكامل فى اعتقادنا حتى اذا ما أنهى الطالب سنى الدراسة بجده واقفا على مجريات الاحوال بحسناتها وسيئاتها فلا يدهش من العالم الواقعى اذا وجده مخالفا للعالم الذى يتشبث به الاخلاقيون الخياليون .

***

ملخصه بتصرف

نور الجحيم

سونيتة غنائية

اذا كنت أبكي لعسف الحياة
فهيهات أبكي لقلبي الحزين !
لكنني أشجى لمن قد شجاه
من عيشه طول العذاب الدفين
لقد ذقت صرفاً ضروب الالم
فصارت لنفسي كبعض النعيم !
فان كان بثي حليف النغم
فياربما النور بعض الجحيم !
على انني زاهد في سروري
فقد خلق القلب معنى السرور
وحول من صبره في شعوري
تعاسة نفسي وفي الحبور !
فرجعتها في بكائي غناء
يعزي الورى وحجبت الشقاء

أبو شادي

مقياس الذكاء

أ كثرت الجرائد المصرية في هذه الآونة من التكلم عن الذكاء وعن الاطفال الغير أذكياء واذكر أن احدى الجرائد نشرت نبذة من كتاب لطبيب يذكر فيها أن من المستحسن امتحان ذكاء الاطفال حتى اذاما اتضح أن للبعض ذكاء دون المتوسط وجب الفات نظر والديه الى تعليمه صناعة لعدم امكان الاستفادة من المدارس وفي هذا القول تخبط واضح فاولا لم يتيسر حتى الآن لعلماء التربية تعريف معنى الذكاء وكثيراً ما يخلط المربون بين الفهم والحافظة وسرعة الخاطر وترتيب الافكار وحسن الاخلاق وسرعة الفهم وهي كلها مجتمعة تمثل ما يسمونه الذكاء الذى لا يقتصر على احداها . فلنمسك موضوع الفهم مثلا لبحثه وعندئذ يتراءى لنا أن الفهم أيضا له حالات فهناك من يفهم عن طريق اذنه ويسمى فهمه سماعيا وآخر يكون فهمه بصريا أى يجب أن يرى ليفهم وثالث فهمه آلى أى تجريبى وما عليك الا أن تلاحظ القراء لتقف على الحقيقة السالفة فكثيراً مانعثر على رجل يقرأ لذاته الجريدة بصوت عال لدرجة تتضايق منه فتسائل نفسك عن سبب هذه الجلبة وتدهش لعدم قراءته كما يقرأ بقية الناس ولكنه معذور فهو يفهم عن طريق أذنه. كذلك هناك من اذا قرأت عليه مقالا وسألته عن محتوياته بعد انتهائك منه لايحير جوابا بل يطلب منك الجريدة ليقرأ الموضوع بنفسه وغير هذين الشخصين يوجد من لايترك كتابا دون أن يسطر تحت جملة أو يكتب له الحواشي أو يأخذ عنه ملخصات .ولا يقتصر الناس على واحدة من هذه بل هناك من يشركون السمع بالبصر أو السمع باللمس أو ثلاثتهم معاً

وهناك فكرة أخرى حديثة قرأتها في كتاب الاستاذ منرو وهى أن للذكاء فترة حددها بعشر سنوات تقع فى أى جزء من حياة الشخص أما فى الصغر أو في مقتبل العمر او في عهد الرجولة أو الكهولة أو في أواخر العمر وفي هذه الفترة يبلغ الشخص أقصى ما يصلح لهمن مستوى ذكائه وأقل هؤلاء فائدة هم الذين تقع هذه الفترة في طفولتهم لان التدليل يطغى هؤلاء الأطفال الاذكياء من جهة ومن جهة أخرى لا يستفيدون فيها فائدة تذكر لأن قواهم العقلية تكون غير ناضجة

بعد. والحسن الحظ هو الذى تمر به هذه الفترة وهو على باب الرجولة لان اختباراته تسمح له بالاستزادة والاكثار من التجاريب والمعلومات

هناك أيضا النمو فانه من الملاحظ أن كبار الاجسام لا يظهر ذكاؤهم إلا متأخرا وذلك لان الجهد يتوجه الى النمو المادى ويمكن ملاحظة أن صغار الاحجام هم بوجه عام أظهر ذكاء فى صغرهم من الضخام

كذلك للبيئة دخل عظيم فان الوسط العقلى يستدعى أعما الفكرة واشتغال العقل وفيه نموذج يمكن أن تبنى عليه التجارب بالقياس فان ابن الرجل المثقف أكثر قابلية لمسايرة الثقافة عن ابن الغير مثقف وليس معنى هذا أن الولد يرث ثقافة أبيه بل فقط يهيء الوسط فيه القابلية للاندماج

كذلك يلاحظ أن هضم الناس للعلوم المختلفة أو الاراء المختمة يتوقف على استعدادهم لقبوله. فالتلميذ الذى يرغب فى درس الرياضة لايميل الى درس الطبيعيات او اللغات او الاجتماعيات مثلا والعكس

فهل يمكن والحالة كما ذكرت فحص ذكاء الأطفال فى سن معين ؟ وهل القاعدة المتبعة فى الوقت الحاضر من جعل العلوم واحدة اجبارية تعود بالفائدة على النشء ؟ أليس الأفضل ترك الشخص ليختار مايريد ان يدرسه لأنه يقدر عليه أكثر من غيره ؟ وهلا يجب أن نقرن العلم النظرى بالعملى لنعطى للصغير فرصة لمتابعة أمياله ؟ كذلك هل نحن محقون فى تحديد سن طلبة المدارس بكذا من السنين مع العلم بان فصلنا للطفل من المدرسه قبل ظهور فترة الذكاء فيه تجعلها تخبو؟

ان من المشاهد ان سنين النبوغ لاتبدأ فى وقت واحد فالبعض يظهر نبوغهم سريعا في حين ان نبوغ البعض الآخر لايظهر الا في سن متقدم وكثير من فطاحل العالم كانوا في صغرهم كما يتضح من تاريخ حياتهم معدودين من الاغنياء الذين لم يكن منهم أمل يرجى

اننا في حاجة الى نظام تربية عام قوامه المحاضرات العامة والنشرات كذلك يجب علينا تغيير منهج الدراسة القديم الفائدة الذى نتبعه اليوم

عمر عنايت

الملك والملكة

الاهداء

الى مسز أرنر سيمور

« الملك والملكة احدى روايات طاغور التى قرأها الملايين من الناطقين بكل لغات الارض الحية . فقد ترجمت الى كثير من لغات أوروبا وا كثر لغات آسيا . وهى رواية تمثيلية تدعو الى الحرية، وتوحي الينا بأسرار الطبيعة الانسانية التى تتنازع فيها المشاعر والعقل ، وان هذا النزاع لابد من ان ينتهي بحقيقة هى تحرير ارواحنا من الاستعباد المادى والمعنوى . »

***

الملك والملكة

الفصل الأول

في حديقة القصر — الملك فكرام والملكة سومترا

فكرام — لماذا تأخرت عن القدوم الى طويلا يا حبيبتى ؟

سومترا — ألا تعرف أيها الملك أنى لك وحدك من دون الناس أجمعين ، أينما كنت وحيثما حللت ؟ وما أخرنى عنك الامنزلك وخدمتى فيه . تأخرت عنك بجسمى، ولو أنى معك بروحى .

فكرام — اتركي البيت وخدمته . إن قلبى لايستطيع أن ينفك عنك ليشغلك بدنياى . إنى أغار عليك من مطاليب الدنيا التى تكاد تسلبك منى .

سومترا — لا أيها الملك . ان لى منزلتى في قلبك كحبيبة ، وفى دنياك كملكة .

فكرام — واأسفاه أيتها العزيزة . أين ذهبت تلك الايام التى ملئت حبورا وجذلا ، عند ما التقينا لأول مرة، إذ كانت عين الدنيا عنا نائمة وسنانة ؟ ولم يكن لدينا سوى ذلك الخيط المضيء الذى أشع فى فجر ملاقتنا فتغلغل خلال قلبينا في سكون وصمت ؟ لقد كان بين أجفانك وميض من الخجل العذب ، أشبه شيء بقطرات الندى إذ تقف حيرى على بتلات الزهرة ، و بين شفتيك

مخايل ابتسامة حلوة ، مايشبهها الامصباح ضئيل في ليل تتلاعب بالسنة نيرانه الرياح . وإني لأتذكر ضمات حبك الحارة ، عندما كان يفاجئنا الصباح بنوره فنضطر الى الافتراق ، وخطواتك المغتصبة المثقلة خولا حاملة اياك بعيداً عني هنة بعد هنة . أين كان اذ ذاك البيت وأين كانت خدمته ، وأين كانت واجبات هذه الدنيا ؟

سومترا — اننا حينذاك لم نكن أكثر من صبي وفتاة . أما اليوم فالملك والملكه .

فكرام — الملك والملكة ؟ أسماء مجردة . اننا أكثر من هذا . اننا عاشقان

سومترا — أنت ملكي وزوجي . وأنا قانعة بأن أتبع خطواتك . لاتخجلني بأن توقفني حاسرة أمام جلال ملكيتك .

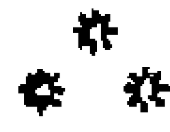
فكرام — أوترفضين حبي ؟

سومترا — انما يكون حبك لي ثابتاً صحيحاً ، اذا أنت لم تذهب الى حد المبالغة والافراط . لان الحق من المستطاع أن يكون بسيطاً ساذجا .

فكرام — اني لااستطيع أن أفهم قلب المرأة .

سومترا — أيها الملك . انك اذا بذلت كل شيء تملكه وبذرت فيه من أجلي ، فلا ريبة في أني سأحرم يوماً ما .

فكرام — أيتها الملكة . لاتفوهي بأكثر مما فهت به من هراء القول . ان عشوش الطير صامتة ساكنة لان الحب يرف عليها . فلتقف الشفاة على الشفاة رقيبة ، لئلا تستقوي عليها الكلمات فتتحرك بها .



يدخل الخادم

الخادم — ان الوزير بالباب يطلب مقابلة جلالتك ليعرض أمراً خطيراً يخص الدولة .

فكرام — كلا . اصرفه الآن .

— يخرج الخادم —

سومترا — يامولای . مره بالحضور .

ڤكرام — ان الدولة وشؤونها تستطيع الانتظار . أما ساعات الحظ فقليلا مايغرد هزارها . انها لساعات هشة كالازهار . أما إرجاء القيام بالواجب فجزء من الواجب نفسه .

سومترا — يامولای . انی أفزع اليك أن تنصرف الى مهامك .

ڤكرام — أتعودين الى هذا أيتها المرأة القاسية . أتظنين انی أتبعك دائماً طمعاً في أن أنال رضاك غير المنال ، وان اتسقطه قطرة فقطرة ؟ فلا تركك اذن .

يخرج

***

يدخل ديڤاداتا وهو برهمی صديق الملك .

سومترا — خبرنی ياسيدی عن حقيقة تلك الاصوات التی تتعالى من وراء بابنا .

ديڤاداتا — هذه الاصوات ؟ مرينی وأنا بقوة الجند أطرد هذه الاصوات بعيدا عنكم . أصوات العراة يأكل البرد جسومهم ، والجوعى ينهش الجوع أحشاءهم .

سومترا — لاتهزأ بی . خبرنی ماذا حدث .

ديڤاداتا — لاشيء . انه صوت الجوع لاشيء غيره . الجماهير جائعة من الفقر . وقطعتان البرابرة الذين يكارون يموتون جوعا تصيح بأعلى أصواتها ، حيث أزعجت الطيور المطمئنة فی وكناتها على أشجار حديقتكم الملكية ، فحلقت في طباق الهواء فازعة مرعوبة .

سومترا — خبرنی ياأبت من هم الجائعون ؟

ديڤاداتا — هذا من سوء حظهم . ان رعايا الملك الفقراء كانوا قانعين بأن يعيشوا منذ زمان طويل على نصف وجبة في اليوم ، ولكنهم لم يمرنوا بعد على أن يموتوا جوعاً . ان هذا لمنتهى الغرابة !

سومترا — ولكن ياأبت مالي أرى الارض تكسوها حقول القمح الناضج

فلاى شيء يموت رعايا الملك جوعا ؟ .

دايفاداتا — إن القمح لمن يملك الارض . انه ليس للفقراء المعدمين . أنهم كالكلاب الغريبة في عيد الملك ، تنزوى فى الاركان ، منتظرة اما فتاتا من الخبز واما لكزات قويه تسددها اليهم الاقدام .

سومترا — أمعنى هذا أن ليس فوق هذه الارض من ملك ؟

ديفاداتا — لامالك واحد ، بل مئات من الملوك .

سومترا — أليس عمال الملك أيقاظا ساهرين ؟

ايفاداتا — من في مستطاعه أن يلوم عمالكم ؟ أنهم يفدون علينا من البلاد الاجنبية وهم في أشد حالات الخصاصة . فهل يعقل أنهم يمدون الى رعايا الملك بالرحمة أيد خاوية الوفاض ، بادية الانفاض ؟

سومترا — من بلاد أجنبية ؟ أهم من أهلى ؟

ديفاداتا — نعم أيتها الملكة .

سومترا — مادا تعلم عن چاسن .

ديفاداتا — انه يحكم مقاطعة سنجار بعناية فائقة ، حتى أن كل البقايا المكونة من غذاء وكساء ، قد أبعدت عن البلاد ، ولم يبق فيها الا الضرورات ، من جلود تكسو العظام .

سومترا — وشيلا ؟

ديفاداتا — انه يعنى بالتجارة . أنه يكفى التجار مؤونة المشقة فى حمل أرباحهم ، فيرحمهم بأن يحمل العبء وحده على أكتافه الغليظة .

سومترا — وأچيت ؟

ديفاداتا ـ انه يعيش في ڤيايكوت . انه يبتسم ابتسامته الحلوة ، ثم يضرب الارض ومن عليها بيده الثقيلة ، وكل مالامسه من الحطام يجمعه بكل عناية .

سومترا ـ أى عار هذا ؟ يجب على أن أبعدهذا الوباء عن بلادى وأنجى شعبي . اتركنى الآن فإن الملك قادم .

يدخل الملك

سومترا ـ انى أعتبر من أفراد شعبى في مكان الام الرؤوم . ولذا لا أحتمل أن أسمع صرخاتهم . نجهم أيها الملك.

فكرام — أى شىء تريدين أن أفعل ؟

سومترا — ابعد عن أرضك الايدى التى تستبد بالشعب .

فكرام — أو تعلمين من هم ؟

سومترا — نعم أعرف .

فكرام ـ انهم أبناء أعمامك .

سومترا ـ أنهم ليسوا بأحب الى من شعبى . انهم لصوص ، يتوارون وراء عرشك ، ليسلبوا ضحاياهم في الظلام .

فكرام ـ أنهم جاسن وشيلا وأجيت .

سومترا ـ يجب أن تتخلص منهم بلادى .

فكرام ـ انهم لايخرجون الا بالحرب .

سومترا ـ إذن حاربهم يامولاى .

فكرام ـ أحارب ؟ انى أحاول أن أغزوك أنت أولا ثم أغزو أعدائى .

سومترا ـ اسمح لى يامولاى بصفتى ملكة هذه البلاد أن أنقذ الشعب بنفسى .

ـ يخرج ـ

فكرام — هكذا تملئين قلبى حيرة وارتباكا . أنت تجلسين هنالك على عرش عظمتك، حيث لا أستطيع أن أصل اليك . أنت تذهبين لتقومى بواجب الخدمة لآلهتك ، وعبثاً كل ماانفق بحثاً عنك وتنقيباً .

* * *

يدخل ديفاداتا

أين الملكة يامولاى ؟ لماذا أنت منفرد ؟

فكرام — أيها البرهمى . هذه هى مؤامرتك . أأنت تأتى الى هنا لتحدث الملكة عن شؤون الدولة ؟

ديفاداتا ـ ان الدول تحدث عن أخبارها بتلك الصرخات العالية التى طرقت

أذنى الملكة . لقد وقعت الدولة في مأزق يخشى أن تتحرج من بعده الحوادث حتى لقد تذهب بهنائك وراحتك .

لاتخف منى أيها الملك . لقد أتيت هنا لاسأل الملكة أن تؤدى الى إتاوتى البرهمية . فان زوجي فى حرج لانها بغير مؤونة . وفى البيت جملة من الاحشاء الخاوية .

(يخرج)

فكرام ـ انى لاتمنى كل سعادة لشعبي . لماذا تكون آلام ؟ ولماذا يكون ظلم ؟ ولأى شىء يلقى الاقوياء بنظراتهم النارية على مابين يدى الضعيف المستكين من حاجات قليلة .

(يدخل الوزير)

مر بنفى كل هؤلاء اللصوص الاجانب من مملكتى في هذه الساعة . انى لا احتمل أن أسمع صياح المظلومين يملأ جوانب الفضاء مرة أخرى :

الوزير ـ أيها الملك ، انك لاتستطيع أن تقتلع جذور الرذائل التى نمت وتشعبت مع مضى الزمان في يوم واحد ،

فكرام ـ أضرب في أصولها بقوة و بأس ، واقطعها بفأسك الحادة فى يوم واحد : استأصل تلك الشجرة الخبيثة التى أخذت في النمو منذ مائة عام مضين.

الوزير ـ اننا فى احتياج الى سلاح وجند .

فكرام ـ اين قائد زحفى ؟

الوزير ـ انه اجنبى مثلهم .

فكرام ـ اذن فادع الجائعين ، افتح خزائنى ، قف هذه الصرخات بالغذاء ، وارسلهم الى حيث يشاؤون بالمال . اعطهم كل ملكي ان ارادوه ولكن ليأخذوه فى سلام . وليكونوا سعداء .

(يخرج)

*

* *

(تدخل سومترا وديفاداتا)

الوزير - تقبلي تحياتي وخضوعي يامولاتي .

الملكة - اننا لانستطيع ان نترك الشقاء يكتسح بلادنا من غير ان نحاول صد تياره .

الوزير - ماهي اوامرك يامولاتي .

الملكة - ادع باسمي كل الحكام الاجانب بأسرع مافي مستطاعك .

الوزير - لقد فعلت ذلك . لقد أخذت على عاتقي أن ادعوهم الى العاصمة باسم الملك من غير أن احصل على إجازة منه ، لانى خشيت أن يرفضوا طابي .

الملكة - متى أرسلت اليهم رسلك؟

الوزير - عما قليل يوافى شهراً من الزمان . وانى انتظر اجوبتهم بين ساعة وأخرى : ولكن اخشى أن لايجيبوا دعوتي .

الملكة - لايجيبون دعوة الملك ؟

ديفاداتا - لقد اصبح الملك في نظرهم عبارة عن اشاعة خيالية ، قد يصدقون وجود حقيقة لها أو لا يصدقون ، حسب ماتتجه إرادتهم .

الملكة - اعد جندك واجعله على استعداد أيها الوزير عند مقدم هؤلاء القوم . ولسوف استجوبهم بنفسي باعتبارهم من أهلي ودمي .

(يخرج الوزير)

ديفاداتا - انهم ليسوا بقادمين ايتها الملكة

الملكة - اذن فسوف يحاربهم الملك .

ديفاداتا - والملك سوف لايحارب .

الملكة - احاربهم أنا .

ديفاداتا - انت ؟

الملكة - سأذهب الى اخي كومارسن ملك كشمير وبمساعدته احارب هؤلاء الثوار الذين هم لعنة على كشمير وسيئة لها .

ساعدني ياأبت على الفرار من هذه المملكة وقم بواجبك ، اذا ما تحرجت

الخال وبلغ السبيل الزبى .

ديفاداتا — يأم الشعب الرؤوم . لك منى التحية والسلام .

(يخرج)

* * *

يدخل فكرام

فكرام — لماذا تذهبين بعيداً عنى ايتها الملكة ؟ إن صبابتى الحارة قد سفرت لك عارية فى حال الفقر والحاجة . فهل لهذا تلوين بوجهك عنى استهزاء وسخرية ؟

سومترا — انى لاشعر باشد الخجل إذ أتصور انى بمفردي املك قلبك في حين أنه ملك لكل الناس .

فكرام — أحق أيتها الملكة أنك تقفين على قمة استعلائك الشامخة بينما ارى نفسى زاحفا فوق الثرى فى استكانة وذل ؟ كلا فانى اعرف قوتى وبطشي . إن في طبيعتى عنصرا لا يمكن أن يذل ويخضع للقوة . وهذا العنصر قد تحول فى قلبى حباً محترماً

سومترا — ابغضنى أيها الملك ابغضنى . انسنى وامح من قلبك ذكرى . انى استطيع أن احتمل هذا بشجاعة . ولكن لاتحطم جلال رجولتك أمام مفاتن امرأة .

فكرام — أمثل هذا الحب ، يقابل بمثل هذا الكفران ؟ ان فتورك وقلة اكتراثك كدبة حادة تقطع في جنبات صدرى لتترك الحب الدامى عاريا بغير حجاب . ومن بعد تلقى به الى حضيض الثرى .

سومترا — انى أعفر وجهى تحت قدميك ياحبيبى . ألم تعف لمملكتك مرة بعد أخرى عن اخطاء ارتكبتها ؟ فلماذا اذن كل هذا الغضب في موقف انا فيه غير ملومة ؟

فكرام — انهضى ياحبيبتى : وحلى في قلبى لتحولى بين حياتى وبين كل الاشياء الاخرى لحظة واحدة ، وحوطي بذراعيك عالماً هو لك وحدك ملك

لاشريك لك فيه .

* * *

(يسمع صوت فى الخارج)

ايتها الملكة !!!

سومترا — انه ديفاداتا . لبيك يأبت . اية رسالة تحمل الى ؟

يدخل ديفاداتا

ديفاداتا لقد عصوا أوامر الملك ! عصبة حكام الاقاليم الاجانب . وهم الآن يتأهبون للثورة .

سومترا — اسمعت ايها الملك ؟

فكرام — ايها البرهمى . ان حديقة القصر ليست دارا لمجلس الشورى .

ديفاداتا — يامولاى . إننا قليلا مانرى ملكنا في دار مجلس الشورى ، لان ذلك المجلس ليس له من مكان في حديقة القصر .

الملكة — هذه الكلاب التاعسة التى تورمت سمنا بما كان يلقى اليهم من بقايا مائدة الملك ! أيجرؤن ولو حالمين أن ينبحوا فى وجه سيدهم ؟

ايها الملك : أهذا هو الوقت الذى يجب عليك فيه أن تعالج الامر في مجلس الشورى ؟ اليس الطريق ممهوداً جلياً امامك ؟ اذهب بكامل زحفك وحطم هذه الحشرات تحطيما .

فكرام — ولكن قائد زحفنا أجنبى .

الملكة — اذهب بنفسك اذن .

فكرام — أأنا فى هذه الدنيا بمفردك الوحيدة أيتها الملكة ؟ أأنا الحلم المفزع والشوكة الحادة التى تؤلم قلبك ؟ كلا . فلست بتارك هذا المكان أبداً . بل ساعرض عليهم شروط الصلح والسلام . من هو ذا الذى سبب كل هذه الكوارث ؟ البرهمى والمرأة. تآمراً ليوقظا الافعى الواسنة في وكرها . فان كل الذين يعجزون لضعفهم عن ان يدافعوا عن أنفسهم ، يكونون عادة اقل الناس تفكيرا فيما يسببون من كوارث لغيرهم .

الملكة — يالك من بلاد تعيسة سيئة الحظ . ويالها من امرأة عاثرة الجد، ملكة هذه البلاد .

فكرام — الى أين انت ذاهبة ؟

الملكة — ساغادر مثواك .

فكرام — أتتركينني ؟

الملكة — نعم ذاهبة بنفسي لاحارب الثوار .

فكرام — ايتها المرأة ؟ اتسخرين منى ؟

الملكة — الوداع . الوداع

الملك — كلا فلست بتاركتى . أتجرئين على هذا ؟

الملكة — انى لاأستطيع أن أظل بجانبك اذا كان قربى منك يوهن عزمك ويوهي جلدك :

الملك — أذهبى أيتها المرأة المتكبرة . اذهبى فلست بسائلك العودة ثانية . ولكن لاتنتظرى اية مساعدة منى .

ديفاداتا — أيها الملك . اتتركها تذهب بمفردها ؟

الملك — انها لن تذهب . فلست بمصدق ماتقول

ديفادتا — أظن أنها جادة غيرهازلة

الملك — هذه مخادعها النسائية . انها تهددنى بينما تريد أن تقذف بى فى معامع الحروب . انى أكره وسائلها . يجب أن لاتظن ان في مستطاعها أن تتلاعب بى من طريق حبى لها .

آه ياصديقى . أهو لزام أن أتلقى درسا جديدا اعرف به أن الحب لايجب أن يكون للملك ؟ وأن أتلقى هذا الدرس من امرأة أحبها ذلك الحب الحار الذى خبأته لى الاقدار ؟

ديفاداتا ! لقد نشأت وربيت معى منذ الحداثة . ألا تستطيع أن تنسى برهة انى ملك ، وأنى بشر له قلب يعرف الالم كيف يكون ؟

ديفاداتا — أن قلبى قلبك ياصديقى . وانه لكامل الأهبة لان يتلقى

حبك ، كما يتلقى غضبك .

الملك — اذن فلماذا تجر الافعى الى عشى الساكن ؟

ديفاداتا — ان بيتك كانت تندلع فيه السنة اللهب . ولم افعل من شيء سوى أنى نقلت الاخبار ، وأيقظتك من سباتك العميق . فهل ألام من أجل هذا ؟

الملك — ما هى الفائدة فى أن توقظنى ؟ اذا كان كل ما حولى مجرد احلام ، فدعنى أختار منها حلما قصيرا لذيذاً ، ومن ثم أموت . خمسون عاما طوالا قضيتها ! فمن ذا الذى يتذكر مسرات تلك الفترة وأحزانها ؟

اذهب . اذهب ياديفاداتا ، واتركنى وحيدا غارقا في وحدتى الملكية الالهية .

يدخل احد رجال البطانة وهو اجنبى

الرجل — انا نستجدى العدل من يديك أيها الملك . نحن الذين قدمنا الى هذه البلاد مع الملكة .

الملك — العدل في أى شيء ؟

الرجل — لقد سمعنا أن وشايات القيت اليك ، لالسبب الا لاننا أجانب عن هذه البلاد يامولاى .

الملك — من ذا الذى يعرف أن هذه الوشايات غير صحيحة ؟ ولكن الا تستطيعون أن تظلوا صامتين بلا جلبة مادمتم تتمتعون بثقتى ؟ هل وجهت اليكم يوما عسبة تعبر عن شكوكي فيكم ؟ تلك الشكوك التى تربى كالديدان فى قلوب الجبناء ؟

لست أخشى الخيانة لانى أستطيع ان أسحقها تحت قدمى . ولكن الذى اخشاه هو أن اغذى الدنايا فتزكو فى طيات عقلى

اذهب الآن واتركنى

يخرج رجل البطانة

*

* *

يدخل الوزير وديفاداتا

الوزير — مولاى . لقد تركت الملكة القصر ممتطية جوادا .

الملك — ماذا تقول ؟ أتركت قصرى ؟

الوزير — نعم أيها الملك .

الملك — لماذا لم تمنعها ؟ .

الوزير — لقد سافرت سرا .

الملك — من ذا الذى زودك بهذا الخبر ؟

الوزير — الكاهن . لانه رآها ممتطية صهوة الجواد أمام بناء الهيكل .

الملك — أرسل فى طلبه .

الوزير — يامولاى . انها لن تكون بعيدة من هذا . انها غادرت القصر منذ هنيهة . وانك تستطيع أن تلحق بها فترجعها .

الملك — ان رجوعها ليس بذى بال . أما الحقيقة المؤلمة ، فانها تركتنى . تركتنى !

اتعجز كل جنود الملك ومعاقله ، وكل سجونه واصفاده الحديدية عن أن تربط الى جانبه قلب امرأة ضعيف واهي القوى ؟

الوزير — وأسفا أيها الملك . إن المثالب كالفيضان عند ماتكسر السدود فينقض من كل مكان .

الملك — مثالب ؟ فلتجف السنة الخلق بما فيها من سم .

ديماداتا — في أيام الكسوف يجرأ الناس على أن ينظروا من خلال القطع الزجاجية المسودة بالهباب الى نور الشمس العظيمة فى رائعة النهار .

أيتها الملكة العظيمة . أهكذا يلوث اسمك الكريم ملوكا في الالسنة منتقلا من فم الى فم ؟ ولكن كفى بضوئك الكبير منارا يمحوا المثالب ، كما محو النهار آية الليل .

الملك — احضر الكاهن الى .

(يخرج الوزير)

ومع هذا أستطيع أن اقتص أثرها وارجعها الى حظيرتى ثانية . ولكن . أهذا

واجبي المؤبد ؟ أواجبي محصور فى ان أمضى باحثا وراء القلب الثائر كلما تركنى ومضى ؟

اذهبى ايتها المرأة . ليلا ونهارا . اذهبى وكونى بلا سكن ولا حب ، ولا راحة ولا سلام .

(يدخل الكاهن)

اذهب . اذهب . لقد سمعت ما يكفى . ولا أود أن أعرف أكثر مما عرفت

(يتأهب الكاهن للخروج)

عد الى . خبرنى : هل أتت الى الهيكل لتصلى وعينيها غارقتين فى الدموع ؟

الكاهن — كلا يا مولاى . لحظة واحدة ، أوقفت فيها حصانها ثم ترجلت مولية بوجهها شطر الهيكل حانية رأسها ، ثم امتطت الجواد فمرق بها مروق البرق الخاطف . انى لا أستطيع أن أعرف اذا كانت الدموع قد بللت عينيها . فان النور داخل الهيكل كان ضعيفا .

الملك — الدموع فى عينيها . انك لا تقدر أن تتصور مقدار ما في هذا من خطورة ؟ كفى ! اذهب

(يخرج الكاهن)

يا الهى - انك لخبير من يعرف ان كل ما آتيتها من شر انى أحببتها . وكنت على استعداد لان اضحى أخراى ودنياى فى سبيل حبها . ولكن الآخرة تخوننى وكذلك الدنيا !! كلا . لم يخنى سواها .

***

(يدخل الوزير)

الوزير - مولاى لقد أرسلت فرسانا يتعقبونها .

الملك - استدعهم ثانية . لقد انقضت الاحلام . اين يمكن ان يعثر بها فرساننا ؟ جهز زحفى . فانى سأذهب بنفسى لاطفىء الثورة القائمة .

الوزير - أمرك أيها الملك

(يخرج)

فكرام ـ ديفاداتا ! ! ! لماذا تجلس صامتا حزينا ؟ لقد فر اللص بالغنيمة وأنا الآن افك قيودى واستعيد حريتى . ان هذه لساعة حبور وجذل .

خطأ خطأ كل كائنى ياصديقى . فان الالم ينحر قلبى .

ديفاداتا ـ ليس لديك وقت للألم ولا للحب الآن . يجب ان تفيض حياتك كلها في سبيل العمل ، وان تحمل قلبك الملكي بين جوانبك الى حيث يلقى غزوته الكبرى .

فكرام ـ ولكن قلبى لم يخلص تماما من اصفاده . انى لا أزال اعتقد انها سوف ترجع الى ثانية ، عند ما تجد ان الدنيا ليست لها فى مكان العاشق المحب وان قلب الرجل هو المكان الاوحد الذى تلجأ اليه المرأة . سوف تعرف كيف تكون نتائج عملها ، عند ماتنشد الحب فلا تجده . ولسوف يندم زمانى ، عند ماتفارقها الكبرياء ، وتعود الى ، فتبدأ تتودد لى بغيرتها الحارة .

*

* *

(يدخل الخادم)

الخادم ـ خطاب من الملكة

يعطيه الكتاب ويخرج

الملك ـ انها بدأت تستغفر سريعاً .

(يقرأ الخطاب)

هذا لاغيره .سطران فقط لتخبرنى بانها ذاهبة الى أخيها في كشمير ، لتسأله ان يعضدها فى اطفاء نار الثورة التى تكتسح بلادى . انهذه لاهانة ! انها المسبة ! أعون من كشمير !!!

ديفاداتا ـ لاتضع وقتك في ان تخيب ظنها ـ وليكن هذا انتقامك منها .

الملك ـ انتقامى.سوف تعرفه !

الفصل الثاني

سرادق في كشمير

فكرام وقائد الجيش

القائد — تقبل عذرى يامولاى في أن ألقى اليك بنصيحة فيها لمملكتك فائدة .

فكرام — تكلم

القائد — لقد اطفئت نيران الثورة في بلادنا . والثائرون أنفسهم يحاربون في صفوفك . فلماذا ننهك قوانا وننفق وقتنا في كشمير ، بينما مصالح دولتك تتطلب وجودك في عاصمتها ؟

فكرام — ان الحرب لم تنته هنا بعد .

القائد — ولكن كومارسن ، أخا الملكة ، قد عوقب العقاب الكافى جزاء تهور أخته . فلقد تشتت جيشه . واختفى هو مختبئاً يطلب النجاة بحياته ، في حين أن عمه شندراسن يتطلع بشغف الى العرش الخالى . نصبه ملكا . واترك هذه البلاد التعيسة ليرف على ربوعها السلام .

فكرام — إني ما أتيت هنا لاعاقب ، بل لاحارب . لقد أصبحت الحرب عندى كلوحة المصور . يجب أن أضيف اليها خطا هنا ، وخطاً هنالك ، وأنمقها بالالوان الزاهية ، وازيدها كمالا يوما بعد يوم . ان عقلى ليزداد إكبابا عليها حالا بعد حال ، كلما اتضحت صورها وقاربت النهاية . ولسوف اتركها متنهداً تنهدة الاسف عند ما اتمها .

ان التخريب والهدم من موادها الاولية ، التى سوف تستمد منها ما تستكمل به صورتها . انها فن وابداع . وانها فوق ذلك جميلة كباقات زهر «البلاش» الحمراء ، التى تلوح من روعتها كثورة الخمار في رؤوس السكارى ، في حين أن كل زهرة منها تعبر عن كامل الوداعة وحسن الصورة .

القائد — مولاى . ان هذه حال ليس من المستطاع استمرارها . ان لديك واجبات اخرى . فان الوزير قد بعث إلى بالرسالة تلو الرسالة ، يسألنى أن أساعدك على فهم

حقيقة الحال وكيف أن هذه الحرب تجر الخراب والدمار على بلادك

فكرام — انى لا أستطيع أن أرى في الدنيا من شىء ، سوى هذه الاشياء التى تزهو وتنمو بين يدى. وسيقى السيوف! وتلك الملاحم الكبيرة التى تضغط على صدرك بشدة كضمات الحب الحار. اذهب ايها القائد . فان لديك أعمالا أخرى يجب عليك القيام بها. ان نصائحك لتزداد اشعاعا على ظباة سيفك .

يخرج القائد

ان هذا لتحرير للنفس وعتق لها. ان الاستعباد قد فر هاربا من ذات نفسه ، تاركا الاسير حرا. ان الانتقام لاقوى نزوة فى الرأس من خمر الحب النقى. الانتقام هو الحرية. هو عتق من العواطف والشهوات.

***

يدخل القائد

القائد — أرى عربة قادمة نحو السرادق . فلعلها تحمل رسولا يعرض علينا شروط السلم — وليس وراءها رهط من الجند المسلح.

الملك — السلم يجب ان يتبع الحرب . غير ان وقته لم يحن بعد .

القائد — لنسمع ما يقول الرسول اولا — ثم ....

الملك — ثم نستمر في الحرب.

***

يدخل جندى

الجندى — لقد حضرت الملكة وهي تطلب أن تتحدث اليك .

فكرام — ماذا تقول ؟

الجندى — حضرت الملكة .

فكرام — أية ملكة ؟

الجندى — الملكة سومترا !!!

فكرام — اذهب أيها القائد وانظر من القادم .

يخرج القائد والجندى

الملك ـ هذه هي ثالث مرة قدمت الى محاولة أن تبعدني عن هذه البلاد منذ أعلنت الحرب في كشمير. وهذه هي ثالث مرة أردها خائبة. ولكن هذه ليست احلاما، انها مواقع دموية .

ليست هى احلام فى سنة استيقظ بعدها لأجد نفسى فى قصرى وحديقتى وأزهارى وملكتى ، وتلك الايام الطويله التى كنت أقضيها متنهدا مصعدا الزفرات ، مع قصر فترات اللذة التى كنت أشعر بها .

كلا . وألف مرة كلا . لقد أتت لتأسرنى مرة ثانيـة . أتت لتنتزعنى من ميدان الحرب غنيمة تعود بها الى ردهة القصر . ان قبضها على الصواعق لاقرب اليها من هذا .

(يدخل القائد)

القائد — نعم يامولاى . انها ملكتنا وتريد أن تراك . وان قلبى ليتصدع اذ لا أجد في استطاعتى أن أتركها تدخل اليك بكامل حريتها .

الملك — ليس هذا هو الوقت ولا المكان الذى أستطيع أن أقابل فيه امرأة.

القائد — ولكن ! يامولاى .

الملك — كلا. كلا . أصدر أوامرك للحراس بأن يكونوا على أتم الأهبـة فى قيامهم على حراسة سرادق . لا من الاعداء، ولكن من النساء.

(يخرج القائد)

***

(يدخل شنكر)

شنكر — أنا شنكر . خادم الملك كومارسن . ولقد احتفظت بى أسيراً فى معسكرك .

الملك — نعم أعرفك .

شنكر — ان ملكتك تنتظر خارج هذا السرادق .

الملك ـ سوف تنتظرنى في مكان أبعد من هذا كثيراً .

شنكر ـ انى لاشعر باشد الخجل اذ أقول أنها قدمت اليك في أشد حالات التواضع والخضوع لتسألك العفو والمغفرة . واذا تعذر عليها أن تنال هذا ، فلتوفى ماتستحق من عقاب بين يديك . انها تعترف بأنها هى وحدها الملومة ، وعليها تقع كل المسؤوليات . لقد أتت تسألك بكل ماهو لديك مقدس عزيز ، أن تترك أخاها ومملكته .

الملك ـ ولكن يجب أن تعرف أيها الشيخ أنه حرب عوان ، وأن هذا الحرب قائم ضد اخيها ، وليس ضدها . وليس لدى من وقت انفقه فى مناقشة ظروف الحال وتعرف وجوه الخطأ فيها من وجوه الصواب مع امرأة . غير انك كرجل ينبغى لك ان تعرف ان الحرب اذا اشتعلت نيرانها مرة ، سواء أكان ذلك خطأ ام صوابا ، فان كبرياءنا هى التى توجب علينا ان نمضى فيها حتى النهاية ، مهما كانت العواقب .

شنكر ـ ولكن الا تعلم يامولاى انك انما تقوم بالحرب ضد امرأة وانها فوق ذلك مليكتك ؟ ان ملكنا لم يفعل من شيء سوى أنه نصرها لانه اخاها . وانى لا اجرأ بعد هذا ان اسألك امن شيم الملوك أم من خلال الرجولة ان ينفخ الانسان في خلاف عائلى كبره الوهم وضخمه الخيال ، حتى تكبر فقاقيعه فتنفجر عن حرب دموية تجتاح الممالك وتدك الدول ؟

الملك ـ خذ حذرك ايها الشيخ فان لسانك قد بدأ ان يكون خطراً عليك . ويمكنك مع هذا ان تقول للملكة باسمى اذا سلم اخوها كومارسن نفسه واعترف بالهزيمة ، فهنالك نستطيع ان نتكلم فى مسألة العفو .

شنكر ـ ان ذلك مستحيل ، كما يستحيل على شمس الصباح أن تقبل تراب الافق الغربى . فانى اعرفه ان ملكي لن يسلم نفسه حيا بين يديك . كما ان اخته لن تسمح به مهما تنكرت الحوادث .

فكرام ـ اذن فالحرب سجال . ولكن الا تظن ان الشجاعة تمسك عن أن تكون شجاعة بمعناها الصحيح عند حد تبلغه الحالات من الحرج ، فتصبح تهوراً

وحمقاً ؟ ان الملك لن يفر من بين براثنى . لقد احطت به من كل الجهات ، وانه يعرف ذلك .

شنكر ـ نعم انه يعرف هذا . ويعرف ايضاً ان هنالك فجوة كبرى في السياج .

الملك ـ ماذا تعنى ؟

شنكر — اعنى الموت ، باب النصر والفخار الذى سوف يلجه فارا من بين يديك . هذا اذا لم تخنى فيه فراستى . وهنالك ينتظرك انتقامه

(يخرج)

* * *

(يدخل خادم)

الخادم ـ مولاى . بالباب شندراسن وريفاتى ، عم كومارسن وزوجته يطلبان المثول بين يديك .

الملك ـ أدخلهما .

(يدخل شندارسن وريفاتى)

الملك — تقبلا احترامى .

شندراسن — أعطيت الملك وطول العمر .

ريفاتى — وكذلك النصر والفخار

شندراسن — اى عقاب فرضت عليه ؟

الملك — اذا سلم نفسه فانى اعفو عنه

ريفاتى — هذا وحده ، لاشيء . أذا كان ثمة عفو منتظر ، فلم كل هذه الاستعدادات ؟ ان الملوك ليسوا صبياناً كبار الأجسام ، والحرب ليست من الاعيب الأطفال .

فكرام — لم يكن السلب من غرضى ، بل كان مرامى أن أحامى عن شرفى فان الرأس الذى يحمل التاج لايحمل الاهانة .

شندراسن — أعف عنه يابنى . لأنه لم ينضج بعد ، لامن ناحية الحكمة ولامن

ناحية العمر .قد تمنع عنه حقه في العرش، او تنفيه من البلاد ، ولكن أترك حياته
الملك — مافكرت مطلقا في أن أحرمه الحياة .
ريفاتى — إذن فلماذا مثل هذا الجيش والسلاح ؟ إنك الآن إنما تقتل الجند الذين لم يضروك بشيء ، في حين أنك تترك الجانى !
فكرام — انى لا افقه ماتقولين .
شندراسن — لاشيء . انها ناقمة على كومارسن لانه أوقع البلاد في هذا الاضطراب ، ولانه اثار غضبك علينا ، وأنت أقرب من يمت لنا بقرابة
فكرام — سوف يأخذ العدل معه مجراه عندما يقع أسيرا
ريفاتى — لقد أتينا لنؤكد لك بأننا لا نتستر عليه حذر أن تأخذك من ناحيتنا الشكوك . ان الشعب هو الذى يخبئه . أحرق محصولاتهم وقراهم . ونوء عليهم بالجوع ، وهم لا محالة مخرجونه اليك
شندراسن — ترفقى — زوجتى ترفقى . احضر الى القصر يابنى ، فان كشمير كلها في انتظار مقدمك
الملك — اذهبا الى هنالك الآن وسوف اتبعكما

(يخرجان)

يالك من لسان مندلع من نار جهنم الحمراء . ذلك هو الطمع والحقد ينبعثان من قلب المرأة

هل رأيت صورة وجهى منطبعة فى وجهها ؟ ياعجبا . اترتسم على جبينى مثل هذه الصور ؟ أو تلوح على وجهى آثار تلك الحروق الجهنمية التى تطبعها تلك النار الخفية ؟ وشفتاى ، هل احدودبتا فى ضمور كما رأيت شفتيها فكانتا كمدية القاتل الاثيم ؟

كلا ان شهوتى قد انحصرت في الحرب — لم يكن بى نهمة الى الطمع ولا نزعة الى القسوة

انما نار الحب كنار الحرب لا تعرف قيداً ولا ترضخ لقانون ولا تحسب لبذل حساباً . انها نار تأكل بعضها بل وجميع ما تلمس ، فيتحول الكل إما الى لهب ، واما الى رماد .



(يدخل الخادم)

الخادم — لقد قدم البرهمي ديفاداتا وهو يرغب في المثول لديك

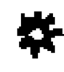
الملك — ديفاداتا ؟ احضره . كلا . كلا . قف دعني افكر قليلا فاني اعرفه . لقد حضر لينتشلني من ميدان الحرب

أيها البرهمي ! لقد اغمت شواطىء النهر بمرقعاتك . والآن ! لما انسابت المياه ، اتيت لتقف بين يدى في خضوع وخشية تسألنى أن تروى حقولك ، ثم ترجع من حيث أتيت . ولكن الاتخشى ان يفيض الماء فيكتسح بيوتكم ويحطم البلاد ؟

إن جذل هذه المفزعات اعمى . انه قصير البقاء ، ولهذا يجب ان يجمع غنائمه سريعاً ، ويحصدها وشيكا ، كفيل جن جنونا ، فيقتلع نبات النيلوفر الجميل من اعماق البرك الراكدة .

سوف يأتى وقت تصلح فيه النصيحة الصادقة ، بعد ان تضمحل القوى وتنهك السواعد .

كلا . لا اريد ان ارى البرهمي .

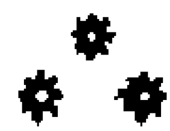


(يدخل أمارو فارس التلال فى تريشور)

امارو — يامولاى . لقد حضرت الى ساحتك كأمرك ، معلنا ان ليس لى ملك سواك .

الملك — أأنت فارس هذا المكان ورئيسه ؟

امارو — نعم فارس تريشور . وانت ملك الملوك وانا عبدك الخاضع . إن لى ابنة اسمها إيلا . وهي لاتزال حديثة السن ، وعلى جانب من الجمال عظيم . ولا يسبق الى حدسى انى اخدعك اذا قلت لك بانها جديرة بك . انها تنتظر في الخارج . إسمح لى ايها الملك ان ارسل اليك بها كاحسن هدية تعبر بها هذه الارض الفائضة بالازهار عن شكرها .



(تدخل ايلا وصيفتها)

الملك ـ آه . هاهي قادمة . كفجأة الفجر الوضاح فى اللحظة التى تسبق انبثاقه اذ تلوح كأنها ليل أليل. تقدمى ايتها العذراء • فانك قد نسيت ان هذا الميدان ميدان حرب • ان كشمير قد سددت الى سهمها الصائب . ولكن فى النهاية ليخترق قلب آلهة الحرب

لقد جعلتنى اشعر كأن عينى قد مضتا تبحثان في قفر الوجود ، حتى سقطتا على ما كانتا تطلبان • ولكن لماذا تقفين في هذا الصمت ، منكسة الرأس ؟ وكأنى أرى رجفة من الالم تهز من شدتها اطرافك الجميلة •

(ايلا راكعة)

إيلا ـ لقد سمعت بانك ملك عظيم • فاسمح لى ان اصلى صلاتى

الملك ـ انهضى ايتها العذراء الجميلة . ان هذه الارض غير خليقة بان تمسها قدماك • لماذا تركعين في التراب ؟ فليس فى هذه الدنيا من شىء انا عاجز عن ان اهبك اياه .

إيلا ـ لقد وهبنى ابى اليك ولكن أمت اليك ان تفك اسارى وترجعنى الى حيث كنت . ان لك ثروة لايحصرها وهم ، واملاك لا تحدها التخوم . فاذهب واتركنى فى التراب . فليس في هذه لدنيا من شىأنت في حاجة اليه .

الملك — اصحيح ان ليس في هذه الدنيا من شىء انا في حاجة اليـه ؟ كيف أقدر على أن اكشف لك عن قلبى ؟ اين هي الثروة ؟ اين هى الاملاك الشاسعة ؟ كل هذا فراغ بلا نهاية • فلو لم يكن لى دولة وملك ، وبقيت أنت وحدك .....

ايلا — اذن فانتزع حياتى اولا من بين جنبى ، كما تنزع حياة غزال الغابة المتوحش ، مخترقا قلبه بسهامك المسددة .

الملك — ولكن لماذا يا إبنتى • ولاى شىء كل هذا الامتهان ؟ الست جديراً بك ؟ لقد غزوت ممالك ودولات بقوة سلاحى وعددى ؟ • أأعجز عن أن آمل أن اتوسل الى قلبك فى ان يكون لى •

إيلا ـ ولكن قلبي ليس لي . لقد وهبته لشخص تركته منذ أشهر ، ونحن على وعد بان يعود ثانية الى حيث نتقابل تحت ظلال غابتنا القديمة . فالايام تمر وانا على حر الانتظار ، حتى لقد بدأ سكون الغابة أن يكون مضاً . فاذا لم يجدني عندما يقفل راجعاً !!! واذا لم يعد أبدا وبقيت ظلال الغابة تنتظر تلك الساعة التي سوف يتم فيها لقاء الحب الذي لن يتحقق الى الابد !!!

أيها الملك • لاتنتزعني من وكني . اتركني له . ذاك الذي تركني ليعود فيلقاني

فكرام — ما أسعد ذلك الرجل .

ولكن احذرك ايتها الفتاة ، فان الآلهة غيرى من حب البشر . أنصتي واسمعي سري . لقد مر على حين من الدهر تركت فيه الدنيا وما فيها ، ماعدا الحب . ولما صحوت من حلمي ، وجدت ان الدنيا وحدها كائنة ، وأن الحب هو الذي انفجر كفقاعة من الماء .

ما اسم ذاك الذي تنتظرين ؟ .

إيلا — انه ملك كشمير ، واسمه كومارسن .

فكرام — كومارسن !

إيلا — هل تعرفه ؟ انه اشهر من نار على علم . فان كشمير ذاتها قد وهبته قلبها .

فكرام — كومارسن ؟ ملك كشمير ؟

إيلا — نعم هو . يظهر انه صديقك .

فكرام ـ ولكن ألا تعلمين أن شمس سعده قد أخذت في الافول ؟ انبذي كل أمل فيه . انه الآن كالحيوان الصيد يجرى ثم يختبىء من جحر الى جحر . وإن أشد المتسولين فقراً لأسعد منه حالا .

إيلا ـ يصعب على أن أفهم ماتقول أيها الملك .

فكرام ـ أنتن أيتها النساء لاتكن فى مكان اللهم الافي حنايا قلوبكن حيث تحببن . انكن لا تعرفن ما يجرى حولكن من أحوال الدنيا وكيف تقرقع جلبتها . في حين أننا معشر الرجال نكتسح مع تياراتها الجارفة في كل الجهات .

انك بعينيك السوداوين النجلاوين المملوءتين دموعاً تظلين منتظرة يا قطة الفؤاد ، متعلقة بأسباب الامل . ولكن يجب عليك أن تعرفى اليأس يا بنيتى.

ايلا ـ أصدقنى أيها الملك. لا تغدر بى. انى ضئيلة حقيرة . ولكنى له وحده بكل ما في .

أين ؟ وفى أى القفار الموحشة يهيم على وجهه حبيبى ؟ سأعود لابحث عنه . أنا التى لم أغادر بيتى لحظة واحدة . دلنى على الطريق .

فكرام ـ ان جنود عدوه تتبعه ـ: انه ساقط لامحالة .

إيلا ـ ألست له صديقاً ؟ ألا تنجيه ؟ ملك في خطر . وأنت كملك تحتمل هذا ؟ ألا يقضى عليك الشرف والنبل أن تمد اليه يدك ؟

انى أعرف أن كل الدنيا تحبه . ولكن أين هم أهل الدنيا ؟ أين هم في زمان بلواه وحين الكارثة ؟

مولاى . أنت شديد القوى ذو مرة . ولكن في أى شىء تنفع قوتك ، اذا أنت لم تساعد المظلوم أظلته الحادثات ؟

هل تستطيع أن تنفض من الامر يدك ؟

اذن فاهدنى الى الطريق . سأضحى حياتى من أجله . انا بمفردى . امرأة ضعيفة واهنة القوى .

فكرام ـ أحبيه . أحبيه بكل مالديك! احبيه ، مالك قلبك وسالب لبك . انى فقدت ملكوت حبى . ولكنى لاسعد يوماً بان اجعلك سعيدة . وما كنت لانهر حبك . فان الغصن العاطل لايؤمل ان يزهر بأن يقترض الازهار .

ثقى بى . أنا صديقك . سأرجعه اليك ثانية .

إيلا ـ يالك من ملك نبيل . انى مدينة لك بحياتى و بسعادتى .

فكرام ـ اذهبى وتأهبى بلباس العرس . سأغير توقيع أنغامى .

(تذهب ايلا)

لقد بدأت الحرب أن تكون مضضاً . ولكن السلم محملة . ايها الطريد الشريد . انك لاسعد حظاً منى . فان حب المرأة كمين السماء،

ترعاك أينما ذهبت فى هذه الدنيا وأية سلكت ، فتحول هزيمتك انتصاراً ، وسوء حظك سعدا ، كالغمام الذى يظلل الشمس عند غروبها .

*
* *

— يدخل ديفاداتا —

ديفاداتا — نجنى من يتعقبوننى .

الملك من هم .

ديفاداتا — فرسان حرسك أيها الملك . لقد ظلوا من حولى أيقاظ الاذين حوالى نصف ساعة . ولقد تكاملت اليهم في الادب وفي الفنون . فتملكهم الجذل وأخذ منهم الحبور . وظنوا بأنى أهزأ بهم لاسليهم ، ثم أخذت أعيد على سمعهم ماقال « كاليداس » من أناشيده حتى لقد مر على خواطرهم كالسحر فاخذت العيون من الكرى سنة هنية ، وعلى الرغم منى ماتركت خيمتهم لأمثل بين يديك .

الملك — يجب أن يعاقبوا هؤلاء الحراس الذين يهوم بجفونهم النعاس عند ماينشد اليهم سجين شيئاً من أشعار « كاليداس » .

دايفاداتا — سنفكر فى العقاب فيما بعد . والآن يجب علينا أن نفض هذه الحرب ونعود الى الاوطان . كنت أظن أنه لايموت من ألم الفراق الا أولئك الذين ربوا فى حجر النعمة وخدمهم الحظ . ولكنى منذ غادرت وطنى لاحضر الى هنا ، قد عرفت أنه ليس ببعيد أن يقع برهمى فقير مثلى فريسة لمخالب الحب الغصوب!!

فكرام — ان الحب والموت كلاهما لايعنيان باختيار فرائسهما . انهما لايباليان .

نعم ايها الصديق . لنعد الى بلادنا . وليس امامى سوى شيء واحد ازد ان اتمه قبل الاياب . اجتهد في ان تعرف من فارس تريشور اين مخبأ كومارسن؟ واذا التقيت به فاخبره بأنى لم أعد عدوه . وكذلك ياصديقى ، اذا التقيت بشخص آخر معه : فقابلها .

ديفاداتا — نعم . نعم . أعرف الباقى . انها دائماً فى ذاكرتنا ، ولو انها أبعد من ان تصل اليها كلماتنا . نعم ان حزنها ولا مرية كان عميقاً مقيساً بنبالة قلبها

فكرام ـ ايها الصديق . لقد اتيت الى كما تهب اول نسمات الربيع الشجية . والآن سوف تتفتح ازهارى ، مع ذكريات الايام السعيدة التى فرطنا عقدها .

— يخرج ديفاداتا —

* * *

— يدخل شندراسن —

فكرام ـ عندى اخبار تسرك . لقد عفوت عن كومارسن .

شندراسن — يمكن ان تكون قد عفوت عنه . غير انى الآن وانا أمثل بلاد كشمير فانه سوف يتلقى عدل بلاده من يدى . انه سيتلقى عقابه منى .

فكرام : أى عقاب .

شندراسن : سوف يحرم من عرشه .

فكرام : ان هذا مستحيل . سأرد عليه عرشه .

شندراسن : أى حق لك فى عرش كشمير ؟

فكرام : حق المنتصر في ميدان الحرب . ان هذا العرش هو لى الآن . وسأرده اليه .

شندراسن : أنت تعطيه اليه ؟ الست اعرف كومارسن المتكبر الفخور منذ حداثته ؟ اتظن انه يقبل أن يسترد عرش أبيه كعطية منك ؟ ان يحتمل انتقامك ولكنه لايقبل تحنيك عليه .

* * *

(يدخل رسول)

الرسول : لقد وصلت الاخبار بان كومارسن قادم فى عربة مقفلة ليسلم نفسه

شندراسن : خبر مكذوب . أيأتى الاسد ليقدم يديه للاصفاد؟ وهل الحياة عزيزة الى هذا الحد ؟

فكرام : ولماذا يأتى في عربة مقفلة ؟

شندراسن : كيف يمكن أن يظهر نفسه ؟ إن أعين الناس فى الطرق تخترقه كالسهام في سرعة نفاذها .

أيها الملك . اطفىء المصباح عند ما يحضر واستقبله في الظلام . وفر عليه إهانة لقياه تحت ضوء المصباح .

(يدخل ديفاداتا)

ديفاداتا : سمعت أن الملك كومارس قادم ليلقاك بمحض إرادته .

فكرام : سألقاه بكل ماهو جدير به من مظاهر الاكرام والاحترام ، وأنت معى كممثل للدين .

عرف قائد جيشى بان يأمر الجند ليقيموا حفلة زفاف باهرة .

(يدخل البراهمة)

الكل : لك النصر وطول العمر .

البرهمى الاول : سمعنا انك استدعيت ملكنا لترد عليه عرشه . وكذا حضرنا لنباركك ونحوطك بتهانينا .

يدخل شنكر

تلقاء ما غمرت به بلاد كشمير من جذل وسرور .

البراهمة يباركون الملك وهو ينحنى لهم و يخرجون

شنكر (الى شندراسن)

مولاى . اصحيح أن كومارسن قادم ليسلم نفسه الا اعدائه ؟

شندراسن — نعم . حق ما سمعت .

شنكر — ان هذا لاحقر من كل الاكاذيب المنتشرة في ارجاء العالم مجتمعة . ياملكي المحبوب انا خادمك القديم . تحملت من الآلام مالايعلمه الا الله ومع كل هذا لم أشك مرة واحدة . فكيف بى احتمل ما أسمع ؟ أأسمع انك تجوب كل طرق كشمير من مشرقها الى مغربها لتدخل القفص طائعا مختارا ؟ لماذا لم يمت خادمك قبل أن يأتى هذا اليوم الاسود ؟

(يدخل جندى)

الجندى — المركبة بالباب .

الملك — اليست القيثارات والدفوف على استعداد ؟ فليعزفوا صوتاً مبهجاً

(يقتربون من الباب)

أهلا بك ياصديقي الملكي . اهلا بك من كل قلبي .

تدخل سومترا وبين يديها طبق مغطى

فكرام — سومترا ! يامليكتي!

سومترا — ايها الملك فكرام . لقد تعقبتة ليلا ونهارا بين التلال والاحراج، وكنت اينما سرت انتشر وراءك الخراب ناسيا شعبك وشرفك ، واليوم يرسل اليك معي رأسه المفصول عن جسمه . الرأس الذي يجلس من فوقه الموت بجلال اين منه جلال التاج .

فكرام — مليكتي !!!

سومترا — يامولاي . لم اعد بمليكتك بعد . لان الموت الرحيم قد انتشلني من بين يديك

(تسقط ميتة)

شنكر — يامليكي. ياسيدي . ياولدي العزيز ، حسنا مافعلت . لقد جلست على عرشك الابدي . ولقد شاء الله لي ان اعيش لاراك في هذا المجد الباقي. والآن قد أنتهت أيامي فوق الارض ولم يبق لخادمك الا ان يتبعك الى حيث ذهبت.

(تدخل ايلا في ثياب الزفاف)

ايلا — ايها الملك إني اسمع موسيقى زفافي. فاين حبيبي؟ لقد تهيأت للقياه.

* * *

كيف الحد

قصة الشيخ حسين وكيف شك ثم ألحد

كان صبياً صغيرا مهدل اللحم تكاد أن لا تفرق بين طوله وعرضه، نشأ كما ينشأ عموم الاطفال في وسط عائلة مسحة دينية . وبالرغم من أن والده كان مسايرا لعصره يطوف البارات حيناً ويقضى أوقاتاً فى مجامع السرور كانت عصبيته تمنعه من الظهور فى منزله بالمظهر الذى يعيش فيه بين خلانه . ولست أدرى بالضبط ما الذى كان يدعو الوالد الى تضييق الخناق بدروس الدين الاضافية على أولاده فى حين كان للدين نصيب في برنامج المدرسة .

ولاجل أن يوفق الوالد بين رغبته فى تثقيف أولاده ثقافة دينية صرفة وبين عدم الانفاق بلا حساب، استحضر لهم فقيهاً بأجر بسيط حضر عليه الاولاد دروسا في أصول الدين . وبالطبع لم يفتح عقل الشيخ عليه بأكثر مما يمكنه فهمه فأتى للاولاد بمجموعة من الكتب « الدينية » ذوات الاوراق الصفراء، فمن كتاب توحيد الى كتاب في فقه ابي حنفية الى كتاب قصص الانبياء الى مجاميع قصائد كالبردة .

وكان اسم الصبى حسيناً . لم يترك جسده لعقله فرصة للنمو فبينما كان يخاله الرائى قد أنهى الخامسة والعشرين وهو في الرابعة عشر كانت له عقلية ابن السنين الخمس . وكان قليل الحركة ميالا للاستلقاء على ظهره منصتاً الى « دادته » السودانية وهي تقص عليه قصص « عقلة الصوبع » و « الشاطر حسن وما فعله مع الغول » و « بنت زرع الكون » وخلافه . فلما ارتبط بالشيخ رباط « العلم » وجد فى كتاب قصص الانبياء مادة لا تنضب من القصص الملذة . وكم كان يسر من قراءة قصة النبى بلوقيا وكيف ركب الحية طائرا الى السموات حيث قابل الملائكة وهى تطير صائحة « لبيك اللهم لبيك رب الكعبة لبيك » وكيف أن الافعى أهدت النبي المذكور « حقا » من الدهن اذا مسح قدميه منه تمكن من قطع ألوف

لالوف من الفراسخ في غمضة عين سائراً على سطح الماء . هذا نوع مما يحويه كتاب قصص الانبياء الثمين .

كان حسين يقرأ هذه القصص المرة بعد المرة فلا يتمالك من اشراك امه الامية معه في العلم فيقص عليها القصص الدينية فتظهر هى واخادمات علائم الدهش الممزوج بالورع فيتمتمن بالصلاة على النبى اذا ورد ذكره ولو عرضا وبالرضاء على الانبياء والرسل والصحابة اذا سنحت لهن فرصة .

وأصبح الصبى دائرة معارف « دينية » متنقلة يستشار فيما اذا كان أهل الكهف ستة أو أربعة وما كانت اسماؤهم وكم سنة ظلوا فى الكهف وهل كان كلبهم مؤمنا ؟ ولم يلبث صبينا كثيراً حتى أجمع وسطه على منحه شهادة العالمية وأصبحوا لا يفرقون بينه و بين أصحاب الفضيلة فأسموه شيخنا . وظنوا أن فى امكانه اخراج الثعابين من جحورها بتعاويذه . وكان الجيران يطلبونه لقراءة الفاتحة قرب فراش المرضى فيشفيهم باذن الله و بركة أنفاسه .

وكما أن للاولياء والقديسين معجزات فقد اكتشف أشياع شيخنا الصغير له معجزة ، كيف لا وقد كان « يتهته » في كلامه ولكثرة ما كان يزدرده من أنواع الاكل الذى كان يقدمه له الاهل دون حساب ابتغاء مرضاته ، كان يتناثر رشاش من لعابه ممزوجا بفتات الطعام على وجوه السامعين فيسرعون بأيديهم الى الاثر الطاهر يمسحون به كافة الوجه تيمنا وتبركا

وحدى الصيت الذى ناله الشيخ حسين بوفرة علمه وعظم اطلاعه في العلوم الظاهرة والخافية به الى التمادى في قراءة كتب الدين ليتيسر له الافتاء في مسائل الصوم والطهارة وهكذا كانت كتبه تفصل بين الحرام والحلال ، ومن يدرى فربما انبثقت فيه شعلة ذكاء أو أن التطور هو الذى مال به الى مطالعة كتاب كليلة ودمنة وقصص ألف ليلة وليلة مع حكايات عنتر والزير وغيرهما ، فكان يلقى محتوياتها على سامعيه بعد أن يكسوها مسحة من القداسة . كل هذا حق لا تبور بضاعته ولا يفقد مركزه العالى بانتهائه من الافضاء بكل ماحوته قصص الانبياء اذ أن الكل أخواط جيل نقلا عنه ...

وكان والده قد سمع شيئا عن كراماته وعن « استقامته » فخطر بباله أن يرسله الى الازهر « لاتمام علومه » وليته فعل حتى كان يصير الشيخ حسين من أصحاب الفضيلة الذين يدينون الناس حسب أهوائهم فيقررون كفر وايمان الخلائق كأنما بيدهم حق تقرير المصير قبل يوم القيامة فيعينون رجال النار وأصحاب الجنة ، أجل ليته فعل ذلك حتى كان يتنعم ابنه حتى الآن بتقبيل اليدين و بالطعام الشهى على موائد المؤمنين ومائدة المندوب السامى دون اجهاد ولكن « تعب كلها الحياة » . ففى وسط هذه الحياة المتعبة ألقى الأب بابنه ، اذ أغضى عن جعله أزهرياً ، ولست أعرف السبب الذى حداه الى تغيير فكره فلم يرسله الى الأزهر ليصبح على حد قول الافرنج « دكتوراً فى اللاهوت » .

وواظب الشيخ حسين على الصلاة الخمس فى أوقاتها وعلى الصيام فى شهر رمضان والستة الأيام البيض وخلافها وكذلك على قراءة الأوراد والانضمام الى حلقات الذكر وكم كان يتيه عجباً لاستقبال الذاكرين له اذا ماهل للانضمام اليهم فقد كان كلهم من حثالة الشعب يكبرون انضمام أحد أبناء الحكام البكوات لهم في عملية ذكر الله وقد أعد المؤمنون هذا « التواضع » كرامة مابعدها كرامة شهرت الشيخ حسين أى شهرة . وكان يقوم بفروضه هذه آليا

وأذكر أنه خرج عن دائرة اختصاصه ذات مرة فتكلم فى السياسة ولما يبلغ الثامنة عشرة من عمره . فقد وقع خلاف بين الحكومتين العثمانية والبريطانية بخصوص حدود القطر المصرى من جهة العريش وكان المصريون متحمسين جد التحمس لدولة الخلافة خصوصاً عند ماذكرت التلغرافات أن الدولة الثانية قد ارسلت سفنها الحربية صوب قناة السويس فأسرع الشيخ حسين الى أطلسه الجغرافى و بعد أن أطل فيه برهة توصل الى حل بسيط للأزمة فخطب رهطا من التلامذة مبيناً كيف سيكون موقف الخليفة الاعظم فى الأزمة . وسحب الاطلس من تحت أبطه وأشار الى الرسم المصغر قائلا ان الخليفة (مكار) فعند ماتصل مراكب الكفار هنا (وأشار الى ميناء سعيد) يتسارع مراكب الدولة لتصطف هكذا (ورسم باصبعه خطاً وهمياً يصل الدردنيل بميناء الاسكندرية)

فلا يمكن للانجليز الافلات لان المسافة بين كل دونمة وأخرى لن تزيد على بضعة أشبار فما كان من أحد السامعين الا أن صفعة بكلتا يديه مثبتا له بالقول جهله الفاضح فاغتاظ الفتى وادعى بأنه رأى ما أدلى به فى رؤيا آلهية وأن الله سيحقق الرؤيا عما قريب .

وكان هذا الادعاء فاتحة نبوءات وأحلام لاعداد لها كان الشيخ يتخذها سلما لطلب المآكل الفاخر والنقود الوفيرة من أمه البسيطة القلب .

وصاحب شيخنا ذات مرة بعض الشبان الى سوق المدينة حيث اشترى أحد الذين معه (فسيخاً) فلم يضبط الشيخ نفسه بل شاركه الطعام على نية أنه سيصوم بدل اليوم يومين ، وكان ذلك في رمضان ، وكم كان ألمه عظيما عند ماحل موعد الافطار فأنبه ضميره أشد التأنيب على مخالفته لابسط قواعد الدين وبات ليلته كالملسوع خوفا من أن يمسخه الله قرداً أوعموداً من ملح كما ذكر في بطون الكتب . ولكن الشمس أشرقت فقام على رجليه معافي فلمعت عيناه استهزاء بمخاوفه التي لامحل لها فاغرق في الافطار ماشاء له نهمه وكلما انقضى يوما شعر بأنه أقل شعورا بعظم خطيئته من يومه السالف وانقضى رمضان والاهل يبحثون عن سارق المأكولات بين أولادهم ولم يخطر ببال أحدهم أن الشيخ المفيق هو اللص .

وقرب وقت امتحان الشهادة الابتدائية فدخله (صاحب الفضيلة) وأسنانه ترتعد فرقا من السقوط فيه المرة الثالثة . فزين له الشيطان ، على حد قول العلماء الاعلام ، أن يوقف الصلاة طيلة مدة الامتحان ليجرب حظه دون صلاة . وبالفعل أشاح بوجهه عن مقام السيدة الطاهرة الذى طالما قصده قبل دخول الامتحانين السابقين متشفعاً عساها ترشد يديه لكتابة اجابات صحيحة . وفي ذات ليلة بينما كان منفرداً بأحد أترابه الذين نالوا حظا من الجمال ، سولت له النفس الأمارة بالسوء أن يرتكب أمرا إدا . ففعل مدفوعا بيد سوداء أعمت عينيه عن الطريق السوى . وكم تألم بعد أن هبطت اللذة الجامحة . فقضى اسبوع الامتحان في شر حال ولكنه فوجىء ببشرى النجاح في الامتحان . فسر كل السرور من سوء الحظ أوصله عقله الى الاعتقاد بأن حسن السيرة لايؤهل الانسان للنجاح أو بالاقل أنه

لاتوجد صلة بين هذا وذاك وهكذا قطع صلته بفروض الله ولكن في الخفاء والسبب في ذلك أنه وجد التظاهر بالايمان خير درع يتقي به المراقبة . وتحت قناع التدين أخذ يرتكب شر أنواع الفسق والفجور دون رادع .

وحدث ذات مرة أن كلفه والده بأخذ مقدار من النقود من جيبه كي يشتري به شيئا معلوما فأخطأ من حيث لايدري وأخذ قطعة ذات قيمة تربو عشرة أضعاف قيمة القطعة التي كان يقصد أخذها وكم كان خوفه عظيما عند ما اتضح له ما فعل خوفا من اكتشاف والده جلية الامر . ولكن الايام مرت وهو على وجل دون أن يشعر الوالد بالنقص . فشمر (الاستاذ) عن ساعديه وأخذ يغترف من مال والده دون حساب الامر الذي جعل الوالد يشتبه في أحد اخوة شيخنا الفاضل فجازاه أشد جزاء ولكن لم يقف السارق عند حده بل تمادى فيه الى أن أطبق عليه الفخ . وكم بكي والده عند ما ظهر له أن السارق لم يكن الا ذلك العمائم الراكع المبتهل لله ومن ذلك الوقت سقط فضيلة الشيخ من ذروة مجده فأصبح مهانا محتقراً من الجميع .

ولما قرأ حسين في كتاب علم الطبيعة أن الثقل النوعي لأجسام البشر يزيد عن الثقل النوعي للماء سواء كان حلواً أو أجاجا استنتج أن قصة النبي بلوقيا وخبر سيره على صفحات الماء ليس أكثر من كذبة وجره اكتشافه هذا الى أن يقيس كل ماوعته ذاكرته مما سطر في كتب الدين بمقياس العقل فوجد أن كل المعجزات ليست الا خرافات وسخافات وهكذا طلق الدين ثلاثاً وأصبح ملحدا .

هـذا ما أفضى به الى الشيخ (سابقا) ذات يوم وأنا أسأله عن علة ذلك الانقلاب العجيب . وقد سبب لي افضاؤه بهذا السر انشغالا ووجدت من ذاتي دافعا للبحث عن أسباب هذا التحول فتوصلت الى ما يأتي :

١ — مزج الدين بالاخلاق مع الادعاء بأن اتباع الشر يؤدي الى الشقاء وأن الخير اذا اتبع أنال السعادة . وهكذا يقع الانسان في الشك اذا ما ارتكب مخالفة ولو دون قصد لانه لا يجد الشقاء الذي وعد به بل تظل الحال على ما هي عليه

٢ — الاغراق في الوصف والتمادي في المغالاة عند تصوير حادث أو غريب

مثل يرجى منه العبرة ويوضع ليكون قدوة حسنة . أليس أغلب الاذكياء والعقلاء يضحكون من الدين لما تحويه كتبه من السخافات التى يزجها رجاله فيه للاكبار من شأنه دون أن يشعروا بأنهم يصورونه بصورة مضحكة غير مقبولة تظهر بشعة تدعو الناس الى احتقاره .

٣—جهل العلماء المطبق في العلوم وتصميمهم على أن ماحفظوه هو الصحيح في حين أن المشاهدة تثبت خطأه .

اننا اذا أردنا تحسين الاخلاق يجب أن نظهر تعاليمنا للنشء دون غلو ولا مبالغة مجتهدين أن نبين للشباب أن تبادل المنفعة يقتضى اتباع هذا الطريق دون غيره . فاذا عبنا السرقة فذلك لانها تدعو الى الفوضى الامر الذى لايستتب معه الامن وفيه خطر على مصالح الانسان .

كذلك يجب أن لانعير ماسطره القدماء من الخطأ جهلا منهم بما توصلنا اليه اليوم بواسطة الاكتشافات والاختراعات أى أهمية لانه اذا اتضح للشاب أن هذا خطأ محظور عليه اصلاحه ضرب به عرض الحائط. ولا يقف هنا بل يتمادى فى غيه راكضا وراء ميوله الجامحة .

تحتاج الاديان فى الشرق الى عقول تنقيها من السخافات التى الصقها بها الجهلاء المدعو العلم، لان لكل منها بالاقل أساس له ولو لدرجة ما نصيب من الصحة وهذا الذى يمكنك ملاحظته اذا سبرت غور الاديان العملية كالاسلام والاديان النظرية كالمسيحية فالاول اشيد على نظام اجتماعي والآخر على نظرية روحية ان مصيبة الاديان نتجت من جهل الدواب التى تحمل الاسفار الدينية دون أن تعى مافيها من غث وسمين .

وبالله ماالذى تنتظره من (عالم) يجهل مبادىء علوم النفس والاجتماع والاعضاء والاقتصاد فاذا ما كلمك ادار لك (اسطوانة) تحوى آراء سخيفة ارتآها شخص عاش منذ قرون خلت حين لم يخرج العلم عن ان يكون تهويشا .

مستمع

الديانة العصرية
أو
حقيقة البهائية

« رد على الباحث الاديب
السيد عمر عنايت »

بدأت الحركة البابية سنة ١٨٤٤، فى العجم وكما كان يوحنا المعمدان صوتا صارخا في البرية يعد الطريق المسيح ، « كذلك كان ميرزا على محمد »، المعروف «بالباب » أى الباب الذى يوصل الى معرفة الحق الآلهى

ولد «الباب» في «شيراز» بجنوب العجم، في العشرين من شهر اكتوبر من سنة ١٨١٩ـ أول محرم سنة ١٢٣٥ـ منحدراً من نسل النبي محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام :

أما أباه فكان تاجراً من تجار الصوف ، توفى وميرزا بعد طفلا ، فكفله عمه ورباه واشركه معه فى التجارة عندما بلغ الخامسة عشرة، وقد اشتهر بالجمال والتقوى وعاش خاضعا لروح الدين الاسلامى . .

وتزوج فى الثانية والعشرين ، ولم يرزق إلا مولوداً واحدا ، توفي طفلا وعندما بلغ الخامسة والعشرين أعلن أنه يحمل رسالة من الله، واطلق على نفسه « الباب» ويقال ان ذلك كان بعد غروب الشمس بساعتين وربع ، في الثالث والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٤٤

ونادى أنه سيخلفه من هو أعظم منه ، وانه سيكون فاتحة عصر جديد فى الدين والمدنية .

وانضم اليه ١٨ تلميذا فارسلهم يكرزون ببشارته في انحاء شتى من العجم وتركستان، وكانت بشارته واضحة صريحة . فكان ينادى بتوحيد الاديان والسلام العام ، والاخوة ، وانه ليس إلا رسولا يعد الطريق لمعلم عظيم سيعقبه وقصد مكة فوصلها في ديسمبر سنة ١٧٤٤ وقد سخط عليه جماعة المسلمين التقليديين ، وقامت قيامة رجال الدين، وتآمروا مع الحاكم « حسين خان »، وكان من الطاغين المتعصبين وطلبوا منه أن يقضي القضاء المبرم على هذه الهرطقه !!!

وبعد محاكمة صورية ، رمى بالرصاص فى تبريز فى التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٥٠ يوم الجمعة ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ !!

وكان قد طلب سكرتيره محمد على أن يقتل معه فعلقا بالحبال من أبطيهما ، بحيث كانت رأس محمد تستند على صدر سيده !

وصدرت الاوامر، قبل الظهر بساعتين، الى جنود فرقة أرمنية، أن تطلق النار فاطلقتها ، و بعد أن صفا الجو ، واختفى الدخان وجد أن «الباب» وسكرتيره، مازالا على قيد الحياة ! فان الرصاص قد مزق الحبال دونهما ، فسقطا على الارض ، ولم يصبهما أذى، ووجدوهما في حجرة قريبة، يتحادثان مع صديق !!

وعند الظهر، علقا ثانية ، ورفضت الفرقة الاولى أن تطلق النار ، فاتوا بفرقة جديدة، وصدرت لها الاوامر، فاطلقتها ، فتمزق جسميهما تمزيقا، ولكن لم يصب وجهيهما بشيء !

وكم كان سرور أعداء «الباب» اذ ظنوا أن الشجرة قد اقتلعت من جذورها، ولكن سرورهم لم يكن إلا مؤقتا اذ كانوا لا يعلمون أن شجرة الحق لا تسقط بفأس!

بل انهم خدموا هذه الحركة من حيث لا يدرون، فان اعدام «الباب» قد ملأ قلوب أتباعه بالحماس والغيرة .

و بعد اعدامه رميت بقايا جسمه في خندق خارج سور المدينة فحملها أتباعه ليلا وأخذوا ينقلونها من مكان الى آخر سنين عديدة الى أن استقر بها الامر في جبل الكرمل بحيفا من مدن فلسطين .

وقد كان بين الشخصيات البارزة من تلاميذه السيدة « قرة العين » وقد عدمت بعده بسنتين لثباتها على ايمانها . وهي المرأة الاولى التى جاهرت بتعاليم « الباب » سافرة

وقد بقى « الباب » يجاهد جهاد الابطال ست سنوات كاملة، واعدم وهو في الثلاثين من عمره. وقيل اطلق عليه الف رصاصة!!

أما بهاء الله فهو المؤسس للحركة البهائية وهو الذى تنبأت عنه النبوات جميعها وقد قوومت دعوته مقاومة عنيفة، واضطهد اضطهادا مرا . وقد كان ميرزا حسين

علي ، الذى لقب نفسه ببهاء الله ، أكبر أبناء ميرزا عباس ، من وزراء الدولة ، وكانت عائلته من الاسر العريقة المثرية ، و بين رجالها من شغلوا وظائف عليا في حكومة العجم

ولد فى طهران ، عاصمة فارس ، بين الفجر وشروق الشمس ، فى الثانى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨١٧ — ٢ محرم سنة ١٢٣٣

ولم يدخل مدرسة من المدراس ولكنه تعلم بعض مبادىء العلم في داره وقد أظهر وهو بعد طفلا ذكاء نادراً ، وتوفى أبوه وهو طفل ، وتركه مسؤولا عن اخوته وأخواته ، والاهتمام بشؤون العائلة

وقد بشر برسالته سنة ١٨٤١ وهو في السابعة والعشرين ، وسجن مرتين . وحدث في ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٢ ـ ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ ـ أن أحد اتباعه « صادق » حاول الاعتداء على الشاه ، بعد الغروب بساعتين ، وقد كان الشاه ممتطياً جواداً فلم يصبه أذى ، وقبض على الشاب ولاقى حتفه فى الحال

وعد البابيون جميعهم مسؤولون عن هذه الجريمة ، واتهمهم ظلما رجال الدين لتغلغلهم فى السياسة ، وقامت قيامة الحكومة ، فسجنت بعض البابيين ، وقتلت كثيراً من زعماء هذه الحركة

وقد نتج من وراء هذا الاضطهاد ، حقيقة ناصعة ، على غاية من الخطورة وهى ان الاضطهاد دائماً يخدم القضية التي يراد هدمها ، ولا يزيد النار إلا لهيبا ، فقد كشف التعذيب عن قوة الحركة البابية الخفى ، وهذا الايمان العجيب الذى كان يحمل الآباء يبتلون عندما كانوا يرون فلذة اكبادهم يذبحون ذبحا أمام عيونهم !!

حقيقة لقد روى التاريخ من اخبار الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين ، ما يشبه هذا الاضطهاد ، ولكنه لم يذكر لنا شيئاً أفظع منه !! وقد سجن « بهاء الله » وعانق بقية المؤمنين ثم اسرع وسلم نفسه مسرورا !!

وقد ثبت أن « بهاء الله » لم تكن له يد مطلقا في المؤامرة على الشاه لاعتلال صحته واعترت صحته ضربات ظن أنه قد يفارق معها الحياة ، وعليه فقد اكتفى الشاه بنفيه الى بغداد ولم يعدمه

وبعد أسبوعين ، سافر مع عائلته ، وقد كان الشتاء قاسيا فقاسوا من البرد كثيرا ووصلوا بغدادفى حالة يرثى لها!

وقد تركت القافلة «طهران» فى شهر ربيع أول سنة ١٢٦٩ أو بين آخر سنة ١٨٥٢و بدء سنة ١٨٥٣ ووصلت فى ربيع ثان ، وقد استغرقت الرحلة بين أربعين وخمسين يوما

وبعد أن تحسنت صحة «بهاء الله» ، ابتدأ ينشر دعوته ، ووصل أخوه «ميرزايحيي» المعروف بصبح الازل وكان شقاقا عنيفا بين الأخوين ، وقد أضر ذلك ببهاء الله ضررا بليغا ، اذ أنه كان يدعو الى الاتحاد والسلام!

وقد لحق به طوعاً عدد كبير من اتباعه فقضى سنة كاملة يسهل لهم أمورهم المعاشية، ولما انتهى من ذلك ، اعتزل في الجبال ، وطالت مدة اعتزاله سنتين كاملتين ، وساءت حالة جماعته فالحوا عليه أن يرجع فرجع،وانتعشت الحركة من جديد . وأقبل كثير من البابيين ينضمون الى جماعة بغداد وزاد عددهم ونفوذهم حتى خاف رجال الدين على سيطرتهم

وبعد مخابرات عديدة بين حكومة العجم وحكومة تركيا دعاه سلطان تركيا الى القسطنطنية

فاخذ افراد عائلته ، وكان عددهم اثنى عشر ، وبعد مسيرة يوم واحد ، لحق به ٧٢ من اتباعه فضلوا ان يصحبوه الى هذا المنفى الجديد .

وصرف اعوانه معه جميعاً اثنى عشر يوماً في بستان الرضوان . اعلن فيها تباعه انه « بهاء الله »، وأمرهم ان لاينظروا بعد الآن الى «الباب» على انه نبيهم بل ينظروا اليه . لان النبوة قد تمت فيه،وانه مختار من الله وانه المهدى المنتظر، الذى تنبأت عنه كل الانبياء!

وظهرت عليه دلائل الهيبة ، والوقار ، والقوة . فامتلأ اتباعه من الحماس وتدفقت الجماهير تقدم له الاحترام والتبجيل !!

وقد نسينا ان نذكر انه عندما ترك بغداد ودعه كل اشرافها ، حتى الحاكم نفسه جاء يحييه ويودعه!

وقد قابلهم الناس مقابلة ودية غير منتظره ، ووضعت الحكومة تحت تصرف بهاء الله ، وعائلته ، بضع منازل

ولم تنقض اربعة اشهر الا ونفوا الى ادرنة . ومع ان هذه الرحلة القصيرة لم تستغرق أكثر من أيام قليلة ، الا انهم قد لاقوا اهوالا جساما وتعرضوا للمجاعة لقلة الغذاء والكساء

وحشد بهاء الله وعائلته فى ثلاثة غرف صغيرة ، ولكنهم عادوا فرأفوا به واعطوه دارا فسيحاً

وقد قضوا فى ادرنه أكثر من اربع سنوات ونصف . وتابع بهاء الله نشر تعاليمه ومبادئه ، فالتفت حوله جماعة كبيرة ، ولكن فئة صغيرة انضمت الى أخيه وحدثت فوضي كبيرة ، فرأت الحكومة التركية ان تنفى الاثنين من «أدرنه»

فنفت بهاء الله وجماعة الى عكا من مدن فلسطين وقيل انهم وصلوها في ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٨ ونفت ميرزا يحيي المعروف بصبح الازل وجماعته الصغيره الى قبرص

وكتب بهاء الله كتبه المشهوره لكثير من ملوك أوروبا ، والى البابا والى نابليون الثالث وإلى شاه العجم ، وحكومة الولايات المتحدة ، يلتمس فيها دعايته ويطلب مؤازرتهم وتعضيدهم لديانته الجديدة التي يدعو فيها الى السلام الدولى

ولم ينس أن يذكر فى خطابه الى الشاه مالاقاه اتباعه من الاضطهاد القاسي ، ويعترض على ذلك اشد اعتراض ، فما كان من الشاه الا ان انتقم من حامل الرسالة فامر باعدامه في الحال فاعدم بعد أن كووا جسمه بقوالب طوب حامية ..!

وقد كانت عكا سجنا في ذلك الوقت لا فسد أنواع المجرمين الذين تنقم عليهم الحكومة التركية شر نقمه

وصل بهاء الله وجماعته ، وعددهم ٨٤ من الرجال والنساء والأطفال فحشروا في ثكنات الجيش القذرة ولم تكن بها ابسط انواع الأهبة وكان لايقدم لهم غذاء كافيا فكانوا يضطرون الى الالحاح فى طلب الخروج لشراء بعض الأطعمة ، وانتشرت بينهم الملاريا ، والديزنتاريا ، و بعض الأمراض الاخرى ، ومرضوا

جميعا ، و بقوا يقاسون من العذاب ألوانا مدة سنتين كاملتين كان لا يصرح لهم فيها بمغادرة أبواب السجن الابهم الا أربعة منهم يخرجون يوميا مع الحرس يشترون بعض الأطعمة

كما أنه لم يكن يسمح للزوار أن يقابلوا بهاء الله أو يجتمعوا به ، حتى ان عدداً كبيراً من البهائيين في العجم ساروا على أقدامهم حتى وصلوا الى عكا ليقابلوه فلم يصرح لهم بالاقتراب من سور المدينة فكانوا يكتفون برؤيته من النافذة عن بعد فيبكون ثم يعودون وهم فى أشد ماعرف من الحماس والغيره والتضحية والخدمة ..!

وقد احتاجوا الى هذه الثكنات العسكرية ، لبعض الفرق التركية ، فسمح لبهاء الله أن يسكن داراً على ان يظل تحت الرقابة

و بقى محاصرا سبع سنوات ، ولكنه كان يقابل زواره

ولما كان فى السجن كان يرسل ما يطيب به من قلوب اتباعه و يصبرهم فيقول لهم « لاتخافوا ستفتح أبواب السجن ، وسنخرج وسننصب الخيام على جبل الكرمل » ..!

وقد أصيب بهاء الله بالحمى ففارق الحياة في الثانى والعشرين من شهر مايو من سنة ١٨٩٢ بعد أن عمره ٧٥ عاماً

عباس أفندى اوعبد البهاء

أما « عباس أفندى » الذى أطلق على نفسه « عبد البهاء » ، فكان ابن بهاء الله الاكبر ولد في طهران ، في الثالث والعشرين من مايو من سنة ١٨٤٤ — ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ — فى نفس الساعة التى أعلن فيها الباب « رسالته »

و بعد أن سجن ٤٠ سنة افرج عنه فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨

و بعد أن افرج عنه قام برحلة الى العالم الغربى في أغسطس سنة ١٩١١ وزار لندن في أوائل سبتمبر وكان يقصده عشرات الرجال والنساء يوميا . اما في باريس فكانت تعقد اجتماعات يحضرها الهنود والفرس ، والعجم ، والعرب ، والالمان ، والروسيون والانجليز والفرنسيون ، والامريكيون . وقد اهتم أهالى

لندن بالبهائية من الوجهة الاجتماعية الروحيه ، واهتمت باريس بمحتويات البهائية العقلية وقوة تعاريفها المدهشة

وظل يجتمع باكثر من ١٥٠ رجلا وامرأة يوميا لمدة شهرين ، ثم قصد مصر في ديسمبر ، ووعد ان يزور الولايات المتحدة فى السنة التي تليها ، بناء على الحاح كثير من الامريكيين وقد بر بوعده ووصل نيويورك فى ابريل سنة ١٩١٢ وظل يتنقل فى المدن الامريكية سبعة شهور يخطب في طلاب الجامعات والكنائس والجمعيات ، للمسيحيين ، والمسلمين ، واليهود ، للرجال وللنساء ، في جمعيات السلم وفي جمعيات المطالبة بحقوق النساء السياسة ، وفي التحكيم الدولي ، وفى فلسفة الدين خطبا قيمة تناسب المقام ...

وفي الخامس من شهر ديسمبر اقلع قاصدا انجلترا حيث قضى ستة اسابيع زار فيها لفربول ، ولندن وبرستول وادنبره

وقد خطب من ادنبره جمعية الاسبيرانتو وذكر لهم انه قد شجع البهائيين فى الشرق على درس لغة « الاسبرانتو » حتى تزداد الصلة بين الشرق والغرب

وبعد ان قضى شهرين فى باريس قصد المانيا وعقد عدة اجتماعات في Stuttgart و بودابست وفينا. ثم رجع الى مصر فى شهر مايو سنة ١٩١٣ ومنها الى حيفا فى الخامس من ديسمبر من السنة نفسها وقد بلغ السبعين من عمره

وعندما اشتعلت نيران الحرب زرع مساحات كبيرة من أراضيه من «طبريه» غلالا وكان يقدم خيراتها الى فئات الفقراء في حيفا وعكا ، من جميع الاديان ، وفوق ذلك كان يقدم لهم مبالغ صغيرة من النقود يوميا !؟!

وفى يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ صلى صلاة الجمعة في جامع حيفا وفرق الصدقات على الفقراء بيديه الطاهرتين و بعد الغذاء املى بضع خطابات واستراح قليلا ثم تمشى فى الحديقة وتحادث مع البستانى

وفى المساء بارك أحد اتباعه الذين تزوج فى ذلك اليوم وقدم له بعض النصائح الغالية.

وفى نحو الساعة الواحدة ونصف من يوم الاثنين ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢١ فارق

الحياة وقد ترك اربعة بنات، وطير خبر وفاته في جميع انحاء العالم وساروا بجنازته يوم الثلاثاء في ٢٩ نوفمبر !!!

وقد رثاه تسعة من المسلمين والمسيحيين واليهود ! وقد ترك وصيته ان يتولى امور البهائية حفيده شوقى افندى ربانى

وقد نجحت البهائية نجاحاً سريعا ، ولها مراكز هامة فى العجم وتركستان ، وامريكا ، والهند ، وبرما ، واليابان ، وفرنسا ، والمانيا ، وروسيا ، ومجلات تدافع عن هذه الحركة وتنشر مبادئها

وبعد ان كتبت ما كتبت فى البهائية ، طلعت علينا مجلة « العصور » الغراء ، وبها مقال للباحث الاديب السيد عمر عنايت عن البابية ويظهر انه لم يطلع على المصادر الموثوق بها فلم يأت لنا بصورة واضحة كثيرا.

وقد « داعب » قراء المجلة « مداعبة » لطيفة فقال

« ومن يدر فقد تضع ضمن تعاليمها وجوب حل الاوقاف الاهلية ، طرد الصهيونين من فلسطين ، الغاء المحاكم المختلطة ، حل مشكلة عمال الاسكندرية ، سوق كونتراتات القطن بعد ان اتى بمحتويات البطاقات المطبوعة سنة ١٩١٣ ، سنة ١٩١٩ ، ١٩٢٤!

ونحن بدورنا لا ننكر ان البهائية ديانة عصرية ، اجتماعية ، تتابع سنة التطور ، وليس يضيرها ذلك ، ونقول له مداعبين ايضا ولعله لا يرى « ثقلا » فى « مداعبتنا »

نعم نتمنى له ان يوفق الى زيادة هذه الاغراض الخمس التى ذكرها ويجعلها اساساً لبهائية جديدة يبشر بها سكان المريخ !

واننا لطمئنه ونسر جد السرور ان نبشره ان بطاقة سنة ١٩٢٦ تتضمن الاغراض السامية الآتية :ـ

(١) البحث المطلق عن الحقيقة ، ونبذ كل الخرافات والتحزبات بجميع ضروبها !

(٢) وحدة العالم الانسانى ، الناس اوراق شجرة واحدة واغصان فى شجرة واحدة ! ..

(٣) الدين مولد للحب والوفاق والا لايعد دينا .

(٤) اسس كل الاديان واحدة .

(٥) يجب ان يساير الدين العلم

(٦) السلام العام ، تأسيس عصبة امم جامعة ، حل المعضلات عن طريق التحكيم الدولى ، وبرلمان دولى

(٧) تعميم التعليم الاجبارى وخصوصاً النسوى

(٨) المساواة بين الجنسين في الفروض ، والحقوق ، والامتيازات .

(٩) العبادة هى العمل

(١٠) منع الفقر المدقع ، والغنى المفرط ، والعناية بالمعوزين .

(١١) لغة اضافية تدرس فى جميع مدارس العالم

(١٢) وحدة الله وطاعة اوامره

ولعل الاديب يقرأ بين السطور واحدة من أغراض يوتو بيته «المنتظرة» !!

* * *

ذكر « ومن رفض البهائية كان يعدم » ؟ والذى نعلمه انهم كانوا مضطهدين شر اضطهاد فأنى للمضطهد هذه القوة؟ وكيف يبشرون بالمحبة والسلام ويعدمون؟

أما ما قاله من أن اتباعه ينفون قتله ويؤكدون رؤيتهم إياه وهو صاعد الى السماء ان هي إلا خرافة بحتة ينكرها الواقع وربما قد اجتمع الأديب ببهائى «مخرف» فقص عليه هذا الادعاء المضحك الكاذب

ذكر أن لهم مدفنا باسمه فى طهران. وقد اجتمعت خصيصا ببعض الطلبة الطهرانيين فأكدوا لى أنه ليس لهم مدفنا بطهران «فالباب» له مزار في حيفا على جبل الكرمل .

« وبهاء الله» له مزار في «عكا»

« وعبد البهاء» فى الكرمل فى المحل المعروف «بالمقام» .

* * *

واننا نؤكد له أن لابهاء الله ولاعبد البهاء قد فكر في أن يعمم اللغة الفارسية

ويجعلها دولية وانما البهائيون يطالبون بلغة دولية ليست أية لغة من لغات الامم (كلاسبيرانتو مثلا)

وقد آلمنا أن يطعن البهائية هـذه الطعنة المؤلمة فيتهم «بهاءالله» بانه حرض الاتباع على قتل الشاه !!

والتاريخ شاهد عدل على بطلان هذا الادعاء !!!

ان بهاء الله لم يحرض «صادق» ، ولا غير صادق على الاعتداء على الشاه ناصر الدين في مايو سنة ١٨٩٦ واننا نحيله على الانسكلوبيديا بريتانيكا ليطلع على مقال ممتع بقلم Edward Granville Brown أحد اساتذة جامعة كيمبردج وقد ذكر ما يدحض به هـذا الادعاء الكاذب ، والذى نعلمه أن البهائيين ظلوا وسيظلون مخلصين لحكوماتهم المحلية كل الاخلاص .

* * *

ومن الفكاهات المضحكة التى ذكرها الاديب «وهناك اتفقا على أن يختفى صبح الازل ليقول البهاء ان اللاهوت قد حل فيه ثم عرج الى السماء» ، واننا لا نريد أن نتعب أنفسنا بالدحض ويكفى أن نقول انها خرافة مزرية !!

* * *

وقد أضاف حضرته كلمة شيخ لعباس افندى والذى أعلمه أنه لم يكن معروفا إلا بعباس افندى «حاف» أو عبد البهاء . ولعله يريد له تسمية جديدة

« * »

أما ادعاؤه أن بهاء الله جن فى أواخر أيامه فلا نؤمن به ولم يذكر لنا دليلا على صحته ، فقد ظل الى أواخر أيامه متمتعاً بقواه العقلية .

* * *

وقد ذكر أن عبد البهاء قضى خمس سنوات فى أوروبا وأميركا والحقيقة أنه قام برحلته فى أغسطس سنة ١٩١١ ، ورجع الى حيفا فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ فهل يريد أن يعتدى حتى على التاريخ القريب الذى بين أيدينا ؟

* * *

وكنا نود لو أن حضرته قد أبان لنا كيف خدم قضية الحلفاء حتى انعمت عليه الحكومة برتبة فارس الامبراطورية البريطانية والذى نعلمه أنها أنعمت عليه بهذه الرتبة لانه خدم فقراء عكا وحيفا من جميع الاديان خدمة لن تنسى في أشد أوقات الحاجة.

وكل من اجتمع به يعرف تمام المعرفة أنه لم يتعرض لا لقضية الحلفاء ولا غير الحلفاء ، فان ذلك يخالف مبادىء البهائية السامية

* * *

وقد يكون ما كتبه عن الثواب والعقاب،والروح، مكتوبا فى « البيان » ولم اطلع عليه ولكن الذى أدهش له لماذا يقتبس عن « البيان » ولا يقتبس عن « الاقدس» وهوأهم بكثير ولماذا لا يأتى لنا بتعاليم البهاء ؟ ! !

لقد غير بهاء الله كثيراً مما جاء في « البيان»فاذا كان يريد حضرته أن يرجع الى أعمق تعاليم البهائية فليرجع ان أراد الى «الاقدس» لا الى«البيان».

* * *

أما اتهامه البهائيين بانهم يحرضون على هدم مكه وبيت المقدس وبقية الاماكن المقدسة فخرافة لا تستحق ان نعيرها أدنى اهتمامنا ، بل ان مجرد الاتهام تضليل كبير وجناية لا تغتفر .

ومن يفهم ما يكتب لا يتهم البهائيين هذه التهمة الشنيعة وليعلم مطلق العلم انها تحترم أماكن العبادة كلها كل الاحترام .

أما ذكره انهم يجيزون الزواج « بالاخت »فخرافة جديدة

ولا ندرى من أين استق كل هذه المعلومات الكاذبة ؟!!

أما قوله يتزوجون باثنتين فى وقت واحد،فمغالطة،اذا الحقيقة أنه يجوز للبهائى أن يتزوج ثانية اذا مرضت زوجته ويشترطون أن تمرسنة وأن توافقه زوجه الاولى على الزواج .

أما أن يتزوج اثنتين ؟ . — فتضليل ظاهر .

* * *

أما ان وحده الله مكونة من ١٩ اقنوما فخرافة جديدة ، فليس هناك سر في العدد ١٩ اللهم إلا أن تلاميذ «الباب» كانوا ١٨ وهو التاسع عشر فما دخل الله عز وجل في المسألة ؟ ! !

وقد ذكر أن البهائي مسلماً مع المسلمين ، مسيحيا مع المسحيين، ملحداً مع الملحدين . .

واننا نقول له ان من كان بهائيا لا يكون مسلما أو مسيحيا أو يهودياً ، بل بهائياً، وبهائيا فحسب

ومن كان بهائياً حقيقة انكشفت عن عينيه السحابة التي تحجب عنه الحقيقة، وزال عنه التعصب الذي يفصل المسيحي عن أخيه المسلم، والمسلم عن أخيه المسيحي!

ان البهائي رجل عصري ، يحترم الاديان جميعها ، يصلي معك في الجامع ، ويدخل معي الى الكنيسة، ويذهب معه الى الكنيس!!!

روح سامية ربانية ، ستغير من العالم وتخلقه من جديد ، .. ملكوت الله على الارض ...

ولا غرابة اذا انتشرت البهائية من كليفورنيا الى اليابان ومن ادنبره الى رأس الرجاء

واني وان كنت لست بهائياً ، إلا انني اعجب بمبادئها وقد ذكرت ما ذكرت لمجرد الحقيقة والتاريخ

كامل صموئيل مسيحه
جامعة بيروت

حول البهائية

رد على المقال السابق

يمكن للقارىء أن يستدل بسهولة على أن محتويات هذا المقال لا تختلف في موضوعها عن محتويات المقال الذي تشرته إلا في كون صاحب القلم الجديد يكتب عن البهائية بعواطفه في نفس الوقت الذي يقول لك فيه أنه مسيحي فقط . هذا

ليس مهما في نظرى بقدر قوله «ووصل أخاه ميرزا يحيي المعروف بصبح الازل وكان شقاقا عنيفا بين الاخوين وقد أضر ذلك بهاءالله ضررا بليغاً اذ أنه كان يدعو الى الاتحادوالسلام» وبالطبع كلنا يعلم أنه يجب أن يكون هناك طرفان لكل شقاق .

وكذلك يقول الكاتب «وصدرت الاوامر الى جنود فرقةارمينية أن تطلق النار فاطلقت وبعد أن صفا الجو وجدوهما (الباب وسكرتيره) في حجرة قريبة يتحادثان مع صديق» فهل يمكن أن يكونوا قد وجدوا ايضاً اسم محمد على مكتوبا على ثمر القثاء والخوخ لان هذه المظاهر الغريبة واجب الاكثار منها لاثبات الاتيان بالمعجزات؟ ومن الغريب أن يذكر حضرة الكاتب أن بهاء الله سافر مع عائلته ووصلوا بغداد في حالة يرثى لها ولم يقل أنه انتقل على جناح النسيم ووصل الى بغداد محاطاً بالملائكة. ومن يدرى فقد يكون هناك سبب مجهول مثل انه تحمل الالم لاجل خلاص العالم. كذلك يقول« وظهرت عليه دلائل الهيبة والوقار والقوة» فهل معنى هذا أنه كان بعيداً عن هذه المظاهر متحلياً بضدها ؟

وقد افرج عن عباس افندى (وكان مشهورا فى حيفا بلفظة الشيخ فقط)فى سنة ١٩٠٨ من سجن ضيق وليس لديه مال فبماذا قام برحلته حول العالم؟ ربما بمال زوده به ملايين اللادينيين من المقربين اليه. فاذا كان الامر كذلك فمن أين أتاه المال الذى انفقه مدة الحرب — وكان حصار الحلفاء لفلسطين شديدا لدرجة لا يتيسر معها امداده بالمال بسخاء على المحتاجين بصرف النظر عن دياناتهم حتى استحق تقديراً من الحكومة البريطانية. بل من أين له المساحات الكبيرة التى زرعها غلالا وقدم خيراتها الى فئات الفقراء؟ وهل تعصب فئة مستضعفة تمنعها ارتكاب الاجرام حتى ينفى خبر اعدام البهائيين لمخالفيهم بقوله انى لمضطهد هذه القوة؟ وقلت أشك فى أنه اختار الفارسية لغة دولية وقد تناسى حضرة الكاتب كلمة الشك هذه

قال « أما ادعاؤه أن بهاء الله جن في أواخر أيامه فلا نؤمن به» هذا ما يقوله شخص مسيحى يدعى أن من كان بهائيـاً لا يكون مسلماً أو مسيحياً ... ومن كان بهائيـاً حقيقة انكشفت عن عينيه السحابة التى تحجب عنه الحقيقة ...

البهائي رجل عصري .. يصلي معك في الجامع ويدخل معي الكنيسة . البهائية روح سامية ربانية .. ملكوت الله على الارض . هذه هي أقوال احد (المسيحيين) الذي يقول في نفس الوقت «واني وان كنت لست بهائياً»

كذلك يساءلني لماذا اقتبست عن «البيان» ولم أقتبس عن «الاقدس» والجواب بسيط ينحصر في أني لم أكن أدري بان «عبد البهاء قد غير كثيرا مما جاء في البيان» وما دام الامر كذلك أعترف بان الواجب على هو انتظار ما سيأتي به شوقي افندي أو من يخلفه ما دام كل مبدأ معرض للتغير بمشيئة الزعماء فالمبادىء البهائية كاكوام الرمال . أليس كذلك ؟

هذا بعض ما أردت لفت نظر القراء اليه وعليهم أن يدققوا في بقية المقال ليعرفوا أنه يعطي صورة مطابقة للتي حاولت تصويرها لهم بأمانة

عمر عنايت



ثورة في صدر

بينما الليل يولي ظهره　　تاركا للفجر اشباح الظلام
والدراري داخلات كنها　　في هدوء الليل والناس نيام
ملأ الافق　　دوي كالطبول
قلت ماهذا؟...　　فلم اسمع سوى
صرخة من جانب القلب تقول :
ايه ماهذي حياة انما　　نحن نحيا في قتام وظلام
لا ينير العين الا أمل　　عالق ما بين ارض وسماء
هو خيط لا يضاهى عوده　　غير جسمي من تباريح الشقاء
فاتركيني ياحياه　　وانبذيني يا قيود(١)
سوف تفنين معي　　غاية العيش اللحود

---

(١) يراد بالقيود : الجسد .

***

لم جئنا فى حياة نحن فيها حائرون ؟
نتسلى بنعيم زائـ ـف مثل السراب
ان هذا لخبال ان هذا لجنون
ان نرى كاس حياة نحن فيها كالحباب !!
ثم لانبحثها الا قشورا واللباب سرها
ثم لاتعرفها الا دهورا تتالى غيرها ...
ما الذى فوق الحياه ؟
إيه ما اقصى مداه !!

***

فوقها يانفس شيء ساخر منا دواما
يملك الالباب منا وهو خاف لانراه !!

***

لاتحاول أيها الجسم صعودا في الفضاء
لاتحاول أيها الجسم خلاصاً من رداء
خاطه العقل لنا منذ القدم فارتداه الجهل فينا والظلم
فاتخذناه رفيقاً فى الحياه
فهو يملى محض جهل
انها بئس الحياه ...

***

سكت الصوت فحاولت بنفسي ان اراه ناداه من فؤادى صاعد يرجو الحياه

حسن كامل الصيرفي

تأملات في الأدب والحياة

من الاشياء التى لاأومن بها حكم المصادفة فى تسيير أعمال النوع الانسانى. والمصادفة يدعوها الناس حظاً . فهل يمكن أن يكون للحظ كما يفهمه الناس أثر فى تحديد الحالات التى تقع في الحياة ويكون لها أثر في اسعاد الجماعات والافراد أو فى بؤسهم وشقائهم ؟ من الجائز أن يكون لاتفاق ظروف الحياة وتوافق الاعمال الانسانية أثر فى خلق ظروف تجعلنا ننظر فى بعض الاحيان في الحياة نظرة القانع بأن ظروفها مجموعة من المصادفات التى ليس لنا من قدرة على الاحتكام فيها أو تصريف وجوهها . غير أن في الحياة أشياء أخرى غير هذه من الممكن أن ننظر فيها هذه النظرة ذاتها . وهي مع ذلك ليست نتاجاً لمجموعة من الظروف التى تخلقها الاعمال الانسانية . بل تلوح لنا في صورة تجعلنا نوقن بأن لنظام الطبيعة الابدى ضلع كبير في إحداثها .

أحاطت مثل هذه الظروف بالعديد الأوفي من أبناء آدم منذ أن أشع فى العقل الانسانى أول شعاع من أشعة الفكر الخالد . غير أن الحظ لم يخدم الا بضعة أفراد من أبناء آدم ليكونوا أول من يجنى ثمار الحظ الذى انطوت عليه أسرار الطبيعة الأبدية . ولا حاجة بنا لأن نذكر أسماء يغيب عن أذهان القراء ذواتها . بل نعمد الى أكبر من أبرزت البشرية من أصحاب العقول الفذة فلديك أولا أرسطوطاليس . فان وضعه لعلم المنطق فيه من الحظ بقدر مافيه من النبوغ والمهارة . لانه لايتكرر فى التاريخ مطلقاً أن يجد شخص غير أرسطوطاليس عقلا انسانياً يحتاج الى قانون يحكمه . وكذلك غاليليو . لانه لايتكرر على الاطلاق أن يجد غيره نظاماً فلكياً معكوساً فيقومه . ثم نيوتن . فانه لايتكرر فى التاريخ أن يجد شخصاً غيره سيارات تدور حول الشمس محتاجة الى تعليل يعلل دورتها . ثم داروين . لانه لايتكرر أن يجد شخص غيره أنواعاً حية يحتاج العقل الى معرفة كيفية نشوئها .

أما أمثال هؤلاء فقلائل في التاريخ البشرى . وهم ولا شك أكبر الناس حظاً ، كما انهم أكثرهم عبقرية ونبوغاً .

* * *

الاستاذ الكبير مستر « فلندرز بترى » المؤرخ الانجليزى المعروف نظرية في قيام المدنيات وسقوطها صرف عليها اسم « نظرية الدورات المدنية » . والحقيقة أن الناظر فى قيام المدنيات وسقوطها على مر العصور القديمة يلاحظ دائماً أن المدنية كانت ذات دورات كاملة . وانها كانت متنقلة غير مستقرة فمن مصر الى روما الى الكلدان الى أشور الى الهند الى اليونان الى الصين . وكانت كل مدنية من هذه المدنيات تدور دورتها الكاملة ثم تسقط سقوطاً فجائياً لاتستطيع أن تتلمس له من سبب أو تقع له على مصدر يقنع به العقل أو يرضى به المنطق .

ومن غريب الأمر أن سقوط المدنية في تلك الازمان كان يعقبه احدى حالتين . فاما أن يبيد الشعب الذى تسقط مدنيته وتضمحل وإما أن يصيبه الجمود الشديد فتتحجر ملكاته ومواهبه ويظل واقفاً حيث هو ، فلا يتقدم الى الامام خطوة ولايفيد الانسانية بفائدة ما ماديا أو أدبياً . ومثال الحالة الاولى الشعب اليونانى والشعب الفينيقى القديم . فكلاهما باد تماماً ولم يتركا من خلف يرث عنهما ميراثهما العظيم الذى اقتسمته عنهما الانسانية . ومثال الحالة الثانية الشعب الهندى والشعب الصينى . وهما شعبان يمثلان حقيقة أن من السلالات البشرية فئة تفقد مواهبها اذا اضمحلت مدنياتها وتتحجر مواهبها لاسباب غير معروفة .

وهنا يحق لنا أن نتساءل هل يكون نصيب المدنية الحديثة كنصيب المدنيات التى تقدمتها على مر العصور ، أم أن الاسباب التى كانت تفسد المدنيات قد فنت مع تقدم العلوم والمعارف واتساع مناطق الاستكشاف في كل فروع المرافق الانسانية .

الحقيقة أن المنطق لايحبونا إلا بأضعف أنواع القياس . يزودنا بما يدعوه المناطقة قياس التمثيل ، ومحصله تطبيق الحالات السابقة على حالات واقعة . وهو أضعف أنواع القياس المنطقى . على أنه يوهمنا على أية حال بأن نصيب المدنية الحديثة

سيكون كنصيب غيرها من المدنيات القديمة .

ولقد مثل الاستاذ « مكدوغل » الانجليزي لدورات المدنية بخط منحن يأخذ في الارتفاع من نقطة ليبلغ الى أقصي القمة التي يمكن أن تبلغ اليها المدنية وهنالك يشتد انحناؤه ، فاذا بلغ الانحناء أشده انحط مرة أخرى انحطاطاً فجائياً يمثل سقوط المدنيات .

وأغلب ظني أن تمثيل الاستاذ « مكدوغل » غير صحيح . فان « دورات المدنية » يصح لدى الواقع أن يمثل لها بخطوط منحنية تتسلقها الشعوب شعباً بعد آخر خلال الازمان ، غير أنه لا يصح مطلقاً أن يمثل لسقوط المدنيات بخطوط شديدة الانحدار تبلغ من انحدارها حداً يصل الى حيث بدأ خط الدورة في الارتفاع . لأن هذا انما يدل على أن المدنيات كانت تبيد تماماً ولا تخلف وراءها من أثر ترثه عنها المدنيات التي تتلقح بها وتأخذ عنها . والمعروف أن كل مدنية حديثة انما هي مجموعة صور تستخلص من مدنيات قديمة بحيث تحدث ألفة جديدة . اذن فدورات المدنية يمكن أن يمثل لها بخطوط منحنية تأخذ في الارتفاع رويداً رويداً لتبلغ الى قمة الدورة . غير أنها لا تسقط فجأة بل تبقى حيث تصل ليبدأ خط منحن آخر في الارتفاع من نهاية القمة التي بلغ اليها الخط الاول . فالدورات المدنية على هذا عبارة عن خطوط ارتقائية يعلو أحدها الآخر الى ما لانهاية .

والدليل على هذا أن التاريخ لا يثبت مطلقاً أن شعباً تسلق خط المدنية مرة ثم رجع الى حالة من الهمجية كانت هي بعينها الحالة التي بدأ من عندها تسلق خط الدورة التي مثلت مدنيته . والحقيقة أن السلالات عندما تبلغ حداً من المدنية تتحجر مواهبها وصفاتها فيتعذر عليها التقدم وتقف عن السير الى الامام . وهنا تبرز سلالة أخرى تأخذ بيد المدنية الانسانية الى قمة أعلى من القمة التي بلغت اليها الاولى . وعلى هذا لا يكون من تقهقر مدني ، بل استحجار وجود ينتاب سلالة من السلالات فيلوح لنا كأنه انحدار وفساد .

ولا شبهة مطلقاً في أن هذه القاعدة سوف تسري على المدنيات الحديثة . غير أنها ستكون أقل ظهوراً . لان حركة التسلق كانت في الازمان القديمة سريعة

ولان ميراث المدنية لم يثقل كاهل الشعوب بما يثقله به ميراثها الحديث . وكذلك كانت نسبة السرعة فى الاستحجار والوقوف. أما في عصرنا هذا فسيكون التسلق بطيئا وكذلك ستكون نسبة السرعة فى الاستحجار . ولهذا ستلوح خطوط الدورات المدنية أقل انحناء ولكن أعلى قمما . وكذلك سيكون تعاون الامم على حمل بعضها البعض في مدرج الارتقاء أكبر آصرة . لأنه من المستحيل عندى أن تستطيع سلالة بمفردها أن تتسلق خط الدورة المدنية وحدها في الزمن الحاضر . ومما هو أشد استحالة عندى هو أن تستمر سلالة وحدها فى التقدم على بقية السلالات فى التسلق الى القمة من غير أن يحل بها النصب و ينتابها الكلال .

***

يقول بارتلمى سانتهيلير في مقدمته لكتاب الاخلاق الى نيقوماخوس ما يلي:

« فليس على علم الاخلاق اذن الا أن يستمر في عمله واثقا من أنه سوف يجنى ثماره حتى في أشد البقاع محلا بشرط أن يستكشف الحق أو يزيد فى قدره »

ونحن نتساءل هل يمكن لعلم الاخلاق أن يستكشف الحق ؟ بل هل يمكن لفرع من فروع المعرفة الانسانية أن يطمع فى استكشاف الحق ؟ ان فى ذلك لتقييد للنظرية الاخلاقية يخرجها من الحيز العملي الى حيز الغيبيات . واذا لم نستكشف الحق فكيف نستطيع أن نزيد من قدره في جهة ما من جهات المعرفة الانسانية ؟ لاجرم أن هذا يكون غير مستطاع . لان العلم بازدياد قدر شيء من الاشياء يستلزم أولا معرفة طبيعة الشيء في ذاته . . .

ثم نقتطع من تلك المقدمة عبارات أخرى فيها ما يدعو الى انعام النظر والتأمل فهو يقول مثلا :

« لاشك في أنه لا يلزم البتة الحط من صحة العلوم الطبيعية ولا من صحة العلوم الرياضية على الاخص ، ولكنها لا تزال بعيدة عن صحة علم الاخلاق ! فان القضايا التى تعلمنا اياها هذه العلوم ، والحقائق التى تكشفها لنا ، هي اما منازع فيها واما مقتضية تفهمها ملكات ليست لجميع العقول . فاما أولاها (العلوم الطبيعية) فانها خارجة عن الانسان ، فتقتضي مشاهدات خارجية صعبة ومحوطة

بالشكوك غالبا ، بل مستحيلة أحيانا . والاخرى — (العلوم الرياضية) انما هي سلاسل طويلات من الاستدلالات لايكاد يكون التمشى معها ميسورا . »

وهنا تسائله : أليس هذا هو الحال بعينه فى علم الاخلاق ؟ ثم يقول :

« وأما في علم الاخلاق فالامر على ضد ذلك . كل منا يحمل فى نفسه جميع مايشتغل به هذا العلم من الموضوعات التى — لانها كلها حقيقية — لاتنفك ماثلة تحت أعيننا . فليس علينا أن نخرج عن أنفسنا لنتعرفها ، بل حسبنا أن نسأل أنفسنا بانتباه واخلاص لنظفر بأجوبة لايتطرق اليها الخطأ ، وما هذه الاجوبة من قلب شريف عدل يعرف أن يخرس الاثرة والشهوة الا كأجوبة الوحى ، حقيقة بالتصديق لانها لاتخدع البتة . ومع التسليم بأن هذه الاجوبة كان يمكن أن تختلف في العصور القليلة الرقى ، وانها لاتزال يختلف بعضها عن بعض عند الشعوب قليلة المواهب ، فانها عندنا الآن أجوبة متماثلة ثابتة . لندع جانبا تلك الخلافات التى ان لم تكن فاسدة بالمرة ، فهى على الاقل غير ثابتة ، ولنؤكد من غير أن نخشى الزلل أن حقائق علم الاخلاق في الساعة الراهنة عند الامم المتمدنة ليست منذ الآن محلا للجدال بين النفوس الفاضلة ، وأن تلك الحقائق لاخوف عليها . يمكن أن يقع الجدال فى النظريات ، ولكن لما أن سلوك الناس الاخيار هو فى الواقع واحد ، يلزم حتما أن يكون بينهم قدر من الحق مشترك يستند اليه كل واحد منهم ، من غير أن يستطيع مع ذلك فى الغالب أن يقف غيره عليه ولا أن يدركه هو نفسه . ومن النادر أن يقع اجماع الآراء على طريقة بسط مذهب بعينه مهما أجيدت ومهما بلغت من الحق ؛ ولكن من الافعال ما هو مقر عليه عند جميع الناس . و بين أن هذا الاقرار العام سببه أن هذه الافعال تابعة لمبادىء مسلمة عند الجميع وتقع على مقتضاها من حيث لايشعر الفاعل لها في غالب الاحيان . »

وهنا نسائله الا يحتاج البحث وراء تلك الموضوعات التى يشتغل بها علم الاخلاق وهي كائنة فى تضاعيف النفس الانسانية الى ملكات ومشاعر ومؤهلات تجهل فهم هذه الأشياء على حقيقتها غير ميسور الا لفئة قليلة من الطبقة المنتقاة من الناس ، شأن العلوم الطبيعية والرياضيات ؟ ثم نسائله هل وجود (قلب شريف عدل يعرف أن يخرس الاثرة والشهوة) كاف وحده لان يكون ميزانا لقياس نظريات علم الاخلاق ومعرفة أصولها ؟ وما هو القلب الشريف العدل ؟ وهل يمكننا قبل أن نحدد هذه المقولات أن نقول إن علم الاخلاق أثبت أركانا من العلوم الطبيعية والرياضيات ؟ ثم نسائله . اذا كان من الممكن أن تختلف أجوبة القلب (الشريف العدل) باختلاف الشعوب وباختلاف الازمان ، ألا يكون من الالزم لمن يقول هذا القول أن يعتقد بأن قواعد علم الاخلاق نسبية غير مطلقة ، وعلى الاخص اذا تذكرنا انه انما يتخذ أجوبة أهل المدنية الحاضرة مقياسا لاقصى مايصل اليه علم الاخلاق من رقى في المعقول والتطبيق ؟ وماذا تكون قيمة قواعده هذه عند شعوب أرقى نفوسا وأكرم طبيعة من شعوب المدنية الحديثة ؟

ان الانسانية لا تزال كما كانت منذ أقدم العصور لافرق بين متمدينها ومنحطها من حيث التواضع الاخلاقى ، وعلى الاخص في الاتباع العملي للفضائل وما المدنية الحديثة لدى الواقع الا مدنية علوم لامدنية أخلاق والمثل القديمة تكاد تكون بعينها المثل الحديثة بلا فرق بينهما على وجه التقريب . وما عدم لحاق الفضائل بالعقل من حيث الابتكار والتطبيق إلا دليل على مانذهب اليه .

ثم نسائله : هل حدد معقول الفضيلة لنعرف ماهي النفوس الفاضلة ؟ ونسائله . هل وقوع (الجدال فى النظريات) غير كاف لان يستتبعه وقوع الجدال فى العمليات ؟ وأين هم (الاخيار) الذين اتبعوا في الحياة طريقا بعينها ؟ فان توحيد سلوك الناس الاخيار يقتضى أن يتناول ذلك حتى خطرات نفوسهم وجرائمهم الفكرية . فهل معرفة هذا الامر مستطاعة في الحقيقة ، وان دل الظاهر على وحدة السلوك عند الاخيار كما يقول سانتهيلير ، مادام يعتقد أن علم الاخلاق كائن في

تضاعيف الفطرة أى أنه عبارة عن درس الطبيعة الكامنة للنفس ؛ وأن هذا الدرس لن يتيسر الا بدرس ظواهر السلوك ؟ !!!

اللهم ان كان علم الأخلاق هو أثبت العلوم الانسانية وأشدها وضوحاً، وهو بعد على مايصفه هذا الكاتب، فانا ولاشك نقول على العلوم الانسانية السلام

فيلو يونس

اعجاز القرآن

أهدانا السيد مصطفى صادق الرافعي الطبعة الثالثة من كتابه اعجاز القرآن لنبدى فيها رأينا « كائناً ما كان الرأى »

وكانت « العصور » قد ملئت كلها للطبع فلم يتسع لنا الفراغ لأن نجيل فى الكتاب نظرة نقد تتفق ومكانة السيد الرافعى فى العلم والأدب ، تلك المكانة التى نقدرها له كل تقدير والتى هي عندنا حقيقة بكل اعجاب . على اننا سوف نبدى رأينـا في الكتاب فى مقال خاص ننشره فى « عصور » مايو المقبل وسنتناول الكلام فيه فى فكرة « المعجزة والاعجاز » من الناحية العقلية الفلسفية ، كما نبدى رأينا فى اعجاز القرآن وهل هو اعجاز مطلق أم اعجاز نسبى ، مقيساً بالكفاءة الانسانية .

ولقد كنت أود أن أبدى رأيى هذا فى مكان اختاره لى الاستاذ من الكتاب نفسه ، لولا أنى أعتقد أن رأيى لايتفق والغرض الذى طبع الكتاب من أجله هذه الطبعة ، فلم أبد عذرى ولم أكتب . أما اليوم فمجال القول واسع رحيب .

ولا أظن أنه يجدر بى فى هذا الموطن أن أترك القول في الكتاب عند هذا الحد . بل أذكر أن الرأى الدينى فى الشرق، وفي مصر على الأخص، قد انقسم الى قسمين هما بذاتهما القسمان الذين انقسم اليهما الرأى العام في فرنسا وانجلترا خلال القرن الثامن عشر . وسيكون نقدنا للكتاب قائماً على هذه الناحية .

ولا جرم أننا نعتقد بعد هذا أن الكلام في مثل هذا الموضوع يمس الكثير من مشاعر الناس . غير أننا لانرى سبيلا لاجتلاء الحق الا الشجاعة على ابداء الرأى، وليقل بعد ذلك كل ناقد كلمته كيف يشاء وحيث يشاء .

النقد والتأليف

الاوبرا أردشير

رد على نقد

إلى ... محرر (العصور)

اطلعت على ما كتبته (العصور) الغراء نقداً للاوبرا (أردشير وحياة النفوس) وانى لمغتبط بهذه العناية الجدية التى توجهها مجلتكم الى النقد الحر. ومثل هذا النقد يكاد يكون معدوما فى مصر، فمن الواجب على كل أديب غيور على حرمة الادب أن يرحب به ويشجعه . ومن أجل هذا فانى اؤكد لكم ترحيبى به وأستزيد منه حضرة الكاتب الناقد ، وما أكتب هذه العجالة إلا لدفع سوء ظنه بى فقط، لأنى لا أريد أن يسيطر هذا الظن — وبعض الظن اثم — على تفكيره، فتكون النتيجة أن يذهب هذا بجمال بحثه النقدى ، فيقضى الغرض الشخصى على نزاهة الحكم وتضيع الفائدة .

ليثق حضرة النـاقد الفاضل أولا بأنى غير راض عن نفسى ، وثانياً بأنى لا أعرف الاعتداد بها إلا في موقف الدفاع فقط حينما أرى تحاملا على ، فاضطر الى المقارنة بين جهدى وجهد سواى، والشواهد على هذا كثيرة، فلو أحسن حضرة الناقد ظنه بى لوجد أن ما يعيبه على حسنة أحمد عليها ، ولوجد أن المقصود بتلك الفصول التحليلية في كتبى ليس التقريظ بالذات — فهى لا تخلو من نقد بل من نقد شديد أحيانا — وانما المقصود عرض دراسة جديدة للادب، بغض النظر عن قيمة تلك الدراسة ، وما عاوننى أى أديب بشبه دعوة الى تقريظ بل بدعوة الى دراسة نقدية حرة، فكان الاجدر بحضرة الناقد أن يوجه لومه الى أولئك الكتاب على ما لا يرضيه من كتاباتهم بدل توجيهه الى. وانى أوافق حضرته على أن هذه الكتابة لا تزيدنى قدرا بمثقال ذرة ، ولكنها لا تنقص من شأنى ، إذ أن المقصود منها كما ذكرت تشجيع البحث النقدى والتحليلي، فهى حرية إذن بالتشجيع بدل المؤاخذة

وهي في الواقع مشكورة عند كثيرين من الادباء في الاقطار العربية ويرحب بها الادباء المستشرقون على الاخص ويعتبرونها جزءاً متمما للتأليف.

لو تخلى حضرة الناقد عن هذا الظن الذى لا تبرره الشواهد — لا سيا وان أسقم الاذواق لا يقبل نشر مقالات تقريظية بهذه الصورة المنتظمة رغبة في التقريظ — لا لتفت الى الجوهر فأفادنا بملاحظاته النقدية عنه. فبدل أن ينقل شيئا من تقدير الاستاذ سعيد ابراهيم معرضا به كان في وسعه مثلا نقل ما كتبه حضرة الكاتب المذكور من نقد صريح وكان من المفيد أن يقول لنا رأيه في هذا النقد. فتصرفه هذا تحيز ظاهر يعاب غاية، ولو فرضنا أن نقده صحيح لما كان نقدا أدبيا بل لكان نقدا خلقياً بحتاً، وعلى هذا فانى أشكره على محاولة تأديبي وتهذيبي ..

وهذه الاوبرا (أردشير)— التي هي موضوع النقد — تنحصر مقدماتها فى ما يأتى : (١) كلمة تصدير(٢)مقدمة الكتاب وفيها نقد مفيد للرواية(٣)فصل فى تلحين الاوبرا (٤) موضوع القصة ، ويتبع ذلك بيان موجز عن أشخاص القصة ونسق التمثيل . فكيف يكون هذا داعياً للوم بدل التحبيذ والتشجيع حتى تصبح مثل هذه الشروح مألوفة فى التآليف الادبيـة العصرية ؟ وهل لا يكون النقد نقدا إلا اذا تجرد كل التجرد من التقريظ ؟! وهل التقريظ التحليلي فى ذاته — وان يكن خطأ — عديم الفائدة الادبية ؟ ان ضياع الحبر والورق انمـا يكون في الكتابة المبهمة ، وفى القديم المعاد الذى شبعنا منه ، وفى محاولة تشويه الحقائق الناطقة . فما بال حضرة الناقد ينسى اولئك الذين يعيشون للشهرة والشهرة فقط ويحاولون تسخير الصحافة لمآلهم واهوائهم .

اذا صح أن حضرة الناقد الفاضـل متضلع من الادب الاوروبى عامة كما أحسب فمن الغريب جدا ان ينكر على أخيلة ومعانى انتظر من مثله تقديرها ، وان لم أنتظر ذلك ممن اقتصر محصولهم الادبى على الشعر والنثر العربى. على أن هذه مسـألة روحية وذوقية فلا تحتمل المناقشة كثيرا، وانما الذى اعترض عليه باسما هو تحدثه عما يسميه حشوا أو تفككا فى نظمى ، لان مثل هذا النقد جدير بسواى، فهو على عكس طبعي تماما ، ونقيض مذهبي وغايتى .

واني دائما أعتبر التعيين في النقد محمدة وفائدة، فلننظر في المثل الذي ذكره حضرته كشاهد على صحة دعواه. فهذا الفصل الاول يبدأ بمنظر الايوان والعرش في قصر الملك السيف الاعظم شاه في شيراز؟ وقد انتظم كبار الحاشية سيدات ورجالا ملتفين الى مدخل الايوان لاستقبال الملك والملكة وولي العهد والوزير عن جانبي العرش ، وحينئذ تنشد الحاشية نشيد الاستقبال وفي مطلعه اشارة عامة الى الملوك والملكات ثم اشارة صريحة الى الملك ثم اشارة أخرى الى الملكة ثم تنويه بولي العهد فما ذكره حضرة الناقد انما هو الاشارة العامة في مستهل النشيد، فلماذا لم يعرضه كله — وهو غير طويل — لحكم القارىء ما دام يريد أن يعزز اتهامي بأني شغفت بالحشو والتفكك ؟ جاء في أول النشيد :

الجلال والسياده للملوك * الاكابر
والجمال والعباده لا الشكوك * للازاهر

فلو ترجمنا هذا حرفياً الى الانجليزية لكانت الترجمة مشعرة بان المقصود في هذا الموقف وفي هذه المناسبة انما هم الملوك العظام والملكات الحسان وما شق على أي أديب فهم كلمة (Doubts) وهي ترجمة «شكوك» بل لوجد فيها معنى شعريا دقيقاً فليقل إذن حضرة الناقد أن في نظمي روحاً أو روبية لا يرضى عنها وابهاما أو اغرابا لا يسره، وليقل ما شابه هذا النقد المقبول، واما تحدثه عن حشوي وتفكك نظمي فالاولى به السادة المحافظون خلفاء السلف الصالح ، فهم أعداء الاقتصاد اللفظي وأعداء الوحدة النظمية التي أحرص عليها بل أقدسها، وأغانيهم صانع مقلد لاشاعر مطبوع .

ومن العجب أن ما لا يفهمه حضرته يفهمه ويقدره أهل التمثيل الغنائي والملحنون ، ولا خلاف بيني وبينهم إلا في المسائل المادية فقط وفيما يأتي عادة من اعتبارات، وهذا لا صلة له بالادب.

إني لا أطلب جزاءً ولا شكوراً ، ولست في ضميري راضياً عن نفسي، وهذا ما يدفعني الى مواصلة العمل بحرية أسمى من أن هذا لا يجوز عند الذائق . فلعل أحسن حضرة الناقد ظنه بي وتخلى عن نفوره لما شوقناه أن يرى تمثيل العظيم في

هضم قصة طويلة شاقة كهذه ثم في وضعها وضعا فنياً بكل أمانة، بحيث لم أكن مؤلفاً وشاعراً فقط بل مخرجا فنياً أيضا، ولا درك مبلغ شغفي بالتجديد في الاوزان ومزج البحور ونصرة الشعر المرسل والشعر الحر، وكيف أن أوضاعي النظمية مساعدة على التلحين الاوروبي النزعة وملهمة الملحنينا بدليل اعترافهم أنفسهم بذلك وهذا نتيجة شغفي شخصياً بتلحين شعري أثناء نظمه . ولكن حضرة الناقد نسى أو تناسى هذه الحقائق بينما أعمل مستقلا في موضوع جديد لا مشق له في الادب العربي غير أني لا أقول في ذمة الادب جهدي، فلست من يعادي النقد العادل وان أسفت للتجاهل والتحامل، وتكفيني لذتي الفنية واخلاصي، ولن يكون سروري بانتاج غيري القيم بأقل من سروري بتوفيقي

الاسكندرية في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٨ احمد زكي ابو شادى

العصور — نتمنى أن يبلغ الاستاذ أبي شادى ذلك الشأو الذى يطلبه من وراء جهده ونجل فيه العمل لوجه الفن خالصا من كل الاغراض الاخرى. غير أننا مع هذا لا نجد في عباراته من برهان يقنعنا بعكس ما ذهبنا اليه في نقدنا الاول. فان كلمة « شكوك » في النشيد لم توضع إلا لمجرد «سد الفراغ» لاشيء غير هذا. ولا أدرى كيف يمكن أن يستقيم المعنى استقامة اتساق ذهني مع وجودها كعثرة في وسط الطريق المهودة. أما استدلاله بكلمة Doubts فاستدلال مع الفارق البعيد. لانه لا يستطيع مطلقا أن يثبت أن ما يدرك الانجليز من معاني مفرداتهم ادراك وجدان هو بذاته ما ندرك من الكلمات التي وضعناها لتقابلها في لغتنا. أما اذا كان هذا معنى التجديد عند الاستاذ، فاني ولا شك أكون أول المقتنعين بانه تجديد ولكن الى الهاوية . وليلاحظ الاستاذ دائماً أن نقل معنى من لغة الى لغة يجب أن يراعى فيه أصول اللغتين والمعاني التي تنطوى عليها مفرداتهما. فاننا اذا لم نراع الفروق الكائنة بين الاصول اللغوية ومشتقاتها ومعاني مفرداتها كما تقوم في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم وما تنقل من دقيق التعبيرات الوجدانية، لا المعاني الظاهرة وحدها، يكون تجديدنا أشبه الاشياء بنقل الروح من جسم الى جسم ، لا يؤمن استيحاشها منه ونفورها من تقاطيعه المستجدة عليها .

مصر الحديثة

قبل الاحتلال البريطاني وبعده

لعبد العزيز بدر

سامنى صاحب ومحرر العصور هذا الكتاب قائلا «هندسه» وبعد ما ألقيت نظرة على الغلاف ومرت عيناى على b.sc « هندسة» فهمت المقصود. وبما أن صاحب الكتاب اختصاصى فى فن صناعة الورق فلابد لى من أن ادلى بفرط اعجابى لذوقه الذى ظهر فى انتقاء الورق. كذلك يجب أن أضيف بان (المكنة) قامت بعملها خير قيام بنظام ونظافة

أخرجت الكتاب من جيبى وا كسبريس الفيوم يتحرك وغصت فى القراءة وانا اجهل اذا كان الذى استقله أو الذى اقرؤه هو الا كسبريس فقد حاول رئيس الجمعية المصرية بمنشستر (سابقا) أن يجمع شوارد تاريخ مصر من محمد على الى الآن فى أربع محاضرات وثلاث ملاحق بين غلاف و١٧٠ صفحة صغيرة انتهيت من قراءتها وقد وقف القطار على محطة «العياط»

ازلت العرق الذى تصبب من جبينى واذا بعينى قد وقعتا على جملة «ثمن النسخة «١٠ قروش صاغ» فحمدت الله لاننى لم أقترف جريمة شراء هذا الكتاب والا لكنت الآن مغمى على ولهذه المناسبة أقترح على الاطباء بحث ما اذا كان الكتاب يصح أن يكون (روشته) تجاب النعاس وأرجو أن لا يغضب الصديق فهو قد زود الآلة بمرجل (قزان) هائل دون أن يزودها (بصمام الامن) ص ١١٠ ولذلك وجب أن اخفف عن نفسى شيئا من النصب والعناء الذى سببها لى كتابه بنشر هذا «التقريظ»

وكما أنه لا يمكنك قراءة الكيلو مترات على جانبى السكة الحديد وأنت مسافر بالقطار السريع كذلك لا يمكنك الوقوف على أية وقائع معينة فى الكتاب ويظهر أن محاضر شعبة الجمعية المصرية بانجلترا وايرلندا لم يلق بنظره إلا الى كتاب مستر يلنت وكانت نظرته لهذا الكتاب سريعة واعتمد تمام الاعتماد على السمع ثم (فبرك) أرقاما تعزز آراءه، اذا شككت بصحتها فما عليك إلا الرجوع الى عهد محمد

على لمراجعتها والتثبت منها، ومن يدرى فربما يكون قد استغفل الحاضر مستمعيه من شعبة العمال بمنشستر وغيرهم وهم أعضاء حزب العمال باسره الذين شغفوا بتعرف الحقائق ؟ وها انا ابسط نتفا من هذه الحقائق للقارىء بامل أن يشغف هو ايضا بالوقوف عليها ويصدر حكم «علاج الامراض العقلية والمنطق والاقتصاد السياسى. لو بحثتم عن كل ذلك لوجدتم الدور الكبير الذى لعبه أجدادنا وأجداد أجدادنا» ص ٢٠

«لا يظنون أن مصر ليست سوى مصر التى قرأوا عنها القصص فى الانجيل؟ ص ٢١

«الذى شجع محمد على على الالتحاق بالجيش التركي علمه بانه سمين (قدقاما) ص ٢٨

«إلى حد أن الاسطول الانكليزى لم يتردد في صب قنابله على الميناء وتحطيمها بمجرد حدوث بعض القلاقل فيها على أثر نزاع وقع بين أحد الحمارين وأحد الرعايا الملطيين ص ٤٣ (ليس فى سنة ١٨٨٢ بل سنة ١٨٤١ عند ما أملى الحلفاء شروطهم المسماة بمعاهدة لندوا على محمد على)

«ان (محمد على) كملاء الدين؟ أو بالاحرى في طليعة كبار حكام عصره ص ٤٦

«نشر محمد على التعليم في طول البلاد وعرضها و بين سائر الطبقات ولم يقف عند هذا الحد بل جعله مجانا واجباريا ص ٤٦

«أعاد (محمد على) زراعة القطن في مصر...لم ينس أن زرع الغابات يغنى البلاد ووجه عناية تامة الى تربية المواشي...اعتاد أن يجىء بالاخصائيين من سائر أنحاء العالم لادارة المشروعات التى أنشأها ص ٥١

«ومن الاجحاف بمجد محمد علي و بمصر أن يقال ان حكومته كانت اوتوقراطية فان مشروعاته واصلاحاته قامت على قواعد دستورية ص ٥٤

«وفضلا عن ذلك فان (محمد على) لم يبرم أمراً إلا بعد استشارة اخصائه في الامر ص ٥٥

« فهؤلاء القوم (قدماء الفراعنة ١٣٨٠ ق.م)مع حذقهم ومهارتهم بدلا من

يصال البحرين مباشرة أوصلوها بواسطة قناة تفرعت من النيل الى البحر الاحمر وهو دليل على ادراكهم الخطر الذى يتهدد البلاد لوفعلوا غير ذلك ص٥٧ (وهذا يذكرنى بقول ظريف من أن دلسبس لم يعد فتح قناة الفراعنة خوفا من أن المياه المالحة التى تعلق بجوانب السفينة تجعل ماء النيل اجاجا)

« ثم انشأ (اسماعيل) على النيل نحو ٥٠٠ كبرى ص ٦١

« ان الصادرات زادت من ٠٠٠ر٧٠٠ر٤ جنيه فى عهد محمد على الى ٠٠٠ر٨٧٠ر٢١ في سنة ١٨٨٠ ص ٦٢ »

« ومد اسماعيل من خطوط السكة الحديدية ما طوله ٣٣ ميلا هذا عدا محاولته مد خط آخر يخترق افريقيا طوله ١١٠٠ ميلا ومع انه انفق على هذا المشروع الاخير ٠٠٠ر٤٠٠ جنيه لم يستطع اتمامه لنفقاته الهائلة ص٦٣ »

والخوف من أن «ابرجل» القارىء بهذه المعلومات الطريفة افضل الوقوف هنا خصوصا والقطار قد قارب الوصول الى الفيوم مدينة الفحم الابيض وحاول فكرى (الغير فنى) أن يتصور كيف يمكن الاستفادة من قوة المياه لادارة المحركات فعجزه وذلك لجهلى الشنيع بالهندسة. هذا من جهة ومن جهة أخرى لعدم اهتمام مهندسينا بدرس مواضيعهم والكتابة فيها. فهل يظن حضرة عبد العزيز بدر B.sc (هندسة) رئيس الجمعية المصرية بمانشستر (سابقا) اختصاصى فى فن صناعة الورق امام شعبة حزب العمال بمنشستر، ان كراسات تلامذة السنة الاولى الابتدائية لا تحوى حقائق تاريخية اطرف وأصح من حقائقه ؟

التهذيب فى اصول التعريب

للدكتور احمد عيسى بك ١٤٨ صحيفة من القطع الكبير

الكتاب فى مجموعه تحفة علمية تاريخية لا يستغنى عنها كل من يشتغل بالترجمة فى انحاء العالم العربى . فضلا عن المقدمات المستفيضة المحققة على احدث الطرق الحديثة ، ووفرة المصادر التى ذكرها مؤلف الكتاب ، وحسن التبويب وطلاوة الاسلوب ، تقع في آخر الكتاب على فصل طويل في قواعد التعريب وهى بالطبيعة

القواعد التي اتبعها العرب في تعريب الأسماء التي صادفتهم في درج ما نقلوا من كتب السريان واليونان.

على أن هذا الكتاب لا يعتبر في الحقيقة بحثا علميا لغويا لا غير، بل يعتبر انتصاراً لمبدأ الذين يقولون بوجوب التعريب. وهو مذهب لا نجد من حاجة لان نطنب في الكلام في اظهار حاجتنا اليه بعد أن أصبحت المصطلحات العلمية في كثير من العلوم لسانا عالميا اصطلح عليه ليكون الصلة بين المشتغلين بالعلوم في انحاء العالم. ولا مرية مطلقا في أن عكوفنا على طريقة الذين يقولون بالترجمة يبعدنا جهد البعد عن الاتصال بعالم من العلم كثرت فيه الاسماء الاصطلاحية كثرة لا يمكن أن تسعها لغة من لغات العالم مهما كثرت موادها الاصلية.

على اننا ان عجبنا لشيء فانما نعجب من أن مثل هذا الكتاب الذي يصح أن يتخذ قاعدة ينسج عليها المشتغلون بالترجمة، لم يذع بين الطبقات المتنورة من أهل العربية الذيوع اللائق بنبالة موضوعه ومكانة مؤلفه في الاشتغال بالابحاث اللغوية. ولا ندري لماذا لا يتخذ مثل هذا الكتاب مبدأ لدراسة الترجمة والتعريب ولماذا لا يتلقاه الطلاب لدى درسهم الترجمة الى اللغة العربية. فان ذلك ولا شك يزودهم بقوة كبرى يتغلبون بها على ما يصادفهم من مصاعب الترجمة اذا ما صادفتهم أسماء اصطلاحية في درج ما يعلقون على نقله الى العربية من المؤلفات الحديثة.

وقلما تجد في كتاب آخر من الكتب التي تصدى أصحابها الى الكلام في حركة النقل والترجمة منذ بداءة العصر العباسي من التحقيق ما تقع عليه من الصفحات التي أفردها المؤلف للكلام في أصل النقل عند العرب. فانه بدأ الكلام في موضعه الذي لا يجب أن يبدأ من غيره راجعاً مبدأ الامر الى الكلام في النزعات الكنسية التي أدت الى انفصال النساطرة واليعاقبة عن الكنيسة الرومانية. على أنه لم يقتصر على هذا بل تكلم في انفصال فئات أخرى غير تينك الفئتين. وهي فئات لم يكن لها من أثر كبير على حركة النقل والتعريب عند العرب.

ولا شبهة مطلقا في أننا اذا اتبعنا القواعد التي استنبطها المؤلف للتعريب

استطعنا أن نخرج في بعض سنين معاجم كبرى تتضمن أسماء الاعلام التي يقوم عليها العلم الحديث فى أوروبا .

* * *

القفص المهجور

تأليف يوسف غصوب فى ٩٦ صحيفة من القطع الكبير ، معتنى بطبعه عناية لم نرها فى غيره من دواوين الشعر

تقع فى الصحفة الثانية فى هذا الديوان على عنوان « من آثار المؤلف »وفي الصفحة الرابعة أن المؤلف يقدم هذه « النفثات الى النفوس الموحشة المتألمة». وكلا التعبيرين لايصح أن يقولها مؤلف فى كتاب له . ونود لو أن المؤلفين يقلعون عن هذه الصيغ التي لانرى لها من أثر فى المطبوعات الاجنبية ترفعاً بهذه الصناعة النبيلة عن أن يزل اصحابها مثل هذه الزلات

وللديوان ديباجة ومقدمه . اما الديباجة فقد عبر فيها كاتبها عما أحس من انفعال لدى قراءته الديوان . وهذا مالا نناقشه فيه لأنه جرى في نقده على قاعدة «سانت بيف» بل يكاد يذهب في جريه على هذه القاعدة الى حد المبالغة . وأما المقدمة فنأخذ على كاتبها رأنه في أنه يربأ بالمؤلف أن يكون احتذى مثل الافرنج الشعرية وعلى الأخص الفرنسويين . فقد ذكر للمؤلف قوله :

هذه غاية الأماني ! هلا رقدة في ظلالها بسلام
تتلاشى انفاسنا في هدوء دون ما حسرة ولا آلام
مثلما تفقد الزهور شذاها حائنات فى جنة الأحلام

وذكر للشاعر الفرنسوى « البيرسامان » قوله

Oh ! s'en aller sans violence,
S'évanouir sans qu'on y pense,
D'une suprême défaillance...
Silence.... Silence.... Silence

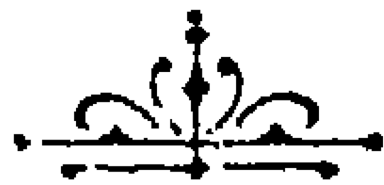
ظاناً أنه اذا برأ المؤلف من احتذاء هذه المثل يكون أعلى من قدره . وفي ظنى أن القدرة على النقل أو احتذاء المثل الشعرية بمثل هذا الاتقان فيالقيمة عن قرض الشعر عفواً بلا احتذاء للمثل الأجنبية . ولعمرى أن نقلا كهذا خير عندى من آلاف من القصائد التي لاتقع فيها الا على الفاظ لاترابط بينها ولا تؤلف من

معنى نأخذك روعته

أما الشعر فجيد على وجه عام وفيه من المعانى المبتكرة أو التى تقول تجاوزاً انها مبتكرة ، الشيء الكثير . غير أن في بعض مواضع من الشعر ضعفاً لا يتفق مع الروعة التى تجدها في مواضع أخرى . ولعل نفوس الشعراء ونزعاتهم اعقد الأشياء درساً وتحليلا

والديوان في مجموعه مثال لتلك النزعة التى نسميها نزعة التجديد ، فالأسلوب والمعانى حتى وعناوين القصائد مثل ناطق لهذه النزعة .

أما الصناعة فلا توافق بينها و بين صناعات القدماء . وكذلك مطالع القصائد فانها ليست من الروعة بقدر ماتتطلب الصناعات التى كان يكب عليها القدماء وهذا عندى نقص يجب اصلاحه فى شعراء « التجديد » لان للمطلع ذى الروعة أثر فى النفس لا يزول . وكم من قصيدة في الادب العربى كانت ولاشك تنسى وتموت لولا الروعة الكبيرة التى تقع عليها فى مطلعها وكان يعتبر ، ويجب أن يعتبر ، من الدعامات التى تقوم عليها هذه الصناعة



حديث فيلسوف

في الالحاد والايمان

وهو مثل من الامثلة العليا في المناقشة المهذبة التي تدور حول أجل الموضوعات وأدعاها للمباغضة انصرف بعدها المتحادثان على أصفى مايكون من الود .

بقلم ديدرو الفيلسوف الفرنسوي المعروف

قصدت المارشال . . . . في أمر فألفيته غائباً ، واستأذنت على المرشالة زوجته ، وهي امرأة فاضلة حسناء في تقوى الملائكة يتلألأ وجهها بشراً و إيناساً ، رخيمة الصوت ساذجة الحديث كانت في غرفة هندامها فجلست اليها ودار بيننا الحديث التالي ، لم تختف معه دهشتها لانها كانت تعتقد أن من ينكر الثالوث المقدس مجرم يستحق الشنق .

قالت المرشالة — ألست السيد كرودالي ؟

كرودالي — بلى ، ياسيدتي .

— إذاً أنت الذي لاتؤمن بشيء ؟

— أنا !

المارشالة — أراك في أدب المؤمن

كرودالي — ولم لا يكون ذلك ، إذا كان ذلك المؤمن رجلا فاضلا ؟

المارشالة — وهل تعنى بالوفاء لهذا الادب ؟

كرودالي — جهد استطاعتي .

المارشالة — كيف ! ألا تسرق ، ألا تقتل ، ألا تختلس ؟

كرودالي — نادر جداً .

المارشالة — إذاً فيم يفيدك عدم إيمانك ؟

كرودالي — لاشيء ياسيدتي

المارشالة . وهل يؤمن الانسان لامر يفيده ؟

المارشالة — لاأدري . لابأس بالفائدة في هذا العالم وفي العالم الآخر .

يحزنني الا أرى الناس خيراً مما هم عليه . ولكن ألا تسرق أبداً ؟

كرودالي — كلا . أقسم بشرفي .

المارشالة — اذا لم تكن لصاً ولا سفاحا فاعترف أنك على الاقل لست عاقلا

كرودالي — ولماذا ؟

المارشالة — اذا لم يكن لي ماأرجوه ولا ماأخشاه فلم أحرم نفسي ملاذ

الحيـاة . انى أعترف أنى « بصلاتى وتقواى » أقرض الله قرضا حسنا .

كرودالى — أنت واهمة .

المارشالة — ليس ذلك وهما انمـا هو حقيقة .

كرودالى — وهل يمكن أن أسالك ماهى الملاذ التى كنت تستبيحينها لو كنت غير مؤمنة .

المارشالة — لا . لا . هذا يدخل في باب الاعتراف .

كرودالى — أما أنا فلا أبقى على شىء .

المارشالة — ذلك شأن المسرفين .

كرودالى — هـل تفضلين أن أكون « مرابياً » ؟

المارشالة — نعم . ليقرض الانسان الله ماشاء : أنه لايؤثر على خزائنه . ولئن كان هذا لايدل على رقة فلاخطر منه . الا إن الغرض هو الوصول الى الجنة بأية وسيلة . فالواجب أن يعد الانسان لهـا نفسه ولا يهمل شيئا في سبيل نفعها . على أننا مهما قدمنا لاتـكون تقدماتنا سوى أشياء لاتذكر فى جانب ماننتظره . أما أنت فلا تنتظر شيئا ؟ .

كرودالي — لاشيء !

المارشالة — محزن جداً . يجب أن تقر معى اذن أنك أحد رجلين . أما شرير بالطبع واما معتوه .

كرودالى — الحقيقة أنى لا أستطيع الاعتراف بذلك ياسيدتى المارشالة .

المارشالة — ماذا يحمل الجاحد على الصلاح اذا لم يكن مجنونا ، أريد أن أعرف ذلك ؟

كرودالى — أقوله لك .

المارشالة — تجعلنى ممنونة .

كرودالى — ألا تعتقدين من الممكن أن يكون انسان ، حسن المولد ، طيب الارومة ، كريم الطبع ، يلذله عمل الخير ؟

المارشالة — أعتقد .

كرودالى — وأن يكون قد تربى تربية سامية قوت ميله الطبيعى الى الخير ؟

المارشالة — مؤكد .

كرودالى — وأن اختبارات الحياة أقنعت ذلك الانسان أن الافضل لسعادته فى هـذه الحياة على مافيها أن يكون كريما لاوغدا لئيما . ؟

المارشالة — كيف يمكن أن يكون كريم النفس وهنـاك مبادىء أثيمة تستميله باتحادها مع الاهواء الطبيعية الى الشر . ؟

كرودالى — ليس التعقل المطرد من طبيعة الانسان وهل هناك ظاهرة أكثر وضوحا من عدم التعقل المطرد .؟ أى اتباع التفكير المعقول ، نتيجة لاحكام العقل .

المارشالة — حقيقة يؤسف لها . قد يكون الانسان مؤمنا ويعمل عمل غير المؤمن .

كرودالى — وقد يعمل غير المؤمن عمل المؤمن .

المارشالة — حسن جدا ، وما يمنعه أن يتخذ الدين سببا لعمل الخير والالحاد سببا للبعد عن الشر .؟

كرودالى — لامانع ، اذا كان الدين سببا لعمل الخير والالحاد سببا لعمل الشر .

المارشالة — وهل في ذلك شك . أليست روح الدين هى مقاومة أهواء هذه الطبيعة الفاسدة . وروح الالحاد ترك الحبل على الغارب واطلاق النفس بلا خوف يعقلها .

كرودالى — سيجرنا هذا الى بحث طويل ياسيدتى المارشالة .

المارشالة — وما علينا في هذا . ان المارشال لايعود الآن وخير لنا أن نقضى الوقت في بحث معقول من أن نقضيه فى النيل من أعراض اخواننا .

كرودالى — اذا يجب أن نرجع بالموضوع الى أصله الاولى .

المارشالة — ابدأ من حيث شئت . المهم أن أفهم ماتقول .

كرودالى — اذا لم تفهمى ماأقول يكون الخطأ خطئى .

المارشالة — هذا تلطف منك . انما يجب أن تعلم أنى لم أطالع سوى كتاب الصلاة ولم أعن بغير قراءة الانجيل ورعاية أولادى .

كرودالى — واجبان أحسنت أداءهما .

المارشالة — أما الاولاد فانك ترى حولنا الان ستة . وسيكون السابع بين يدى قريبا . لنبدأ حديثنا .

كرودالى — هل يوجد ياسيدتى المارشالة فى هذه الدنيا خير لاضرر معه؟

المارشالة — كلا .

كرودالى — وهل يوجد شر لانفع معه؟

المارشالة — كلا .

كرودالى — اذن ماهو الخير وماهو الشر فى عرفك؟

المارشالة — الخير مازادت حسناته

على سيئاته • والشر مازادت سيئاته على حسناته .

كرودللى ـ هل تتكرم سيدتى المارشالة بحفظ ماحددت به الخير والشر.

المارشالة ـ سأذكر ذلك . وهل تدعو عبارتى تحديدا ؟

كرودللى ـ نعم .

المارشاله ـ اذن هذه فلسفة ؟

كرودللى ـ فلسفة حسنة جدا .

المارشاله ـ وأنا أتفلسف .

كرودللى ـ اذن أنت معتقدة أن حسنات الدين أكثر من سيئاته ولذلك تدعينه خيرا ؟

المارشاله ـ نعم .

كرودللى ـ أما أنا فلا ريب عندى أن وكيل اشغالك يختلس من أموالك بعض الشيء عشية الفصح وغده وان الدين لايمنع صاحبه أن يأثم أحيانا كثيرة وقد يحسن في بعضها .

المارشاله ـ رويدا • رويدا .

كرودللى ـ هل تظنين أن ماأحدثته الديانات من الويلات فيما مضى وما ستحدثه في المستقبل يوازى تلك الحسنات التى لاتذكر؟ اذكرى أنها خلقت البغضاء والشحناء بين الامم ، فما من (مؤمن) لايتقرب الى الله ونبيه بقتل (من هو على غير دينه) . اذكرى أنها أشعلت الشقاق بين أهل البلد الواحد اشتعالا لم تطفئه سوى الدماء . وفي تاريخنا الحديث مالا يحصى من العبر المشؤومة. اذكرى أنهاأوقعت النفرة بين الوطنيين وبين أبناء الاسر والاقرباء ولقد قال المسيح أنه جاء ليفرق بين الزوج وزوجته والام وأبنائها ، وبين الاخ وأخته . وبين الصديق وصديقه. ومن المحزن أن نبوءته قد تمت على الوجه الاكمل .

المارشاله ـ هذا سوء استخدام الامر . لا الامر ذاته .

كرودللى ـ هذا هو الامر ذاته مادامت السيئات من لوازمه .

المارشاله ـ وكيف تقنعنى أن سيئات الدين من لوازم الدين . ؟

كرودللى ـ سهل جدا . اذا أراد ألد أعداء الجنس البشرى الاضرار بهذا الجنس هل يستطيع أن يخترع لاذاته نكبة أدهي وأمر وأنكي من الايمان بذات لاتدرك ولم يوفق الناس الى أمر بشأنها،على أنهم يعلقون عليها مالا يعلقون على حياتهم من أهمية وخطر . ؟ اذن هل

يمكن الفصل بين القول بالله و بين عدم فهمه وتلك الاهمية العظمى ؟ .

المارشالة — كلا .

كرودللى — أترك لك استخراج النتيجة .

المارشالة — أستنتج أنها فكرة لها أثرها فى رأس المجانين .

كرودللى — يضاف إلى ذلك أن المجانين كانوا وسيكونون السواد الاعظم وأن شرهم من أذهبت الديانات بعقله وهم الذين يستخدمهم مزعجو الهيئة الاجتماعية كلما سنحت لهم الفرصة .

المارشالة — ولكن لا بد من رادع يخيف الناس ويمنعهم ارتكاب شر لا يناله عقاب القانون . وإذا هدمت الدين فماذا تقيم بدلا منه ؟

كرودللى — إذا لم يكن لدى ما أحله محل الدين فان زواله ينقص الاوهام وهماً خطراً ، اذا صرفنا النظر عن أن الآراء الدينية لم تكن فى عصر من العصور ولا بين أمة من الامم قوام الاخلاق القومية . أن الآلهة التى كان يعبدها اليونانيون والرومان، وهم أشرف الشعوب، لم تكن سوى أدنى مايكون من الشر . جوبتر الذى يستحق الحرق حياً . وفانوس الذى يجب أن يسجن ، ومارکو الذى يجب أن يحجر عليه فى مستشفى المجاذيب .

المارشالة — وهل يستوى عندك أن نكون مسيحيين أو وثنيين ولا نكون مسيحيين خيراً منا وثنيين ؟ .

كرودللى — هذا ماأحسبه . على أننا قد نكون ونحن وثنيين أكثر انشراحا . وأنعم بالا .

المارشالة — لا يمكن .

كرودللى — وهل يوجد مسيحيون؟ إنى لم أر منهم أحداً .

المارشالة — وتقول ذلك لى أنا ؟

كرودللى — لا لك أنت ياسيدتى انما أقوله لاحدى جاراتى التى هى سيدة فاضلة تقية مثلك . تعتقد باخلاص ، كما تعتقدين ، أنها مسيحية .

المارشالة — وأثبت لها أنها على خطأ ؟.

كرودللى — بابسط ما يكون .

— وكيف ؟

كرودللى — فتحت كتاب العهد الجديد وتلوت منه على مسمعها خطبة الجبل وأنا أسائلها عن كل عبارة : «أتفعلين ذلك ؟ وهذا ؟ وهذا

أيضاً . » واسترسلت فى التلاوة .كانت فوق تقواها حسناء ولم تكن تجهل ذلك. وكانت ناعمة البشرة ،لاتعلق أهمية على هذه النعمة ،الا أنها لم تكن تأبى سماع الثناء عليها وكان جيدها من أجمل مايكون ولكنها مع تأدبها وتواضعها لم تكن ترى بأساً أن تلفت اليه الابصار.

المارشالة — بشرط الا يتعدى ذلك زوجها .

كرودالى — أحسب أن زوجها يعرف ذلك أكثر من سواه . ولكن المرأة المسيحية جداً، لاتكتفى بذلك. ثم قلت لها ألم يرد فى الانجيل « من اشتهى امرأة قريبه فقد زنى بها فى قلبه . » ؟

المارشالة — وأجابتك نعم ؟

كرودالى — وقلت لها ألا أن الزنا عن طريق القلب يوجب هلاك صاحبه كالزنا بطريقة أخرى ؟

المارشاله — وكان جوابها نعم ؟

كرودالى — قلت اذا كان الرجل الذى يزنى فى قلبه هالكا . فما يكون نصيب المرأة التى تدعو كل من يدنو منها الى هذه الجريمة ؟ فاضطربت لهذا السؤال.

المارشالة — أفهم ، انها لم تكن تحكم ستر ذلك الجيد الجميل .

كرودالى — حقيقة . ولقد أجابت أن ذلك أمر عادى كما أن من العادى أيضاً أن يدعو الانسان نفسه مؤمنا وهو ليس كذلك . وأنه لايجب أن لاتلبس المرأة ثيابا تدعو للسخرية . وكأن من المعقول أن تقارن بين سخرية تافهة بالهلاك الابدى للرجل ولامرأة قريبة . وأنها تلبس ماتقدمه اليها الخياطة كأن الاستعاضة عنها ليس أكثر من مخالفة دينها . وأن تلك رغبة زوجها . كأن الزوج يبلغ به العته أن يكلف زوجته نسيان اللياقة والواجب . وأنه من المحتم على الزوجة المؤمنة أن تطيع جنون زوجها حتى فيما يخالف أوامر الله

المارشالة — كنت أتوقع سماع هذه المخالفات الطفيفة وربما قلتها لك كما قالتها جارتك . وعند ذلك أكون أنا وإياها ضنيعتى الايمان . ولكن ماذا فعلت جارتك بعد هذا اللوم ؟

كرودالى — كان غدهذه المحاورة يوم عيد فقابلت جارتى التقية الحسناء ذاهبة لحضور القداس .

المارشالة — فى ثوبها العادى ؟

كرودالى — في ثوبها العادى . ابتسمت وابتسمت ومررنا كتفا لكتف دون أن يكلم أحدنا الآخر . امرأة فاضلة ومؤمنة تقية . فما هو ياسيدتى المارشالة بعد هذا المثل والألف غيره ، التأثير الحقيقى للدين في الاخلاق ؟ لاشيء وهذا حسن .

المارشاله — كيف انه حسن ؟

كرودالى — نعم ياسيدتى ، لوخطر لعشرين الف من سكان باريس أن يسيروا طبقا لموعظة الجبل . . .

المارشالة — لوفعلوه لتسترت الاعناق الجيلة .

كرودالى — ولكثر عدد المجانين حتى يضيق رجال الشر بهم ذرعاً لان مستشفيات المجاذيب عندنا لاتكفى . يوجد في كتب الوحى طائفتان من المبادىء الادبية والاخلاقية . الاولى عامة ومعروفة بين جميع الامم والديانات ويسير الكل تقريباً على مقتضاها . والاخرى خاصة لكل أمة ومذهب ، يوعظ بها في الهياكل ، ويتحدث عنها فى البيوت ولا تتبع أبداً .

المارشالة — وماهي علة هذا التناقض ؟

كرودالى — علة ذلك أنه من المحال اخضاع شعب كامل لقوانين لا تلائم الا طائفة من المستائين الناقين استمدوها من خلقهم . ان مثل الديانات كمثل الانظمة « الديرية » التى تنتهى الى التراخى مع الزمن . جنون لايقوى على مقاومة الدوافع الطبيعية التى تخضعنا لسننها . اجعلى خير الفرد مرتبطا مع خير المجموع . بحيث لايضر الانسان المجتمع دون أن يضر نفسه . اضمنى للفضيلة جزاءها كما تضمنى للشر عقابه . افتحى للجدارة ، بلا تمييز بين الديانات والظروف ، أبواب الرقى . فلا تجدين من الاشرار الا عددا لا يذكر ممن فطروا على غرائز ضرورية تسوقهم الى الشر ولا عاصم لهم — ياسيدتى المارشالة . ان التجاريب قريبة جدا وجهنم بعيدة جدا . فلا تعتمدى على تشريع حكيم يسن من آرائه الشاذة قوانين لاتؤثر الا في الاطفال . تبقى الجرائم بمنزلة الكفارة عنها . لاتكلف المجرم سوى طلب العفو من الله عن جرم ارتكبه ضد انسان . وتشين الواجبات الطبيعية والادبية بالاستعاضة عنها بواجبات وهمية .

المارشالة — لاأفهم ماتقول .

كرودالى — أشرح لك ذلك . ولكن عربة المارشال جاءت لتحول بينى و بين كلمة طائشة .

المارشالة — قل . قل . كلمتك لن أسمعها لانى اعتدت ألا أسمع الا مايرضينى .

كرودالى — دنوت منها وهمست فى أذنها :

أسير الى الامام . أى الجريمتين أشد فحشاً ، تدنيس أثر دينى أو تشويه سمعة سيدة فاضلة . انه ليصيح بك عند سماع الجريمة الاولى بالنجاسة والدنس • وذلك القانون المدنى الذى لايكاد يهتم بتشويه السمعة . ويعاقب التدنيس بالقتل . ان هذا من شأنه أن يوقع الاضطراب في الاذهان ويفسد النفوس .

المارشالة — أعرف غير واحدة من النساء تحجم عن الافطار أيام الصوم ... أوشكت أقول أنا أيضاً كلتي. استمر .

كرودالى — سيدتى. لابد لى أن أحادث المارشال .

المارشالة — تمهل قليلا ثم نذهب معاً لمقابلته . انى لا أجد جوابا ولكنك لم تقنعنى •

كرودالى — لم أقصد قط الى إقناعك . إن الدين كالزواج. فالزواج الذى يشقى به الكثيرون جعلك أنت والمارشال سعداء، وخيراً فعلتما . كذلك الدين الذى خلق و يخلق وسيخلق كثيراً من الاشرار قوى فيك روح الفضيلة، فمن الخير أن تحرصى عليه •

لقد حسن لديك أن تتخيلى بجانبك وفوق رأسك ذاتا عظيمة قديرة تراك تمشين على الارض ، وهذا الفكر يثبت قدميك . فاستمرى ياسيدتى وأنعمى بهذا الحارس الجليل . بذلك الرقيب ، بتلك القدرة السامية .

المارشالة — كأنك لست مصابا بجنون اجتذاب الاتباع .

كرودالى — أبداً .

المارشالة — أكبر فيك ذلك .

كرودالى — انى أبيح لكل أن يفكر كما يريد على أن يتركنى الناس أفكر كما أريد . ان الذين تميل بهم فطرتهم الى التخلص من هذه الاوهام ليسوا فى حاجة الى من يرشدهم .

المارشالة — هل تعتقد أن الانسان يستغنى عن الاوهام ?

كرودالى — كلا ، مادام جاهلا ، جبانا .

المارشالة ـ اذا كان ولا بد من الاوهام فاوهاما خيراً من غيرها .

كرودالى ـ لا أظن ذلك .

المارشالة ـ قل الحق . ألا يسوؤك أن تكون « لاشيء » بعد موتك ؟

كرودالى ـ أفضل البقاء . على انى لا أعرف لماذا ذلك الخالق الذى أتعسنى بلا سبب ، لا يتلهى بفعلة ثانية .

المارشاله ـ بصرف النظر عن هذا ، اذا كان الامل فى حياة عتيدة يتراءى لك مغرياً ولطيفاً ، فلماذا تريد أن تنتزعه منا ؟

كرودالى ـ لا أمل في ذلك . لم يحملنى النزق الى هذه الكبرياء الفارغة ولكنى لا أنتزع هذا الامل من أحد . لو استطاع انسان أن يعتقد أنه سيرى بعد أن لا يكون له عيون . ويسمع بعد أن لا تكون له آذان . ويفتكر بعد أن لا تكون له رأس . ويحب بعد أن لا يكون له قلب . ويحس بعد أن لا تكون له مشاعر . ويوجد بعد أن لا يكون له وجود . وأن يكون شيئاً لا امتداد له ولا مكان ، فليفعل .

المارشالة ـ ولكن هذا العالم من خلقه ؟

كرودالى ـ أسألك عن ذلك .

المارشالة ـ الله .

كرودالى ـ ومن هو الله ؟

المارشالة ـ روح .

كرودالى ـ اذا كانت الروح تخلق المادة فلماذا لا تخلق المادة الروح ؟

المارشالة ـ ولماذا تخلقها ؟

كرودالى ـ ذلك لانى أراها تخلق كل يوم . هل تعتقدين أن للحيوانات أرواحا ؟

المارشالة ـ مؤكد .

كرودالى ـ وهل تستطيعين أن تقولى لى مثلا الى أى شيء تتحول روح افعى بيرو وهي تجف وتبقى معلقة في مدخنة عرضة للدخان سنتين متواليتين ؟

المارشالة ـ التحول الى ماتشاء ، ماذا يهمنى من هذا ؟

كرودالى ـ ذلك لان سيدتى المارشالة لا تعلم أن هذه الافعى التى تجف تبعث وتحيا .

المارشالة ـ لا أصدق ذلك .

كرودالى ـ ان « بوجه » وهو رجل ماهر يؤكد ذلك .

المارشالة ـ ان رجالك يكذب .

كرودالى — واذا كان على حق

المارشالة — اكتفى بالقول أن الحيوانات آلات ميكانيكية

كرودالى — والانسان، وما هو سوى حيوان اكثر اتقانا . ولكن ، جناب المارشال .

المارشالة — بقي لى سؤال واحد وهو الاخير . هل أنت مطمئن لعدم ايمانك

كرودالى — على أحسن ما يكون

المارشالة — واذا كنت مخدوعا .؟

كرودالى — اذا كنت مخدوعا؟

المارشالة — اذا كان كل ما تكذبه صحيحا وتكون من الهالكين . انه لامر فظيع جداً يا سيد كرودالى أن تكون من الهالكين فيكون جزاءك النار الابديه . وما أطول الابديه .

كرودالى — كان لافونتين يعتقد أننا سنكون هناك كالسمك في الماء

المارشالة — نعم . نعم . ولكن لافونتين رجع الى الجد في آخر أيامه وهناك انتظرك

كرودالى — لا استطيع الجواب على شيء متى ذهب عقلى . أما اذا مرضت مرضي الاخير بداء لا يمس رشدى فانك سترينني في ساعتى الاخيرة كما تريننى الان هادئا لا افزع لشيء

المارشالة — انى لاعجب لهذه الجرأة

كرودالى — أرى أعجب منها ، مريض مشرف على الموت يعتقد أنه سيقف امام قاض قاس يحصى عليه حتى خطرات وهمه . مقام يستولى الرعب فيه على اعدل الرجال خشية أن تخف موازينه . اعجب من أن يخير بين أن يفنى و يتلاشى و بين أن يعرض على تلك المحكمة ولا يختار الفناء هذا اذا لم يكن عديم الصواب كرفيق القديس برومو ، أو سكران من خمر الاعتقاد باستحقاقه مثل بوهولا

المارشالة — قرأت سيرة رفيق برومو ولكني لم اسمع شيئا عن بوهولا

كرودالى — ذلك يسوعي من اخوان «ينسك» فى ليتوانيا ترك عند موته علبة ملآى مالا وفيها خطاب كتبه وأمضاه بيده .

المارشالة — والخطاب ؟

كرودالى — فيه ما يأتى : أرجو الى زميلى العزيز الذى يستولى على هذه العلبة أن يفتحها عندما أجرى المعجزات و ينفق ما فيها من المال على الاحتفال « بتطويبى » ولقد اودعتها مذكرات حقيقية تثبت فضائلى وتكون عونا نافعا لمن يكتب سيرتى » .

المارشالة ـ مضحك جداً .

كرودالى ـ يضحكني أنا، أما أنت فإن آلهك لا يعرف مزاحاً .

المارشالة ـ صدقت

كرودالى ـ من السهل جدا أن يقع الانسان فى الخطيئة ضد شريعتك

المارشالة ـ اوافق

كرودالى ـ والعدالة التى تتحكم في محاكمتك صارمة جداً

المارشالة ـ حقيقة

كرودالى ـ ولو سمعت الى اقوال الفقهاء لرأيت المنتخبين قليلين جدا

المارشالة ـ لست ممن يعتقدون ذلك . انى اعرف المسيح فاديا وشفيعا

كرودالى ـ هل تحكمين بالهلاك على سقراط وقوسيون واريستيد وكاتون وتراجان ومارك اوريل ؟

المارشالة ـ لا يرى هذا سوى الوحوش الضارية . قال بولس الرسول سيحاكم كل انسان حسب شريعته وهو قول حق

كرودالى ـ وبأية شريعة يحاكم الملحد . ؟

المارشاله ـ هذه مسألة أخرى . ان مثلك مثل اولئك الذين اغمضوا عيونهم حتى لا يروا النور وسدوا آذانهم حتى لا يسمعوا صوت الحق الذى يخاطبهم .

كرودالى ـ لو كان لهم الخيار فى أن يؤمنوا أولا يؤمنوا فربما كانوا خير المؤمنين .

المارشارلة ـ لقد رأوا عجائب لو رآها سكان صور وصيدا لآمنوا

كرودالى ـ قد يكون اولئك أغبياء وهل يعاقب الاغبياء من خلقهم أغبياء ؟ لقد قصصت لك الآن قصة وأريد أن اروى لك أخرى عن فتى مكسيكي .... ولكن جناب المارشال .

المارشلة ـ أسأل اذا كان يمكن مقابلته . وماهي حكاية ذلك المكسيكي .

كرودالى ـ تعب ذلك الفتى من عمله فخرج يتنزه على حافة البحر فرأى لوحة طرفها في الماء والآخر على الشاطىء . جلس فوقها ومد بصره الى الافق الفسيح المتبسط امامه . وقال في نفسه « لا شك أن جدتي العجوز كانت تهذى فيما كانت ترويه ، عما لست اعلم من اناس ، ولا اعلم في أى زمن جاؤا هنا ، ولا اعلم من أى مكان ، وراء بحارنا هذه . ألا أرى البحر متصلا بالسماء ؟ هل يمكنني أن اعتقد عكس ما اشاهده . خرافة لا يعرف لها تاريخ ، فينسقها كل على هواه ، وما هي إلا نسيج حوادث غامضة

باطلة يتناهشون من أجلها القلوب و يسملون العيون ؟ و بينما هو غارق فى تأملاته كانت المياه تلاطم لوحته فنام . هبت الرياح وقذفت الامواج اللوحة الذى تمدد عليها فاذا بصاحبنا المفكر يسبح في اليم فوق لوحته.

المارشالة ـ للاسف هذه حالنا، كل على لوحته . تهب الرياح ثم تقذفنا الامواج

كرودالى ـ وما استيقظ إلا وهو بعيد عن اليابسة. فمن الذى اصابته الدهشة إذ رأى نفسه وسط البحار ؟ هو المكسيكي . ومن الذى زادت به الدهشة؟ هو بعينه ايضا اذ لم يعد يرى الشاطىء الذى كان يتنزه فوقه من برهة مضت . رأى البحر متصلا بالسماء من كل جانب. داخله الشك في أنه كان مخدوعا وان الرياح لو وقفت به هناك لاحتملته الى أرض بين اولئك السكان الذين كانت تحدثه عنهم جدته.

المارشالة ـــ لم تقل شيئا عن اضطرابه

كردوالى ـ لم يضطرب بل قال فى نفسه المهم ان أصل الى الشاطىء. لقد فكرت تفكير البلهاء . ليكن . ولكنى كنت مخلصا وهذا كل ما يطلب منى. «اذا لم يكن العقل من الفضل ففقدانه ليس جريمة» استمرت الرياح في هبوبها والرجل ولوحته طافيان ولاح الشاطىء المجهول ، فوصل وصعد اليه

المارشالة ـ سنتقابل يوما ما يا سيد كردوالى .

كردوالى ـ اتمنى ذلك ياسيدتى المرشالة وفى أى مكان سيكون من واجبى أن اتقرب اليك . ما غادر الفتى لوحته ووطىء الرمال حتى رأى الى جانبه شيخاً وقوراً ، سأله أين هو ومع من يتشرف بالتحدث . أجابه الشيخ أنا سيد هذه المملكة. هل انكرت وجودى؟ ـ حقيقة ـــ انى اعفو عنك لانى أرى اعماق القلوب وقرأت دخيلة قلبك فعلمت انك كنت صادق الضمير سليم النية. ولكن افكارك وأعمالك لم تكن بريئة؟ أخذ الشيخ الذى أمسك باذن الفتى يقص عليه جميع اخطاء حياته. والفتى ينحنى عند ذكر كل منها ويقرع صدره ويسأله الغفران . والآن اجعلى نفسك أيتها المرشالة مكان ذلك الشيخ وقولى ماذا كنت تعملين ؟ هل كنت تجتذبين ذلك الشاب من شعره وترضين بتعذيبه الى أبد الآبدين على الشاطىء

المرشالة ـــ كلا

كرودللي ـ واذا كان أحد ابنائك يعود اليك بعد هربه من البيت وارتكابه أفظع الجهالات ؟

المارشالة ـ أسرع اليه وأضمه بين ذراعي واغسله بدموعي ولكن والده المارشال لن يقابله بهذا اللطف.

كرودللي ـ ليس جناب المرشال نمراً

المارشالة ـ طبعا

كرودللي ـ قد يتمنع ولكنه يعود فيعفو

المارشالة ـ ولا شك

كردوللي ـ لاسيما اذا لاحظ أنه قبل أن يخلق هذا الفتى كان يعرف جميع تفاصيل حياته وأن لا فائدة من عقابه على اخطائه لا له ولا للمذنب ولا لاخوته

المارشالة ـ الشيخ والمرشال شخصان

كرودللي ـ تقولين ان المارشال افضل من الشيخ ؟

المارشالة ـ حاشا لله. أقول اذا كان العدل في نظري غيره في نظر المارشال فمن المحتمل أن يكون العدل في نظر المارشال غيره في نظر الشيخ .

كرودللي ـ انك يا سيدتي المارشالة لا تحسبين لنتيجة هذا الجواب حسابها. اذا لم تكن العدالة واحدة بالنسبة لك وللمارشال ولي وللشاب المكسيكي وللشيخ فلست أدري ماهي ولا أدري كيف يحسن الشاب أو يسيء .

هنا جاءنا الخادم يخبرنا أن جناب المارشال في انتظارنا فقدمت يدي الى المارشالة وهي تقول لي .

ان هذا لمما تضطرب له الرأس . أليس كذلك ؟

كرودللي ـ ولماذا ، مادامت سليمة ؟

المارشالة ـ وجملة القول يجب أن يسير الانسان كأن ذلك الشيخ موجوداً

كردوللي ـ حتى ولو كان غير موجود

المارشالة وان لا يعتمد على رحمته متى اعتقد بوجوده

كردوللي اذا لم يكن هذا ادخل في باب التأدب فانه اكثرضمانا

المارشالة ـ قل لي لو سألك الحكام عن مبادئك هل تقرها أمامهم

كرودللي ـ أعمل جهدي لاوفر عليهم ارتكاب فظيعة. المرشالة ـ نذل . واذا كنت على وشك الموت هل ترضى أن يحتفل بالصلاة عليك في الكنيسة؟

كرودللي ـ لا أتأخر عن ذلك

المرشالة . تبالك من نذل مراء

ترجمة ميخائيل بشاره داود

رجال الاعمال

تنشر مكتبة هانشت الباريسية مؤلفات قيمة عن رجال الاعمال تبسط مايتصل بكل منهم فى ايجاز وجلاء . وقد صدر من تلك المجموعة الثمينة طائفة صالحة عن السياسى . (البوليطيقى) والسياسى (الدبلوماطيقى) والفلاح . والصانع . والمالى . والمحامي الى غير ذلك . نقدم اليوم لحضرات القراء :

رجل السياسة الداخلية

السياسى

بقلم

لويس بارتو

السياسى الفرنسى المشهور

قال في مقدمته أن السياسى رجل عومى لايشغل منصباً بل يؤدى مهمة . فكل كلمة وكل حركة من حركاته وكلماته لاتخلو من رقيب ناقد حتى سكوته لا ينجيه من تأويل ، وهو لذلك غرض لآراء متضاربة وأحكام متفاوتة في الشدة واللين . على أنه مطالب على الدوام ان يقديم حسابه للجمهور . فهو وان سما مركزه وتراءى للناس سعيدا فقد أحس ويحس وسيحس معانى الخيبة والالم والنحس ، لذلك تراه جديرا أن يرثى له .

ثم أخذ في تعريف السياسى مبتدئا بعبارة أرسطو « إن الانسان حيوان سياسى » بمعنى أنه شديد الميل للائتلاف وأنه الوحيد من أنواع الحيوانات الذى ابتنى المدن وأقام الحكومات .

واذ كان لابد للحاكم أو السلطان من اعوان يعينونه في ادارة شئون البلاد اصطنع اناسا لينوبوا عنه ومن هذا نشأت السياسة الداخلية . ونشأ السياسى . وهو وطنى القيت اليه مقاليد الشئون العامة . ولذلك امتدت السياسة الى كل شيء وكل مكان وليس شأن السياسى شأن الناخب والمنتخب لان هذه حقوق تؤخذ أو تهمل اختيارا . اما هو فلا يستطيع التهاون في حقوقه . انه يعيش بها ولها .

وعلية يمكن تعريف السياسي بانه من يشتغل بالسياسة طبقا لاوامر قرارات البرلمان وهي شغله الشاغل

ودائرة السياسي اليوم،البرلمان والوزارة. وقد يتوهم البعض ان الروح السياسية وراثية ولكنها على التحقيق شهوة نفسية او هي كما يقولون شيء في الدم . فالسياسة هي شهوة الحكم تتقدمها الصناعة والإدارة . يحس صاحبها انها لزام حياته لا يبالي بما يعترضه في سبيلها من صعاب وآلام . وقد قال بعضهم انها كالحظاية «موضع حب وبغضى » ولن ترى أشد من السياسة هوى أعلق بنفس صاحبه

وقد يعلقها الشاب وهو طالب ثم يبدأ المران عليها في مجالس الاقاليم والبلديات فاذا كان يقظاً لطيف المعشر صادق الخدمة ذاعت شهرته وكثر أصحابه ومهد لنفسه الطريق الى البرلمان ، يتعرف الى أصحاب الامر من حاكم ومدير ومهندس ومراقب ويحتال لقضاء حاجات ناخبيه ..

وأكثر مايتوفر النجاح في الانتخابات النيابية هو للمحامين والاطباء لاتصالهم بالجمهور، هذا عن طريق الطب وما يسدى من المعروف والرحمة بالمرضى، وذلك بما يؤدى من الخدم لزبائنه. ومن هؤلاء تتكون عصبة الناخبين . على أن أبواب السياسة مفتوحة للجميع من كل صناعة وطبقة . من المحقق أن الشر قديم وأن هنالك أناس لايستحقون شيئا من الاحترام يحتالون لنيل تلك المناصب السامية يتخذونها مغنما لمطامعهم الذاتية ولا يبالون بالمصلحة العامة ولكنهم لايلبثون أن يفتضح أمرهم ، والخطأ في ذلك واقع على من يجبن أمام معترك الانتخابات من الاكفاء . يحجمون و بذلك يتركون المجال فسيحا لغيرهم ؛ فالواجب على من يغار على المصلحة العامة أن يتقدم في شجاعة الى المعركة وأن يعلم أن لاسبيل لبلوغ أمنيته بلا تعرض لصدمات القتال .

في البرلمان

قد يحدث غالبا بعد الحوادث الكبرى أن يقتحم المجلس كثير من الشباب الناهض القوى الصادق العزيمة فيكتسح كثيرا من مقاعد الشيوخ المحنكين وهنالك تصطدم حدة الشباب بخبرة الشيوخ فلا يسعد حال المجلس بل يتعطل

عمله . الى أن يكتسب حديثو العهد بالاعمال السياسية شيئا من الخبرة تعلمهم أسرار العمل النافع وتكسر من حدتهم وتقربهم الى الحقائق العملية . وقد يرجع الفضل في ذلك الى أن يضمهم المجلس من الخبراء والمختصين الذين هذبتهم الايام وعلمتهم التجاريب وشر ماتبلى به المجالس السياسية أن تنقسم على نفسها فلا يكون التنازع بين أعضائها تنافسا للاخذ بالاحسن بل يكون صراعاً يراد منه التناحر والفناء

العمل

بعد أن يجتاز النائب عقبات الانتخاب ومعاركه لاتسل عن سروره عند اجتيازه عتبة المجلس حيث أصبح نائبا وأصبح من رجل السياسة ، حيث يشعر بتهنئات اخوانه ونظرات بعض حساده . بعدها تبدأ مسألة اللجان التي يعرف منها مقدار منزلته ويتعرف تفاصيل ذلك النظام الداخلي ويحس أثر الاحزاب عليه ويشعر بواجبه نحو حزبه وما تقتضيه اللجنة التي انتخب فيها ويحس واجبه نحو المصلحة العامة ومقدار المسؤلية الملقاة على عاتقه ، وكيف ينظر الى المقترحات سواء من جانب الحكومة أو من جانب اللجان والنواب . مشاق لابد له من أن يتمرس بها فلا يفوته أن جمهور الامة سيحكم عليه بما يقول وما يلقى قوله من التوفيق أو الخذلان ولا يهم الجمهور شيء مما يدور بين جدران اللجان ومايعانيه من أحكام الاحزاب ولا مقدار مابذل من جهد إذا لم يكن نصيبه التوفيق . لذلك كان أول مايتطلع اليه النائب الجديد هو المنبر .

المنبر النيابي

إنّ تاريخ الامة النيابية هو تاريخ منبرها النيابي في كثير من الاحايين . ان المنبر هو الهيكل المقدس الذي يجب ألا يتقدم اليه الانسان الا وهو بين التهيب والايمان . ذلك أن الخطبة هنا عمل لا كلام فقط ، عمل له مسؤليته وخطورته فاذ أقدم عليه انسان بلا هيبة ولا تأثر ولا إيمان لايستطيع تحقيق غرضه . ان مثل الخطيب عند اعتلائه المنبر كمثل من ينزل الى البحر لابد من أن يسبح ولا بد من أن يصل الى الشاطيء . سواء بدأ عمله بين التصفيق أو الصفير ، ولا بأس عليه أن

يوفق أو لا يوفق المهم فى ذلك ان يكون صادق اليقين لا يكذب على سامعيه ولا على نفسه

من الخطباء من يقرأ خطبته مكتوبة ومنهم من يتلوها محفوظة ومنهم من يرتجلها ... على أن القراءة أكثر ماتكون مملة للسامعين لاسيما اذا رأوا أوراقها عديدة . غير أن بعض القارئين من الخطباء يحسن الآداء الى درجة لايشعر معها الحضور بسآمة . كذلك الحال فيمن يتلو خطبته المحفوظة اذا لم تعنه ذاكرة واعية وجأش ثابت فقد يضطرب عليه القول لاية حركة أو اعتراض يبدو من جانب السامعين ، ومن هؤلاء أيضاً من لاتؤثر فيه المعارضة فيستمرون فيمارسموا لانفسهم مطمئنين . أما الارتجال فأقل مايقال فيه أنه مخاطرة قد تعرض صاحبها للسخرية ولكن القاعدة في ذلك عند فحول الخطباء ألا يرتجلوا القول فى أمر اذا لم تكن لهم به معرفة سابقة ودرس عميق كأن اطلعوا على دقائقه وتعرفوا جميع نواحيه وكونوا لهم فيه رأيا خاصاً اعتقدوه الصحيح ؛ فى هذه الحالة فقط يصح الارتجال . وأما اذا كان الارتجال لمجرد الرغبة فى الكلام نكثيراً مايضيع على صاحبه قدره وان كان عظيما .

وسواء أكانت الخطابة كتابة أم حفظا أو ارتجالا فلا بد من أن يراعى فيها الشرائط الآتية .

أولا — لاتكثر من الاستشهادات ولا تعتذر عنها .

ثانياً — لاتكرر التأكيد بأنك صادق مخلص فيما تقول .

ثالثا — لاتقل لاأريد أن أكون وزيراً .

رابعاً — لاتنقطع الا عند ضرورة وبحكمة .

خامساً — لاتصغ للاعتراضات ولا تجاريب عليها الا اذا رأيت فيها مايفيد غرضك .

سادساً — لا تعل صوتك لتسكت الحضور . انتظر .

لايكون الاستشهاد نافعا الا اذا كان ضروريا وقد دل الاختبار أن المجلس يملّه لاسيما اذا كانت القراءة غير جلية أو كان الاستشهاد طويلا . ذلك لان المجلس

يصغى الى المتكلم الذى يحمل مسؤلية مايعرضه. واذا لم يكن بد من ذلك ، فعلى الخطيب أن يفصل بينها بشيء من الشرح يذهب عن السامع ملله • كذلك الحال في تلاوة الارقام ومن الملاحظ أن الاعتذار عن تلاوة شاهد لازم ، لايخلو من ضرر •

كذلك الصدق والامانة فانهما لازمين في المجلس لزومهما في كل أمر على أن لايلح الخطيب فى تكرار الشهادة لنفسه بها فقد يكون ذلك مدعاة للريب •

وما الفائدة من أن يقول النائب الخطيب أنه لايريد أن يكون وزيراً وهو حق من حقوقه • قد يتهم الوزير نائباً بالرغبة فى أن يحل محله ولكن ذلك لايدفع الحق • انما يجب أن يكون النقد خالصا للمنفعة العامة • فالمعارضة مشروعة في جميع المجالس النيابية •

ولا تكون المقاطعة الا اذا اقتضاها الحال لاصلاح خطأ أو ازالة سوء تفاهم. على أنها كثيرة الحدوث بين مقاعد الحكومة والخطيب وقد تغنى عن خطاب على أنها يجب أن تكون مقرونة بالحكمة متى كانت بين نائب ووزير أو بين نائب ونائب ومن لم يقاطع كان من حقه ألا يقاطع •

وقد يعرض المقاطع نفسه للسخرية وليس أدعى للحزن والاسف من أن يجعل النائب نفسه أضحوكة •

وقد لاتكون مندوحة عن الاجابة على مقاطعه وقد تكون الاجابة جادة صائبة يخرج منها الخطيب أقوى برهانا وأملك لنفوس سامعيه • كما انه فى بعض الاسئلة مالا يجد الخطيب معه جوابا لخفته أو شدته فخير له ألا يصغي اليه ويمضى في حديثه

لايظن الخطيب أنه بأعلاء صوته يسكت أصوات معارضيه . ان الضوضاء لاتسكن انما يخشى ان يفقد الخطيب صوته فالواجب فعله في هذه الحال ان ينتظر حتى تمر العاصفة

هذه خلاصة اختبارات سياسى عرك الحياة النيابية جعلها نصب عينيه واخذ نفسه بالمران عليها

هذا ولا بد من مراعاة قواعد اللغة واصولها في الكلام وان كان الكثيرون

من النواب لايميلون لذلك ولا يفقهون الاساليب العالية في الخطابة فقد ادت مراعاة هؤلاء الى شيء من الانحطاط في العبارة والاسلوب الا ان الحسن بل الواجب الا يغفل شأن اللغة في اكبر مجالسها

الوزارة ورئيس المجلس

ان الصراع النيابي جهاد غايته الوصول الى الحكم. هذه طبيعة الانسان، لم تغيرها النظامات. ففي دست الحكومة يتمكن الانسان من اجراء مايريده من الاصلاح وسن القوانين لذلك ترى النواب في حل من اتخاذ كل وسيلة اليها يمهدون لانفسهم السبل اليها سواء بالحيلة او الوساطة او الاصدقاء ، لذلك تجد الكثيرين ممن لم تدع لهم شهرة برلمانية أو اعمال معروفة قد زاحموا دست الوزارة

ولاتسل عن حالة المستوزرين عند تأليف وزارة جديدة. وكيف يتسابقون الى استرضاء الرئيس فقد تزدحم الطلبات عليه الى مايفوق اضعاف اضعاف العدد المطلوب كل يتوقع قبولا وكل ينتظر دقة التلفون. وكل يرقب عربة الرئيس أو احد رجاله وكم يكون أسف من يفوتهم الحظ شديداً، وكم يكون فرح الموفقين شديداً ، وكم يلازم هذه الحركات من مدارات وتمنيات وانتقادات وتمسك أحزاب وتسامح طلاب. الى غير ذلك

وأخيرا متى تشكلت الوزارة كان أول همها وضع البرنامج الوزارى، على أنه من أحكام العرف لا من الضروريات اللازمة. ان تأليف كل وزارة برنامج خاص فالاولى انتظار الاسئلة التى تستجلى بها الحال لا أن يقدم برنامج تصطنعه الحكمة والابهام. على ان خيره اقصره. وقد يقوم باعداده الرئيس وحده وقد يشترك فيه وقد يشترك فيه جميع الوزراء حيث يعمد كل وزير الى الافاضة فى شئون وزارته. غير أن الوحدة في وضعه خير من الشركة. وقد جرى العرف أن يتلو التصريح بالبرنامج الوزارى استجواب يتبعه اعلان الثقة لتوطيد قدم الوزارة. فقد يكون الوزراء موفقين في الاجابات فتستقر بهم مراكزهم كما يمكن أن يكون العكس. أما تمسك الوزراء ببعض وكلائهم بلقب «معالى الوزير» فقد اصبح امرا مألوفا

فى مجلس الوزراء

وفى مجلس الوزراء تنافش الإعمال كبيرها وصغيرها وتقرر مواقف الوزراء امام البرلمان عند المناقشة. كل يجرى على سجيته من لين أو شدة أو احتيال أو تقرب. ان الحكم تجربة خطرة ترى داخل دائرته الصعاب ونتائجها على غير ما ترى فى الخارج والنقد أيسر من العمل. لا توجد قواعد عامة ولا ضوابط أكيدة للحكم. الأمر في ذلك للزمن والظروف. فمهمة من يتولى الحكم هى في الغالب اختيار أهون الضررين ومتى عرض أمر ظهرت مصاعبه الخفية التى تكون الوزارة قد احتاطت لها من قبل وحسبت لها حسابها ومهما تكن المعارضة فليس من شأنها أن تغير ما استقر عليها رأى الوزارة فغاية الوزير ألا تميل به المعارضة حيث تميل، بل يقف لما اعتقد فيه المصلحة وقفة الثبات والعزم وما أسعد البلاد التى تجد في ظروفها العصيبة مثل هؤلاء الوزراء.

فلو حدث مثلا أن دولة موالية باتت في خطر يهدد كيانها وان العدو الذى يهاجمها قد يبعد فى مطامعه فيقابل الوزير بين خطر التدخل وخطر الامتناع واذا قرر هذا أو ذاك كانت مسئوليته جسيمة — اذا جاء حكمه خاطئا صبت على رأسه لعنات التاريخ. واذا جاء حكمه صائبا وانتهى التدخل مثلا بانقاذ الدول الصديقة وانقاذ المدنية، فقد أصبح من رجال التاريخ العظام وذاع صيته بين جميع الشعوب وعرف له الجميع فضله

قد يكون الوزير الوطنى إبان الحروب واخطارها صلب العود شديد المعارضة يعمل للنصر ويكلل النصر جهوده ولكنه قد يكون عند السلم غير بصير بفوائد بلاده العملية أو غير عليم بنفسية خصمه ينخدع لمكره فيعقد معه عهدا لا خير فيه وقد يكون عثرة لمن يلى الحكم بعده. على أن السياسى المحنك لا يعدم وسيلة لاصلاح الخطأ سواء بان يأخذ خصم البلاد بالشدة أو يضيع عليهما اراده من خداع

لا يعرف السياسى إلا عند العمل. حيث تكون كلماته قوة عاملة للمصلحة العامة. وهناك فرق بين الدعى أو الدساس و بين السياسى. كالفرق بين السياسة و بين الدسيسة. يعيش الدساس في ظل السياسة يستغلها لمصلحته ولا يرى خيرها إلا فيما

تجر عليه من كسب . هذا دأبه وان كان من الخطأ البين في عرف السياسة . قد ينخدع السياسي. أما الدساس فدأبه ان يخدع سواه . للسياسي اغراض وخطط ونظرات بعيدة، أما الدساس فليس له سوى وسائل . ذلك يستمد حياته وعمله من السياسة وهذا من الدسيسة . واذا كان بينهما من شبه فهو ان كلاهما مطبوع على المضي في طريق لا يصلح لسواها . وهذا لا يجيز لنا الخلط بينهما . لا بأس من ان يكون السياسي ماهرا وماكرا . ان المهارة والمكر من الصفات اللازمة للسياسي ولكن المهارة ليست هي الدسيسة ، ولا المكر هو الخبث والرياء.

على أنه من الاسف ان لا بد للسياسي من اولئك الدساسين يعمل هو في دائرة الواجب ، ويدفع بهم في المغامرات ، فلابد للوزراء من اللئام مهما حسنت نيات اولئك . فقد تعرض ظروف تجعل الحاجة اليهم ضرورية . ان الشرف والفضيلة والضمير صفات محترمة ولكنها قد تكون عديمة الفائدة . وقد قال « بوسيه » ان الفضيلة لا تصلح للاعمال . لابد من الملاينة لا كتساب رضى الجمهور . ليس الغرض من هذا تحبيذ اللؤم انما نقصد الى القول بان السياسة كلها ليست من صنع الفضلاء وحدهم . لابد من استخدام جماعة الدساسين بحذر وحكمة لاعطاء الامور سيرها المقصود . وقد عيب على بعضهم استخدام هذه الوسائل المعيبة فقال ليس لحكومة مهما شرفت ان تستغني عنها . لا يمكن ادارة حكومة الناس بالفضائل وحدها . من الطعام ما لا يطيب بلا توابل (بهار)

يعيبون على السياسي تبديل آرائه . يعدون ذلك عليه سيئة لا تغتفر والحقيقة ان تطورات الظروف وتقدم السياسي في اختبارات الحياة لا بد من ان يكشف له اليوم عما لم يره بالامس . يصح هذا في السياسة الداخلية كما يصح في السياسة الخارجية . يضاف الى ذلك ان المعارضة تنتقد ، اما الحكومة فشأنها العمل .

قال ميرابو ان رفعة الانسان ازمة تشفي ما به من امراض وتجتلب عليه سواها وليس الغرض امتداح التقلب والتغير انما الغرض تقرير حقيقة طبائع الاحوال وطبائع الناس . قال هيجو انك لا تمدح انسانا إذا قلت له انه لم يغير رأيه مدى اربعين سنة . لان ذلك معناه انه لم يستفد شيئا من اختبارات الايام وانه لم يمتحن

امكانها ولم يستطع أن يلائم بينها و بين الوقائع . فكأنك تمدح ماءاً اسنا أو شجرة ميتة، أو كأنك تفضل الحمار على النسر. ان الآراء بطبيعتها قابلة للتغير ولا شيء في السياسة مطلق ثابت .. وهل يصح في نظر العقلاء ان تتبدل الوقائع والظروف ولا يتبدل معها نظرنا اليها وكم سياسي كان نجاحه في اصلاح خطئه

هل يجب ان يكون السياسي متزوجا؟ هذه مسألة لها خطرها فقد تكون زوجة الوزير مشاطرة له آراءه وقد تكون على رأي آخر. وقد تميل الى حزب زوجها كما يمكن ان تكون حليفة مع سواه . وقد تكون شديدة التحمس لزوجها في سياسته أو محبة للظهور وقد تكون على العكس من ذلك وقد تكون من اللواتي لا يهمهن سوى اعمالهن البيتية عدا انها قد تكون عرضة لمظان السوء كذبا أو حقا . وقد يؤثر هذا في زوجها فالمسألة من الوجهة الحيوية خاضعة لما يماثلها شأن الوزير فيها شأن سواه . على ان الزواج من المسائل الطبيعية والسعيد من اسعده التوفيق .

وهناك تهمة اخرى تلصق بالسياسي وهي الخساسه او التسفل . وهذه ليست من العيوب التي يتفرد بها السياسي فقد يجرم الامام الديني ويختلس المالي ويخون المحامي او الطبيب ولكن ليس معنى هذا ان رجل الدين والمالية والمحاماة والطب كلهم فاسق دنيء . لا تخلو بلد ولا صناعة من الذين تنحدر بهم طبائعهم الى اسفل الدركات. وكفى الوزير فخرا ان يخرج من وزارته اقل ثروة من يوم دخولها

خارج البرلمان — ليس عمل السياسي محصورا في البرلمان وحده. فقد يكون حاكم اقليم (مديرا) حاذقا يحسن سياسة اقليمه ينهض فيه العلم والعمل و يدبر شئونه الاقتصادية ومجالسه البلدية على ما فيه السعادة والتقدم. كما يمكن أن يكون رسولا صالحا بين وطنه ودولة أخرى يقرب بينهما ويصل بين مصالحهما بما يفض من مشاكل و يوثق من روابط. كما يمكن أن يكون مفوضا حكيما يحسن القيام بما يعهد اليه من مهام. فالسياسي الحكيم الصادق أداة خير لبلاده ومورد حياة لسعادة وطنه.

السياسي والامل — على أن أهم ما يمتاز به السياسي الخبير هو انه لا يعرف لليأس معنى ولا لاخلاصه حد ولا لخدمته نهاية حتى النفس الاخير . والسياسي رغم كل عقبه وخيبة يؤمل . ويؤمل . ويؤمل

بنك مصر

ان من دواعي الغبطة لهذه المجلة أن تسطر بسرور خبر نجاح البنك في مدة السبع سنوات التي عاشها والاعلان عن تقدمه تقدماً سريعاً الامر الذي يثلج صدرأ . تنا النية . ويعزز أملنا في أن تقدمه للامام أخذ في الاسراع بخطى ثابتة بفضل جد رجالنا الاقتصاديين .

ان بنك مصر شاهد حي على امكان أخذ هذه الامة بأسباب الحضارة بفضل وجود أيد مدبرة قوية تعمل للصالح العام .

ولسنا في مجال الدعاية للشخصيات حتى كنا نسمى رجال مصر الماليين فرداً فرداً لاننا نعهد فيهم التواضع والعمل بسكون . بدأ البنك عمله خلال عام ١٩٢٠ برأس مال قدره ٨٠٫٠٠٠ جنيه مقسمة الى ٢٠٫٠٠٠ سهم قيمة الواحد ٤ جنيهات . ولم تبدأ سنة ١٩٢١ حتى زاد رأس المال ٩٥٫١٠٨ جنيها فاصبح ١٧٥٫١٠٨ جنيهاً ثم زاد ٢٥٫٤٢٠ جنيها وأصبح فى أول عام ١٩٢٢ ٢٠٠٫٥٢٨ جنيها وزاد خلال تلك السنة ٦٨٦٥٦ جنيها فكان رأس المال أول عام ١٩٢٣ يبلغ ٢٦٩٫١٨٤ جنيها ثم زاد خلال السنة المذكورة ٤٤٫٠٤٤ جنيها فبلغ أول عام ١٩٢٤ ٣١٣٫٢٢٨ جنيها وفي خلال تلك السنة أيضاً زاد ١٦١٫٦٩٦ وهو نصف رأس المال السابق فقفز مجموع رأس المال فى أول سنة ١٩٢٥ الى مايقرب من نصف مليون فبلغ ٤٧٤٫٩٢٤ جنيها وبلغت الاكتتابات مبلغاً كبيراً لعظم ثقة الناس فيه مدة تلك السنة فبلغت ٢٤٥٫٠٧٦ وبذلك صار رأس المال عام ١٩٢٦ مايقرب من ثلاثة أرباع المليون أى ٧٢٠٫٠٠٠ جنيها واكتفى مجلس الادارة بهذا المقدار مؤقتاً وانتبه الى تشجيع الصناعات المحلية وانشاء دار فخمة تليق بالبنك وتكون اعلاناً حياً عنه ولما تم لها ماأرادت طرحت ٢٨٠٫٠٠٠ جنيها للاكتتاب سنة ١٩٢٦ فغطاها المصريون في مدة وجيزة وبذلك أصبح رأس مال البنك مليونا واحدا من الجنيهات الان وانا ننتظر بفارغ الصبر أن الملايين الثلاثة المقررة كرأس مال للبنك تغطى فى أقرب فرصة حتى يقوم باكثر مما يقوم به في الوقت الحاضر من الواجبات . وكل من له صلة بالبنك يشعر بمقدار الفائدة

التى عادت على الامة من وجوده خصوصا في تفريج أزمة القطن . هذا بخلاف المشروعات الاقتصادية التى أنشأها وشجعها . ونظرة بسيطة تلقيها الى بيان صافي أرباح البنك فى المدة من آخر ١٩٢٠ الى آخر سنة ١٩٢٧ تقنعك بأن البنك يخطو خطوات واسعة فلنسبة هى كالآتى : ٣ و١٣ و٣٠ و٦٣ و٨٦ و١٠٨ و١١٨ و١٣٦ الف من الجنيهات اذ بلغت الارباح ٣٢٤٩ جنيها آخر سنة ١٩٢٠ و١٣٥٧٢ جنيها آخر العام الماضى

أما ثقة المتعاملين به فتتضح للقارىء من مقارنته ازدياد الودائع فيه فقد كانت ٩٦٠ر٢٠٠ عام ١٩٢٠ وأخذت تزداد كالآتى ٤٠٥ ر ٤٠٥ و٢١٧ر ٩٨١ و٣٥٥ر١٧٦٩ و٩٥٣ر٦٢٣ر٢ و٩١٩ر٣١٨٩ و٧٠٧ ر٤٢٤ر٢ وأخيرا وصلت الى ٨١٥ر٥١٧ر٥ جنيها فى عام ١٩٢٧ أى خمسة ملايين ونصف وكانت السلف والاعتمادات سنة ١٩٢٠ تبلغ ٦٥٠ر٨٥ جنيها فاخذت تزداد كالآتى ٥٦٩ر٢٥٣ و ١٩٠ر٦٥٣ و ٢١٧ر٨٦١ و ٨٢٤ر٦٢٢ر١ و ٣٠٤ر٤٢١ر٢ و٤١٨ر٧٨٦ر٢ الى أن وصلت الى ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون عام ١٩٢٧ أو بالضبط ٦٦٢ر ٧٥١ر٣ جنيها

أما المتعاملون مع البنك فكانوا ٤٩٢ عام ١٩٢٠ فاخذوا في الازدياد الى ١٧١٧ و ٥١١٤ و ٨٧٠٥ و ٧٩٥ر١٢ و ٧١٠ر١٧ و ٦٨٠ر٢٣ وفي سنة ١٩٢٧ بلغت الحسابات الجارية ٣٣٥ر٢٩ حسابا

واذا تابعنا قيم املاكه وعقاراته نجدها ارتفعت من ٠٧٠ر١٢ عام ١٩٢٠ الى ٠٧٨ر ٣٧ عام ١٩٢٤ الى ٣٠٢ر١١١ وعام ١٩٢٥ و وصلت سنة ١٢٩٧ الى ٦٠٣ر٢٧٦ جنيها

وقد استورد البنك من الاثاث خلال هـذه المدة بمبلغ ٦٨١٧٤ جنيها استهلك من ثمنها ٤٨٨م و٣٣٦٣١ج أى النصف تقريبا

وورد الى شونه ١٦٥٤ بالة من القطن الشعر عام ١٩٢٠ ثم أخذ الوارد بالازدياد على مر السنين كالآتى ٤٧١٩ و١٥١٠٨ و٢٥٢٣٩ و٣١٠٣٣ و٤٩٣٢٨ و٧٧٩١٠ واخيرا عام ١٩٢٧ بلغ الوارد ١٠٧٥٨٢ بالة وابتداء من سنة ١٩٢٢ أخذ

ترد قطن الزهر الى شون البنك وأول رقم هو ٢١٥٤٣ كيسا وازداد كالآتى ٣٧٨٤٥ و ٨٤٣٥٢ و ٨٧٩٢٢ و ٦٣٦٤٦ و ٤٧١٧١ كيسا سنة ١٩٢٧ وفى ١٩٢٥ بدأ القطن الزهر يورد للمحالج باسم البنك فبدأب السكية بأكياس عددها ٣٦٣٥٢٢ ثم ٦٣٥٧٤٣ و ٧٧٥٤١٠ كيسا فكأن حركة الورود فى آخر السنة الماضية هى ٨٢٢٥٨١ كيسا و ١٠٧٥٨٢ بالة أى ان البنك تعادل سنة ١٩٢٧ بما يقرب من مليونى قنطار أى ثلث المحصول المصرى تقريبا فى تلك السنة

والبنك احتياطى قانونى كان ٩٧٢م و ١٦٢٢ج سنة ١٩٢١ فاخذ في الازدياد كالآتى ١١٣م و ٤٦٦٠ج و ٢٢٨م و ١٠٩١٢ج و ٩٩٧م و ١٩٥٤١ج و ٥٩٦م و ١١٢٨٧٩ج و ٣٦٩م و ١٢٤٥٣٤ج وفى سنة ١٩٢٧ بلغ ٦٥٥م و ٢٧٨٢٠١ جنيها وعندما سمحت ارباحه أخذ فى تكوين احتياطى ثانى له فبدأ سنة ١٩٢٢ بمبلغ ١٠٠٠ جنيه وازداد كالآتى ٢٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ وفي سنة ١٩٢٣ سمحت ارباحه الكبيرة بايجاد احتياطى ثالث أيضا بلغ تلك السنة ٢٠٠٠٠ جنيه وتزايد كالآتى ٥٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ و ١٠٥٠٠٠ و ١٤٠٠٠٠ وخصص هذا الاحتياطى للاستثمار فى انشاء الشركات الصناعية والتجارية

وقد بلغ عددها الآن سبعا هي شركة مصر لحلج وتجارة الأقطان شركة مصر لنسج الاقطان شركة مصر لنسج الحرير شركة مصر للنقل والملاحة شركة مصر لنسج الكتان شركة مصر لمصائد الأسماك وبالطبع اكتتب لها المصريون برؤوس أموال تقرب من مليونى جنيه اذا أضيف الى رأس مال البنك واحتياطيه الذى بلغ في آخر سنة ١٩٢٧ ٨٣٣ و ٥١٣ جنيها وصل الى ٣٥٠٠٠٠٠ خلقها البنك من العدم واستثمرها لصالح المصريين سواء كانوا معطين أو آخذين

وفى هذه السنة ١٩٢٨ فتح البنك فرعاً خصصه للتوفير ومع ان مدة ثلاثة اشهر لم تنته عليه منذ تأسيسه بلغت دفاتر التوفير المأخوذة منه ١٠٠٠٠ دفتر تقريبا وسيزداد الاقبال على هذا الفرع ازديادا سريعا كما هو المشاهد

والبنك ما يقرب من العشرين فرعا ومكتبا موزعة في انحاء القطر وهو مجد في نشاء غيرها

وكذلك سعى سنة ١٩٢٧ فى انشاء بنك شقيق له في فرنسا باسم « بنك مصر – فرنسا »
وقد أخذ هذا البنك الشقيق فى السيطرة رويدا رويدا على التجارة المصرية الفرنسية
وقد بشر مجلس الادارة أعضاء الجمعية العمومية بانه سينشىء بنكا شقيقا له أيضا فى انجلترا
وسيكون مركزه في لندره أما في مدينة منشستر فسيوجد فرع للبنك الشقيق المذكور
و بهذا سيغزو البنك أيضا ساحة التجارة المصرية البريطانية و يحاول الهيمنة على تجارة
القطن فتخف نكباته لدرجة كبيرة

وهل بعد هذه البيانات نجد لدينا مجالا للتشدق مفاخرين حين أن الارقام
المذكورة تنطق لذاتها دون أن نترك مجالا للاعتقاد بأن هناك مغالاة فى المدح الذى
نحب أن نسطره من عندياتنا

حقيقة أن بنك مصر خطوة كبيرة عملية نحو الاستقلال الصحيح الذى تعمل له
هذه البلد بكل ما فيها من جهد

و يجب أن نقول بأن سعر السهم الواحد في البورصه حين يكتب هذا المقال قد بلغ
٦٫٣٧٥م ج بعدما كان ٤ ج في سنة ١٩٢٠ اما الارباح التى توزعت فهى كالاتى ابتداء
من سنة ١٩٢١ : ــ ٢٠٠ و ٢٥٠ و ٣٠٠ و ٣٢٠ و ٣٣٠ و ٣٤٠ وقرر صرف ٣٥٠ مليما ارباحا على
السهم الواحد عن سنة ١٩٢٧ و بمعنى اخر أن الذى اشترى السهم بار بعة جنيهات عام
١٩٢٠ استلم ٢٫٠٩٠ مليما ارباحا فى السنوات السبع الماضية أى بمتوسط ٣٠٠ مليما في السنة
أى ٧ ونصف في المائة ربحا سنويا في المتوسط ذلك خلاف ٢٫٢٧٥ هو فرق ثمن السهم
فى الوقت الحاضر من ثمنه الاساسى عند الشراء

ع . ع .

بين الصحف والمجلات

السياسة الاسبوعية

(١) « رجال التاريخ المصرى الحديث لكاتب كبير »

اظن ان المقال المعنون جرجى زيدان ليس الا اكثر من دسيسة للمدرسة القديمة ضد المدرسة الجديدة التى تعان السياسة الاسبوعية أنها تنطق بلسانها. وكيف لا يكون هذا المقال دسيسة وقد نشر الكاتب الكبير في جريدة تحاول ان تكون منطقية جهدها قصة نحى فيها منحى قصص الزير وعنترة الى آخر ماجادت به القرائح القديمة؟

أظن أن القارىء قد قرأ ما كان يفعله كل من عنترة والزير وغيرهما من اعمال البطولة الخارقة كقتل الف بضربة سيف واحدة وكتشتيت شمل جيش كبير بصرخة واحدة. ولكن الكاتب الكبير لم ينح هذا المنحى لانه ولله الحمد لم يكتب عن البارودى والسر هنك، ولكنه كتب عن عالم صحافى اديب ولذلك نحى منحى آخر

الم تقرأ عن ذلك الذى كان يسمع القصيدة المكونة من الف بيت مرة واحدة فلا يلبث حتى يعيدها بالحرف ؟ الم تسمع قصة الذى كان يحفظ الف الف قصيدة لا تنقص ابيات احداها عن الف بيت كلها من روى وقافية واحدة ؟ الم تسمع ان السموأل كان يرتجل كذا ، الامر الذى نراه مسطرا امامنا بنصه في هذا اليوم، ومع ذلك ننكر ان فن الاختزال كان مجهولا في عهد السموأل؟

ان مترجم جرجى زيدان قد نحى هذا المنحى الاخير وهل هنالك شك في انه لاجل اثبات ان جرجى زيدان كان من رجال التاريخ المصرى يجب ان يكون اسطورة مملوءة بالخرافات والمغالاة ؟ واذا لم تصدق فاعلم ان المرحوم « نشأ اميا واخذ مبادىء العلوم ولكن الاحوال ارغمته على هجر المدرسة صغيرا لمساعدة ابيه وهو لا يزال

في الثانية عشرة من عمره اليس معنى هذا انه قد الم بمبادىء الكتابة والقراءة ومبادىء الحساب ؟ الى هنا لا انتقاد لى على هذا التاريخ . ولكن أقرأ « درس اللغة الانجليزية في احدى المدارس الليلية في مدة لم تزد على الخمسة الاشهر وفي أثناء درسه لتلك اللغة ليلا كان يقوم بعمله طول النهار و بعض ليله وكانت أكثر أوقات درسه في الهزيع الاخير من الليل اذ لم يكن يعرف التعب ولا يكل من العمل وكثيراً ما كان يصل اناء الليل باطراف النهار ويكتب مقالة أو يدرس معضلة أو يراجع كتابا »

فهل المقصود من درس اللغة الانجليزية في مدة لم تزد على الخمسة الاشهر انه الم بمبادئها كما هو المعقول ؟ اذا كان الامر كذلك لم يكن هناك داع لذكر ذلك . ويظهر لى انها وضعت قصدا لكي يظن القارىء الساذج ان المرحوم اصبح انجليزيا بعد دراسة « اللغة المذكورة في أقل من خمسة أشهر » أليس ذلك هو يشايعه بشاعة قول الكاتب الكبير ان المرحوم لم يكن يعرف التعب وكثيراما كان يصل اناء الليل باطراف النهار . فهل يعني بهذا أنه قد صب في قالب غير قالب الناس ؟

كذلك درس المرحوم « العلوم الاعدادية كلها على احد اصدقائه في نحو شهرين ونصف شهر . واذا وقف القارىء على معنى « العلوم الاعدادية كلها » لهز رأسه استغرابا . فهل من المعقول ان رجلا ملما بمبادىء الكتابة والقراءة ومبادىء الحساب يمكنه درس برنامج شهادة الدراسة الثانوية للقسم العلمى (أو اكثر من هذا البرنامج) في خلال شهرين ونصف لا اكثر بدلا من ثمانية (أو ست سنوات) بالاقل ؟ أو بمعنى آخر انه اتم برنامج الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وطبقات الارض وعلم الصحة ووظائف الاعضاء والتاريخ قديمه وحديثه مطولا والجغرافيا الطبيعية والسياسية بالتطويل خلاف ثلاثة لغات ، كل ذلك في شهرين ونصف لا اكثر . اليس معنى هذا بالغه سهله ان المرحوم كان لا يلبث ان يلقى نظره على صفحتى كتاب الطبيعة أو الكيمياء أو ... أو حتى تطبع الكلمات في ذاكرته ؟ واني اقسم ان عملية أخذ محتويات الكتب المقررة للقسم الاعدادى بآلة التصوير الشمسى تحتاج الى اكثر من

شهرين ونصف لنقلها وتثبيتها . قضى المرحوم ١٨٠٠ ساعة فى اثناء دراسته البرنامج . فلو سلمنا انه كان يصل « اناء الليل باطراف النهار » فى الدرس دون ان يغفو أو يأكل أو يتنزه أو يقضى حاجة لوجب أن يدرس عشرين صفحة بين كيمياء وأدبيات لغة وطبيعة وحساب مثلثات فى الساعة دون ملل . فهل هذا ممكن ؟

أو بعد ذلك يمكن لاى كان أن يقول بان مقالة جرجى زيدان ليست دسيسة من المدرسة القديمة للمدرسة الجديدة ؟ الم يكن الا جدر ان يقال بان المرحوم ولد راكضا وان شاربه ظهر قبل ان يبلغ شهراً من عمره ، فقد يعد ذلك من الخوارق والمعجزات التى يجب ان تلازم رجال التاريخ الحديث كما كانت من لزوميات رجال التاريخ القديم ؟ ... ع

***

(٢) رجال التاريخ المصرى الحديث (فى عدد ٢٤ مارس الماضى)

نشرت السياسة الاسبوعية تحت هذا العنوان ، والظاهر انه عنوان رزىء مرتين فى عددين متوالين من السياسة الاسبوعية لسر لا يعلمه الا الله ، ما يأتى :

(٣) ملك هانم حفنى ناصف

باحثة البادية

على انها من (رجال) التاريخ المصرى الحديث . ولكن ليطمئن السيدات الفضليات فانا لا نريد أن نغتصب منهن نابغتهن الاولى ، فان كل (رجال) مصر يعرفون أنها من النابغات لا من النابغين ، ماعدا محرر السياسة الاسبوعية والله اعلم .

***

(٣) جامعة الكلية — بيروت — من مقال تحت عنوان النظرية العلمية وقيمتها من قلم ياسم أفندى فارس ب . ع . مدرس الطبيعيات فى كلية غوبرت بالقدس

لغة هذا المقال ضعيفة جدا بل وتستطيع ان تقول بأنه من الصعب ان يسيغ الباحث كثيراً من جمله • واذا تجاوزنا عن هذه المنقصة فى السياق فلا نستطيع

أن نتجاوز عنه فى تعريف يقصد به تحديد معقول ماتحديداً يقصد به تسهيل الفهم لما تقوم عليه القواعد الاولية . واليك مثال من ذلك . قال الكاتب لدى تحديد معنى « النظرية العلمية » .

« النظرية العلمية ماهي الا محاولة جمع ظواهر طبيعية ملاحظة تحت انظمة وقوانين عامة ربما كانت سببا لتفسير أو اكتشاف ظراهر أخرى غيرها ، أوماهى الا محاولة تقرير واسرار ظواهر مختلفة بكلمات وجمل مختصرة تعيننا عن وصف كل من تلك الظواهر على حدة » .

والظاهر لى ان الكاتب ترجم وأنه اساء الترجمة كما أساء فهم الاصل الذى ترجم عنه . ولاشبهة مطلقا في أن الاصل قد استعملت فيه كلمة Phenomena وترجمتها الحقيقية «ظاهرات» جمع ظاهرة . في حين ان الكاتب ذكر ظواهر وهى الترجمة التى اصطلح عليها لكلمة Appearances والسبب فى ماندهب اليه ان الفرق كبير بين الظواهر والظاهرات . فاذا قلت مثلا «الظواهر والحقائق» Appearaces and Realities فهمت من هذا ان الظواهر نقيض الحقائق واذا قلت ظاهرات الطبيعة Natural Phenomena فهمت ان لهذه الظاهرات « حقائق » ثابتة على الرغم من عجزنا عن تعليلها اذا اتفق ان عللها قد خفيت علينا .

وقال فى ص ١٧٨ : « ثم جاء كبلر و بسط قانونه أو نظريته فى مدة دوران السيارات حول الشمس ولم يكن يعلم حينذاك أن هنالك قانوناً عاماً لا يفسر حركة السيارات فحسب بل ينطوى تحته حركة الاجرام السماوية فنظرية كوبرنيكوس اقتصرت على القول بأن الارض والسيارات تدور من حول الشمس فى افلاك ، ونظرية « كبلر » كانت عبارة عن جمع كل الظواهر المشاهدة فى دوران السياراب فى افلاكها حول الشمس تحت قانون واحد ينبئنا بمدة دوران السيارات وأبعادها ، ونظرية « نيوتن » شملت ماعدا هذه الظواهر ظواهر أخرى كتجاذب الاجسام المختلفة من سماوية أو أرضية وحركة بقية النجوم . و بناء عليه فقد صح أن نأخذ بها ونترك قانون كبلر لانها أعم وأشمل اذ تضم عدداً من الظواهر الطبيعية أعظم »

وفي هذه الاسطر عدة أخطاء فاضحة . أقل مافيها انها توحي الى المبتدئين بوقائع تاريخية غير صحيحة ، فضلا عن الخطاء العلمي . فان من يقرأ هذه الاسطر يعتقد استنتاجا أن بين قوانين كبلر و بين نظرية نيوتن تناقضاً في الواقع ، واستنباطاً أن قوانين كبلر قد حاولت ان تنال ماتنالته نظرية نيوتن حتى تجوز المقابلة بين الاستكشافين ويجوز نقض أحدهما ورفضه وصحة الآخر ، في حين أن الحقيقة العلمية والتاريخية تؤدى الى عكس ذلك . فان كبلر لم يحاول مطلقا أن يعلل حركة السيارات حول الشمس ، بل عرف قوانين دورتها في افلاكها وهي قوانين رياضية صرفة بعيدة عن نظرية الجاذبية جهد البعد . وهل تعلم بماذا علل كبلر حركة السيارات حول الشمس واندفاعها في الفضاء معلقة في الأثير؟ جارى في ذلك الرأى السائد في زمانه فقال مع العوام بان لكل جرم ملك سماوى يحرسه وان السيارات ذوات حية ! لانه عجز عن تعليل الدورة . وهذا القول لايصح أن يكون فرضاً فما بالك بنظرية علمية . أما قوانين كبلر في الدورة — لا في سببها — فثلاثة من أبسط القوانين التي لاتزال ثابتة وستظل كذلك الى مالا نهاية لأنها كمبادىء اقليدس الاولية التي تبدأ بالقول بان « الكل مجموع أجزائه » واليك هذه القوانين :

أولا — تدور السيارات حول الشمس في افلاك اهليلجية الشمس ثابتة في احدى محترقيها (وكان المعتقد من قبل أن افلاك السيارات دوائر لا اهليلجات)

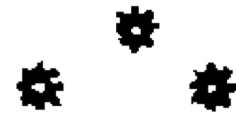
ثانيا — تقطع السيارات في دورتها حول الشمس مسافات متساوية في أزمنة متساوية . ولقد طبق هذه القاعدة على السيار الارضى أولا ثم قياسا على بقية السيارات .

ثالثا — أن مربع أزمان الدورة الفلكية الخاصة بأى سيار تكون دائما بنسبة مكعبات معدل البعد عن الشمس

ونشر هذه النتائج من كتابيه الذى نشر أولهما في سنة ١٦٠٩ وأسماه — De Motibus Stellae Martis وثانيهما حوالى سنة ١٦١٩ واسماه De Harmonice Mundi ولست تجد في هذه القوانين أى تناقض بينها و بين

استكشاف نيوتن . لان نيوتن علل الدورة التي كان يعتقد كبلر انها من فعل الملائكة في حين ان كبلر كان قد عرف قوانين هذه الدورة فكيف يمكن القول بأن نظرية نيوتن قد نقضت قانون كبلر ؟ وكيف يصح لغة وعلما أن نقارن بين نظرية وقانون ؟ والفرق بين الاصطلاحين علما ومعقولا ولغة شاسع بعيد ؟ انما تصح المقارنة بين نظريتين وقانونين وهكذا .

وانما تصح المقارنة في مثل هذا الموطن بين نظرية نيوتن ونظرية انشتين . فان انشتين نفى وجود الجاذبية ويعلل الدورة بما سماه «انحناء المكان» . والكلام في هذه النظرية يضطرنا الى التوسع الذي لا محل له هنا . على اننا نقصد بهذا ان المقارنة بين نظريتين يصح علميا . وأما بين نظرية وقاعدة أو قانون طبيعي ، كنظرية نيوتن مثلا وقاعدة أن مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين، فما لا يصح من الوجهة العلمية .



(٤) بمجلة الكلية ببيروت . عدد مارس الماضي . من مقال بعنوان الكلمات العربية في اللغة الانجليزية . بامضاء الاستاذ «بيرون سميث» .

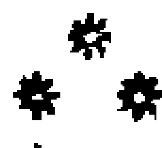
جاء في ص ١٦٢ عن الكلام في معنى كلمة من الكلمات ما يأتي :

« واول من استعملها بهذا المعنى من رجال الانكليز هو روجر با كون الشهير ، وذلك سنة ١٢٦٦ . وبا كون هذا غير با كون (الفرنسوي) مؤسس العلم الحديث »

ونحن نقول مرحى بالاستاذ الانكليزي لغة ودما . والانكى من كل هذا ان الاستاذ على ما يظهر اختصاصي في آداب اللغة والفلسفة لان مقالته منشورة في القسم الخاص بهذه المباحث في المجلة . ولو كان استاذاً في فنون الاسترلوغيا أو اليازرجات أو تاريخ الاساطير القديمة لاغتفرنا له هذا الغلط ولاغتفرنا له أن يقول بان با كون مؤسس العلم الحديث (فرنسوي) وهو بعد الفيلسوف الانجليزي الذي كان عضواً بمجلس النواب الانجليزي ووزيرا خطيراً للملكة اليصابات الانجليزية وصاحب الوقائع المشهورة في قتل اللورد اسكس صاحب الايادي البيضاء عليه . وهو الشخص الذي كتب فيه

ما كولى (الكاتب الانجليزى المعروف) مقالته المشهورة وهو صاحب كتاب «النظام الجديد » Novum Onganum الذى يعتبر الآن اساس العلوم الحديثة وقد طالعنا جزءاً منه بارشاد احد معلمينا الانجليز فى القسم الثانوى في عهد دناوب المعروف فى وزارة المعارف ، وهو ابن السير نيقولاوس باكون حامل الختم الاعظم الانجليزى ، من ثانى زوجاته المسماة حنا الانجليزية بنت السير انتونى كوك وكانت زوج الاخى اللورد بورغلى الانجليزى ، وهو الذى ولد في يورك هوس بلندن في ٢٢ يناير سنة ١٥٦١ وهو الذى توفي فى انجلترا ولم يبرحها كل سنى حياته على ماظن في ٩ أبريل سنة ١٦٢٦ ، وهو فوق ذلك صاحب تلك المقالات المعروفه Bacon,s Essays والتى نعرف أنها تعتبر من أخص ما كتب في آداب الانجليز القديمة ، وهو بعد هذا وذاك من طينة الاستاذ ومن ارومته

اما روجر باكون ففيلسوف انجليزى ظهر في القرون الوسطى وعاش خلال القرن الثالث عشر ولد فى سنة ١٢١٤ ومات في سنة ١٢٩٤ وله مذهب معروف على نسق المذاهب التى ذاعت فى القرون الوسطى . اما اذا اراد الاستاذ ان يكذبنا فليرجع الى كتاب الاستاذ سورلى Prof. Sorely استاذ الفلسفة فى جامعة كمبردج وعضو الاكاديمى البريطانية الذى طبع سنة ١٩٢٠ في مطبعة جامعة كمبردج وليراجع ص ٤ ، ١٤ ، ١٧ . أو ليرجع الى دائرة المعارف الكبرى ـ الانسيكلوبيديا بريطانيكا ـ فسيجد في ص ١٣٥ الى ص ١٥٢ مادة فرنسيس باكون وهو مؤسس العلم الحديث ويجد في ص ١٥٣ الى ص ١٥٦ مادة روجر باكون فيلسوف القرون الوسطى ، وذلك كله في المجلد الثالث ، وان كلاهما انجليزى ، وله منا بعد ذلك الف جنيه أو سترلنزى ، كما يقول حملت ، اذا دلنا على فليسوف فرنسوى واحد باسم باكون .



٥ — المقطم مصر ـ عدد مارس الماضى : من مقال بعنوان « طرائق التساقد فى الدواجن » بامضاء مصطفى الشهابى مدير املاك الدولة بدمشق .

ليس شأننا هنا بالموضوع نفسه فالكاتب اختصاصي فيه. ولكن شأننا بالاستعمالات اللغوية . فقد استعمل كلمة « التسافد» ليدل على تلقيح الحيوانات الداجنة عامة وذلك في عنوان المقال ، ثم ذكر في اول سطر من المقال كلمة الضراب . ولا يخفى ان الدواجن منها ذوات اربع ومنها طيور قد تواضع العرب على ان يطلقوا كلمة التسافد على تلقيح الطيور والضراب على تلقيح ذوات الاربع وجرى على ذلك الجاحظ فى كتاب حياة الحيوان والدميري فى كتاب الحيوان وداود الأكمه فى تذكرته وغيرهم . ولقد جرى الكاتب على وضع كل استعمال فى مكان الآخر خطأ فى كل مقاله فقال مثلا « التخاليط هو اسفاد الهجين بعضها بعضا » . ثم قال تحت عنوان سياق كلمة « التبغيل » ونظن أن استعمال الكلمة خطأ ولم يرد في كلام العرب ولا فى قواميسهم على ما اذكر والحقيقة « التنغيل » بالنون لا بالباء . واليك الدليل

جاء في قاموس الفيروز أبادىء ص ٣٨٨ مجلد ثامن : « نغل الاديم كفرح فهو نغل فسد في الدباغ ، وانغله ، والاسم النغلة بالضم ، والجرح فسد ونيته ساءت وقلبه على ضغن ، و بينهم أفسد ونم . وجوزة نغله متغيرة زنخة . ونغل المولود ككرم نغولة فسد» فهذا يدل على أن النغولة في النسل الفساد .. وهو قريب من معنى » هيبردزم » Hybridism في الانجليزية وما يقابلها فى اللغات الأخرى . اذ معناها عقم الانسال الناتجة عن تلاقح نوعين بعيدين في النسب الطبيعى كالحمار والفرس ، فانهما ينتجان نغلا أى نسلا فسداً إذن فاللغة تحتم علينا ان نصرف على الانسال التى لها هذه الصفة جماً لفظ « انغال » ترجمة الكلمة « هيبرد Hybrid وزناً على بطولة وأبطال والمحقق أن « بغل » تحريف نغل جرى عليها العوام وشاواهم فيها العلماء .

*

* *

٦ — الهلال : مصر — عدد مارس الماضى من مقال بعنوان : « الأخلاق وهل يمكن تغييرها » « مقررات علم النفس الحديث فى هذا الموضوع الخطير »

استعمل الكاتب في ص ٥٤٦ اصطلاح « الغرائز الغشيمة » فنزل بذلك الى الاستعمال العامى الصرف مساواة بما يقال عن الخامات المادية «كالشمع الغشيم» والحديد الغشيم ، وكما يقولون فلان غشيم أى أبله . في حين ان لدينا اصطلاح «الغرائز الفطرية »أى التى هي على الفطرة لم تؤثر فيها المؤثرات والعوامل الزائدة على الحاجات الاولية . فلماذا نقول «الغشيمة» ونجرد الاصطلاح من الروعة العلمية لننزل به الى هذا المستوى العامى الصرف ؟

هذا فى الاستعمال اللفظى . أما فى المبدإ العلمى فالكاتب من المؤمنين بان الوسط يغير الاخلاق . والحقيقة على الضد من هذا فان الوسط لايؤثر الا فى الظواهر فقط أما الأخلاق فشيء أبعد من هذا غوراً في تكوين النفس الانسانية. هي راجعة الى التكوين والى المركز العصبية وما فيها من خصائص خفية واسرار لم يكشف عنها العلم بعد . ومامثل تأثير الوسط فى الاخلاق الا كتأثير الاستنبات في ازدراع الانواع الوحشية فانها مهما ارتقت تحت تأثير الايلاف ترجع سراعاً الى صفات اصولها الاولى اذا تركت للطبيعة غير محمية بعناية الانسان ولاشك مطلقا في ان سيء الاخلاق قد يتأثر بالوسط لا لان الوسط في الواقع مؤثر اولى في صفاته الاخلاقية ولكن السبب فى هذا التأثر راجع الى أن للوسط قانونا تقليديا أو عاديا كالقانون الذى كان يحكم الجماعات الاولى فى العصور الغابرة يضطره الى الخضوع لمجموعة من العرف قسراً لااختيارا.ولا ريبة فى انه يفلت من هذا القانون عند اول فرصة تسنح له لانه يرجع اذ ذاك طافرا الى ماتوحي اليه به مراكزه العصبية وتكوينه الجرثومى : وهذا ابعد الاشياء عن الخضوع لما يقال من أن الوسط يغير من الاخلاق تغييرا ثابتا على الزمان

فهرست

Ancora Imparo



مايو ١٩٢٨ شعاع الحكمة يجذبنا اليك العدد ٩ مجلد ٢

علاقة الانسان بالله

ليست مباشرة بل بالواسطة

الرأى القديم	الرأى الحديث
أولا — خلق الله الانسان على مثاله	أولا — صور الانسان الله على مثال نفسه
ثانيا — ان الانسان خلق وحده ميزه الله على سائر المخلوقات	ثانيا — أن الانسان حلقة فى سلسلة الوجود
ثالثا — ان الله أرسل الرسل والانبياء ليهدوا الناس حبا فيهم وشفقة عليهم	ثالثا — الرسل والانبياء مصلحون يستمدون الوحى من مصوراتهم ابتغاء نفع الانسانية وهدايتها
رابعا — ان الانسان مركز الكون ومحور دائرة الوجود	رابعا — لا غاية من وجود الانسان فى الدنيا وانه نتاج للنواميس المادية التى تضبط نظام الكون وكذلك هو نهب لها

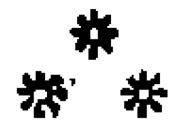
تمهيد

منذ أن تراءى أول شعاع أرسل به الفكر ليجول فى انحاء هذا الوجود، شعر الانسان بأن علاقته بما يحيط به من الاشياء ليست مباشرة، بل هي علاقة مستمدة من قوة أخرى تسخر له الموجودات . فكان يرى فى الشجرة القائمة وفي الجبل الشامخ وفي البحر المتلاطم الامواج وسائط سخرتها له قوة غير مشهودة ولا مدركة إلا فى الوهم وخطرات الخيال ، وان علاقته بما يحف به من الاشياء المادية انما هى عبارة عن ارتباط روحي ؛ ليس للمادة فيه أى أثر، وان هذا الارتباط الموقوت قد

تفصمه القوة التي أنشأته أول مرة فتزول الحياة بزوال ذلك الارتباط الوهمي. فكأن العلاقة التي تصورها الاولون بين الانسان والحياة كانت معلقة على واسطة هي قدرة الغيب ، وان العلاقة المباشرة انما تقع بين الانسان و بين تلك القدرة التي تسخر الاشياء لخدمة الانسان ، وتسخر الانسان لخدمة ذاتها .

لم يسدهذا الاعتقاد بنشوء الاديان الكبرى، بل هو اعتقاد تأصل في النفس الانسانية منذ أبعد العصور . وهو بعد طبيعي يلائم ظواهر الاشياء و يرضى نزعة الفكر الى البحث في مصادر الاشياء وغاياتها . ومثله كمثل الاعتقاد القديم في أن الشمس تدور من حول الارض وان النجوم مصابيح يعلقها الواحد القهار في القبة الزرقاء اذا جن الليل ، وانها تخزن في مخازنه السرمدية اذا تنفس الصباح. اعتقاد يرضى نزعة النفس في البحث وراء الحقائق و يوافق ظواهر الاشياء. اذن فالاديان العظمى انتحلت هذا الاعتقاد عن الخيالات القديمة التي قامت في العقل الانساني منذ أبعد الدهور، وقضت بان علاقة الانسان بالله علاقة مباشرة، وأن علاقته بالحياة وبالموجودات المادية علاقة بالواسطة المستمدة من قدرة الله على تسخير القوى التي تربط الانسان بالمادة الى زمان محدود وتحلها بقدر مقدور .

على هذا سارت الانسانية وعلى هذا قامت الاديان منذ أقدم العصور. ولا شبهة مطلقا في أن الاديان في انتحالها هذا الوضع عن معتقدات الاقدمين، انما تمثل الآن الرأي القديم في علاقة الانسان بالله. ولهذا نمضي في شرح الرأيين بقليل من الاسهاب لنستطيع أن نقارن بينهما ونخلص بنتيجة نطمئن اليها .



الرأى القديم

أولا — خلق الانسان على غرار الله

للانسان حواسه الخمس . وله شهواته وارادته وقدرته وعظمته وجلاله . وله بجانب هذا بدؤه ونهايته. هو يرى ويسمع ويشم ويلمس و يذوق. من هذه الحواس الخمس التي هي نتاج للحياة ولتركيبه على الصورة التي هو عليها، تؤدي الى بقية الصفات المتخالطة التي تشترك في ايجادها حاستين أو أكثر من الحواس. لهذا خيل للانسان

أنه كامل العدة ليسخر الطبيعة لامره. لانه يفكر وهى لا تفكر. ولانه يريد وهى لا تريد. ولانه قادر وهى عاجزة. ولانه متحرك وهى جامدة. وكل هذه القياسات النسبية تكونت في عقل الانسان الاول على صورة استمد منها معتقده فى انه أكمل المخلوقات وانه ارقاها خلقاً وأرومة. ومادام الانسان أكمل المخلوقات التى ابدعتها القوة الخالقة، إذن فليس للقوة الخالقة أن تحتذى في خلق أكمل المخلوقات الامثال الكمال الذى هو محصور فى ذاتها. وعلى هذا خيل للانسان أنه خلق على مثال الله لانه ذات كاملة ولأن الانسان كامل نسبياً بالقياس على بقية المخلوقات.

هذه الفكرة التى تلائم ظواهر الاشياء وتسير على نمط من المنطق الانسانى جدير بان يرضى نزعة العقل فى غرارته الاولى، انتحلتها الاديان العظمى وبثتها في تضاعيف تعاليمها ومضى الناس بها قانعين.

ثانيا — الانسان خلق وحده

خلق الله الانسان على غراره وفطره على مثاله! فكرة آثمة وخيال آسن ورثه أهل الاديان عن خيالات أهل العصور الاولى وادمج في كل الاديان المعروفة فكان للاديان من ذلك الخيال ركيزة استندت اليها فى القول بان الانسان سيد المخلوقات لأنه أرقاها وكفى، بل انه مالكها الاوحد ومسخرها الاعلى الذى نفث فيه الله روح السيادة فكان على العجماوات والجمادات سيداً مطاع الامر مرهوب الجانب

ولامرية مطلقا فى ان الفكرة الاولى، فكرة ان الانسان صورة مصغرة من الله، تؤدى بالعقل حتما الى القول بان الانسان خلق وحده ونسيج في الطبيعة بذاته، لا يشاركه في هذه المنزلة شيء من الكائنات الاخرى حية أوغير حية. و بهذا انفصل الانسان عن الوجود المادى والحيوى، واصبح وهو حى يغتذى ويتزاوج و يلد و يهرم و يموت كبقية الحيوانات، فى عالم وحده، وان شارك هذه الكائنات فى كل الصفات الاخرى التى لا تكون حياة بغيرها ولا يكون علم بشيء أوفكر أوخيال من غير أن يشاركها فيها الانسان.

وعلى الرغم من أن هذه الفكرة تلوح لنا بسيطة معقولة، فانك من الصعب أن تقنع بها رجالا شحنت اذهانهم بآثار خلفتها فيهم الفكرة الدينية القديمة، على الرغم

مما استكشف العاملون فى العلوم الحديثة من المبادىء والمشاهدات التى تجعل الاعتقاد بما اعتقد به اهل القرون الاولى نابيا عن محجة العقل والصواب . فاذا عرفت ان العقل الانسانى كما قلت معرفته بالمبادىء الثابتة فى العلوم جنح الى التعميمات والى تطبيق القواعد الجزئية على الكليات ، أمكنك أن تعرف مقدار ما ثبتت هذه المعتقدات فى أذهان الناس في العصور الاولى ، ومقدار ما أثرت في روعهم و وجدانهم على مر العصور .

ثالثا ـ الانبياء والرسل

النبى مثال يحتذى والرسول مبلغ رسالة ربانيـة ، وكلاهما وسيلة للهداية وتعريف الناس ماهو الصراط المستقيم . على أن ظهور الانبياء والرسل كان محدودا فى بقعة واحدة من بقاع الارض تحدها شمالا جبال طوروس وجنوبا صحراء اليمن وشرقا صحراء نجد وغربا البحر الاحمر. في هذه البقعة الصغيرة ظهر كل الانبياء والرسل الذين اختار الله أن يكونوا هداة البشر منذ أبعد العصور التى نزل فيها الوحى على قلب انسان . ولست تجد في ذلك من حكمة تقع عليها أو أثر للتدبير وحسن القصد . فهل كانت الشعوب التى ظهرت فيها الانبياء والرسل الذين حملوا رسالة من الله، هي أكثر شعوب بالارض ضلالا وعدوانا ، واشدها كفرا وطغيانا ، ليستقوى الله عليهم بهذه المجموعة الكبيرة من الانبياء والرسل ؟ وهل كان سكان سوريا وجزيرة العرب أكثر استحقاقا لعناية الله من سكان الصين أوغرب أوروبا ؟ وهل هداية الشعوب التى سكنت هذه البقاع كافية لهداية شعوب الارض كافة اذا ما اهتدوا ؟

حقا إن هذه الظاهرة وحدها كافية لأن تبعث العقل على التأمل والاسترسال فى سلسلة طويلة من التفكير لا ينتهى بها الا حيث انتهى فلاسفة فرنسا فى القرن الثامن عشر .

قد نتساءل كيف ترك أهل الهند نهبا لمذهبى بوذا وبراهما ، وأهل الصين غرضا لمذهب كونفوشيوس ، وأهل كل بقعة من بقية بقاع الارض خاضعين لاساطير وخرافات ما أنزل الله بها من نبي ولا رسول ؟ أكان هذا لحكمة لا تدركها

العقول البشرية ؟ هذا آخر مايلجأ اليه اللاهوتيون ونهاية ما تنتهي اليه مجادلاتهم.
ألم يقل لاهوتيو القرون الوسطى أن المعمور من الارض ينتهي الى حيث ذهب المبشرون لان في الكتب المقدسة مايشير الى أن صوتهم سيذهب الى آخر المعمور من الارض ؟ ألم ينف القديس اوغسطين القول بنظرية الانتيبود ، أي وجود خلائق في الناحية المقابلة للناحية التي نسكنها من كرة الارض ، لانه يتعذر عليهم رؤية المسيح هابطا على الارض يوم القيامة ؟

كل هذه الاشياء تترتب على فكرة بعث الانبياء وارسال الرسل ، بل لا نبالغ اذا قلنا بانها تفضي الى أشياء أكثر من هذه نكاية بفكرة الرسالة اذا ما استعملنا في دراسات لاشأن لنا بها في هذا الموطن . على أن هذه الدراسات قد فرغ منها أهل الفكرة الحرة في نواحي الارض وانتهوا منها بنتائج سوف نأتي على شرحها بالايجاز في درج هذا المقال

رابعا ـ الانسان مركز الكون

كان من اثر ثلاثة المعتقدات السابقة أن تكونت في عقلية الانسان فكرة أنه مركز الكون ومحور دائرة الوجود . من أجله خلقت السماوات والارض ومن أجله سخرت الرياح والاشجار والحيوانات . ومن أجله وضعت الجبال لئلا تميد به الارض ومن اجله جرت الانهار مترعة بالماء وغورت البحار لتصلح له جو كرته الارضية.

ولعمرك أي شيء أكثر قربا من بداهة العقل في غرارته الاولى من معتقد كهذا يقوم نتيجة لما ثبت في روع الانسان من انه خلق على مثال الله وانه خلق وحده مميز على جميع الكائنات وأن الله حبا فيه وشفقة عليه ، اخذ يرسل اليه بالرسول تلو الرسول ليهديه الصراط السوي وليدخله وذراريه الى الجنة زمراً خالدين فيها أبداً . وانه أعد له هنالك الانهار تفيض عسلا ولبنا وقصورا بنيت بالفضة والذهب وحورا عيناً لم يطمسهن قبله انس ولا جان ، و ولدان مخلدون يطوفون باكواب من فضة ؟

هذا الأثر الذي خلفته هذه المعتقدات في عقلية الانسان في العصور الوسطى ، كان نتاجاً لمعتقدات ذاعت في ديانات الوثنية ، في بابل واشور والكلدان

ومصر والهند والصين ، و رمت اليه الميثولوجيا العربية قبل الاسلام والميثولوجيا اليونانية الرومانية قبل انتشار المسيحية ،فكان لهذه المعتقدات ركائزها التى ارتكزت عليها منذ اقدم العصور .

على انك اذا فكرت قليلا في فكرة الخطيئة وفي طرد آدم وحواء من الجنة وفى عقابهما بالنفى الى الارض وارسال الشيطان اليها يجول فى جوها ليضل انسالهما على مر القرون، لما تصور لك بدياً الا أن الارض جحيم مصغر هبط اليه آدم ليكفر عن خطيئته ، فاخذ يكد و يعمل في سبيل العيش وانه لم يسخر له من شئ في هذا الوجود ، وانه حلقة من حلقات الطبيعة يعيش فى جوفها عيشة غيره من المخلوقات و يشاركها بداياتها ونهاياتها على صورة من الدقة لاتترك مجالا للاعتقاد بانفصال وحدة الخلق بين الانسان و بقية الكائنات

ولكن هكذا اعتقد الانسان و بهذا بشرت له الاديان فراح يجرى و راء هذه المعتقدات اشواطا قطع فى مضمارها مسافات بعيدة، اسلمت به في آخر الامر الى حيرة لم تنقذه منها الا مبادىء العلوم الطبيعية التى أخذت بزورها الحقيقة تفرخ فى أوائل القرن السابع عشر .

ولقد كان لهذه المعتقدات اسوأ الاثر فى تكييف العلم الانسانى . فقد قيل بان الانسان لا بد من أن يعيش فى مركز الكون مادام أنه محور دائرة الوجود والغرض الذى رمى اليه الله من خلق العالم ، فاعتقد بان الارض في الوسط وأن الشمس و بقيه السيارات يدرن من حولها . وكانت هذه الفكرة الخاطئة سببا في أن يضل الانسان فى تية قصى من الجهل المطبق ، اذ نزع العقل الى أن يطبق عليها كل الحالات التى يقوم عليها علمه وترتكز معرفته ، واتخذ الكتب المقدسة اساسا للعلم الانسانى ، فقامت الاضطهادات تقتل روح الحرية وتبعد الناس عن اتباع الطريق الذى كان يسلم به حتما ، كما أسلم به أخيرا ، الى تحديد علاقته بالله من ناحية و بالكون من ناحية أخرى .

* * *

الرأى الحديث

أولا — صور الانسان الله على مثال نفسه

بشرت الاديان، ولها في ذلك أكبر العذر، بأن الله خالق الانسان على مثاله وفطره على غراره . ولهذا أسباب: أولها: ان الانسان أكمل الكائنات نسبياً : ثانيا: ان الانسان لايستطيع أن يخلص من تصوير ذات مريدة حكيمة إلا اعتماداً على ما يرى من ارادته وحكمته: ثالثاً . ان الوهم دفعه الى القول بان العالم مسخر له لان ارادته تستطيع أن تسخر الاشياء . الى غير ذلك من الاسباب التى يطول بنا القول فيها .

ولما مشى الفلاسفة يفكرون في المادة والخلق ، وأخذوا ينظرون في حقائق الاشياء نظرة أوسع مدى من تلك النظرة التى حددتها مهمة الكتب المقدسة خلال العصور المظلمة، بان لهم أن ليس في الدنيا من شيء هو أبعد عن الحقيقة من الفكرة القائلة بتزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية . وأخذوا يبحثون هذه الفكرة بحثاً مستقلا عن علاقاتها المذهبية، فبان لهم أن هذه الفكرة على بعدها عن الحقيقة وعلى مناقضتها العقلية لما يسلم به العقل قسراً عنه من الايمان بوجود صانع صنع الكون وأبدعه، فان الانسان لا يستطيع مطلقا أن يدرك الصانع ادراكا عقلياً ، وهو الحد المستطاع الذى يبلغ اليه في مثل هذه الحالات، إلا اذا قاس حالات القوة الخالقة بحالات نفسه. ومزج الصفات المادية التى يراها في نفسه بالصفات النفسية والاخيلة التى أمده بها فكره، وراح يكون من مجموعها صورة قال بأنه خلق على غرارها وفطر على مثالها .

سميت هذه الفكرة في الفلسفة بالفكرة الناسوتية Anthropomorphism اى الفكرة القائلة بتزويد الله بالخصائص الانسانية. ولقد عنى كثير من الفلاسفة الاعلام بان يبعدوا عن هذه الفكرة جهد مستطاعهم لدى نظرهم فى حقيقة القول بالالوهية. وكان أكثرهم جهدا الفيلسوف سبينوزا الكبير فانتهى به البحث الى القول بان الله امتداد وفكر. Extension and Thought غير أن فكرته هذه ما لبثت أن نقضت اذ قيل « من أين أتى له أن الله امتداد إلا من النظر في حالات

جسمه الطبيعية، ومن أين أتى له أن الله فكر إلا بالنظر الى حالات عقله؟. ذلك لأن الامتداد والفكر من أخص الاشياء التى تتصف بها الاجسام والعقول .

اذن فالانسان غير قادر على أن يكون أية فكرة في الله بعيدة عن القياس على حالات جسمه وصفاته الطبيعية. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة من أبعد الاشياء عن الحقيقة، فان الانسان مقسور عليها بحكم تكوينه الطبيعى الذى نعتقد أن العقل ليس إلا مظهراً من أخص مظاهره. وعلى الرغم من هذا فان المعتقدات القديمة بشرت بما يضاد هذه الفكرة وغرست في روع الناس أن البشر ملائكة مسخوا اناسي جزاء الخطيئة، لا انهم حيوانات يتطلعون الى الاستعلاء الى عرش الملائكة !!

بهذا انقلبت الآية فى القول بان الله خلق الانسان على مثاله، الى الاعتقاد الثابت بان الانسان قد صور القوة الخالقة العظيمة قياسا على الحالات التى أحس بها قائمة في نواحي تكوينه جسمانيا وعقلياً. وهذا عندى أكبر دليل يقوم على خطأ الذين يقولون بان للاجماع أية قيمة فى وزن الحقائق أو الوصول الحقيقة .

* * *

ثانيا ـ الانسان حلقة فى سلسلة الوجود

تربع الانسان على ذلك العرش الذى خلقه من وهمه وزينه له خياله طوال تلك الاعصر التى لم يستطع فيها العقل أن يبدى اقل شك فى حقيقة الظواهر التى كانت تقع تحت حواسه . لهذا متع الانسان دهورا بفكرة أنه سيد الوجود وأنه محور الخلق ومركز دائرة النظام الكونى . ان طلعت الشمس أوغابت ، اوهملت السماء مدراراً او رذاذا ، أو انبتت الارض ثمرا حلوا اومراً ، أوجرت المياه عذبة او اجاجا ، فانما كل ذلك من اجله وليمتع بثمرات ماتجود به الطبيعة غير شاعر بأن ادنى الحشرات تمتع بما يمتع به وأن الطير يمتاز عليه بانه يملك الهواء وهو لا يملك الا الارض . وعلى الرغم من أن العظات البالغة قد أحاطت بالانسان منذ أقدم عصوره حتى اليوم ، فان المعتقد القديم قد أعماه عن ان ينظر فى الواقع المحسوس نظرة يمكن أن تبلغ من نفسه بعظة أو تحور من معتقده بما يجعله يرى الحق كما هو كائن . رأى الاحياء تشاركه في الاستمتاع بكل ماتجود به الطبيعة عليه . استمتعت بالشمس

و بالقمر و بالماء والغذاء والازهار والاحجار والهواء ، تلك الاشياء التي خيل اليه زورا ووهما أنها لم تخلق الا من اجله.

لا ننكر أنه سخر البهائم والعجماوات واستقوى عليها بعد جهاد طويل ، غير أن البهائم كانت تفنى من حياته بقدر مايفنى من حياتها ، وكانت الطيور خارجة عن سلطان تسخيره . مر على الانسان عصر كان فيه من أضعف المخلوقات الحية سلطانا وا كثرها استكانة . غير أن هذا العهد لم تنشأ فيه مطلقا فكرة أن الانسان سيد الوجود. والراجح أن هذه الفكرة لم تنشأ الا متأخرة مع ظهور المدنيات التى سبقت المدنيات القديمة . تلك المدنيات التى لم تترك وراءها من أثر اللهم الا تلك الحفريات التى بدأ يستعملها الانسان ليكون سيد الوجود ومحور دائرة الكون!!

كانت موحيات الاديان فى صورها الاخيرة آخر ما كفل هذا الرأى لترضعه بلبان الكتب المقدسة وتغذيه بتفسيرات المفسرين لها . لهذا لا نتلكأ مطلقا فى القول بان المعركة التى دارت حول اصل الانسان ، هي في الواقع معركة قامت بين العلم والدين ، فانتصر العلم وهزم الدين ، ونزل الانسان عن عرش الملائكة الى عرش الحيوانات ، وتبدل الانسان من نسبه السماوى باعتباره خلقا وحده أبدعه الله على مثاله ، الى انه حلقة من سلسلة الوجود كبقية حلقاتها ، بل نسى أنه يرجع باصله الى الجنة، واعتقد بأنه حيوان قابل للارتقاء، بعد أن كان انسانا كاملا آخذا فى الانحطاط.

ثالثا ـ الرسل والانبياء مصلحون

لم يكن للانسان فى العصور الاولى من بد فى أن يسلم بمجموعة من ظواهر الاشياء كما وقعت تحت حواسه التى كثيرا ما خدعته، و بمجموعة من الاوهام كانت في الواقع من الضرورات التى تسليه عن كثير مما في هذه الحياة من آلام وشقاء

ولقد عمد في تكوين المجموعة الاولى الى اختباراته اليومية التى كانت تنقلها اليه حواسه . وعمد فى تكوين المجموعة الثانية الى ذلك السر العجيب الذى هو من اخص ماتمتاز به النفس الانسانية ، عمد الى «الامل» يرمى به لا الى الحاضر ولا الى المستقبل القريب منه، بل الى السرمد والابد، الى الخلود، والى اللانهاية.

لهذا تحددت التصورات التى كانت سببا في بث المعتقدات الدينية على مدى العصور فى أشياء كثيرة أهمها

أولا — اعتقاد الانسان ان علاقته بالله مباشرة وأن لا واسطة بينه بين الخالق

ثانيا — انه محور الوجود وسيد الاكوان

ثالثا — أنه يرجع بحياته الى أصل ابدى و ينتهي الى لانهاية فهو خالد أولا وآخرا

رابعاً — ان الله خلق العوالم من أجله وحده دون بقية المخلوقات

خامسا — ان اهتمام الله بشأن العالم قد سخر كله فى سبيل صلاح الانسان وخلاصه فى الآخرة

سادساً — ان الانبياء والرسل بشر مزودن برسائل وحيية لادنية، ترمى الى سعاد الانسان فى الآخرة والاولى .

على هذه التصورات، وعلى كثير غيرها مما يجرى مجراها، قامت في العقلية الانسانية فكرة أن الله انما يصب كل ما في معين المخلوقات من قوة ونشر لاسعاد الانسان، فاذا ضل هداه، واذا جاع غذاه، و اذا عرى كساه، واذا مرض أشفاه، واذا مات طهره من العلاقات المادية ثم أثابه أو جازاه . وعلى هذا قامت الفكرة في النبوة والرسالة.

ولقد أخذت هذه الفكرة في التراجع شيئاً فشيئاً الى انها مجرد وسيلة لتعليل ظاهرة النبوات والرسالات، لما ازداد الانسان علما بحقائق الوجود واسرار الخلق وتفاصيل النظام الكونى. فلما ظهر للانسان فى العصور الاخيرة أن الارض التى يسكنها الانسان ذرة بسيطة في صحراء الوجود، وانه لا يساوى أكثر من ميكروب صغير جهد الصغر مقيساً بما في الكون من عظائم، تراجع العقل الانسانى مرة أخرى أمام تلك العظمة النظامية التى وقع عليها مستصغرا أمر العنايه بالانسان في جانب من خلق هذه العوالم وأودعها نظامها وسير نواميسها، فنزع الى الاعتقاد بان الانبياء والرسل مصلحون صادقو الايمان فيما اتوا به من أوامر ونواهي، قانعين بان فى اتباع هذه الاوامر والنواهي رضاء لبارىء الاكوان .

على أن نظام الكون المادى الذى يعتبر الانسان في الواقع حلقة من حلقاته، لا يتسع للاعتقاد بان الله يعنى بامر الانسان فوق الارض عناية تمتد الى أبعد من

تأثير النواميس التي بثها الخالق فى المادة والقول بان وجود الانسان وفنائه راجع الى قواعد طبيعية مثل القواعد التى تحتكم فى ابسط الظاهرات الكونية، وان نظام الطبيعة أبدى سرمدى،وأن المعجزة بمعناها المعروف،أى بمعنى انها خرق لنظام الطبيعة الذى وضعه الله على أن يكون ما هو، غير مقبولة لا عقلا ولا طبيعة.

وما منشأ الفكرة الدينية لدى الواقع إلا عجز الانسان عن تحديد علاقته بالله في العصور الاولى،وعدم قدرته على تحديد علاقته بالكون ، اذا هو أراد أن يجعل لكل صفة من صفاته الانسانية وجهاً من العلاقة يحدده تحديداً تاما . ولقد أخذ يتلمس الاسباب عقلا فلم يستطع ادراكها. لهذا نفر الى الايمان والاكتفاء من البحث بان يعلل كل شيء بقوله — «هكذا سبق فى ارادة الله .»

* * *

رابعا ـ الغاية من وجود الانسان

هذا السؤال هو أعضل المشكلات وسر الاسرار.

اكتفت الاديان بالقول بأن الغاية من خلق الانس والجن هو أن يعبدوا الله. فكرة حسنة ، ولكنها غير صحيحة . اذا لو صح هذا اذن لاعتقد بجانبه بان الله في حاجة لان يعبده الانس والجن ، ولظهر النظام الكونى في مجموعه بمظهر شيء ماخلق إلا ليعضد الحياة الانسانية التى يجب أن تسخر لعبادة الله. وهذا في معتقدى أبعد الاشياء عن أن يكون الغاية من وجود الانسان. لان في هذا من الغرارة بقدر مافي النظام الكونى من حكمة. ولا يتفق عقلا أن يكون للوجود طرفان أحدهما بالغ منتهى البساطة، والآخر بالغ منتهى الحكمة . بل ان العقل لا يسلم إلا بان الحكمة التى يقع عليها فى نظام الكون لاتؤدى الى نتائج تخرجها عن الحيز الذى يدركه الانسان من معنى الحكمة

ولقد تطورت هذه الفكرة على مر الازمان بتطور المذاهب و بنشوء الفكرات التي كانت تتجدد بتجدد الزمان. على أن الانسان حتى اليوم لم يقع على فكرة يطمئن اليها في الغاية التي من اجلها وجد. فلا الاديان مهدت اليها السبيل ولا الفلسفة استطاعت أن تبلغ منها بقصد. وما المذاهب الفلسفية ،وعلى الاخص مذاهب الفلسفة التي ذاعت

في علم الاخلاق ، الاجهد بذلته الانسانية ، رمت به الى تحديد الغاية التى من اجلها يعيش الانسان . على أن العلم قد انتهى الى نتيجة يصح السكون اليها وان كانت من أبعد الاشياء عما تطمئن اليه النفس الانسانية . أنتهى الى الاعتقاد بان علاقة الانسان بالكون علاقة مباشرة ، وأن علاقته بالله لاتأتى الا من طريق النواميس التى بثها الخالق فى المادة ، وان الانسان باعتباره حلقة فى سلسلة الوجود ، لايمكن ان يكون لوجوده من غاية تخرج عن الغاية التى يرمى اليها نظام الكون في مجموعه . فى حين أن الوصول الى معرفة الغاية التى يرمى اليها النظام الكونى ، يتعذر على العقل أن يصل الى ادراكها

فالانسان يجرفه تيار الوجود الى غايات يسعى اليها نظام الكون فى مجموعه وهو لابد بالغ الى نهاياتها الأخيرة ، لاباعتباره الفردى ، بل باعتباره النوعى ، وان الانسان نتاج لتفاعل النواميس الطبيعية ، وكذلك هو غرض لها ، ترميه بكوارثها ، بيد ان تحبوه بنعمائها .

الخلاصة

نخلص من هذا كله بالقول بان الانسان لايمكن أن يعيش عيشة سعيدة فوق هذه الارض ، مادامت حقائق وجوده ترتكز على ماأدلينا به من قول ، الا بان يعيش حرا عقلا وضميرا ، عالماً أن للطبيعة قوانينها التى يجب ان يخضع لها قسرا عنه بحكم وجوده ، وان يعتقد بأن نقائص هذه الحياة من لوازم كمالاتها ، وأن آلامها من لوازم سعاداتها ، وان النظام السرمدى أبدى لن يخرق قانونه ولن يختل ناموسه ، وانه كلما وسط العقل فى الحكم على حقائق الاشياء كان أدنى الى التفاهم مع ما يحيط به من نظم وظروف ، وانه لن يكون أكثر شقاء منه اذا عمد الى العواطف ينصبها حيث يجب ان يستوى العقل على عرش الوجود الانسانى . لهذا نقول ! ونقول بكثير من الايمان —

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لاتجد صعوبة مافى رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه

اسماعيل مظهر

الامواج والشاطىء

سأل الشاطىء يوما بحره   أيها البحر: أجبنى كم حويتا ؟..
ود لو يكشف عنه سره   بيد ان البحر قد حاول صمتا

***

قالت الأمواج للشاطى ماذا تبتغى : من سؤالك
قال انى ابتغى ما غاب عنى : من مدارك
فانثنت عنه بجزر ساخره

***

ثم عادت باندفاع نحوه : فى اصطخاب مثل رعد
عاليات ، هابطات ، ترتمى : فوق صخر من صلد
وعلى الشاطىء جاءت ثائرة

***

قل انى رابض منذ وجدت : ووجدت
جاهلا سرك ، إنى لست أدرى : ما احتويت !!!
فانثنت عنه بجزر ساخره

***

ثم عادت ثانياً وهى تقول : أنت سرى ، أنت سرى
سوف يحويك ضميرى : لا تسلنى . أنت سرى
ولأسرارى انى مضمره ...

***

واستمر البحر يمتد امتداداً   وكذلك الموج يشتد اشتداداً
ثم رد الافق عينى حاسره

حسن كامل الصيرفي

الادب العربي

وهل الأدب العربى الا مجموعة مغالطات وأكاذيب مملوءة بالمغالاة ؟ ولا اقصد بالأدب العربى الا معناه الأوسع . فمن أبسط الأشياء أن يلاحظ القارىء أن ما كتبه العرب ليس بالصورة الحقيقية الدالة على تأخرهم فى المعرفة بالنسبة لقدم زمنهم عن زمننا الحاضر، بل تجدهم يتعمدون قلب الحقائق رأسا على عقب ، فيكيلون المدح جزافا ويغرقون فى الذم دون حساب شأنهم في كل شىء على وجه التقريب

أنك لو صدقت كما ذكره الأدب العربى على علاته لتخيل لك أن كل عربى كان حاد الذهن سريع الخاطر يلتقط القصيدة الطويلة المكونة من مئات الأبيات « كما تلتقط الاسطوانة الطقطوقة من المغنى » . كذلك تعتقد أن دماغ كل عربى كون وفي داخله مقياس للنظم . وهذا ليس بمعقول فان التاريخ والمشاهدات لا تبرر ان الاعتقاد بأن فى وسع كل شخص نظم القصائد والمقطعات والأراجيز حتى لو فسرنا الشعر بانه كلام مقفى موزون لا أكثر . وهل فى استطاعة الفلاح العادى نظم المواويل ؟ وهل يهتم الناس اجمعهم لضرب واحد من ضروب الحياة هو الاستسلام لعالم الخيال ؟ يقولون ان عنترة كان ينشد القصائد فهل كان يكتبها ثم يزيد فيها ويحذف ؟ فاذا كان الحال كذلك وكان شعراء العرب كذلك لكانت نسبة التعليم فيهم تزيد كثيرا عما يمكن تقديره خصوصاً وأن الزعم السائد هو ان كل عربى كان بالسليقة شاعرا مجيدا . أما اذا كان عنترة وغيره يرسل الشعر ارسالا لمناسبات دون ان يقيد حتى ولو على قطع العظام قصائده المطولة البديعة، فهذ أمر يدعو الى الدهشة ليس لان شخصا واحدا اظهر هذا المظهر الخارق للعادة بضع مرات، بل لان كافة الشعراء وعددهم يزيد على رمال الصحراء، كانوا دائما حاصلين على هذه الموهبة الغريبة . وهنا اتساءل كيف تمكن الرواة من العرب التقاط القصائد العديدة وتناقلها واحدا عن آخر؟ فهل كانوا يكتبونها بطريقة مختزلة ؟ وهل كانوا قد اكتشفوا فن الاختزال أم كان يملي الشاعر

قصائده كلمة كلمة ؟ أما أن نقول أنه كان هناك رواة يتذكرون تمام التذكر مائة الف قصيدة من روى واحد بقافية واحدة — كما تقول كتب الأدب — فاذن ماالذى تبقى من ذاكرتهم لتذكر القصائد المخالفة لهذا الروى والقافية؟

ولقد يتسائل متسائل : من هو الذى نظم القصائد الضافية التى تعزى للعرب الاميين وكيف نقلت الينا ؟ وهذا حق . وفى اعتقادى ان عهد العباسيين على الخصوص وعصر الاموييين لدرجة ما وكذلك العصور التى تلت العصر العباسي هى التى نظم المتأدبون فيها هذه القصائد ثم رصدوها فى بطون الاوراق بعد أن نسبوها الى اسماء شعراء جاهليين أو غير جاهليين أوشعراء تخيلوا وجودهم والسبب الرغبة في عدم معرفة الناس بشخصهم، اما حفظا لسمعتهم أو ابقاء على حياتهم

واذا انتقلنا الى التاريخ نجدنا واقفين ازاء ما سبق ووقفنا حياله. فخطب القائد نجدها مكتوبة بنصها أمامنا كانما كان يتبعه رهط من السكرتاريين المختصين بنقل الخطب « الطويلة الممتلئة بلاغة » وكذلك قل عن خطب سفراء العرب أمام كسرى وغير كسرى فهى فى اعتقاد المتأدبين منقولة نقلا امينا لاينقصها غير ذكر ماتفوه به كسرى ردا عليهم اذا كان كسرى قد وجد له متسعا أو كان يحيط به بعض العبقريين كالعرب ينقلون مانطق به عفو القريحة حرفا بحرف ولكننا لم نعثر فى تاريخ غير تاريخ العرب بما هو اشبه بهذا التخبط ولله الحمد

وكانت الخلفاء تجيز الشعراء والمهرجين ببدر من الذهب الامر الذى لوحاولنا تصوره فى الوقت الحاضر مثلا في انجلترا لاصبحت بريطانيا العظمى افقر من . تصور أن الملك جورج الخامس يسد فم كل شاعر وكل مهرج وكل سريع البداهة من الانجليز فقط ، ولا اقول كل من قصده ببدرة من المال كلما انشد له بيتا من الشعر يمدحه به ، ثم بعد ذلك احكموا على هذا الهذيان العربى

لننتقل الآن الى الجيوش التى يشبهونها بالغمام أولها فيمدينة بالعجم واخرها فى مكة مثلا ،وحاولوا تصور كيف يرسل عمرو للخليفة في الحجاز مراكب موثوقه بالخيرات ردا على كتابه الذى قال فيه « فواغوثاه ثم واغوثاه » أولها عنده (الخليفة)وأخرها في مصر

و تالله كيف يكون خراج مصر مئات آلاف الآلاف من الدنانير قبل الف سنة في حين اننا الآن لانجمع ثلث هذه القيمة ومعلوماتنا الهندسية والزاعية تزيد أضعافا مضاعفة عما كانوا يعرفونه. هذا اذا كانوا يعرفون شيئا يستحق الذكر

حقيقة وجد في الامبراطورية الاسلامية في أوقات مختلفة رجال افذاذ اغلبيتهم العظمى من غير العرب ولكن عددهم وماقالوه ليس كما يحاول العرب أو الناصرين لهم تفهيمنا اياه

وكذلك عدد الجحافل فانها لاتقل عن مائة الف فارس كأنهم الليوث العوابس يصولون ويجولون كانما توصل العرب إلى وسيلة امكنهم بها خلق رجال حيثما شاءوا . ومن الغريب انهم يسمون المناوشات حروبا فهل يعقل ان حربا يقوم أربعين سنة من اجل ناقه فيقولون انها ثارات لامناوشات ليمكن هضمها على الاقل ؟

اديب

التصوف

بحث تحليلى انتقادى

ا — تمهيد

(١) ماهو التصوف ومن الصوفى

قال رويم بن احمد البغدادى « التصوف مبنى على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل وترك الغرض والاختيار (١) » وقال الكرخى «التصوف هو الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق (٢) » والجنيد « أن تكون مع الله تعالى بلاعلاقة »(٣) وسمنون «أن لا تملك شيأ ولا يملكك شيء»(٤) قيل للحصرى «من الصوفى عندك ؟» فقال « الذى لا تقله الارض ولا تظله السماء (٥) »

« والصوفي واحد والجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك متصوف والجماعة متصوفة »

(٢) مم اشتق الاسم ؟

يرى أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى (توفي سنة ٣٨٧هـ) ان هذا الاسم ليس بمحدث لان الحسن البصرى الذى ادرك جماعة من الصحابة (توفى سنة ٧٢٨ م) رأى « صوفيا » يطوف بالكعبة. وأما الحقيقة الراهنة فتتبين من هذه الجملة «وجد الاسم حتى في زمن الجاهلية ولكنه لم يتخذ المعنى المتعارف بالصوفي كاحد رجال النظام الصوفي الحادث في الملة الاسلامية الا بعد تأسيس سلطانها»

أضف الى ذلك ان الحسن البصرى لم يكن صوفيا عريقا فى التصوف وانما كان من زعماء المتبتلين الزهاد حينا، ورئيسا للمجالس الجدلية الفكرية حينا آخر، ولم يضمه

---

(١) الرسالة القشيرية فى التصوف للقشيرى — مطبعة دار الكتب فى مصر ١٢٨٧هـ ص ١٢٧ (٢) منه أيضا ص ١٢٧

(٣) كتاب اللمع فى التصوف للسراج الطوسى (مطبوعة الاستاذ نيكلسون Nicholson ليدن ١٩١٤) — ص ٢٥ — ٢٨

(٤) منه أيضا ص ٢٥ (٥) يروون أن أبا بكر قال « أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى »

القشيري في رسالته بين مشائخ الطريقة حتى ان اسمه لم يرد في كل الرسالة سوى خمس مرات . واما زعمهم ان التصوف وجد في عهد الرسول فاختلاق متصوفة العهد الاخير تبريرا لاعمالهم وارجاعا لها الى عهد الرسول واستنادا على مماشاة سنته الرضية (١)»

وذهب بعضهم الى أن الاسم منسوب الى مسجد الرسول « صفة » وآخرون الى أنه أشتق من الصفاء أي الطهارة والعفة . قيل ان أصله صفوى نصحف « فصار صوفى » أو « الصف » زاعمين ان الله قد اختارهم ليكونوا قادة البشر و ورثة الانبياء . واكثر القائلين بهذه الآراء من المتصوفة أنفسهم .

و يقول الطوسى « و الا ظهر فيه انه كاللقب واما قول من قال انه من الصوف فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف » و يقول القشيرى « لا شهيد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر انه لقب ، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوى وكذلك من الصوف لان القوم لم يختصوا بلبسه » (٢).

وأما الباحثون المستشرقون فيميلون الى اشتقاقها من الصوف . وقد جارى العلامة ثيودور نلدكه Noldeke الالمانى القشيرى حينما رفض الرأى القائل باشتقاقها من الصفاء أو الصف أيضا لاسباب لغويه .

وقد حاكى العلامة نلدكه والاستاذ نيكلسون ابن خلدون في قوله « والاظهر انه قيل بالاشتقاق انه من الصوف . وهم مختصون بلبسه فى الغالب لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف (٣)»

واذن بات من الراسخ لدى العلماء اليوم ان الاسم مشتق من الصوف وان القوم اختصوا بلبسه تمييزا لانفسهم عن الطبقات التى اركنت الى البذخ وانغمست فى الترف .

وقبل ان نترك هذه النقطة نورد رأيا مغايرا لكل ماذكر آنفا وهو رأى العلامة Vou Hammer « فون هامر » الذى يرى ان أصل الكلمة يونانى مشتق

(١) Literary history of the Arabs, R. A. Nicholson (London, 1923) P. 722

(٢) مقدمة ابن خلدون « بولاق ١٢٨٥ هـ » ــ منقولة عن القشيرى ــ ص ٣٩٠

(٣) « « « ص ٣٩٠

من كلمة «سونس» ومعناها الحكيم Wise ولكن العلامة نلدكه المشهور نقض هذا الزعم في سنة ١٨٩٤ م أيام كان استاذا في جامعة شتراسبورغ Strassburg

٣ ـ أول من استعملها وأول من أطلقت عليه .

يظهر أن أول من استعملها من كتاب العرب هو الجاحظ (توفى ٨٦٩ م) . في كتاب البيان والتبيين بقوله «الصوفية من النساك» على أن كلمة «لبس الصوف» وردت (كما قال نلدكه) كثيرا في آدب الجاهلية وكان معناها « ابتعد عن زخرف الدنيا» . ولكنها تخصصت وضاق نطاقها بعد الاسلام وصارت تطلق على تلك الفئة الخاصة .

وأما أول من أطلقت عليه هذه اللفظة فأبوا هاشم الكوفى (حوالى ٧٧٨ م) لذى عاش في تكية الرملة (فلسطين)

والظاهر ان هذه اللفظة جاءت (بمعناها الخاص) في دور الانتقال والتحول من الزهد الى التصوف في نهاية القرن الثاني للهجرة (١) .

ب — التصوف والزهد Asceticism-Mysticism

١ نشوء الزهد

قال ابن خلدون في المقدمة « الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة . وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف . ولما عم الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة . »

وهذا ز بدة ما تودان نقول ، فان الزهد حقا كان فاشيا بين العرب حتى في جاهليتهم ولكنه نما في وقت النبي و بعده مع ان النبى (صلعم) لم يأمر بالانقطاع عن الدنيا

(1) Encyclopaedia of Religion and Ehics(Edited by James Hastings 1291) vol.XII,P . 10,- Sufism - by Nicholson .

حتى ان لفظة زهد لم ترد غير مرة واحدة فى القرآن (١) . و يعتقد نيكلسون أن المسيحية كانت ذات تأثير شديد فى نشوء الزهد قبل الاسلام و بعده مستدلا بشواهد من الآداب الجاهلية. حتى انهم فسروا نشوء جماعة الحنفاء مفردها حنيف أمثال ورقة ابن نوفل (ابن عم خديجة زوجة رسول الله الاولى) وأضرابه الى تأثير رهبان النصارى ونساكهم .

قد تكون المسيحية من العوامل الفعالة فى نشوء الزهد الجاهلى فقد كان بعض الحنفاء نصارى مثل عثمان بن الحويرث (٢) . ولكننا نستبعد ان تكون أظهر من الاسلام فى تأثيرها بعد مبعث الرسول . فهو واصحابه وخلفاؤه كانوا قدوة الزاهدين العابدين . والشواهد على ذلك مشهورة وكثيرة لاحاجة لتعدادها الآن

٢ — الفرق بين الزهد والتصوف

اذا وضعنا نصب اعيننا الفكرة القائلة بنشوء التصوف من الزهد ايقنا ان هذا الفرق ضئيل غير واضح منذ البداية . ولكنه بدأ يظهر لما تطورت الصوفية ودخلت اليها العناصر الاجنبية . ولا يفوت الباحث من هذه الفروق ما يأتى .

أولا — فرق فى الغاية . فالزاهد الذى ينصرف عن الملذات الدنيوية وينكر نفسه وشهواته و يتحمل مرارة الجوع والعطش، لا يفعل ذلك الا طمعا فى الآخرة وجنات النعيم . وأما الصوفى فلا يرجو من ذلك شيئا وإنما همة الوقت الحاضر، وهدفه معرفة الله والاتصال به (٣) .

ثانيا — فرق فى الفكرة . فالزاهد دوما محوط بجلال الله وجبروته و بطشه وعقابه والصوفى ناعم البال فى رحمته ولطفه و كرمه وفوق كل شيء « محبته » .

ثالثا — فرق عام . وهو ان الزهد عام فى جميع الاقطار والأعصار فى كل دين وجيل أما الصوفية فنزعة خاصة ولدتها عوامل شتى فى الظروف خاصة تحت راية الإسلام .

---

(١) Encyc. of Rel & Eth., Vol. II, P. 99,.- Aceticism -by Nicholcon.

(٢) تاريخ ابن هشام ص ٧٦ ثم tiL.historgof thebarabs,Nicholson,P .941

(٣) مثال ذلك ماروى عن ربيعه العدوية المتصوفة :

أتحبين الله؟ نعم أتلعنين الشيطان ؟ فقالت ان حبي لله لا يترك متسعا من الوقت لالعنه فيه . رأيت النبي فى المنام فقال لى «أى ربيعة: أتحبينني ؟ فقلت له ومن ذا الذي لا يحبك يارسول الله ، ولكن حبي لله لا يترك مجالا فى قلبي لحب مخلوق أذكره» .

٣ عوامل نشوء الزهد

نما الزهد اثر الحروب الاهلية ومقتل عثمان الذى ادمى قلوب المتدينين والنساك . أضف الى ذلك اشتداد الغطرسة العسكرية الاموية وتطاحن الاحزاب وتضارب الفرق. وكان الناس — اقرب عهدهم فى الدين — موقنين ان الله لايترك الناس فى هذه الفوضى دون هاد أو رسول وقد انتظروا هذا في «المهدى» وحملت فكرة ظهور المهدى كثيرين على اعتزال الحياة ريثما يعود السلام الى العالم .

أجل. اثرت هذه العوامل فى عقلية زهاد المسلمين كما اثرت نظائرها فى زهاد النصارى قبلهم فنظروا الى القوة الآلهية وايقنوا ان البذخ والترف بدعة وتحققوا أن الدائم الذى لايفنى والحقيقة التى لاتبلى هى الاتصال بالله .

وكان الحسن البصرى طيلة عهد بنى أمية أشهر رجالهم ويصح اعتباره مؤسساً للمذهب البصرى فى الزهد . فالتصوف (١) اذ كان لهم اجتماعات يظن أنه كان يرأسها (٢)

٤ حياة الزهاد

رغماً عن أن القرآن (سورة الحديد الآية ٢٧) يعد الرهبنة بدعة فى النصرانية بقوله : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . . . الخ » ورغماً عن أن النبى (صلعم) قال «لا رهبانية فى الاسلام» . رغما عن هذا كله، فانه عند نهاية القرن الثانى للهجرة، تأسست فرق من الزهاد تأوى الى « المقامات » و« الخلوات» وعاشوا عيشة فيها شبه من الرهبنة النصرانية .

واتماما للبحث نذكر كلمتين عن معيشتهم وممارستهم :

أولا — اللباس : يقول نلدكه ان الصوف والاردية المصنوعة منه كان فاشيا في الجاهلية وبعد الاسلام . لبس القوم الجبة أو المدرعة وتضيف المرأة اليها

---

(١) قوت القلوب لابى طالب المكى (طبع مصر ١٣١٠ ه) ج ١ ص ١٢٠ و ١٦٦

2 Encyc. of Rel., and Eth., vol II, P101 - Nicholson

الحمار . ولبسوا كذلك البرانس الطويلة والارديه كما لبسوا الازار والخف والفرو .

ثانيا — الطعام. « أوصي ابراهيم بن الادهم بطعام من الخبز الساخن والزيت وفضل غيره الخبز والملح وانقطع بعضهم عن اكل اللحوم جملة . وكانوا ينذرون الصوم من نوع من انواع الطعام مخصوص كالتمر مثلا و يزعمون ان فى ذلك تقرباً من الله تعالى (١)

وكانوا يصومون في غير رمضان. و يقال ان بايزيد البسطامى عرف الله جل وعلا بالجوع والعرى (٢) . وأما اشهرهم فى الصوم فسهل بن عبد الله التستارى (٨٩٦م) وقد اعتقد المتصوفة المتأخرون ان « الانسان الصمدانى لا يأكل غير مرة فى ثمانين يوما »(٣)

ثالثاً — الصلاة. لم يكتفوا بالصلوات الخمس المفروضة بل عمدوا الى القرآن يستمدون الوحى والالهام فوجدوهما فى «واذكروا الله كثيرا » وغيرها من الآيات فابتكروا أنواع جديدة من العبادة والذكر كتكرار اسم الجلالة أو آية شريفة مرات عديدة متوالية بنغمة خاصة وصوت خاص»

و يقول القشيرى ان هذا من ضرورات الدين الحقيقى . والذكر باللسان كالذكر بالقلب ضروريان .

الجامعة الامريكية فى بيروت — عبد اللطيف الطيباوى

---

(١) لواقح الانوار للشيخ عبدالوهاب الشعرانى ج ١ ص ٦١

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٦

(٣) الرسالة القشيرية ص ٨٧ — ٧٩ وللوقوف على تفاصيل اخرى راجع احياء علوم الدين الغزالى (طبع مصر ١٢٨٩ هـ) الجزء الثالث ص ٨٧ .

الحياة والموت

تقرأ فيها بعد قصيدة عصماء ألفت أبياتها لا من الكلمات والجمل، ولكن من عناصر الحياة تنطق عن حكمة السنين الطوال، وتجاريب الدنيا المريرة. هي في الشعر منهل سهل، وفي الحياة وصف صادق، وفي العظة حكمة بالغة. وكفى أنها مما أوحت به قريحة شاعر العراق الكبير السيد جميل صدقي الزهاوي وقد أودعها من وصف الدنيا، ومن الحياة والموت، وهما أجدر الحقائق الدنيوية بالذكرى، ما توحي حياة مليئة بالتجاريب والعظات

— ١ —

كل ما تبتغيه منا الحياة   هو ان لا تصيبها النكبات
وهي ان نابها الأذى فتمادى   لم يطل للايلاف منها الشكاة
حسبها ان تكون بين تضاعيف   أذاها في ساعة لذات
انها وحدها السعادة الا   أنها ما لها طويلا ثبات
انما في الحياة جمع لما شـ   ـت وفي الموت للجميع شتات
غير ان الحياة ليست سواء   فهي اما نعم واما اذاة
ولها ان راقبتها من قريب   حسنات ومثلها سيئات
حبذا لو كانت لصاحبها قد   غلبت سيئاتها الحسنات
أنا راض عنها وان تك قد حا   قت أخيراً منها بي الويلات

— ٢ —

طب بعيش به الحياة تجود   انها ان تصرمت لا تعود
إغتنمها فانت بعد قليل   جثة تحتوى عليها اللحود
حبذا أحلام الحياة حساناً   والامانى جمة والوعود
انما في الهواء طلقاً لمن يحيـ   ـا وفي نور الشمس عيش رغيد
والذي يسمع العنادل تشدو   ويرى ازهار الربيع سعيد

انت في خصب من العيش ترجى قل فماذا من بعد هذا تريد
كل مايبسط الحياة صديق لك اما ما غمها فلدود
ولقد لاتسر شيخاً حياة هو منها ذاك القريب البعيد
وإذا ما مللت ارضاً ومنها سرت تبغي أخرى فانت ارشيد
كل شيء اذا نزلت بلاداً لم تطأها قبلا فغض جديد
لاتقل للجمال فى الارض حد ليس في الارض للجمال حدود

— ٣ —

أبصر الدوح انه فينان وانظر الزهر انه فتان
وارمق المورقات خضراً جلاهن من الليل عارض هتان
واسمع الورق فوق افنانها المد تغنى كانهن قيان
ليس ماتبصر العيون بأبقى روعة مما تسمع الآذان
وكأن الرعد الملعلع ليلا هو ضحك الطبيعة الرنان
وكأن البرق الملألىء فيه هو للحسن باسما عنوان
وكأن النجوم حين تراها لؤلؤ فى السماء أو مرجان
وكأن الصباح ساعة يبدو مسفراً خود جسمها عريان
وكأن الشمس المضيئة تنور تلظى في جوفه النيران
كأن الاشياء بعد جفاء قد أرادت ان يسعد الانسان

— ٤ —

عترت نفسى هزة الافراح حينما بان لى بياض الصباح
ولقد كان قبله الليل يدجو قابضاً للقلوب والارواح
وتلوح النخيل فى عدوتى دجلة للناظرين كالأشباح
وعليها الحمام يهتف شجواً ولعل الهتاف صنو النواح
حبذا الصبح ماسحاً لظلام الليل عن حر وجهه الوضاح
وكأن الصباح عذراء فكت عن نصيع قد بض زر الوشاح
ثم مرت بالروض تنصت فيه لأغاريد البلبل الصداح

بسمت للاقاح بعد سلام واحتفت بالجورى بعد الاقاح
أخذت قبضة من النور فيا ضاً والقت به على الادواح

— ٥ —

مازمان الشباب الا ربيع فيه نور يزهو ونبت يضوع
طلعت للسرور فيه نجوم ثم غابت عنى فعز الطلوع
وكأن الشباب للجذل الدا ئم واللهو والهوى ينبوع
لم يزل بى إلى الشباب وأيا م له قد ذهبن عنه نزوع
حبذا لو يكون لى بعد أن ولى شبابى يوما اليه رجوع
ماأحب الحياة عندى وان كا نت بأحشائى اليوم منها صدوع
انها لاتزال مالكة تأ مرنى أن أطيعها فأطيع
هى أفراح مرة وهموم وابتسامات تارة ودموع
لم يحبب الى عيشى الا أمل غامض الحدود وسيع

— ٦ —

كل ماحف بالحياة جميل غير أن البقاء فيها قليل
شجر باسق تغنى طيور فوق أفنانه وظل ظليل
وعلى مقرب من الدوح يجر ى جدول سكب ماؤه سلسبيل
وبساط نسيجه الزهر قد جـ ـرت عليه من الرياح ذيول
تطلع الشمس في الصباح فتعلو فى سماء زرقاء ثم تميل
فاذا ماعلت يسر غدو واذا ما مالت يطيب الاصيل
نحن لولا الحياة كنا جماداً ماله إحساس ولا معقول
ولعل الجمال في النفس منا وبها للخفاء عنه ذهول
وكأن الاشياء قد خلقت لى غير أنى عنها بها مشغول

— ٧ —

ياحياتى أنت الحقيقة عندى فيك حتى أموت نحسى وسعدى
أيها الليل إننى من مكانى لسلامى إلى نجومك أهدى

أيها البدر كنت تطلع قبلى … أيها البدر سوف تطلع بعدى
أيها البرق فى السحاب تألق … أنت سيف مجرد ذو فرند
أيها الصبح أنت أجمل شيء … لسرورى جماً يعيد ويبدى
أيها اليوم موسم أنت نخم … شغل الناس بين أخذ ورد
أيها الشعر أنت أشجى غناء … أنا فيه أبث صادق وجدى
ليس شعر يقوله شعراء … قلدوا من تقدموهم بعجد
انما الشعر ما إذا انشدوه … كان يستنهض الشعوب ويهدى
أو أثار الشعور في سامعيه … مثل لحن من ذى أغانى يشدى
ولقد عاب القوم فى سربهم انى إذا ماطاروا معاً طرت وحدى

— ٨ —

سبقت لى سعادة وشقاء … فى حياتى وضحكة وبكاء
ولقد هونت على النفس منى … قبل هذا ضراءها السراء
غير أنى وهنت في كبرى عن … حمل ما كلفتنى الأعباء
ثم أنى ما زلت صباً بها … يغلبنى يأس تارة ورجاء
اننى لم أزل أشاء بقائى … غير أن الايام ليست تشاء
ذهب الصيف والربيع سريعين وجاء الخريف ثم الشتاء
وخبت للشتاء نارى اذا الابرد قريس وليلتى ليلاء
وسألقى منيتى عن قريب … انبى من لقائها مستاء
مالنفسى تخشى لقاء المنايا … ولماذا يروع هذا اللقاء
ألأنى إذا هلكت عدانى … كل ماقد أحبت الحوباء؟
وإذا الارض في غد بلعتنى … لاترانى ولا أراها السماء
أبعدوا عنى كل شيء فانى … إن أمت لاتفيدنى الاشياء

— ٩ —

أيها الموت انما أنت آتى … أنت يوماً مجردى من حياتى
أيها الموت أنت من بعد حين … مخرجي من نور الى الظلمات

أيها الموت فيك بعد قليل ... أيها الموت تنتهي حركاتي
ماحياتي إلا كسلسلة أنت ستـ ... ـتأتي في آخر الحلقات
وسيأتي يوم سأحرم فيه ... كل ما في الحياة من طلبات
وسيبلى في جوف قبري جسمي ... وستفنى ذاتي وتفنى صفاتي
أنا من بعد ماسأهبط قبري ... تتساوى عشيتي وغداتي
أيها الموت أنت حزن لأصحا ... بي جميعاً وبهجة لعداتي
أنت للبعض من أجل الرزايا ... ولبعض من أكبر الحسنات
كم بطفل فجعت أما رؤوما ... وفجعت الابناء بالامهات
كم تخرمت بين زمر ورقص ... ليلة العرس من فتى وفتاة

— ١٠ —

عبثاً قد حاولت أن لا أموتا ... عبثاً قد رفعت حولي البيوتا
عبثا قد جمعت خوف ضياع ... كل ما كان من أموري شتيتاً
بعد تلك المسومات عراباً ... ليس بدعاً أن أركب التابوتا
ينكر العقل أن تدوم حياة ... قد تقضى كتابها الموقوتا
وهو بعد اختباره موشك أن ... يتعدى في جحده الملكوتا
قد بدت لي حقائق غير اني ... شئت عن ذكرها بدا لي السكوتا
حان لي أن أردي فتحمل نفسي ... معها اسراراً ثبتن ثبوتا
حيثما التفت اشاهد امامي ... شبح الموت مشبهاً عفريتا
فأرى النار في يد تتلظى ... وأرى السيف في يد إصليتا

— ١١ —

أيها الموت انما أنت قاسي ... أيها الموت رافة بالناس
أيها الموت مالخطبك إن حا ... ق مرد ولا لجرحك آسي
تعتري الناس إن مررت عليهم ... وقفة في القلوب والأنفاس
طالما قد أقمت في ردهة الدا ... ر المناحات موضع الاعراس
ونقلت الذين عاشوا بنعم ... من قصور رشم إلى الارماس

وكأني اذا هلكت جماد لم يكن لي شيء من الاحساس
بي لا تمشي بعد ذلك رجلي فوق أرض ولا يفكر راسي
ما لما قد بنيته من صروح للاماني نخمة من أساس

— ١٢ —

أنت ياموت بالجميع تحيق ما نجا حتى اليوم منك رفيق
أنت تستهوي كل فرد فيغفي واذا ماأغفى فلا يستفيق
رب حر اذا تجاهر بالـ حق يقولون كافر زنديق
أيها الموت استبقني للقوافي أنا ياموت بالبقاء خليق
ليس بي نازعا الى الهلك يوماً نسب لي في الهالكين عريق
لست أدري إذا اتبعتك في سـ ـيري الى أين بي سيفضي الطريق
أي حزن به يحس وبرح عندما يدفن الصديق الصديق

— ١٣ —

أنت كاللص قاحم للقصور هاتك في جرأة للستور
تنزع المثرى السعيد من الاصـ ـحاب والمال والفراش الوثير
تاركا خلفه يتامى صغاراً ونساء يلدمن بيض الصدور
ومن القصر تنقل السيد الضـ ـخم الى جوف مظلم من حفير
أنت ذئب الاكواخ تخطف أطفا ل ذويها من حضنهم والحجور
نازعاً للصغير من عضد الـ ـأم وللأم من بنان الصغير
فرويداً ياموت انك قد أسرفت في القتل ثم في التدمير
تتنزى على الجماجم تدمى ساخرا من كرامة الجمهور
مالما قد قضيته من مرد مالما قد خططت من تغيير

— ١٤ —

أنت داء وليس كالادواء أنت رزء وليس كالارزاء
أنت وحش مازال في كل يوم والغاً من شراسة في الدماء
أنت أقوى ناب بشدق الرزايا أنت أمضى سيف بأيدي القضاء

أنت ذو سلطان على كل نفس   أنت في الارض حاكم والسماء
أنت في الحكم مستبد فلا تنـ   ـزل يوما فيه الى الآراء
أنت في السهل والجبال من الار   ض وفي الماء كامن والهواء
أنت لا يخفى عن عيونك فرد   في الدجى أنت مبصر والضياء
أنت باب يفضى بمن ولجوا فيـ   ـه إلى اللانهاية السوداء
منتهى للظهور في مسرح الكو   ن لناس ومبدإ للخفاء

— ١٥ —

نكصت عن لقائك الاقوام   فاذا أنت الواثب الهجام
أنت جلاد الناس تسرف في القتـ   ـل وأنت المفاجيء الهدام
كلنا في أمواج بحرك نفنى   ثم لا يفنى بحرك القمقام
يهلك الشيخ الهم والرجل الكا   هل والطفل راضعاً والغلام
لك في محقنا تمد الليالى   والاليالى تمدها الايام
واذ ماانتجعت جسما سليما   كثرت من روادك الاسقام
واذا كنت نازلا بمكان   فهو موبوء ليس فيه سلام
ان داء به تموت الصعاليـ   ـك كداء به يموت الهمام

— ١٦ —

تبلغ النفس يوم أودى مداها   لا سماء ولا نجوم أراها
واذا ماأوديت كانت حياتى   قد أتى من أيامها منتهاها
انها من حقيقتى كل شيء   كيف صبرى عنها ومالى سواها
في حياتى ذاتى وأما المنايا   فهى فقدانها فلا أرضاها
هويت نفسى أن أعيش وان لم   تك في يوم حرة في هواها
واذا ما نفس أقامت برمس   فقد اسود ليلها وضحاها
اذا ما بانت عن الجسم نفس   يتساوى ضلالها وهداها
ويح نفسى فانها ستلاقى   بغتة حتفها فما أشقاها

— ١٧ —

لاأرى عوض الشمس بعد بوارى تتجلى فى صبح كل نهار
لاأرى ما يزين جوف الليالى من نجوم زهر ومن أقمار
لاأرى الزهر باسماً في رياض طلها قبل الصبح صوب القطار
من عرار وزنبق واقاح وشقيق ونرجس وبهار
لاأشم الأريج تحمله الار واح قد مست جانب الازهار
ثم لاأسمع الاغاريد تلقيها من الدوح جوقة الاطيار
وحفيف الاشجار قد مرت الر يح بها في العشى و الابكار
وخرير المياه فى النهر تجرى وعلى وجهها ترف القمارى
لاسماع ، لارؤية ، لاشميم ، لامذاق، لالمس مافى جوارى
أنا بعدالردى لفقدان حسى حجر جامد من الاحجار
تتوالى حوادث الدهر فوقى ثم أنى في حفرتى غير دارى
وستبقى آثار فكرى بعدى ثم تفنى كغيرها آثارى

— ١٨ —

إن أفارق حسى فماذا اعتياضى عن شعورى وذكريات الماضى
كلما عاودت فؤادى ذكرى مامضى لى انتفضت أى انتفاض
وعن الآمال التى لى تبدو كنجوم من نورها فى بياض
يوم كان الشباب غضاً فأمشى مرحا في ثوب له فضفاض
فسلام على الشباب الذى قد بان عنى وعهده الفياض
شهق البلبل المتيم لما أبصر الورد دائم الاعراض
واذا البلبل المهان تولى فسلام على عروس الرياض
أترانى أعنو لحكم المنايا ان أرادت أخذى بغير اعتراض
أنا بالموت إن تيقنت كونى بعده واجداً حياتى راضى
غير أنى أشك فليتأن — الدهر فى بته لما هو قاضى
أنا بالشعر بعد أن هد صرف — الدهر صرحى أبكي على الانقضاض

المنايا لهـا سهام وأنى غرض واحد من الاغراض

— ١٩ —

بعد موت لهـذه الاجساد ليس يبقى منهن غير جمـاد
أيها الموت انت فى كل حين واقف للحياة بالمرصـاد
هى تبنى وأنت توسع هدماً انها فى واد وأنت بوادى
أيها الموت لاأبالك لاأنـ ت خفى عنى ولا أنت بادى
قد من الناس من تشاء تجده لت رخو العنان سهل القياد
رب ناس ماتوا جميعا وناس ذهبوا في أرض الهلاك بداد
وقبور بنين فوق قبـور وبلاد أقمن فوق بلاد
أزف الوقت أن أصير الى ما صار قبلا أمى ، أبى ، أجدادى
وأخال الزمان ذا دوران فتعود الآزال فى الآباد
ويعود الانسان يوما كما كا نت جماعاته مع الافراد
انى لم أخاد الى غير حق فلماذا قد غاظهم اخلادى ؟

— ٢٠ —

أيها الناس إن أردتم خلوداً فاقتلوا الموت وادفنوه بعيدا
واجعلوا في يديه غلا ثقيلا وبرجليه مثل ذاك قيودا
واسكبوا فوقه نحاساً مذاباً ورصاصا وجلمدا وحديدا
وابتنوا حوله من الصخر سورا واجعلوا السور عاليا ممدودا
ارفعوه الى السماء وردو ه الى الارض ثم كروا صعودا
وارصدوه من البعيد نهارا وارصدوه ليلا وكونوا شهودا
فعسى أن يبقى بذلك عما كان يأتيه من أذى مصدودا

— ٢١ —

بين ماقلت والحقيقة بعـد مالحى من المنيـة بد
انها فى يوم تجىء فان جا ءت فما ان لها يكون مرد
انها ثلمة الحياة التي قد وسعت وهى ثلمة لاتسد

ولعلي اذا رقدت بقبري بعد موتي يطيب لى فيه رقد
انني ان رقدت فيه فلا يز عجني كالاحياء حر وبرد
ولعل الحياة ضرب من الفعـ ل خفي والموت للفعل رد
أو هي الكهرباء حشو الخلايا وهو للكهرباء منهن فقد
لم تزل هذه الطبيعة تبني ولما كانت قد بنته تهد

— ٢٢ —

ان بين الحياة والموت حربا هو يبغى سحقا لها وهي تأبى
ولقد يجمع الجراثيم أجنا دا لها صولة فتزحف إلبا
وتذود الحياة عنها بجمع من كرياتها وجند معبى
ويكون الصدام بين الفريقـ ين عنيفاً وتلهب النار لهبا
تلك حرب بين الخلايا واعدا ء الخلايا تجد طعنا وضربا
وهناك القتلى تمزق اشلا ء وتلك الاشلاء تؤخذ نهبا
ولقد تحرز الحياة ظهوراً بعد لأى وقد تهادن غضبى
واذا الموت بعد ذلك ألفى خوراً في الحياة يهجم وثبا
وتظل الحياة تدرأ عنها الشر حتى تعيا فتقضى نحبا
ربما كان الموت أجدى لناس ركبوا مركبا من الذل صعبا
أى خير من الحياة لعان كل يوم فيها يعالج كربا؟

بغداد في ٢٠ مارث سنة ١٩٢٨

جميل صدقى الزهاوى

مذكرات (أنا)

بقلم (ى)

— ٥ —

لديك فكرة عن عهد جاهليتي ، ذلك الوقت الذى كنت فيه بوذيا أركع تحت قدمى صنمى المقدس معتقداً بانه أفخم وأعظم كائن على ظهر البسيطة.وكنت لا أرى أوجهه المتعددة ولا جموع البشر الملتفين من حوله . وانى لى أن افهم أن كل انسان من هؤلاء كان مثلى قانعا بأنه الحبيب المختار دون البشر أجمعين ؟. لا تضحك أيها القارى.فان الملحد لا يعرف معنى للايمان،ولاجل هذا تنفرج شفتاه عن ابتسامة تهكم.انك لوقلت لى يجب الاعتماد على العقل دون العواطف جاء دورى لاضحك ملء شدقى.فانى استحلفك أن تحاول تصور نسبة ما تعتقده لما تتعقله فمتى تبين لك انك مؤمن أكثر من مفكر خفف عن غلوائك ولا تمادى في استهتارك

وشاب ايمانى شائبة من الالحاد عند ما جرحت فى احساسى فتولانى اليأس القاتل وانقلب الحب بغضا شديداً وكان هذا فى الوقت الذى رجعت فيه الى الوطن. وكأننى بالشاعر الذى يقول « علائم الحب لا تخفى على أحد » اصدق من نطق بحكم ، فاشتم الاهل ما حاولت اخفاؤه ففوتحت فى مسألة الزواج و بعد تمنع قبلت وأنا أرمى بقبولى لاخذ الثار والمعاملة بالمثل لا أكثر

ولم يفكر الناس الا فيما تصوروه عن جلبات السعادة فتكلموا فى شيئين لا ثالث لهما المال والجمال . المال الكثير المغرى والجمال الجذاب فابت نفسى الاستسلام تماما دون قيد ولا شرط ولذلك طالبت بان أعاشر لازوج عن علم، فاستفظع طلبى وعدجهلاوعدم نضوج.وهكذا أخذحل هذه المسألة دورا كبيرا انتهى بانتصارهم على ذلك بالتوفيق بين نظريتى «كيف يمكن لانسان أن يختلى بامرأة لم يرها بالاقل بضع مرات ليألفها وتألفه بل كيف يمكنه معاشرتها وهما لم يختبرا ذوق بعضهما» و بين نظرياتهم التى تلقوها عن حملة العمائم الاعلام التى تحرم مشاهدة الرجل لامرأة ومكالمتها • وقد فتقت لهم الحيل أخيرا ان يزوجونى من ابنة كنت العب معها منذ عشر سنوات على الاقل وهكذا رضيت وشر أهون من شر ولكن انتصب

أمامى شبح آخر ليحول بين الزواج فكان طمعى فى ثروة والد العروس، لأنى عولت على عقد زواج مادى، يتعارض مع شحه الغير محدود من جهة ومع حب الظهور مع الانفاق بلاحساب وهو رأى والدة العروس من جهة أخرى وأخذنا نتجاذب حق السيطرة فالوالد يريدنى أن أقنع بما يمليه على من مشيئته والام تريدنى دمية فى يديها وأما أنا فكان جهدى منصرفا نحو الاسراع لاقتطاع نصيبى من الثروة في أقرب فرصة مع ميل الى التظاهر بالسيادة وهكذا انقطع الحبل

وكنت أحن في هذه المدة الى بيئتى الاولى، ورجع الايمان يضطرم في قلبى ثانية فهرولت الى الهيكل وهناك جثوت بين قدمى البوذا فلم أشعر برهبة ولم يتملكنى الخشوع اللذين كانا يلازمانى قديما وعندئذ فقط تبين لى أن صنمى المحبوب لم يكن إلا مادة عادية مكونة من لحم ودم كأى مادة أخرى وبالحق خجلت من نفسى واحتقرتها فرجعت ادراجي الى حيث التقيت بمن كانت نصيبى المقدور لى

ولا تسأل عن المشاق التى كابدتها حتى أتيح لى الخلاص. أليس من العجيب أن يغضب كل الناس لانى انظم حياتى حسب ما أريد؟ أليس من الغرابة أن كل من كان يحيط بى أعتقد أنه هو وحده صاحب الحق في تدبير شئونى؟ فكان الجميع امام رجل يحاول أن ينفق مالا ليس له فيما يراه صالحاً لى، فإذا أبيت الاعمل ما أراه ادار لى ظهره غاضبا، أو امرأة تريدنى امثل دورا تتخيل هى فيه لذة لا استملحها واذا ما امتنعت تبرمت. ولا أريد أن أطيل عليك الكلام فاقول بالاختصار اننى خسرت المعركة فانتهت مراسيم الزواج المضحكة بطريقة أكرهها ذلك في نفس الوقت الذى أغضبت فيه كل مديرى التنظيمات من الاهل والاصدقاء والجيران والمعارف ومعارف معارف المعارف. وهنا يجدر بى أن أذكر أن المأذون المحترم أبى إلا أن يكون قسا، فبارك زواجي بدعواته الصالحة، ومن يدرى فربما يأتى وقت يكون رش الماء فيه من مستلزمات الزواج الاسلامى المقدس

وفى إمكانى الآن أن أصف لك ثلاثة أنواع من الشعور الذى يمر بالشاب نحو المرأة

(١) شعور بالحب الجنسي وهو ميل شهواني يرمي الى ارتشاف كأس اللذة حتى اذا ما ارتوى الرجل ألقى بالمرأة جانبا الى أن تتملكه اللذة مرة أخرى وهذا نوع يصح أن يقال له «غرام فسيولوجي» تتطلبه قابلية الجسم للافراز .

(٢) شعور بالحب الخيالي وهي «ظاهرة نفسية» صرفة ونوع من أنواع الايمان الذي لا يتملك الشخص إلا في أوقات الشدة فيهيم في خيال السعادة لينسى مصائب الظروف القاسية التي تحيط به . وهذا النوع ليس أكثر من رد فعل ينتج عن تكاثف ضبابة من اليأس في أمن حياته

(٣) وشعور بالحب الهادىء القائم على الموازنة وتقدير المرأة حق قدرها بعد بحث مواقع القوة والضعف فيها وفي هذه الحالة لا يرى الانسان فيها سراً يكهرب أوصاله اذا مسها فاذا ما ألف التيار لم يتأثر منه، وكذلك لا يراها بعين الخيال لتتجلى أمامه بما تتصوره مخيلته من صفات الكمال البعيد عن النقص حتى اذا ثاب الى رشده ولو برهة وجيزة تهدمت تصوراته وذهب ايمانه لمجرد انه راقبها مرة وهي تأكل

فالحب الهادىء «ظاهرة اجتماعية» تدفع الانسان اليه غريزة القطعان وهذا النوع هو أبقى الانواع ، يبدأ استحساناً ثم يصير تفاهما فصداقة فاعتماداً وينتهي الحال بان يصبح الزوجان ألزم لبعضهما من كثير من الضروريات ويرى كلاهما في الآخر ليس ممثل الجنس الثاني فقط وليس الآله المعبود بل النصف المكمل والمتكأ الممكن الاعتماد عليه .

ومن العبث أن اوحال اقناع الشباب بوجوب اختيار النوع الثالث من الحب لان الاندفاع من لوازم الشباب ولكن كثيرون هم الذين يذوقون العلقم جزاء اندفاعهم فى أمثال تلكم الفترات

أليس الامريكان محقون اذن فى فكرة الزواج التجريبي؟ أظنهم محقون

— ٦ —

العالم مملوء بالسخافات وقد جارى العلم بعض ادعاءات المدعين اما لكونه لم يبحث الموضوع حقه واما لان العلماء انفسهم مغرضون .

كنت أميل منذ صباي الى تدليل الاطفال واللعب معهم وكنت أتصور

اعتمادا على ما أملته على النظريات العلمية، انني سوف لا أحيد نظرى عن طفلى. أليست نظرية تضحية الاصل لذاته من أجل الخيالات التى يعززها العلم ماتجئاً الى اسخف الامثلة، اذ يقول أن انقسام الخلية الواحدة الى قسمين ليس إلا مثلا طريفا لاندفاع المخلوق لا كثار النوع بالغريزة مع ان أقل مطلع يعلم أن هذا الانقسام لا تجمعه بفكرة التضحية أية صلة فهو يتم آليـاً وبالاحرى قسراً وليس اختيارا.

ها قد رزقت بمخلوقة زرقاء اللون بميل الى الاحمرار، قابلت ترحيب أمها بها وآلامها المبرحة من جراء حملها إياها تسعة أشهر بصيحات رنانة مزعجة. فتنفست الصعداء ليس ترحيباً بالقادمة بل سرورا بسلامة المتألمة، فالطبيعة العرجاء تأبى على المرأة غير الالم المبرح اذا ماحان لها أن تزيد سكان العالم المتألمين نفسا جديدة وقضيت وقتاً غير قصير بقلق أتبين ذلك المخلوق البشع المنظر على راحتى وكان ماتصادفه الام من التعب فى خدمة المنزل ومراقبة الطفلة مما لا يحتمله انسان إلا انها أظهرت اقصى ما يخطر ببال انسان من الجلد والشجاعة ولم يكن فى وسعى استحضار يد تقوم بمساعدة تذكر لهذه المخلوقة المتعبة المعذبة وهذا ماحدا بى الى التفكير وقتاً طويلا اسائل نفسي عما اذا كنت قد ارتكبت خطأ بالزواج أم لا؟

أليس الزواج من الضروريات الاجتماعية والنفسية أوهو ليس بالاقل ضرورة فسيولوجية؟ ايعرف اؤلئك الخياليون مقدار التعاسة التى يواجهها من ليس له مال ليتزوج؟. وهل يفهم هؤلاء مبلغ شقاء المتزوج اذا كان رقيق الحال؟ يريدون منا قهر الطبيعة المادية ويطلبون منا خنق عاطفة الحب لا لشيء إلا لاننا فقراء فاذا لم نرض بذلك قالوا لنا انغمسوا فى بؤرة الفقر والحاجة وهكذا ينشأ أولادنا في الازقة يخيمون بالخرائب لتدرأ عنهم قر الحر وزمهرير البرد. فاذا ما ثرنا امسكوا بخناقنا وقالوا يالكم من زناة او باش عديمى الضمير والاخلاق انتم لا تتناسلون ولا تفيدون المجتمع الذى تتطفلون عليه وما الذى تقدران تجيب به اؤلئك القصيرى النظر وهم لا ينظرون الى العالم إلا بمنظار الماضى، هؤلاء الذين لا يستحون من التفاخر بعصر كان الرجل فيه يمتلك قطيعا من الاناث دون ان يوبخه ضميره. ذلك الوقت الذي كان يتخذ الرجل

لذاته فيه اربع نساء وسربا من الخطايا فيطعمهن بسيء القوت فاذا مامرضت واحدة اقصاها عنه واستعاضها بغيرها. هو الماضي، ذلك الوقت الذي كان فيه فك الخط من المؤهلات لتحمل المسئوليات. فهل يمكن لنا ان نفعل ما كان يفعله اولئك المتقدمون المتهوسون؟ اين يمكننا ان نسكن بنسائنا ودخلنا قليل؟ اين يمكننا ان نعلم اولادنا وليس لدينا مصاريف المدارس الباهظة

الا ارجعوا لنا ذلك الوقت الذي كان يهب الآباء فيه الخطايا الى أبنائهم متى دخلوا دور البلوغ وارجعوا الوقت الذي كان فيه الرجل غنياً اذا بلغ دخله الف قرش لا أكثر. ان التطور الاقتصادي قد غير الحال عما كانت وتأبى عقليتنا الراقية علينا لرجوع الى العيش وسط تلك العصور المظلمة

على المجتمع اذا أراد تكييف الناس حسب ما يريد أن يقوم بعمل التسهيلات اللازمة لهم، فيجب أن يعطي للفقير مجالا للاستشفاء وللسكن وللعمل بما في وسعه أن يدفعه وبعدئذ لا يكون لكم حق في الضغط والحث، فالناس يتجهون الى حيث تريدونهم أن يسيروا دون ان تشيروا الى فهم الطريق السوي. أما الآن فالواجب أن تستمعوا الى صيحات النشء من أجل تحديد النسل ومن أجل الحب الحر وما شابه من الأقوال دون أن تتبرموا فالطبيعة دائما عالية الصوت وقوتها لا تقهر

وان اعجب فمن الشيء الذي يسمونه حنو الامهات، الامر الذي اكاد اتلمسه بين الآباء فلا أجده امرا يستحق الذكر. فمثلا كم يترك الرجل خلفه من بناء وهو متماد في رعونة الشباب دون ان تحدثه نفسه بالبحث عنهم واذا فرض وعثر على أحدهم فقلما يهتم له. اما الام فتشملهم دائما بعطفها وحنوها فهل هذا الحنو طبيعي؟ وهكذا اذا فقدت الام ابنها واجتمعت به فيما بعد عرضا دون ان تعرفه تشعر بميل نحوه؟ اليس للآلام الهائلة دخل مع الموضوع؟ اليس لانانيتها دخل في ذلك في الامر؟

اذكر انني زرت جماعة ولما جلسنا في حديقة منزلهم بادرتني سيدة المنزل بالسؤال الغريب الآتي: ماهو أحسن شيء تقع عليه عيناك في الحديقة؟ ربما أن نظري لم ينجذب لشيء مخصص. أعملت الفكرة طويلا ثم ذكرت أشياء

لواحد بعد الآخر دون أن أشبع ميلها للاقتناع . واخيرا سألتنى عن رايي في مقعد مصنوع من اغصان الشجر ولما اجبت بأنه مقعد عادى كثيرا مانرى امثاله فى الحدائق ونبهت الى خطأ ظاهر في صناعته، صعد الدم الى وجهها وكان الزوج يضحك طيلة الوقت فقال انها هى التى صنعت هذا المقعد بيديها ولذلك تظنه احسن تحفة يقع عليها النظر فى هذا العالم . وها انا أسائل نفسى الآن وهل هناك فرق بين ميل هذه الامرأة لصنع يديها أن كان مقعدا أو طفلا؟ وهل هناك امرأة ترى في طفلها عيبا مهما بلغت درجته من قبح الصورة ؟

ولما كبرت ابنتي تعودت عيناى على رؤيتها ومرنت على مداعبتها فاصبحت سلوى أضيع بها الوقت وأصبح لى ميل للتحدث معها بلغتها الاعجمية وأقبلت على مصاحبتها معى كلما خرجت للرياضة، ولست أدرى بالضبط الدافع على ذلك أهو لتنزيهها أم سماع الفاظ الاعجاب بها سواء بحق أو بغير حق لاشبع غرورى

وسيأتى وقت تكبر فيه هذه الطفلة وتحاول ان تقف على رجليها فتختط لذاتها الخطط التى تثير غضبى وهكذا تذهب عنها الطهارة والبساطة وهما ظاهرتان للطفولة فاعمل جهدى كى أمنعها من ارتكاب ما أظنه خطأ وارقبها عن كثب متجسسا ومشمراً عن ساعدى .

وأخيراً ... أجل وأخيراً ، تلقى بذاتها بين يدى شخص غريب فيغوصان معا في بحر الحياة الهائج تاركين أهلهما يعضون بنانهم ندما وحسرة

هذه هي الحياة كلها تعب، كلها انانية ، وكلها جرى وراء المنفعة

ملخصة بتصرف (...)

الصهيونيه

وصف الكاتب الروسي الشهير مكسيم غوركي امة اليهود بانها سيف ذهبي مشهر على رأس أوروبا (مهد المسيحية) و يسهل للمطلع على تاريخ اليهود الوقوف على مبلغ الاضطهادات المريعة التي لاقاها أولئك المساكين حين كانت أوصالهم ترتجف كل يوم من الهلع قديماً ، وهم لايزالون حتى الوقت الحاضر مضطهدين في بعض أنحاء أوربا ، حامية حمى المدنية ، اضطهادا مريعا يوصم العصر وصمة غير مشرفة لو أمكن للقارىء تصور حال هذه الامة وهي تتحمل الضربات الحالية صابرة على الضيم مجدة في العمل لاجل لم شعثها وتوحيد صفوفها لتكون كما يجب أن تكون أمة لها مكان تحت الشمس ، لاشك لايتمالك من التصفيق بكلتا يديه تشجيعا لها للمضى في طريق تحرير نفسها من طغيان المتعصبين ضد السامية

وانك وانت تقلب صفحات التاريخ القديم والجديد لاتملك نفسك من الاعجاب عند ماتقرأ أسماء يوسيفوس وغيره من المتقدمين وماركس وماكس نردو ودزرائيلي واينشتين و برغسون وغيرهم من المتأخرين ، خصوصا متى وقفت على مبلغ الدور الهام الذى لعبه كل منهم على مسرح هذا العالم . وكانت ادوارهم أدوار بطولة حقه نخرهم فيها يزيد كثيرا عن نصيب غيرهم منه ، لانهم تغلبوا على الصعاب التى تصادف كل الابطال ، و زيادة على ذلك فانهم ذللوا صعوبات أقامها البعض فى طريقهم عمدا و بسوء قصد

و يجب أن لاننسى مطلقا باننا كشرقيين ابناء عمومة اليهود، وليس هذا فقط بل نحن واياهم شقيقان تجمعنا الدوحة السامية و يجب ان لايغفل المسلمون ان اليهود هم أساتذتهم ، وهم أكثر الناس تأثيرا فى تاسيس مايسمونها المدنية الاسلامية

فكر اليهود كثيرا في موقفهم كامة من واجبها الدفاع عن كيانها و بعد محاولات كثيرة توصل عقلاؤهم بوجوب تعيين مكان ليعتبرونه وطنا قوميا لهم فانتخبوا بقاع كثيرة كالارجنتين وشاطى افريقيا الغربي وفلسطين ولكن أخفقت جميع التجارب الا فى فلسطين (أرض الميعاد) حيث امكن لزعمائهم اقناع سواد اليهود بسهولة على وجوب الرحيل مستندين على نظريات شتى قائمة على اعتقاد الامة اليهودية

أن البعث والنشور سيقعان في الارض المقدسة ، فلا يلاقى الذى دفن فيها مشقة للوصول اليها في حين ان المدفون بعيدا عنها سيضطر الى حفر نفق فى باطن الارض يوصله الى أرض الميعاد ويكون ذلك بعد قيام الساعة لاعتقادهم أيضا بان المسيح سيهبط من السماء في طبريا على قول وفي صفد على قول آخر أو في محال أخرى جميعها في فلسطين المقدسة.هذا مع ملاحظة ان اليهود لا يسلمون بمسيح النصرانية بل هم المسيح الموعودون به منتظرون،و يجب أن لا ننسى أن كتبهم المقدسة تحث على الانتظار في ارض الميعاد وتطالب من الله تمهيد السبيل الى لم شملهم فى مملكة داود

هذا سبب مهم لاتفاق زعماء اليهود على فلسطين دون غيرها لتكون وطنا قوميا لهم . وأما السبب الآخر فهو حسن معاملة المسلمين لهم خصوصا وان ضطهاد محاكم التفتيش الذى كان موجها اليهم والى المسلمين معا نتج عنه نسحاب الشعبان خارج أرض الاندلس فتمكن اليهود من التنقل فى بلاد المسلمين الى حيث شاءوا فاستقر بعضهم فى أرض (موآب) المآب،وقاموا بشعائرهم دون خطر ،وكذلك وقعت بعد ذلك خلال القرن التاسع عشر مذابح في الروسيا فلم يكن لاولئك المساكين من مفر الا الالتجاء لى أقرب بلد امين فتخطوا الحدود الى الاراضى العثمانية ومن هناك قصدوا أرضهم المقدسة للاقامة فيها

مما سبق يتضح لكل منصف ان للصدفة دخل كبير في استقرار رأى اليهود لاتخاذ فلسطين دون غيرها مركزا ينشئون فيه وحدتهم السياسية الاجتماعية كما وأن للتعاليم الدينية تأثير مماثل في هذا الاختيار

وأنشئت الجمعيات لايواء أولئك المشردين،فكانت أول مستعمرة منظمة هى ريشون لى زيون Richon Le Zion للمهاجرين الروس وقد اصبحت الآن مركزا مهما،والف يهود رومانيا بعد ذلك جمعية اخرى انسست مستعمرة «زمارين» وتابعت الجمعيات المختلفة بعد ذلك تأسيس المستعمرات دون ان تربطها رابطة الى أن ظهر للمثرين من اليهود نجاح المشروع فوحدت الجهود وأنشاوا مع مفكريهم وحكمائهم جمعية مركزية للاشراف على حركة الاستيطان فى فلسطين واسم هذه الجمعية «جميعية الاستعمار اليهودية » Jewish Colonising Association

ولفظة الصهيونية مشتقه من جبل صهيون القائمة على سفحه مدينة القدس ولفكرة الصهيونية رجال يجب أن لا نغفل عن ذكر «هرتزل» منهم وهو العالم اليهودى الالمانى الذى تفرغ للدعوة الى الحركة المذكورة و بلغ رسالته فى كتابه «الحكومة اليهودية» وهو انجيل الصهيونيين الى الوقت الحاضر، والصهيونية نظام اجتماعى Communistic (ويعر به البعض نظام اشتراكي واعتقد ان تعريبى اوفى . ولو انه اكثر ابهاما من التعريب الاخير) يرمى الى التجديد ومتابعة النظريات العصرية والعمل على تكوين مدنية يهودية قحة جديدة واحياء اللغة العبرية وخلق (وهذه اللفظة خير من قولنا واحياء) ثقافة يهودية جديدة وكان قد سبق هرتزل يهودى آخر حاول الترويج لفكرة وجوب اندماج اليهود في العناصر التى يعيشون بينها فاليهودى المقيم فى بريطانيا يجب أن يكون بريطانيا والذى في فرنسا فرنسيا اه فسفهت تعاليم الرسول الجديد ماراه مندلسوهن صاحب نظرية العناصر، وهكذا لم يعد لمندلسوهن أنصار يعتد بهم فى الوقت الحاضر .

واذا سألت عن نظام المستعمرة الصهيونية فاعلم انك تجده نموذجا راقيا للحياة. فلكل عائلة منزل صحى مضاء بالكهرباء مجلوب اليه الماء يختلف حجمه باختلاف الثروة ولكن لا ينعدم التجانس كلية بينه و بين سواه كما هو الحال فى الامكنة الاخرى فانك ترى مثلا بيتا يحوى أربعة حجرات عبارة عن طابق واحد تحيط به حديقة صغيرة قائما بجوار قصر لمثر يتكون من طابقين لاتزيد عدد غرفه عن العشر تلتف من حوله حديقة متوسطة السعة لا يزيد الاعتناء بها عما تناله حديقة المنزل الآخر وكل الابنية نظيفة يتفاوت أثاثها من حيث القيمه وليس من حيث الاستعداد ويخصص اصحاب المهن إحدى الغرف بمنازلهم لمزاولة مهنهم فيها وانك لتجد اسم صاحب و رشة النجارة معلقا على باب منزله فاذا القيت نظرة الى الداخل تريكه منهمكا فى عمله بهدوء ونشاط . وأما الفلاح فيحتفظ بغرفة يؤوى فيها ماشيته و يحفظ فيها آلاته . فاذا ما سرت فى الطريق مبكرا فى الصباح تجد الخلائق يخرجون ازواجا وجماعات الى الحقول وهم يقودون مواشيهم معهم وخلفها أو على ظهورها الآلات الزراعية الحديثة وترى الرجال والنساء . وهنا يجب أن أقول الشبان

والشابات لانك قلما تعثر في طريقك على كهول وذلك ناتج من تقييد المهاجرة بعدد مخصوص ولذلك يفد الى فلسطين صغار السن أقوياء البنيـة من اليهود فقط ، لابسين ملابس العـمل بيضاء نظيفة متوجهـين الى مزارعهم وأما الاطفال فيركضون الى معاهد العلم لان التعليم من الواجبات عندهم، حتى انك لاتجد بينهم يهوديا غير ملم بالقراءة والـكتابة فاذا ما قاربت الشمس من المغيب استبدل الـكل ثياب العـمل ليقصـد بعضهم النوادى والبعض المدارس الليليـة والبعض قاعة المحاضرات و بعد الغروب يستنشقون النسيم العليـل في المتنزهات ثم يستسلمون بعد العشاء لسلطان النعاس

وحقيقة انك لاتمالك من الشعور بالسرور و بالراحة وأنت تقضى وقتك فى هـذا الوسط الراقى خصوصا متى علمت انهم يفضون منازعاتهم دون التجاء الى الحكومة قدر الامكان ولهم نظام لنقل البريد

وهنا يجب أن أذكر شيئا عن نتائج المهاجرة اليهودية الى فلسـطين وما تسببت عنه من شقاق بين « العرب » و « اليهود »

ذهبت محاولات اليهود لاخذ موافقة الدولة العثمانية على فكرة الوطن القومى هباء، وذلك قبل وقوع الحرب العظمى، فلما توغلت أوروبا فى الحرب واصبحت في حاجة الى المال لمداومتها، اظهر كبار المـاليين من اليهود سـبائكهم الصفراء لدول الوسـط مشترطين الاعتراف بالوطن القومى . فسعت ألمانيـا والنمسا و بلغـاريا جهدها لاقناع تركيا للاعتراف بذلك، فابت خوفا من انتقاض العالم الاسلامى عليها . ولما خاب أمل اليهود وجهوا جهدهم صوب المؤتلفين ففازوا بعهد « بلفور » وهكذا كان من أهم أسباب انكسار دول الوسط امساك اليهود عن امدادهم بالمال واليس من الغريب ان المانيا عقدت عدة قروض داخليـة في ابتداء الحرب فـكان كل منها يغطى عشر مرات أو أكثر في مدة يسيرة ولم تـكن قد ثبتت اقدامها وظهرت بمظهر القوى القادر بعد ؟ ثم انقلب الحال بعـد ذلك فاصبحت تفرض الاكتتاب فرضا حين كانت جيوشها قد اكتسحت روسيا وغزت بلجيكا ومنطقة غير صغيرة فى فرنسا وردت ايطاليا الى ما بعد حدودها ؟

فلما وضعت الحرب أوزارها وقبض البريطانيون على دفة الحكم فى فلسطين ندموا على الوعد الذى قطعوه فاشعلوا فى العرب روح العداء للصهيونية فهب اولئك متحمسين لدفع غارة المهاجرين وحدث بين الطرفين ما يؤسف له . وكان للعرب دافع الى ذلك، فان نشاط اليهود كان على أشده فبذلوا الجهد لتوريد أقصى مايمكن توريده من المهاجرين ومن المال وتفننوا في شراء العقارات ببخس الثمن فصربوا التجارة المحلية ضربة قاضية اذ باعوا باسعار مخفضة جدا ماكانوايشترونه من السوق المحلى باثمان عالية وهكذا استحلوا ماملكه الغيربطرق شيطانية

وحاولوا أيضا السيطرة على المصالح ثم عملوا على استبدال العرب باليهود حتى لايتركونهم عالة عليهم مدة طويلة الى أن ينظموا شؤونهم . نعمات انجلترا سرا جنبا الى جنب مع العرب لدرء هذا الوباء . وقدتحرجت الحال لدرجة أنها كانت تستورد الاسلحة من الخارج سرا لليهود الذين كانوا يحفرون الخنادق حول خيامهم ويعززونها بالمتاريس لعلمهم بان السلاح كان يوزع على العرب بلا ثمن وبكثرة

وتدارك الامر العقلاء فاقل اليهود من غلوائهم وحدث ان خففت العقبات التى صادفوها من اندفاعهم، فعند ماشعر العرب بتحسن الحال عادوا الى استكانتهم . وأما بريطانيا فقد غطت الميدان بحفنة من رماد والآن يكاد الاستقرار يلازم الحالة لولا مايقع بين وقت وآخر من الاحتكاك ، واغلبه غير متصرد، رفى بعض الاوقات يحاول بعض المغرضين تحريك النار الهادئة لاشعالها قصد جر المغنم لانفسهم .

وهنا يجب ان أتساءل « هل سيفلح اليهود في « صهينة » العرب — وربما الشرق العربى كله — أم سيطردهم العرب من فلسطين ؟ »

اما انا فاعتقد اننا سنكون تلامذة اليهود كما تتلمذنا لهم سابقا وقد بنيت حكمى هذا على انهم اغنياء متعلمون نشطون، ونحن فقراء جهلة متواكلون، مع وجوب ملاحظة اننا فرعى أرومة واحدة وتكاد عقليتنا تكون متماثلة، فليس من الصعب علينا الاقتداء بهم في كل ماسيفعلونه

عمر عنايت

رحلة

في بلاد الواق

فصل ممتع من كتاب العالم العلامه والبحر الفهامة واحد زمانه ، وسيد عصره وأوانه ، الاستاذ المبجل فضيلة الشيخ شأبوب الزاجل غفر الله له فى الدارين ؛ وقد عنى بنشره وبشرح الفاظه الفنية وعلق عليه الحواشى والشروح الفقير اليه تعالى حسين محمود المذبوح

قال استاذى والله أعلم ، كنت وفقنى الله واياك قد انهيت صلاة التراويح فانعكفت جانبا اقرأ سورة القـدر ، وكان ذلك في الليلة المباركة التى ذكر البارى عز وعلا انها خير من الف شهر . فرأيت باب السماء بغتة قد انشق واذا بصوت التى فى قلبى الروع يقول سل ماتشاء وربك لاشك مستجيب فغضضت بصرى هيبة والقيت نفسى على الارض وعندها مرت فكرة زيارة بلاد «واق الواق» على خاطرى مرور السهم دون قصد ، واذا بالنور قد تلاشى ، فندمت على تأخرى عن بسط امنيتى فى تلك البرهة المباركة ، وأخذت ألوم نفسى على الجبن الذى اظهرته طورا وكنت أهنىء نفسى للحظ الذى حبانى الله به طوراً آخر ، وبينما كان يرقص فؤادى حبوراً مرة ، وتبلل أدمعى شعر لحيتى مرة اخرى ، خاطبنى زنبور (١) قائلا ماخطبك ، فاخبرته بخبرى وقصصت عليه قصتى فتبسم ابتسامة لطيفة وبشرنى بان ماطلبته قد استجابه القادر على كل شيء وأشار على بركوب متنه ففعلت واذا به

يســير بنا يطوى السماء كانه من الريح الا انه قد تجسما
يجوب أديم السحب قفرا وعامرا ويترك ضوء الشمس اغبر اقتما

وكنت فى مجلسى كالطود الراسخ اجيل عينى في السدم (٢) المنتثرة فى الفضاء وهى تحدق بى فى دهشة وعجب . وعلى بعد شاسع من فضاء اللانهايه تطلعت الى ادنى فاذا برأس الحوت الحامل اثور الارض يتألق كالجمرة فبدأت مطيتى تفسر لى ماأغلق على من المدهشات فقالت اعلم وفقك الله ان هذا الحوت ليس أكثر من بسارية (٣) حقـيرة افرزت الارض لاول مرة فحملتها على ظهرها للذكرى

---

(١) الزنبور هو منطاد السماء

(٢) انوار كهربائية تزين بها السماء فى الاستقبالات والاحتفالات

(٣) مدرعة من طراز الدردنوت حمولة مليون الف طن بها الف الف مدفع سمة فوهة كل مدفع منها مائتى الف ذراع

غير انهـا خشيت ان يطغى عليها السمك على حد قول بعضهم، أو رغبته للاكبار من شأن ذاتها حسب قول آخرين، فأفرزت ثورا حملتـه اياها(١) على قرنيه . واما الشموس والاقمـار والنجوم فهى افرازات اخرى بعضها كبير و بعضها لايزيد فى حجمه عن حبة الحمص . أما السبب في كونها منيرة فى بعض أوقات ، معتمة فى الوقت الآخر، فلانه قد قدر على أهلها انارة منازلهم ليلا (الا الشمس فان الانوار تضاء في بيوتها من وقت الشروق الى وقت الغروب فقط) والسبب فى ان الشمس والكواكب والنجوم تدور تائهة فى السماء هو السحر. فان ابليس اللعين يراها فيظنها ماسا يتألق ولذلك يعوز عليها عساها تقع فيبيعها الجواهرجية مثـل شـيكوريل والماوردى وسمعان ، ليتمكن بثمنها من ارشاء المؤمنين على متـابعة تعاليم طه حسين وصاحب العصور وغيرهما من الملحدين والعياذ بالله ، اسأله جل وعلا ان يكتب لى سهما فى الجنة وهو على كل شيء قدير . ومررنا قيـد شعرة من الشمس فاشار لى سـكانها بايديهم ان أقبل علينا على الرحب والسـعة فهززت لهم رأسى معتذرا ولم أدهش لذلك الكرم العربى فقد رأيته فى جميع المحطات التى مررت بها ومن الغريب انهم جميعا يتكلمون العربية الفصحى مع فرق طفيف لايزيد عن الفرق الموجود في أروقة الازهر الشريف العامر . واعتقد ان أصل سـكان هذه الـكواكب هم من العرب الذين ضلوا بنوقهم فى الصحراء ، فرأف بهم الجن المؤمنون فاهدوهم الى اقرب مكان عامر

وعندئذ أظلمت الانوار كلها فطلب منى الزنبور ان أتشجع وأردد عدية يس ففعلت واذا به يخفف الوطء وأخـذ يسير بتؤده على شـعرة من نور تحتها فراغ وتكتنفها الظلومات (٢) من كل جانب و بعد مسيرة الف الف فرسـخ وصلنا الى الجانب الآخر سالمين واذا بالزنبور المسكين يمسح العرق من فوق جبينـه فيبلل منديلين أو أكثر ثم عصرهما واذا بالماء ينهمر مدرارا الى أدنى فملا الصراخ

(١) يقول سهلان عن يافع عن ابن جديب حدثنى فوزان أنه سمع قعيس يقول اقسم بالله العظيم وبكتابه الكريم انى تطلعت من حافة الارض مرة فرايتها واقفة على قرن واحد فاذا ما تعب الثور نقلها الى القرن الاخر وهذا سبب وقوع الزلازل واسم هذا الثور سؤران اسفات

(٢) يقول الاستاذ الفاضل ان الشيطان جزاه الله انساه أن يوقد الشمعة التي كانت في جيب ردائه

وركضت الخلائق الى شقوق هنا وهناك فضحك الزنبوز ملء شدقيه واذا به يضع إبهام يده اليمنى فوق أنفه ويحرك الاصابع الاربعة الاخرى. ولما لم اخر جوابا عند ماسألنى عن أولئك الناس قال هؤلاء هم قوم يأجوج ومأجوج(١) اماالظلومات فهى السد الذى اقامه الله بيننا و بينهم الى يوم القيامة

وتمت هذه الرحلة فى غمضة عين فقال لى الزنبور ها قدقر بنا من بلاد واق الواق البعيدة عن أرض العراق ، و بعد ماقطعنا عدة آلاف من الفراسخ هبطنا على درة مكنونة وجوهرة يتيمة فاذا بنا على باب واق الواق ، وما أدراك ماواق الواق ، بعد وتلاق ، ولسم العقرب در يق ، منازل شاهقة مثل منازل القاهرة (٢) بنيت من الذهب والفضة ، لبنة من هذا ولبنة من تلك ، وقد انتثرت الجواهر هنا وهناك فازداد المنظر بهاء بحيث يستلب الالباب و يذهب بالرشاد وهناك لا زواج ولا طلاق ، فالغيد ترتع تحت الافنان والولدان يكرعون اللبن والعسل بآنية من ماس وتحت أثمار الفواكه المختلفة كالتين والتمر والخوخ والبرتقال وأنواع كثيرة اخرى ما لم تره عينان ولا سمعت به أذنان ، يجرى نهر ماؤه عسل نحل واخر ماؤه لبن حليب وثالث ماؤه كافور . وكان أول مافعلته اننى أردت أن اطفىء عطشي فقصدت نهر الكافور فاشمأزت نفسى من لزاجته التى فكرتنى بزيت الكافور ، فعرجت على نهر العسل فوجدت الشمع قد أخرج منه وما شربت منه قليلا حتى مجته نفسى فتقيأته لانه لا يهضم سريعا ، واخيرا شربت قليلا من اللبن فسبب لى اسهالا لانه لم يكن ساخنا . وحاولت ان أجد طعاما ولكن عبثا ما حاولته فاكلت من الفاكهة كميات كبيرة سببت لى آلاما في البطن الخاوية ولم أجد هناك دكاكين ولا محال بقالة ولا أى مظهر من مظاهر العمل وكنت كلماحاولت التكلم مع أحد نفر منى مستعيذا بالله ، و بعد التى واللتيا رفع الله عن بصرى الغشاء فعرفت ان السبب في نفورهم ليس أكثر من الملابس التي استر بها عورتى لانهم لم يعتادوا رؤيتها ولا يعرفون كيف يتاح لهم الحصول

---

(١) خلائق صغار لا يزيد طول أحدهم عن شبر ولكل اذنان يلتحف باحدهما بينما ينام على الاخرى وساحاول ان انشر مقال الاستاذ عن سياحته فى تلك البلاد فى عدد آخر

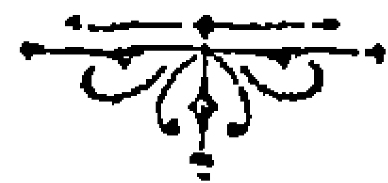
(٢) هذا تواضع من الاستاذ لانى اعلم من ثقة انه رأي هناك ناطحات السحاب كما فى امريكا

على السراويل وغيرها من أنواع الثياب ؟ وكم كان خجلي عظيما عند ما مشيت لاول مرة فى الطريق عاريا ، ولكن زال خجلي عندما تفاهمت معهم فاستغربوا اسئلتي عن الخبز واللحم والارز وخلافه فهم لا يعرفون الا الفاكهة واللبن والعسل والكافور وكان أول ما أشاروا به على أن اختار من الغيد والمماليك حاجتي فاخترت عددا قليلا فهزؤوا مني ولما قلت ائتوني بمأذون استلقوا على ظهورهم استخفافا ضاحكين وفهمت انهم غير مقيدين بزواج ولا بطلاق فقضيت بضعة أيام انزه نفسي على طريقتهم فانحلت قواي وصرت عاجزا عن السير المستقيم فامتنعت عن هذا العمل المتعب وقضيت وقتا مع كبير منهم اسأله عما يعلمه فلم يعرف شيئا الا أن الله قادر موجود وان نبيه هو فلان وعدد لى بقية الانبياء والرسل ، فسألته هل شق موسى البحر فانفلق، فلم يفهم ما أردته لانه لا يتصور معنى البحر فلما اشرت له الى النهر امكن له تصور البعد والغور وقال اجل في امكانه وسألته عن انشقاق القمر فقال انه لا يعرف الشخص الذى أتكلم عنه لانه لم يمر به . سألته عن ايمان أهل الكهف فدهش لانه ليس لديه فكرة عن بلد اسمها الكهف . فوجدته ناقص الايمان لسوء الحظ ولذلك بدأت ادلى له بمعلوماتي فكان يضحك ملء شدقيه ويقول بوقاحة ان الخرافات التى أرددها على مسمعه مسلية للغاية . وسألته هل طالع لامية الطغرائي أو الفية ابن مالك فقال انه متنعم ولا يريد ان يشقى بالعمل ولما ضقت به ذرعا تركته وحاولت ان اشاغل نفسي فتفتقت لى الحيلة أن أغلي قليلا من اللبن عساى استطيب العيش بين الذهب والياقوت والزمرد ولكني لم البث ان اضرمت النار بالاحتكاك حتى هاج الخلق وماجوا وقالوا الى الصلاة الى الصلاة لنطلب من الله اخراج هذا الساحر من بيننا فهرولت الى مطيتي ورجوتها ان تطلق ساقيها للريح ففعلت وكنت في أشد حالات اليأس خوفا من المطاردين وتألما من المعدة . فكنت لذلك كلما مررت على جماعة سمعوا دوى الرعد فوق رؤسهم فيهربون حتى لا تتسخ جسومهم من اللبن والعسل الذين كانا ينهمران عليهم دون حساب

تذييل — ها نحن قد فتحنا بابا نحونا فيه منحى الاوائل تلبية لطلب الذين عتبوا علينا عدم الاهتمام باحياء علوم السلف ، فاذا راق هذا البحث للجمهور من القراء

نقلنا اليهم فى عدد آخر فصلا عن بلاد يأجوج ومأجوج وبذلك نكون قد احيينا بعض الشيء من علوم الجغرافيا والتاريخ والفلك على ماعرفها القدماء.

حسين محمود



الخطيئة

تعثرت فانهض لعاً لمثلك من عثرته سبيلك محاولك
فان شئت هديا تته ترد عقابيله وتصرف عن غايته
أجد باسلافنا فساروا الى حلكته وراحوا أخا رشدة
غريراً على رشدته وآخر فى ضلة تمرد في ضلته
وكل على حيرة يهدى الى ملته يرى الحق في دينه
فيبغيه فى زمرته وما المرء الا قوى من الروح في صورته
فبعض الى خيره وبعض الى شرته دوائب في شرة
غلابا على شرته يجول بميدانها المشرع فى صيقته
فسوقا الى ناره وسوقا الى جنته وما المرء ما شأنه
يعيش بلا خيرته يساق بلا شيئة ويظهر في شيئته
وما السوء يوم غوى وما الخير فى مخبته وقد بات مهزومة
قوى الرشد في فطرته هو الله سبحانه تحيرت فى حكمته
فما زال ما شاءه رموزاً على آيته له الشأن لم يطلع
سواه ألى قنته نهى آدما حينما قضى الامر فى زلته
وناجي ابن عمران والسا مرى على فتنته وقد شاء من مريم
سوى العهد فى شرعته ومن شاء لم يهده بذنب على حطته
ومن شاءه واسل زليف على شقته خطاء بنى الارض ماض
على القسر فى ضيقته وليسوا بأديانهم الى الخير من صفقته
ولكنها خدعة لماض على خدعته وألهوة للذى
أطيل مدى عيشته

عبد اللطيف ثابت

النقد والتأليف

اعجاز القرآن

والبلاغة النبوية

بقلم مصطفى الرافعى (الطبعة الثالثة) فى ٤٥١ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق (مطبعة المقتطف والمقطم بمصر) — وعلى غلاف هذه الطبعة ما يأتي :
«أمر بهذه الطبعة على نفقته حضرة مولانا ملجأ الاسلام والمسلمين وحمى العلم والفضيلة والدين صاحب الجلالة ملك مصر (أحمد فؤاد الاول) عز نصره».

على الرغم مني ما أكتب فى هذا البحث وعلى الضد من ارادتي ما احاول أن استعرض اليوم مجمل ما يقوم في نفسي من أثر المعجزة والمعجزات. غير انى مسوق الى هذا بحكم الضرورة وبحكم ما يقوم فى نفسي من نزعة الى التفكير الحر والنقد الذى لم يفلت منه شيء في هذا الوجود. قال «ادوارد كيرد» فى مقدمة كتابه فى «فلسفة كانت» ما يلي :

« أن العصر الحديث هو عصر النقد. النقد الذى اضطر كل شيء الى الخضوع له خضوعا غير محدود بحد ولا معرف بتعريف. فالدين ، مستويا على عرش القداسة ، والقانون ، قائما على ما يحف به من عظمة ، قد حاولا مراراً عديدة أن يفلتا من حكم النقد، وكان عبثاً ما حاولا . غير أن محاولتهما الافلات من النقد قد بثت في الناس فكرة الشك فى صحة القواعد التى يقومان عليها، وأفقدتهما النتائج التى تترتب على ما يحبو النقد الحر بقيـة فروع المعرفة الانسانية من تمحيص ونزول على حكم العقل الصرف »

على اننا لم نعتد بعد أن نتقبل النقد البريء في مجال أقل من مجال الدين احتكاكا بالمشاعر وأظهرنا البغض حينا والنفور حيناً آخر. فما بالك فى نقد يتناول الاعجاز والمعجزات ، وهي على بعدها عن أحكام العقل الاولية، وعلى اعتبارها، في نظرى على الاقل، من أبعد الاشياء تأييداً للاديان ولفكرة الدين وأقربها إلى منازعة العلم الحديث سلطانه الذى لا يرد وسلطته التي لا تمحى، لا تتجاوز جدانها اخبار يات

لابد من أن تخضع للنقد ، أو مسائل نسبية طبعت بطابع الاعجاز تأييداً للدين ؟ وما ذلك من الدين في كثير ولا قليل . على أنه رغما عن كل هذا أمضى في نقدى ثابت القدم راسخ اليقين فى نبالة قصدى وفي جلال الفكرة التى أدافع عنها.

* * *

الموضوع مشعب النواحى فائض الجوانب والفكرات متكاثرة وعلى الاخص اذ أخذنا فى بحثها من ناحيه التاريخ. فالشك فى حقيقة المعجزات من أخص الاشياء التى غزت الفكر الانسانى منذ أبعد العصور. وكانت سلطة الكنيسة فى العصور الوسطى حائلا كبيراً وسداً منيعا وقف بالعقول دون النقد الحر قروناً متوالية غير أن العلم لم يلبث أن يستقوى على سلطان الكنائس خلال القرن السابع عشر حتى بدأ الناس يفكرون فى أوائل القرن الثامن عشر فى المعجزات ويشكون فيها ، لا في امكان حدوثها فقط، بل في امكان قبولها عقلا. وقامت معركة فى انجلترا تلتها أخرى فى فرنسا، وكان الديئستيون فى انجلترا حماة الاولى، والانسيكلوبيذيون فى فرنسا حماة الثانية . وعلى الرغم مما كان فى ابحاث الانجليز من نقص ، وعلى ما كان فى أقوال الفرنسويين من تطرف، فان المعركة قد ربحها العلم وخسرتها المعجزات.

على انى لا أريد اليوم أن افتح هذا الباب فمن ورائه تيه بعيد المدى قصى المجال قد يضل فيه العقل والمعجزات معاً وقد لا يقعا على نتائج يصح السكون اليها ، وعلى الاخص فى دور انقلابى كالدور الذى تجتازه عقليتنا وقد تخالطفيها كثير من الاوهام بقليل من الحقائق، فكان من ذلك تركيب مزجي تسودت فيه مختلف النزعات النفسية ، وترك العقل نسياً حتى حين.

لهذا نريد أن نحصر النقد فى موضوعات خمس نتناولها بالبحث ونخصها بالنقد لنستطيع على الاقل أن نخلص بنتيجة يصح السكون اليها. ونترك في هذا البحث كل ما لا يمكن تحديده كالبحث فى وقوع المعجزات التى ترويها الاديان بالفعل ونصيب صحتها من التاريخ والنقل الى غير ذلك من الابحاث التى لا يمكن تحديدها والتى يضرب فيها العقل والخيال ممزوجين بآثار المشاعر ضربا تضل فيه عقول ذوى العقول. أما موضوعاتنا فهي :

أولا — هل المعجزة ضرورية لقيام الاديان اطلاقا
ثانياً — الاعجاز المطلق
ثالثا — الاعجاز من ناحية اللغة
رابعاً — الاعجاز من ناحية العلم
خامساً — الاعجاز النسبي

أولا — ضرورة المعجزات للاديان .

اقترن قيام الاديان العظمى بروايات مختلفة في الاعجاز قيل بانها كانت افعل في نفوس الناس من أحكام الدين نفسه ومن ارشادياته ومبادئه العليا . فانشقاق البحر واحياء الموتى واشفاء الاكمه والابرص وانشقاق القمر وانبجاس الماء من الحجر ونزول مائدة من السماء ، كل هذه الاشياء اقترنت بنشوء الاديان العظمى . على أن الاديان القديمة لها معجزاتها ولها رواياتها المختلفة . فاديان الهند القديمة وبابل واشور وفينيقية ومصر لها معجزاتها ولها خيالياتها ومثالياتها . اذن فاديان الارض كتابية وغير كتابية قد اشتركت جماعها فى رواية المعجزات وقرنت وجودها بامثال هذه الروايات التى لا يقبلها العقل في بعض جهاتها ، وهى داخلة فى حد الامكان فى جهات اخرى . فهل شفاء الاكمه والابرص معجزة في الوقت الحاضر ؟ واذا كان هذا يعد معجزة فماذا يكون الحكم فى شفاء المجذوم والمسلول وتحريك القلب الانسانى واعادة الحياة الى الجسم بعد أن تأخذه سكتة الموت الرهيب؟ اهى معجزات أم ممكنات؟ هى ممكنات نخرجها من حيز المعجزات مادام فى استطاعة كل انسان اذا عرف اسرارها أن يأتى بها .

على أن شيوع المعجزات فى الروايات التى ترويها كل الاديان العظمى ومنها الاديان غير الكتابية ، من أكبر الاشياء التى تجعلنا نشك في صحتها جميعا . فاذا أنكرنا على الاديان غير الكتابية معجزاتها فأى شيء يصد أهل هذه الاديان عن أن تنكر معجزاتنا ، والموضوع واحد وأنبياؤهم من حيث القداسة في نظرهم لا ينزلون عندهم عن أنبيائنا عندنا ؟

ولديك مسألة اخرى . هي مسألة التشابه بين بعض المعجزات التي روتها أديان

غير كتابية ومعجزات روتها الاديان الكتابية . فاهل الهند ينسبون الى أحد أنبيائهم و يسمى « كريشنا » معجزات حوطت مولده شبيهة بالمعجزات التى تروى عن مولد عيسى حرفا بحرف . فهل يمكن أن يكون منشأ هذه الروايات واحد وأن النصارى تقديساً لذاتية عيسى قد انتحلوا هذه الروايات انتحالا ، ثم وهموا أنها صحيحة فثبتت في أصول الدين النصرانى ؟ وهلا يمكن أن تكون كل المعجزات قد نشأت من طريق كهذه الطريق أومشابه له على الاقل ؟ وهذه الفكرة على الرغم من انها تدخل فى حدود الامكان ، فان لها من التاريخ اصدق الشواهد .

بعد هذا نتساءل : ماهى العلاقة بين الدين والمعجزة ؟ ولماذا لا يكون دين بغير معجزات ؟ وهل قيام الاديان مشروط على معجزات ؟

لا أستطيع مطلقا أن أسلم بهذا . لان الدين فى أصله عبارة عن تحديد للعلاقة التى يتوهمها الانسان قائمة بينه و بين الله . فأى شأن لتدخل المعجزة فى هذا ؟

على أن حدوث المعجزة ذاتها أو على الاقل ضرورة الالتجاء الى معجزة ليكون الدين مقبولا عند الناس فيه دليل أولى على أن فكرة الدين بعيدة عن نفوس الناس وأن الدين انما يلجأ إلى قسر المعجزة ليلزم الناس الفكرة الزاماً آتيا من ناحية السلطة وحدها لا من ناحية الاقتناع بصحة الشيء فى ذاته . ذلك لان حدوث المعجزة او الالتجاء الى احداث معجزة فيه دليل أولى على أن الناس قد كرهوا الدين وان الدين عجز عن اقناعهم من طريق العقل فالجأ الى نظام الطبيعة يخرق منه ما رأبت يد القدرة العلوية ليقول للناس « هوذا دليل على صدق ماأتيت به » .

على أن الدليل منقوص والحجة غير ناهضة . لان لجوء الاديان الى المعجزة كلجوء المستبدين الى السلطة ، كلاهما امر لا يدل على صحة الفعل أو الفكرة فى ذاتها . لهذا يجب أن نمحو فكرة أن المعجزة ضرورية لقيام الاديان من ناحية التدليل . أما من ناحية السلطة فضرورية اذا كانت ممكنه . ولكن ضرورتها لا تجعل للدين من روعة الاقناع العقلى مالا يجب أن يقوم دين على سواه .

ثانيا — الاعجاز المطلق

ماهو الاعجاز المطلق ؟ هو أن تشق القمر نصفين يستوى أحدهما على جبل

والآخر فى سهل ؟ هوأن تجعل الشمس تشرق من المغرب ؟ هوأن تحيي الموتى بعد أن ماتوا ؟ وعلى الجملة هو أن تخرق نظام الطبيعة القائم على تلك النواميس السرمدية الابدية .

وللكلام فى هذا الموضوع وجهان . الاول فلسفى صرف . والآخر علمى . فنتكلم أولا من ناحية الفلسفة .

يقولون بان الله مخالف للحوادث وانه قديم وان علمه قديم . وان العلم القديم لا يمكن أن يتغير . لأنه إذا تغير أصبح مشاركا للحوادث في علمها بالاشياء . فلا شبهة مع هذا مطلقاً في أن نظام الكون قديم لأنه قائم على علم الله به وهذا العلم لا يتغير لا فى الزمان ولا فى المكان . واذن يكون النظام أبدى سرمدى لأن هذه الصفات من لوازم العلم القديم الذى يتعلق به وجود الاشياء . واذن نعتقد أن الاعجاز المطلق مستحيل لانه مخالف لعلمه القديم مناف لنظام الكون الذى سبق في علمه أن يكون على ماهو ، وأنه سيظل كما كان وكما هو كائن وكما سيكون ، خاضعاً للنواميس التى اختصت بها المادة والقوة وتعلق بها علمه القديم . ولهذا يجب أن نرفض فكرة الاعجاز المطلق رفضاً تاماً من ناحية الفلسفة ومن ناحية الدين نفسه . لاننا اذا لم نرفضها لم نجد بداً من أن نسلم بأن علم الله متغير ، وكل متغير حادث كما يقولون .

أما من ناحية العلم الطبيعى فلا حاجة بنا إلى سرد الادلة والبراهين بعد أن أثبت العلم أن للمادة والقوة قوانين تربطها ونواميس تحكمها وأن كل مايرى فى الكون من الصور نتيجة لتفاعل المادة والقوة فى خضوعها لهذه النواميس . وأن هذه النواميس تجرى على قاعدة من الدقة عجزت كل الآلات التى اخترعها الانسان عن أن تبلغ إلى جزء من دقتها . ناهيك بأن النظام شبكة متخالطة الخيوط وأن اختلال ناحية من نواحيها مفسد لها فى مجموعها . فلو اختل سير القمر حول الارض قيد أنملة واحدة اختل النظام الشمسى كله وربما حلت بالكون كارثة لا نقدر مداها . ولهذا يجب أن نرفض فكرة الاعجاز المطلق من ناحية العلم رفضاً باتاً صريحاً .

ناهيك بان العقل الانسانى ، وعلى الاخص فى كل أدواره اللاهوتية الاخيرة ، قد سلم بأن القدرة لا تتعلق الا بالممكنات . وما الممكنات عنـدى الا كل ماهو داخل تحت سلطان النواميس الطبيعية . ولست أدرى كيف يعلقون القدرة على الممكنات أزاء الله ، ثم يعلقونها على المستحيلات أزاء الانبياء ؟

هذه احدى نزعات العقل الانسانى . يكفر بالحق . ثم يتلمس أسباباً لكفرانه ، ثم يدخـل في دور الاعتقاد بما كفر به . فاذا ثبت اعتقاده فلا مزعزع له من شيء إلا ثورة فكرية تحطم مابنى من أوهام على مر العصور .

ثالثاً — الاعجاز من ناحية اللغة

ليس الاعجاز من ناحية اللغة بداخل في منطقة الاعجـاز المطلق . والا لرفضناه أيضاً . فالاعجاز لغة وأسلوبا و بلاغة نسبي غـير مطلق . فالقرآن معجز للعرب ولاهل العربية . ولـكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول بأنه معجز لمن يتكلمون غير العربية من اللغات . معجز على نفس القاعدة التى تجعلنا نعتقد أن « الفردوس المفقود » لملتن معجز لاهل الانجليزية ، وأن إليـاذة هوميروس معجزة لاهل اليونانية وأن الـكوميديا المقدسة لدانتى معجزة لاهـل اللاتينية . وكما نقول بأن القرآن غير معجز لاهل هذه اللغات ، نستطيع أن نقول بأن «الفردوس المفقود» والالياذة والـكوميديا غير معجزة لاهل العربية . لان الاعجاز من هذه الناحية يجب أن يكون فى صلب الشيء ومن طبيعته .

وكما أن اعجاز القرآن نسبي بالقياس على ماقال العرب وما ضربوا فيه من فنون البلاغة والاساليب ، كذلك تجد أن فردوس ملتن معجز لاهل الانجليزية . وعلى هذا فقس كل ضروب الـكلام .

وللاعجـاز النسبي طرفان . طرف بالغ منتهى الجودة . وطرف بالغ منتهى القبح . فـكما أن القرآن معجز من الناحية الاولى لـكل ماهو دونه ، كذلك نقول فهاهة « باقل » أو ركاكة الجوهرى معجزة لـكل ماهو فوقها .

على انك في الاعجاز النسبي حر فى أن تقول ماشئت ، وأن تطنب فيه بما تشاء . أما اذا اجتزت هذه العقبة لتدخل الى الاعجاز المطلق فانك لست بحر ،

لانك هنالك تواجه النظام الطبيعي الابدي القائم على العلم القديم بما سوف يكون الكون ونظامه ، كالحق في ثباته وقوته ، يرد تخيلاتك اليك حسيرة كليلة .

على أن الاعجاز النسبي من ناحية اللغة قائم على الاوضاع الانسانية . فاعجاز القرآن بلاغة قائم على الاوضاع التي اصطلح عليها العرب أنها بلاغة . وكذلك اعجاز فردوس ملتن قائم على أوضاع الانجليزية والالياذة على أوضاع اليونانية والكوميديا على أوضاع اللاتينية . فاذا اعتقدنا بغير هذا وقفنا على عتبة الباب الموصود باب الاعجاز المطلق ، لنظل هنالك الى آخر الدهور لانستطيع التقدم خطوة واحدة . فاذا تراجعنا فانما نكون قد رجعنا الى شيء من الحق ودخلنا المنطقة التي يصح أن تتفاضل فيها الاوضاع الانسانية .

رابعاً — الاعجاز من ناحية العلم

كذلك لانعتقد أن الاديان جماعها قد أعجزت من ناحية العلم . فكل الاشياء العلمانية التي تعرضت لها الاديان الكتابية قد جرت فيها على ما كسبت من الاديان غير الكتابية من الحوادث والاخباريات والتعاليم ، حتى لقد تساوت كل الاديان منذ العصر البابلي وما قبله في الاعتقاد بأن السماء قباء عظيم وأن من فوقها بحر متلاطم الامواج وأن السماء زينت بمصابيح تخزن في النهار وتعلق في الليل ، وعلى هذا لانريد أن نتكلم في اعجاز العلم طويلا لان الاديان لم تعجز الناس من هذه الناحية لانسبيا ولا اطلاقا .

خامساً — الاعجاز النسبي

وهذا هو حد الامكان قائماً على الاوضاع الانسانية . ولست أجد من سبب حتى الآن يحملني على أن أعتقد بغير هذا حتى لدى النظر في إعجاز القرآن . ومادام الاعجاز خارجا عن حد الاطلاق مقيداً بما تواضع عليه الناس ، فلكل لغة معجزاتها الاسلوبية من غير أن يكون هذا الاعجاز فيها دنياً ، ومن غير أن يتقيد الدين فيها بالاعجاز .

اسماعيل مظهر

تاريخ سوريا ولبنان

جزآن من القطع الكبير تأليف عمر أبو النصر ببيروت — لبنان الكبير.

ملأ الكاتب ٣٨ صفحة من جزئه الاول في سرد تاريخ سوريا ولبنان حتى الفتح العربي وكان يجب عليه اما أن يتوسع في هذا الموضوع ليمكن لطلبة المدارس الذين كتب لهم الكتاب متابعته والا فكان الاجدر به صرف النظر عن بحث هذه الفترة بهذا الايجاز الذى لافائدة منه . وقد اعتمد في نقل المعلومات التى أدلى بها فى هذه الصفحات على المراجع الاجنبية وأما بقية الجزء الاول فاعتمد على المراجع العربية فى كتابته واجهد نفسه في الاستنتاج . وانى آخذ عليه استسلامه للنعرة «العربية» التى الجأته الى التمادى فى بعض آراء غير صحيحة حتى انه ناقض نفسه بنفسه في غير موضع واحد فمثلا قال « تستطيع أن تبحث فلسفتهم (العرب) . . . . في الشعر . فالشعر اذن هو أول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية القوية لتلك الامة البدوية العربية وهل كانت تقوم الحضارة الاسلامية التى ظهر فيها من ظهر من العلماء وافذاذ الرجال لو لم توجد البداوة العربية التى سيطر عليها امرؤ القيس والنابغة (ص ٤٠) » يقول هذا في نفس الكتاب الذى يلخص فيه أقوال الدكتور حسين هيكل ويوردها في مجال قوله . فيقول « مثل هذه الحياة الاقتصادية التى تقضى على أهل شبه الجزيرة بالعزلة والتجوال وتحتم عليهم العمل لكسب الرزق ولا تيسر انشاء المدن الكبيرة، ليس من طبيعتها ان تقر حضارة ثابتة القواعد باقية الاثر، ذلك لان الحضارة ثمرة من ثمرات الاجتماع فى الحضر وهى لا تتفق وحياة البادية ص ٩٩ » وتقرأ له فى ص ١٠٢ « كل ذلك جعل من العربى رجلا خياليا لا يعرف من دقائق حياة الوجود الا قليلا فهو مع هذا يرد كل ما فى الوجود الى شخصه . . . . . أما غير هذا وما اليه من آثار الفكر والفن ومن ثمرات الحضارة فلا تكاد تحسه فى الشعر العربى قبل الاسلام . . . . . والحب كما تعلم ليس الا حديث بقاء النوع، كما ان الكفاح ليس الا حديث الاحتفاظ بالحياة (ص ١٠٣) » تلخيصا عن هيكل

قال ايضا فى ص ٣٩ « ولم يكن العرب تجارا ولكنهم كانوا حماة تجارة » وفى ص ٩٨ « كانت (بلاد العرب) تعتمد فى قوامها الاقتصادى على التجارة » وأريد

أن أسائل حضرته كيف كانت بلاد العرب « طريق التجارة بين الأمم المحيطة بها » فهل يقصد أنها تفصل بين سوريا وما بين النهرين ؟ وهل دولتا الفرس والروم كانتا تخشيان شراذم العرب فتطلبان حماية تجارتهما منهم حين كانتا فى أبان مجدهما ؟ أم هو يشير الى رحلة الشتاء والصيف وكانت تتم بين الاقطار العربية ؟

كذلك يقول ص ٤١ « انك تجد في عصر الراشدين صوراً من الوطنية جديدة » وفى ص ١١٢ يقول « لم يكن في عصر الراشدين سياسة بل دولة دينية »

وعند نقله عن المصادر العربية لم يدقق كثيراً لذلك تقرأ له فى ص ٤٧ « وتوفر المال في أيام عثمان حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ».ويقصد بالطبع ذهباً أو بالاقل فضة إذ لا يعقل أن يزنوها بالحديد أو بالرصاص، واذا علمنا أن مميزات جمال الأناث كان ترهل الجسم وثقل الوزن قدرنا هذا الوزن بقنطار ونصف من الذهب أو الفضة على أقل تقدير وكان هذا حسب قوله « وقت أن كان يباع الفرس بعشرة الآف دينار » (خمسة الآف جنيهاً) والبعير بألف والنخلة بمثل ذلك » فهل يمكن للقارىء تصور نخلة ثمنها خمسمائة من الجنيهات ؟ اذن لانسرف لو قلنا أن ثمن التمرة الواحدة كان يتجاوز القرش الصاغ وقياساً على ذلك يكون ثمن الرغيف الواحد من الخبز دولاراً واحداً وبضع سنتات .

كذلك يقول فى صفحة ٧٤ أن تيمورلنك طلب من دمشق (وحدها) دفع غرامة حوالى منتصف القرن الخامس عشر المسيحى مقدارها مليون دينار (نصف مليون جنيه) ولكن تيمورلنك حنث بالوعد وأخذ يجمع ما تصل اليه يده من المال وكان هذا فى الوقت الذى عمت فيه الفوضى بالبلاد وحين كان للدينار قيمة كبيرة جداً .

ويحاول حضرته فى ص ١١٠ أن يحط من شأن فندربلت وهوجوستنس وروكفلر وروتشلد وفورد وأمثالهم من (الملتيمليونيرات) أصحاب الملايين العديدة فيقول أن حضرة المحترم خالد القسرى عامل بنى أمية في العراق كانت غلته ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ درهم في العام !

كذلك يقول أن عبد الملك بن مروان تعهد أن يدفع لملك الروم كل يوم ألف دينار (خمسمائة جنيه) وألف فرس وألف مملوك. ولحسن الحظ أنه وقف هنا ولم يقل أنه فعل ذلك لمدة سنين. راجع ص ١٢١ .

كذلك حاول حضرته أن يكون دقيقاً في سرد الارقام فقال ان عدد سكان انطاكية في العهد الروماني بلغ ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ص ٣١ وانه هلك في بيروت من زلزال ٣٠٫٠٠٠ من السكان عام ٥٥٥ ق . م . ص٣٤ وكان عدد المردة في لبنان ١٢٫٠٠٠ جندي ص٥٣ وكان أعراب سوريا في عهد بني أمية لايزيدون عن ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة بين ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ من السوريين ص٥٥ . وكان جيش فخر الدين الثاني مكوناً من ٣٠٫٠٠٠ جندي ص٨٤ . وربما تكون هذه الارقام صحيحة ولكنه لم يتفضل بالاشارة إلى كتاب الاحصاء الذي نقل عنه وأظن أن عذره الذي بسطه تحت عنوان « كلمة لابد منها » في صدر كتابه الثاني غير مقبول فقد قال « اعتمدنا في تأليف الكتاب الأول والثاني على كتب كثيرة من عربية وافرنجية لا فائدة من الاشارة اليها . ذلك لأن الحوادث التاريخية لاتختلف في أكثر المؤلفات لا كثيرا ولا قليلا » .

وهو يرى في كلمته التي لا بد منها أن « فضل المؤرخ ليس في سرد الوقائع فحسب وانما هو في تفسيرها » يقول هذا في الوقت الذي ينقل فيه تخبطات سائح ألماني (لم يذكر اسمه) دون تمحيص واليك بعض مانقله عن ذلك الالماني .

« تتراوح درجة ثروة الفلاح في حوران (عام ١٨٠٥) مابين ٥٠٠ و١٠٠٠ و٢٠٠٠ غرش الا أني أعرف رجلا يقدر ثروته بـ ١٠٫٠٠٠ غرش (ص١٠ ج٢) وقد حدثني أحد الرفق أنه لم يستطع أن يتزوج لانه لايملك ثمن العروس وثمنها يتراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ غرش (ألم تكن للمرأة قيمة كبيرة في ذلك الوقت ؟) وعلى الفلاح أن يدفع من الضرائب كل سنة مايقدر بـ ٢٠٠٠ غرش (ونعني هذا اضعاف ثروته) ومتى دفع كل ماعليه لايبقى شيء لديه من غلال حنطته (ولكنك تقرأ أثر ذلك ماينا قضه) والفلاحون في حوران على وجه الاجمال يبيعون غلالهم من الدولة (فكيف يبيعون مالا يتبقى شيء منه لديهم) .

وينقل عنه أيضاً « أن كل ما كان يتقاضاه كل من المعدنين الاروام مشاهرة لايزيد عن ١٠ — ٢٠ غرشاً وكانت أجرة الغزال اليومية من ١٫٥ — ٢ غرش وكان رطل التفاح (أقتين) بعشرة بارات (ربع قرش) والبطيخة بثلاث بارات (٠٫٠٧٥ من القرش) وأجرة الركوبة في اليوم ١٫٥ قرش وأجرة مشال ٢٠ أقة من العفش قرش واحد وان ثمن ثلاثين اسفنجة قرشا واحدا » كل هذا الرخص كان موجودا وقلما كان يدفع الفلاح ٢٠٠٠ قرش ضريبة في السنة عن رأس مال يتراوح بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠ قرش .

وأظن أنه اعتمد في كتابة صفحات جزئه الثاني الى رقم ٨٧ على تاريخ جودت والشهابي وزيدان وخطط كرد علي لان هذه الصفحات لاتحوي إلا نتفاً مأخوذة من هنا وهناك وأما بعد ذلك فقد خصص الصفحات حتى ١٠٣ في الحملة على الدولة العثمانية انتقاماً « للعرب » الذين قدموا لها ٢٤٠٫٠٠٠ جندي مات منهم ٤٠٫٠٠٠ في الحرب وأصبح ٥٠٫٠٠٠ منهم عاجزين ولست أعرف عدد الجيش العثماني الذي اشترك في الحرب ولكني لاأتصور أنه زاد عن ١٫٠٠٠٫٠٠٠ جندي كثيراً ولاأزال أتساءل كيف يمكن لأمة لايزيد تعدادها عن ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس أن تقدم جيشاً عدده ٢٤٠٫٠٠٠ كلهم بين ١٨ و ٤٥ سنة ويقول أيضاً أن خسارة السوريين بلغت ٣٥٠٫٠٠٠ نفس منهم ١٢٠٫٠٠٠ ماتوا جوعاً و ١٢٠٫٠٠٠ ماتوا من الحميات والذي أعرفه عن ثقة هو أن عدد الذين قضوا من الجوع في لبنان الاجرد يقدرون بأكثر من ١٠٫٠٠٠ نفس ولا يزيدون عن ٢٠٫٠٠٠ نفس وأما في الولايات الخصبة فعدد الموتى قليل جداً لتوفر الحاصلات الضرورية هناك، وأما المرضى فلا أعتقد أنهم أحصوا فوجد أن عددهم ١٢٠٫٠٠٠ نفس! فمن أين أتى حضرته بهذه الارقام .

وبعد حملته العربية أخذ في الاشادة بفضائل فرنسا وعزى اليها في ص ١٠٠ اطعام الجياع وتموين لبنان وانشاء مخازن للاعانة وانها صرفت من مالها الخاص في تغذية لبنان (لاسوريا) مايساوي سبعة ملايين فرنك ولكنه لم يعطف على الاميريكان ولا بكلمة شكر عرضية ، وهم الذين أنفقوا ما أنفقوا (وأعترف أنني

عاجز عن تقدير ما أنفقوه) مدة الحرب و بعد الهدنة. فهل السبب في مدح فرنسا دون غيرها هو تقرير الحكومة اللبنانيـة تدريس كتاب « سوريا ولبنان » لمدارس الجمهورية ؟ الجواب على ذلك يعرفة السيد عمر أبو النصر دون غيره .

***

جبل قاف

مراجعة وتلخيص للكتاب الموسوم (بالوافى الكاف) الموضوع لتفسير المأثورات الاسلامية حول (جبل قاف)وحل مشكلاتها وتأويل اشاراتها . تأليف سماحة العلامة حجة الاسـلام السيد هبة الدين دامت بركاته . نشرته ادارة مجلة (المرشد) هدية للمشتركين . طبع بمطبعة النجاح فى بغداد عام ١٣٤٦ ه الموافق ١٩٢٧ م (١)

صدر حجة الاسلام كتابه الطريف بشكلين أولها رسم كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفا جزئياً والثانى رسم الافلاك بحسب الهيئة الجديدة فقرص الشمس وسط المركزوحولها السيارات وافلاكها البيضية فاقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم أرضنا ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل (داخل حلقتها) ثم اورانوس وآخرها نبتون

ثم كتب مقدمة بقلمه السيال يقول فيها ان الاخبار المأثورة فى شأن جبل قاف صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ولهذا أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والاسماع فيتخذ الذين فى قلوبهم مرض أمثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الاسلامية ولذلك (اندفع) سماحته الى تفسير تلك الظواهر المأثورة وكشف أسرارها المستورة (والتوفيق) بينها و بين الـكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك ويلى ذلك متن الكتاب

(١) الـكتاب فى ذاته قليل القيمة ولـكن السبب الذى جعلنا نوجه اليه كل هذا الاهتمام هى فكرة التأويل لان تأويل النصوص على الطريقة التى اتبعها المؤلف مفسدة للدين والعلم معا . لهذا نقدنا الـكتاب لنقضى بذلك على طريقة شاعت في القرون الوسطى وكان لها أسوأ الاثر على تكوين العقلية الانسانيه

وهو فصلان أولهما يبحث فى الآثار الاسلامية حول جبل قاف وفيه يقول ان الاخبار المأثورة وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ عشرين ردا أو اكثر اوردها كالآتى ثم شرع فى الفصل الثانى فى تفسيرها

١ — تفسير الحافظ (القرن الثالث) فى شرح الآية حمعسق اذ قال — بعد اتيانه بالاسنادات القوية — ان ق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر فخضرة السماء من ذلك الجبل

٢ — بصائر الدرجات للصفار (القرن الثالث) خلق الله جبلا محيطا بالدنيا من زبرجد أخضر وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل

٣ — معانى الاخبار لابن بابويه القمى (القرن الرابع) من جبل محيط بالارض وخضرة السماء منه و به يمسك الله الارض أن تميد باهلها

٤ — الدر المنثور للسيوطى (القرن التاسع) جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء

٥ — الدر المنثور وبحار الانوار لباقر (القرن الثانى عشر) جبل محيط بالارض

٦ — تفسير القمى جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج

٧ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس جبل محيط بالعالم

٨ — مجمع البيان للطبرسى (القرن السادس) جبل محيط بالارض من زمردة خضراء وخضرة السماء منها

٩ — المقطوعة المردية والاقاليم والبلدان جبل محيط بالارض كاحاطة بياض العين بسوادها

١٠ — باب البلدان عن الاسرائيلى اذ سأل النبى عن السبب فى خضرة السماء فاجاب اخضرت من جبل قاف

١١ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس خلق الله من وراء هذه الارض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا السماء الدنيا مترفرفة عليه ثم خلق من وراء ذلك الجبل ايضاً مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها وهكذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل

١٢ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورنا لاهلها ومن وراء ذلك سبعين الف أمة

١٣ — باب الجبال من كتاب البحار ان الله من وراء جبل قاف أرضا بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوما للشمس

١٤ — تفسير القمي وغيره لآية (رب العالمين) خلق الله ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالما خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد

١٥ — المختصر والبحار عن الامام الرضا. لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فبالخضرة منها خضرة السماء (والنطاق هو الحجاب) ولله وراء ذلك سبعون الف عالم عددهم أكثر من الانس والجن

١٦ — الدر المنثور عن كعب الاحبار تفسير (حتى توارت بالحجاب) قال حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء فمن ثم يقال البحر الاخضر

١٧ — البحار والدر المنثور عن ابن مسعود قال مثل كعب

١٨ — البحار وجامع الاخبار للشيخ الصدوق سئل النبي عن عرض قاف. وطوله واستدارته فقال مسيرة الف سنة (الى أن قال) وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب والاخرى في وسط السماء

١٩ — روضة الوافي للكاشاني وبصائر الدرجات للصفار في جبل محيط بالدنيا من زبرجد أخضر وخضرة السماء من ذلك الجبل وخلق خلفه خلقاً لم يفترض عليهم شيئا مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة الخ

٢٠ — باب العوالم كتاب البحار للمجلسي وراءه علم لا يصل اليه أحد غير علي بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه وعلمه به كعلمه بدنيانا هذه

ويرى سماحة المؤلف فيما سبق ما يأتي:

١ — انها اثباتات على وجود جبل قاف

٢ — ضعف أسانيدها ظاهرا

٣ — استنكار العقول لجلة من هذه الظواهر لجزم العقول بانتفاء جبل من الضخم يحيط كالحائط بالارض ويقدر بمسيرة الف سنة وهو من زمرد أخضر تؤثر خضرته في السماء وخلفه كذا وكذا من العوالم والاقوام وأشياء تخالف أصول الهيئتين القديمة والجديدة وتناقض مقالات السواح والرحالة

٤ — لذلك لا يجد لديه مناصا من تأويل الظواهر بمعنى يتفق مع الفن ويصدقه العيان والبرهان

ولكي أخفف على القارىء عملية الوقوف على قيمة هذه البراهين العشرين سأضع أرقامها بعد الكلمات الموجودة في هذه البراهين القوية فقد ورد مايفيد أن قافا

جبل		في البراهين من ١ — ٩ و١١ و١٣ و١٩
طوله مسيرة ألف عام		فى ١٨
له ثلاث ذوائب من نور واحدة بالمشرق والثانية بالمغرب وأخرى وسط السماء		في ١٨
وانه محيط	ببحر يحيط بالارض	في ١١
	بالارض	في ٣ و٥ و٨
	كاحاطة بياض العين بسوادها	في ٩
	بالعالم	في ٧
	بالدنيا	فى ١ و٢و٤و١٩
	من وراء يأجوج ومأجوج	في ٦
	بالخلائق	في ١٦ و١٧
وانه عبارة عن	زمردة	في ١ و٤ و٨
	زبرجدة	في ٢ و١٥ و١٩
	ياقوتة	في ١٦ و١٧ و١٨
وأن لونه أخضر		فى ١ و٢ و٨ و١٥ و١٦ و١٧ و١٩

وأن خضرة السماء منه في ١ و٢ و٣ و٨ و١٠ و١٥ و١٦ و١٧ و١٩
وأن خضرة البحر من خضرة السماء في ١٦ و١٧
وأن به يمسك الله الارض أن تميد بأهلها في ٣

وأن السماء | الدنيا مرفرفة عليه في ١٤ و١١
| على كتفه في ٤

وان خلفه
- ٧ بحار
  - كل منها ٥٠٠ عام خلفها ٧ أرضين يضيء نورها لاهلها ومن وراء ذلك ٧٠٠ أمة في ١٢
  - خلفها ٣٠٠ و بضع ١٠ عالماً لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن ٣١٣ آدم وما ولد في ١٤
- أرض
  - بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس في ١٣
  - مثل تلك الارض ٧ مرات ووراء ذلك محيط بها بحراً وهكذا حتى عد ٧ أرضين و٧ أبحر و٧ أجبل في ١١
- خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة الخ . في ١٩
- سبعون ألف عالم عددهم أكثر من الانس والجان في ١٥
- عالم لا يصل اليه أحد غير على بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه وعلمه به كعلمه بدنيانا هذه في ٢٠

أفليست هذه الاسانيد براهين علمية كافية تثبت صحة النظرية التي يحاول سماحته اثباتها حتى لا يتشكك الناس فى هذا الأثر الخالد وهلا يكتفي الملحدون (بالتطابق التام) الظاهر جلياً في هذه البراهين فلا يستخفون بالآثار الاسلامية بعد الآن ؟ .

وأراد الاستاذ حجة الاسلام نفعنا الله به أن يخاطب المارقين عن الدين الحنيف على قدر عقولهم فسخر فصله الثاني لاثبات وجود جبل قاف اثباتا استخرجه

من معتقدات الكفرة التي يسمونها علوماً فقال نفعنا الله تعالى بعلمه :

« يقول البعض أن جبل قاف يمتد من بحر قزوين إلى البحر الاسود وأن كلمة قفقاز منتحلة من لفظ (قوه قاف) وأصلها (كوة قاف) وهي فارسية معناها جبل قاف ومع أن وضع الجواد خلف العربية في هذا التحليل قد يستسيغه البعض لم يرض عنه حجة الاسلام لانه لايكفل شرح المأثورات الاسلامية الا ماجاء في الرواية السادسة « جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج » وهل يمكننا نحن الجهال الوصول الى ماوصل اليه حجة الاسلام من « أن جبال القفقاز تحيط بالدنيا وراء يأجوج ومأجوج » ولكن مادام الشيخ قد قال ذلك وجبت علينا طاعته .

وحل الشيخ الجليل الذى توصل اليه متين جداً وهاهو .

« انك لو تصورت كرة الارض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها لوجدت الظل شبحاً مظلماً على شكله المخروطى قاعدته الوسيعة عند الارض ورأسه الدقيق نحو السموات على هيئة جبل عظيم » هذا هو جبل قاف وقد أتى بقرائن عشر تبين رأيه الفريد .

١ — لكل أرض جبل قاف، فقاف ليست علماً شخصياً بل هو اسم جنس متكثر الافراد وقاف من مادة قوف ومعناها تبع وجوازاً خذه من قفى فهو قاف نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

٢ — معلوم أن المراد بالدنيا والعالم والخلائق هذه الارض وما عليها فظل لارض محيط بها وما عليها (على التوالى) كاحاطة بياض العين بسوادها .

٣ — وصف ارتفاع جبل قاف بمسيرة الف سنة يطابق ارتفاع الظل وهو ٨٠٠،٠٠٠ ميل (معنى هذا أن الانسان يسير ٨٠٠ ميل في السنة أو بمعنى آخر ميلين في اليوم .؟)

أما كون السماء الدنيا طرفاها عليه فمعنى ذلك فلك القمر (كما ارتآه المتقدمون)

٤ — الذوائب الثلاثة تنطبق على مخروط ظل الارض .

٥ — تشبيه الجبل بالزمرد والزبرجد والياقوت الاخضر معناه أن جبل قاف في الخضرة كهذه الاشياء فى لونها

٦ — خضرة السماء من جنس خضرة الجبل. هذا هو المعنى وليس معناه أنها مأخوذة من خضرة الجبل ذاتها .

٧ — يحيلك لاجل تفهم معنى البحار والارضين السبعة الى كتابه « الهيئة والاسلام » ويصفه بأنه أثمن كتاب في عالم المطبوعات ص ١٥ .

٨ — كلام عن تعدد جبل قاف لم أفهمه عجزا مني .

٩ — خلفه أرض بيضاء كالفضة معناها القطب .

١٠ — وراءه عوالم لا يعرفون آدم معناه ماوراء مجارى السيارات السبعة .

وقد قرظ الكتاب الذى لخصته لك أعلاه من أسماء صاحب الكتاب :

« استاذ العلماء وعلامة الادباء زعيم المجتهدين المجاهدين ورئيس الفقهاء الروحانيين حجة الاسلام وركنه وحامى الشرع وحصنه الحاج السيد مصطفى الكاشانى النجفى » .

أليست هذه الالقاب أعظم وأفخر من :

Mustafa El Kashane
LL. D., D. C. L., PH. D.. D Litt., O. E., D. D., M. D., D.Com., D. D. S. etc.,

قلنا اتركوا الطابق مستوراً فلم تسمعوا فذوقوا، اذن جزاء مااقترفته أيديكم من ترجمة علم الفلك بمنشوراته وظلاله وهبابه . وهذا أقل ما تستحقونه فكفروا اذن عن سيئاتكم بقراءة هذا التلخيص .

حسين محمود

بين الصحف والمجلات

ترجمة المصطلحات العلمية

حول نقد سابق (١)

* * *

قرأت ما كتبتموه في « العصور » حول بعض الاصطلاحات التي استعملناها في « مجلة التربية والتعليم » .

اننا نتفق واياكم كل الاتفاق في القول بوجوب « تكوين أكاديمي مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها في تقرير المصطلحات » كما اننا نسلم وجوب جعل مقر هذا الاكاديمي في مصر وذلك ليس « لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية » فحسب بل لكونها أرقى البلاد العربية وأغناها من حيث المال والرجال أيضاً .

فعند ماسعينا قبل مدة لتشجيع حركة « مؤتمر الثقافة العربية » أوضحنا اعتقادنا بضرورة عقد المؤتمر في مصر واقترحنا أن توضع مسألة « توحيد المصطلحات العلمية » في مقدمة المسائل التي تتناولها مذكرات المؤتمر للتوصل إلى إيجاد أنجع الطرق لحل هذه المعضلة ، وسعياً وراء تكوين « عضوية » ثابتة تقوم بهذه المهمة .

ولذا قد اغتبطنا جد الاغتباط بازدياد اقتناعكم « بوجوب تكوين هذه الاكاديمي ».

هذا ولابد من أنكم تعلمون أن الاكاديميات لاتتمكن عادة من إيجاد المصطلحات ووضعها ، بل انها تجمع المصطلحات المقترحة والمستعملة وتنتقدها وتختار الاوفق منها فتقررها .

فكل المساعي التي تبذل في ايجاد المصطلحات ومناقشتها تهيىء الاكاديمي

(١) نشر النقد الذي يدور حوله هذا البحث في عدد فبراير الماضي من العصور .

المواد الانشائية التى تحتاج اليها وتسهل مهمتها وتخدم نجاحها .

وبهذا الاعتقاد رأيت أن أغتنم الفرصة التى أوجدتموها لنا بفتحكم باب المناقشة والمداولة في الاصطلاحات التى استعملناها لاوضح رأيي فيها :—

ان كل من يتوغل في العلوم الحديثة ويحاول أن يعبر عن مسائلها تعبيراً صحيحاً فى كتاباته ولا سيما فى دروسه ومحاضراته ، يجابه مشاكل كبيرة من جراء نقص المصطلحات فيحتار أحياناً في أمره إذ يتحتم عليه أن يضع المعنى فوق كل اعتبار ، فيسعى للتعبير عنه تعبيراً واضحاً بالصور التى تخطر على باله كلها . وهو يستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التى يجدها أقرب إلى المقصود — وان لم يرتح اليها تماماً — على أن يبقيها عرضة للبحث والتجربة الى أن يتسنى له ايجاد أفضل منها مما يكون أكثر ملاءمة للمعنى وموافقة للمقصود ، حتى اذا ماوجد اصطلاحاً جديداً أوفق مما سبق له استعماله ترك الاول مستعيضاً عنه بالثانى .

هذا مااعتدنا أن نفعله نحن فى دروسنا ومحاضراتنا وهذا ما اخذنا نعمل بمقتضاه في مقالاتنا . فكثيراً ماغيرنا التعبيرات التى استعملناها في دروسنا كما اننا سنبقى مستعدين لتغيير الاصطلاحات التى نستعملها في مقالاتنا .

فنحن وان كنا مرتاحين الى بعضها فاننا لانزال مترددين فى بعضها الآخر وعلى كل حال لسنا متمسكين بها كلها .

واعتقد أنه يترتب على كل من يتوغل في العلم أن يسلك خطة مماثلة للخطة المبحوث عنها ، ولا ينسى أننا لانزال فى « طور البحث والتجربة » فى أمر الاصطلاحات . فعليه أن يعتبر الاصطلاحات التى تخطر بباله كأوضاع مؤقتة يجب أن تبقى معرضة للبحث والنقد قبل تقريرها أو رفضها نهائياً ، ولا يحسبها من الـ « حقائق الراهنة » التى يجوز التمسك بها تمسكا قاطعا والتى يسوغ سد باب الاجتهاد في وجهها سداً محكماً .

أقول هذا ، لانى أراكم تميلون الى استعمال « أساليب بتاتة » في أمر الاصطلاحات فتكتبون « يقول كذا وحقيقتها كذا » ولا شك في أنكم

لاتجهلون أن الاصطلاحات ليست من الحقائق، فمناقشتها اذن لايجوز أن تجرى مجرى « مناقشة الحقائق الراهنة » :

***

بعد هذه المقدمة التي رأيت من الضروري أن أقدمها لايضاح رأيي في الاصطلاحات بوجه عام أعود إلى أساس البحث وأشرح ماأراه في كل كلمة على حدة . ولا بد لي من الشروع بكلمة « الفسلجة » إذ أنكم وجهتم أحد سهامكم اليها . فقلتم إن مثل هذه الكلمات « مما لايمكن أن تقبلها أساليب التعريب العربية » وأن في ذلك « فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألهية يلهو بها الكتاب مجوناً »

فعليّ أن أصرح قبل كل شيء بأننا لم نستعمل هذه الكلمة إلا بناء على اقتراح الشيخ عبد القادر المغربي ولا شك في أنكم لاتجهلون مقامه في الأدب العربي ودرجة توغله في تدقيق أساليب الاشتقاق والتعريب .

انني لاأقول ذلك بقصد « رد الحجة بالسلطة » ولا بقصد « الاختباء وراء الشهرة » بل أقول ذلك لابين لكم ان الكلمة ممايحتاج الى التدقيق والمناقشة بروح يميل الى « التساهل والقبول » أكثر مما يلتزم « التشدد والاعراض » وانها لاتستحق النعت بتلك النعوت العنيفة التي أسرفتم فيها من غير تدقيق أو حساب .

تقولون « لماذا لانجرى على القواعد التي انتهجها العرب في التعريب » فقالوا « قاطيغورياس وأناليطيقا وفيزيقا »

نحن لم نحاول قط أن نخالف « القواعد التي انتهجها العرب في التعريب » بل على عكس ذلك . مااخترنا كلمة « الفسلجة » الا جريا على تلك القواعد.

نعم ان أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهم هل استمروا في استعمالها ؟ كلا . فانهم لم يلبثوا أن ترجموها بكلمة « المقولات » وصاروا يقولون « المقولات العشر » و « المقول في جواب ماهو » و « المقول في جواب أين » .... حتى أنهم قالوا « المقولية » فظلت كلمة قاطيغورياس مهملة ومطمورة في زوايا بعض

كتب المنطق والفلسفة القديمة ، عنواناً لفصل أو لكتاب — لانها كانت اسما لاحد كتب « المعلم الاول » . فكل من يتصفح كتب المنطق والفلسفة القديمة يتأكد أن هذه الكلمة لم تتأصل في اللغة العربية بل انها غلبت على أمرها أما كلمة « المقولات » فانه يجدها مذكورة في بعض الكتب ذكرا مقروناً بترجمتها ولا يجد لها ذكراً فى كتب أخرى . فى حين أنه يجد كلة المقولات مستعملة فى كل منها عشرات المرات .

فهل يجوز لنا أن نستخرج « قواعد التعريب » من مثل هذه الكلمات التى لم تتمكن من التأصل فى اللغة ومن التجنس بها ؟

أما كلمة « أناليطيقا » فانها لم تنل حظاً من الحياة حتى بقدر ما نالته كلمة « قاطيغورياس » : فقد ذكرت في الكتب لانها كانت عنواناً لكتابين من كتب المنطق لارسطوطاليس ولكنها ترجمت الى العربية بكلمة (تحليل القياس) و (فصل البرهان) فهل يجوز لنا والحالة هذه أن نعتبرها مثالا للكلمات العربية ونحاول أن نستخرج منها قواعد التعريب . ؟

واذا تصفحنا الكتب القديمة رأينا فيها ذكراً لكثير من الكلمات اليونانية كعناوين لكتب مختلفة . من ذلك كلمة « ديالقطيقى » أى جدل و « ريطوريقى » أى خطابى و « بوطيقا » أى شعر . فهل يمكننا أن ندعى بأن نسبة كلمة أناليطيقا الى اللغة العربية أكثر من نسبة هذه الكلمات اليها ؟

حتى أن كتاب أخبار الحكماء يذكر كتابا لارسطوطاليس « بروباماطا قاطندى أباطريقا » وهل سنقول بناء على ذلك أن هذه الكلمات دخلت في اللغة العربية ؟

من المعلوم أن أسلافنا استعملوا مدة من الزمن كلمة « ارثماطيقى » حتى اننا نظن أنهم استعملوا كلمة « جومطريا » أيضاً لأن إقليدس كان معروفا بينهم بـ « صاحب الجومطريا » . فهل يجوز لنا أن ندعى أن هاتين الكلمتين أصبحتا من مفردات اللغة العربية ؟ وهل يسوغ لنا أن ننسى أنهما ماتتا ، وأن الاولى

تركت محلها لكلمة عربية بحتة (الحساب) وأن الثانية تركت محلها لكلمة معربة شبيهة بالكلمات العربية (الهندسة) .

- اننا نعتقد أن الذكر المجرد ، أو الاستعمال الموقت لايكفيان لاعتبار الكلمات من المعربات ونقول باننا اذا أردنا أن نكتشف القواعد التى نجرى عليها العرب في التعريب ، وجب علينا أن نعتبر الكلمات التى عاشت وتأصلت لا الكلمات التى ظلت جامدة ثم ماتت .

لذلك نرى أن كلمة « الفلسفة » الحية والولود تدلنا على مجارى قواعد التعريب أكثر من كلمة « أناليطيقا » العقيمة والميتة .

فان الاولى تغلبت على كلمة « الحكمة » التى كانت تعتبر مرادفة لها فعاشت منذ قرون وولدت نسلا من الكلمات « مثل فلسفى فلسفيا فليسوف تفلسف متفلسف » عدا بعض الجموع مثل «الفلسفات الفلاسفة المتفلسفين» أما الثانية فانها لم تتمكن من التغلب على كلمة «التحليل» فماتت بعد ولادتها بزمن قصير من غير أن تولد كلمة جديدة أو تترك أثراً ما .

فكيف يسوغ لنا أن نعتبر الاولى شاذة ونروح نطلب القاعدة من الثانية؟

هذا وكلمة «الفلسفة» ليست فريدة في بابها فاننا نذكر عدة كلمات معربة مثلها على وزنها «سفسطة هرطقة هندسة صيدلة سفتجة بلشفة» . .

من المعلوم أن المتقدمين قالوا فى بادىء الامر «سوفسطيقا» فاننا نجد هذه الكلمة مذكورة في كتب عديدة بهذا الشكل ولكن بعد ذلك صوروها وجعلوها (سفسطة) .

ويمكننا القول إن الكلمة لم تتغلب على كلمتى «المغالطة» و«التمويه» إلا بعد هذا التطور ، بل بفضل هذا التطور . فانها دخلت بهذه الصورة في قالب سهل التلفظ وقابل للتصريف والتوليد فصرنا نقول سفسطات سفطى سفسطائى سوفسطائية . كما أنه أصبح فى وسعنا أن نقول : تسفسط متسفسط

ويجب أن لايفوتنا أن اسم الشيوعية الروسية أيضا تعرب على الطريقة نفسها . فلم يقل « بولشفيقا « ولا « بولشفزما » ولا « بولشفيا » بل قيل « بلشفية

وصرنا نقول « بلشفي ، بلا شفة ، تبلشف ، متبلشف » ورأينا ان الكلمة على هذا الشكل شاعت شيوعا كبيراً بين الناس

فاذا ماعربنا اليوم كلة «فسيولوجيا» بقولنا «فسلجة» على وزن سفسطة وفلسفة و بلشفة — أنكون قدخالفنا أساليب التعريب؟أم نكون على عكس ذلك قد جرينا على تلك الاساليب ؟

تدعون باننا نريد « أن نجرى بطبيعة الحال على هذه القاعدة» في أسماء جميع العلوم وسنقول مثلا فى التشريح «أنتمة» وفى النبات « بتننه» ...

فاسمحوا لى أن اقول بانني لم أرمسوغا لهذا الادعاء والاستدلال. هل يحق لى أن ادعى أن حضرتكم ستقولون في التشريح «آناتوميا» وفى النبات « بوطانيا» أو « بوطانيقا» لانكم قلتم «فسيولوجيا» ؟

انى عربت كلة « مرفولوجي» على شكل « مرفجة » وتمنيت تعريب كلة «سيكاوجي» على شكل «سكلجة» و وجدت سهولة عظمى في القول «فسلجيا . مرفجيا سكلجيا » و «الفروق الفسلجية المرفجية السكلجية» ولكننى لم افكر لحظة واحدة فى البحث عن أسماء تقوم مقام « التشريح والنبات والحيوان » لان هذه الكلمات دارجة وسهلة وقصيرة وهي وافية بالمرام

* * *

انتقل الآن الى بقية الاصطلاحات وابدى رأيي فى كل منها على حدة.

١ — Objectif, Subjectif لقد اعترضتم على الاصطلاحات التى اتخذناها لهاتين الكلمتين . وأصررتم على وجوب ترجمة Objectif بكلمة «موضوعى» وترجمة Subjectif بكلمة ذاتى .

انني لعاجز عن فهم الاسباب التى دعت بعض الكتاب الى استعمال كلة «موضوعى» فى هذا المقام. لان كلة «موضوع» من الكلمات الشائعة شيوعا كبيراً وهي تستعمل دوما لمعان لا تاتئم والمعنى المقصود من كلة Object بوجه من الوجوه. فهى تستعمل في المنطق — منذ القديم — للدلالة على أحد جزئى القضايا وهو المحكوم عليه. أما الكلمة التي تقابلها فى اللغات الاوربية فهي Subject وليست Object

كما انها تستعمل فى لغة العلم والأدب بمعنى مدار البحث والدرس، فكلنا نقول ونكتب «موضوع الرواية، موضوع البحث، موضوع الانشاء، موضوع القراءة..» ونقصد بكلمة « موضوع » فى مثل هذه العبارات ما يعبر عنه الفرنسيين بكلمة Object لا Subject

فكيف يجوز لنا والحالة هذه أن نأخذ هذه الكلمة ونحاول استعمالها فى معنى مضاد لهذا المعنى الدارج بمجرد اضافة ياء النسبة الى آخرها ؟

لما شرعت في قراءة الكلمة التى كتبتموها فى انتقاد محاضرة الدكتور طه حسين (العصور الصحيفة ٦٥١) عثرت فى خلال السطور السبعة الاولى منها على ثلاث عبارات تحتوى على كلمة الموضوع :

« المحاضرات التى ألقاها طه حسين في الموضوع الذى يحدده عنوان المقال — منقولة عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً — ذكرنى الكتاب ببحثين فى الموضوع » فاذا ماحاولتم ترجمة هذه العبارات الى الفرنسية ألا تضطرون الى ترجمة كلمة «الموضوع» بـ Subject فى جميعها ؟

قلتم فى احدى العبارات المذكورة « الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً »: فلنفرض انكم وددتم أن تفهموا القارىء ان الموضوع كان يجب أن يدرس Objectivement فهل كنتم تقولون « الذين لم يدرسوا الموضوع درساً موضوعياً ؟ »

واذا قلتم ذلك أفلا تظنون أن استعمال الكلمة الواحدة على هذا الوجه — في عبارة واحدة بمعنيين يختلف أحدهما عن الاخر اختلافاً كليا — يشوش الاذهان كثيراً ؟ ثم افرضوا أن احد معلمى الانشاء قال « فلان وسع الموضوع موضوعياً » فهل ترتاحون لمثل هذه الاقوال ؟

انني اعتقد أن محاولة التعبير عن مدلول كلمة Objectif بكلمة « الموضوعى » مما يغمر المدلول بغموض مستمر يحول دون دخول هذا المفهوم الى الادمغة بوضوح كلى ويعوق انتشاره بين المستنيرين انتشاراً مرضياً.

ومما هو جدير بالالتفات أن كلمة Object تدل من حيث الاشتقاق على معنى «موضوع امام» فى حين أن كلمة Subject تدل على معنى « موضوع تحت »

يفهم من ذلك أن الفرق بين الـكلمتين ليس في مفهوم «الموضوعية» اذ أن كلتاهما تشتركان في هذا المفهوم . فعليه لا يجوز لنا أن نحاول التمييز بين هاتين الـكلمتين — في المعانى التى نحن بصددها — بتسمية احداهما «الموضوعى». انما نحن في حاجة ماسة الى كلمة غير هذه الـكلمة .

بماذا نعبر عادة عن المدلول الاصلى لـكلمة Object ؟ اننى لم أجد بين الـكلمات العربية ما يرد أكثر ملاءمة لهذا المدلول من كلمة شبح لان Object فى الاصل هو ما يعرض على الانظار و يؤثر على الحواس »

هذا هو الشبح . فقد قال الزمخشرى « أسماء الاشباح هى التى ادركتها الرؤية والحس » .

وعندما يقول العلماء « درس الحالة النفسية باسلوب Objectif » ألا يريدون بذلك « درس تلك الحالة كأنها شبح من الاشباح المحيطة بنا ؟ فنحن قد اخترنا كلمة «شبحانى» بسائق الحاجة الى ايراد هذه العبارات التى لا بد للباحث من أن يستعمل نظيراتها عند ما يحاول شرح المعنى المقصود من كلمة Objectif فى هذه المواطن

اننى لا أقول بتعذر ايجاد كلمة أكثر موافقة منها للتعبير عن هذا المعنى — ولـكننى اعارض في استعمال كلمة « الموضوعى » فى هذا المقام كل المعارضة وأدعو الـكتاب الذين اعتادوا استعمالها بهذا المعنى الى اعادة النظر فى الامر والتأمل فيه.

أما استعمال كلمة « ذاتى » « ل Sub ectif « فاننى لا أعارضه معارضة شديدة الا اننى الاحظ على الـكلمة شيوع استعمالها فى الفلسفة والمنطق ازاء كلمة « العرضى »

لقد استعملت كلمة « شخصانى » باعتبار أن ال Subjectif هو ما يعود الى الشخص المفـكر المنفعل « وان مدلوله ذات علاقة بشخصنا و بشخصيتنا وكنت فـكرت فى استعمال كلمة « باطنى » غير انى عدلت عنها لـكثرة شيوعها ازاء « الظاهرى »

هـذا ويستعمل بعض المفكرين والـكتاب كلمتى « أنفسى » و « آفاقى » ل سوبجكتيف و أو بجكتيف » جريا على ما درج عليه المتصوفة في تعبيرهم الذى استخرجوه من الآية القرآنية « وسنريهم مافى أنفسهم والآفاق »

وفي اعتقادى أن هذه المصطلحات تحتاج الى تمحيص بتمام العناية

٢ — Causalité الفيتكم تعترضون على « العلية » وتقترحون استبدالها بـ « السببية » بينما نحن لم نختر كلمة العلية إلا لاننا وجدناها أكثر شيوعا من غيرها فى كتب الفلسفة القديمة تبحث دائما عن « العلة والمعلول والعلية والتعليل » كما اننا رأينا الكتب المصرية الحديثة أيضا قد اقتفت أثر تلك الكتب. فهذه الكلمة نفسها مستعملة بالمعنى عينه في أصول الفلسفة (لأمين واصف) وفى (علم المنطق الحديث) لمحمد حسنين عبد الرزاق. فلم نر مبرراً لمخالفة هذا الاستعمال.

أما كلمة « فيناليتى » فيمكن ترجمتها « غائية »

٣ — Determinisme لقد اعترضتم على « المعينية » ورأيتم استعمال « القصدية » مكانها. فاسمحوا لى أن اقول ان المعنى المراد بـ « الدترمنيزم » هو عكس « القصدى » تماما. لان القصد مظهر من مظاهرها الاختيار في حين ان « الدترمنيزم » هو انكار لتأثير الاختيار فى الحادثات

وأظنكم توهمتم فى هذا الصدد من كلمة Determination التى تدل حقاً على « القصد » ولكن « دترميناسيون » شيء و « دترمنيزم » شيء آخر اذ يعنى بالدترمينيزم أن الحادثات تتعين وتتحدد بالظروف التى تحيط بها والعوامل التى تسبقها. فما علاقة هذا المعنى بالقصد والقصدى ؟

٤ — Evolutional وجدتكم تعترضون على ترجمتها « التطورى » وترومون أن يقال بدلا منها « نشوئى »

لقد ترجمت Evolution الى العربية — في الكتب المصرية — تارة بكلمة « التطور » وطوراً بكلمة « النشوء والارتقاء »

واننا نرجح استعمال كلمة « التطور » فى هذا المقام. أما كلمة « النشوء » فنجدها أكثر انطباقا على معنى Development لان كلمة Evolution تعنى « الانتقال من طور الى طور انتقالا تدريجياً ومستمراً، سواء أكان الطور الجديد أرقى من المقدم أم أحط منه. فكلمة التطور تدل على هذا المعنى دلالة أدق مما تدل عليه كلمة « النشوء »

٥ — Génétipue انى أوافقكم على ترجمتها بكلمة « التكوين »

٦ — Behaviour تقترحون استعمال كلمة « السلوك » ولكن القصد من هذه

الكلمة هو غير الـ conduct ان مدلول كلمة «السلوك» مصبوغ بصبغة أخلاقية. فترى من اللازم أن نحفظ لهاتلك الصبغة . أما المعنى المقصود من كلمة Be aviour فى علم النفس فهو مجرد من مثل هذه الاعتبارات. بل انه مجرد حتى من جميع الاعتبارات الشعورية فقد درس «بافلوف» مثلا بعض الحالات النفسية عند الكلاب بملاحظة ما يطرأ على افرازاتها اللعابية من تزايد وتناقص . فهل يمكننا أن نقول « سلوك الكلب» عند ما نبحث عن هذه الافرازات؟

اعترف أن كلمة «انتهاج» أيضاً لا تدل على المعنى المقصود دلالة وافية، إلا انها لم تكن من الكلمات الدارجة فلا يصعب علينا تخصيصها لهذا المعنى الجديد.

ومما يستلفت الانظار فى هذا الباب أن علماء فرنسا عند ما اقتبسوا هذه الفكرة من الامريكان لم يعبروا عنها بكلمة Conduite بل أوجدوا لها كلمة جديدة نوعاً ما وصاروا يقولون Comportment

٧ — Normal لقد اعترضتم على «سوى وغير سوى» وقلتم باستعمال «قياسى وغير قياسى» لهذا المعنى. غير انى اظن أن هاتين الكلمتين تلائمان Reguler و Irregular أكثر من «نورمال» و «انورمال» اذ انهما مستعملتان فى الصرف بهذا المعنى .

وأرى كلمة «سوى» أكثر دلالة على الـ Normal لغة واصطلاحاً. اذ الكلمة مأخوذة من Norma اللاتينية التى تدل على آلة الزاوية المستعملة لرسم الخطوط العمودية (حيث تكون الزوايا التى تحدث فى طرفيها متساوية) . ولذلك تستعمل الكلمة فى الهندسة بمعنى « العمودى » أما فى علم النفس فانها تستعمل للدلالة على الحالة المرضية والآنية .وقد جاء فى المعاجم العربية «غلام سوى أى مستوى الخلق لاداء به ولا عيب — ورزقك الله ولداً سوياً لاداء به ولاعيب»

ألا ترون أن كلمة «سوى» هنا تطابق المعنى الذى نفهمه من كلمة «نورمال» في مثل هذه الموضوعات كل المطابقة ؟

هذا ويمكننا أن نقول « فوق السوى» لـ Surnomal «وتحت السوي » Subnormal و«لاسوي» أو «غير سوى » Anormal

إن هذا الاضطلاح من الاصلاحات التى اعتقد بامكان نشرها بارتياح كلى
بغداد — ٣١ مارس ١٩٢٨ ساطع الحصرى

العصور — نشكر للاستاذ عنايته ونكبر فيه اهتمامه بموضوع التعريب والترجمة لأنا نعتقد بحق أن هذا العصر هو عصر النقل . ولا شبهة مطلقاً فى أن النقل هو الأساس الذى لا نستطيع بغيره أن نكون ثقافة عليا بالمعنى الصحيح .

على أننى بعد هذا أصارح الاستاذ بأننى لا أوافقه على كثير مما أتى به فى رده الذى أثبتناه هنا بنصه غير منقوص حرفاً واحداً . ولهذا نضطر الى الاطناب في الرد اطنابه في النقد تحقيقاً لا نتعرض فيه الا لرد الحجة بالحجة لا رد «الحجة بالسلطة» التى نبغضها ونعتقد أنها من أفسد المفاسد التى لجأ اليها العقل ليقرر حقائق العلم واللغة .

أولا — استعمال أساليب باتة فى ترجمة المصطلحات .

لا أنكر أنني استعملت شيئاً من الاسلوب البات في نقد ماذهب اليه الاستاذ في مقاله الذى يدور من حوله هذا البحث . والسبب الذى ألجأنى الى هذا هو اعتقادى بأن الاصطلاح الذى جرى على الألسنة والاقلام وقبله أكثر الكتاب او المترجمين أصبح له مبرراً كبيراً لان يحوز بعض السلطة المستمدة من شبه اجماع يتفق عليه الكتاب من طريق لاشعورى. ولا جرم أن هذا يبرر لنا الدفاع عنه لاسيما اذا كنا من الذين جروا عليه وقبلوه ليكون اصطلاحاً علمياً أو فلسفياً أو ما إلى ذلك. أما إذا اعتبرنا أن كل اصطلاح قابل للتغيير حتى ولو قبله أكثرية الكتاب والمترجمين وقعنا فى فوضى لا نهاية لها . هذا ولا ريب فى أن قبول أكثرية الكتاب للجرى على اصطلاح واستعماله فى كتب التدريس وحتى كتب الابحاث العامة هو المسبر الوحيد الذى يمكن أن يقاس به مقدار مافى ذلك الاصطلاح من حيوية واتفاق لا مع قواعد التعريب وحدها ، ولكن مع الذوق والحاجة التى تتطلبها اللغة نفسها . وهذا هو السبب الوحيد الذى حدى بى الى الجرى على أسلوبات فى ردي الذى تناولت به مقال مجلة التربية والتعليم .

ثانياً — كلمة فسلجة

لم نخالفكم مطلقاً في أن تزنوا « فسيولوجيا » على كلة فلسفة « الولود » كما تقولون . أما الذى اعترضنا عليه في الحقيقة هو صعوبة الجرى على مفرد ننحتهمن هذه الكلمة . ولا يخفى عليكم أن العرب عندما استعملوا كلمة سفسطة قالوا في مفردها سفسطائى ولم يقولوا سفسطى وقالوا في هرطقة هرطوق وفي هندسة مهندس وفى صيدلة صيدلانى ، ولم ينسبوا مطلقاً الىسفتجة ولا عرفوا بالطبيعة كلة بلشفة. فعلى أى من هذه الاوزان نجرى في مفرد فسلجة ؟ هل نقول فسلجائى كما قالوا في سفسطة أم فسلوج كما قالوا في هرطقة أو مفسلج كما قالوا في هندسة أم فسلجانى كما قالوا في صيدلة ؟ هذا هو وجه اعتراضنا فى الجرى على هذا الاصطلاح التعريبى . فليس يكفى في نظرنا أن نعثر على اصطلاح معرب لاسم العلم وحده ثم لا نعثر على مشتقات منه تؤدى بقية الحاجات ، أى على مفرده وجمعه ، بحيث تكون مقبولة من جهة الذوق اللغوى ، ومراعاته عندى من أكبر الاسباب التى تؤدى الى بقاء الاصطلاحات وحياتها .

ولقد نسى الاستاذ الفاضل لدى كلامه في كلمة « فسلجة » أننا انما نتكلم فى « التعريب » لافي « الترجمة » ولو أنه استعمل اصطلاح « علم وظائف الاعضاء » مثلا بدلا من فسلجة لما اعترضنا عليه فى شىء .

قال بأن أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنها ماتت واستعملوا من بعدها ترجمة أخرى جروا فيها على كلمة « مقولات » . والفرق واضح بين التعريب والترجمة . ولكن المهم هنا هو أنهم قبل أن يعثروا على ترجمة صحيحة توافق حاجات اللغة معنى ومبنى لجؤوا الى التعريب . وهذا كل ماقصدنا في كلمتنا التى نقدنا بها الاستاذ . فاذا استطاع الاستاذ مثلا أن يأتى بترجمة مقبولة معنى ومبنى لكلمة « فسلجة » فنحن أول من يقبلها ، فليشمر عن ساعده ونحن أول المؤيدين .

ولست أرى رأيكم فى الجرى على التعريب حيناً والترجمة حيناً آخر . لاننا إذا استطعنا هذا فى بضعة أسماء سميت بها العلوم فماذا نفعل ببقية أسماء الاعلام مع كثرتها التي لا آخر لها ؟ لهذا أري أن التعريب أصلح من الترجمة الصرفة .

وهذا ماجرت عليه أكثر اللغات . فلديك بضعة الفاظ عبرية نقلت الى العربية والانجليزية كما هى . فكلمة « بهيموث » وكلمة « ريم » وقد وردتا فى التوراة نقلتا الى الانجليزية فكانتا Behemoth و Reem ، والى العربية فكانتا بهيمة وريم ، كما هما فى الاصل . وكذلك كلمة « لوياثان » نقلت الى الانجليزية فكانت Leviathan وهكذا . وهذا أسلم طريق لانه لايؤدى الى فوضى تنتج عن الخلط بين التعريب والترجمة . اللهم الا فى الاسماء التى ذاعت شهرتها الى حد بعيد وكثر استعمالها حتى شاع بين المعلمين والمتعلمين . وكل هـذا محافظة على الانتفاع بالكتب الاجنبية التى جرى مؤلفوها على لغة دولية اصطلاحية فى استعمال أسماء الاعلام .

ثالثاً — Objective , Subjective : موضوعى وذاتى .

يقول الاستاذ بأنه عاجز عن فهم الاسباب التى دعت بعض الكتاب الى استعمل كلمة « موضوعى » ، وانها تستعمل دوماً لمعانٍ لاتلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه ؛ وانها تستعمل في المنطق منذ القديم للدلالة على أحد جزئى القضايا وهو المحكوم عليه و الكلمة التى تقابلها في اللغات الاوروبية فهى Subject وليست Object .

ومضى الاستاذ فى كل كلامه حول هذين الاصطلاحين معتقداً أولا : أن ترجمة ذاتى وموضوعى غير صحيحة . وأن الكتاب يضعون كلمة Subject محل Object سهواً أو خطأً . وما خطؤه هو فى الحقيقة الا آت من طريق اعتقاده هذا .

لم يلتفت الاستاذ مطلقاً الى أن الكلمة الواحدة فى اللغات الاوربية على الاخص قد اصبحت تستعمل لتدل على عدة معان مختلفة تمام الاختلاف. والامثال على ذلك كثيرة لاتحصي ، ولاحاجة بنا الى ضرب الامثال . واصطلاحا Subject و Object لم يعـدوا هذه القاعدة . فلهما فى المنطق معان وفى الكلام الدارج أخرى وفى الفلسفة مدلولات تختلف عن هذه اختلافا تاما . وهما في الفلسفة وفى علم النفس يجريان على معنى واحد . فاذا قلنا Subjective — أدركنا بذلك

الذاتية التي تبحث « موضوعا » ما Object أو تختلف عنه . ومن هذا القبيل دروس الاشياء التي تدرس لاطفال المدارس وهي تسمى عندهم Object lessons فالاشياء هي الموضوعات .وطريقة النظر فيها فلسفياً أو علمياً هي وجهة النظر « الموضوعي »أي وجهةالنظر التي تبحث الموضوعات المادية بما هي عليه، لابما تدرك الذوات التي تبحثها نظرياً أو تبحثهامن ناحية علاقتها بها .وهذه هي وجهة النظر الذاتية . والاولى تدعى Objectivism والثانية Subjectivism . واليك الادلة التي لاتنقض . جاء في كتاب تاريخ الفلسفة ومصطلحاتها تأليف لوويس Lewes ماياتى :

Objective method : " Philosophy "—A method of inquiry which moulds its conceptions on realities by closely following the movements of the objects. as they severally expose themselves to sense, so that the movements of thought may synchronize with movements of things.

فيلاحظ هنا مقابلة الموضوعات بالحواس ، والفكرات بالاشياء . فالحواس والفكرات تمثلها الذات المدركة Subject والموضوعات والاشياء تمثلهاالكائنات الخارجية Ob ect

وجاء في كتاب « هملتون » في الميتا فيزيقا جزء أول ص ١٦٠ و ١٦١ طبع هانزل ماياتى :

The terms Subjective and ob;ective denote the primary distinction in Consciousness of self and not self; and this distinction involves the whole science of mind, for this science is nothing more than the determination of the sub ective and ob;ective in themselves and in their mutual relations.

فهل يكفي الاستاذ للاقتناع بصحة ماتذهب اليه ، وهو نقيض مايعتقد به تماماً ، قول هاملتون المعروف بأن الاصطلاحين وضعا ليدلا على التفريق بين النفس أو الذات واللانفس أو اللاذات ؟ وأن هذا التفريق يتضمن كل العلوم العقلية لانها تقوم على قاعدة تحديد الذاتي والموضوعي في ذاتهما وفي علاقاتهما المتبادلة ؟

وجاء فى هذا الكتاب نفسه ص ١٥٩ و ١٦٠ ما يأتى :

Objective means that which belongs to, or proceeds from the objects known, not from the subject knowing, and thus denotee what is real, in opposition to what is ideal—what exists in uature in contrast to what exists merely in thought of the individual.

هل يكفى الاستاذ أن يكون الموضوعى هو « الاشياء المعروفة » لا « الذوات العارفة » وان اصطلاح Objective يدل على الشىء « الحقيقى » لا على ما هو ذهنى خيالى ، وأنه يدل على ما يوجد فى الطبيعة مضاداً بذلك ما يوجد فى فكر الانسان ؟ هل يكفيه هـذا دليلا على صحـة ماذهبنا اليه ؟ نظن أن هذا كاف لتأييد ما نذهب اليه .

ثم ارجع الى كلمة —Subject— فقـد جاء فى القاموس الانسيكلوبيدى ص ٦٥٢ مجـلد ٦ ما يأتى :

Subject : (Philosophy) the ego as distinguished from the object or non-ego; the mind considered as that in which knowledge inheres.

أيكفيه أن تـكون كلمة Subject تدل على « الذات » تفريقاً لها عن « الموضوع » أو اللاذات ، وانها تدل على العقل الذى يستوعب المعرفة ، لا على « الموضوع » الذى يعرفه العقل ؟

وجاء فى كتاب لوويس تاريخ الفلسفة طبعة (١٨٨٠) :

Subjective method (Philosophy): The mothod of investigation which moulds realities on its conception, endeavouring to discern the order of things, not step-by-step adjustments of the order of ideal to it, but by anticipatory rush of thonght and not controlled by objects.

أظن أن هذا كاف لان نقنع الاستاذ بصحة الترجمة التى جرينا عليها فى مصر وهى نتيجة درس طويل عميق قائم على مافهم فلاسفة أوروبا من مدلولاتها التى تواضعوا عليها .

ولا نظن بعد هذه التعاريف التى أتينا عليها والشروح التى ذكرها كبار الـكتاب وأصحاب المعاجم الا مضطرين الى الجرى على اصطلاح ذاتى وموضوعى وذاتية وموضوعية نزولا على حكم المعنى الأصلى الذى وضعت من أجله هذه الالفاظ

رابعاً — Causality أهي العلية أم السببية ؟

هنالك فرق كبير بين العلية والسببية جرى عليه المحدثون في الاستعمال الفلسفي . ولم يستعمل القدماء لفظ السببية بالمعنى الذي أدركه المحدثون . والسبب في هذا التفريق أنهم صرفوا العلية على العلل الغائية والنهائية التي تنتهي اليها كل « الاسباب » وسموها Final cause أو Final causes وهي العلل التي ترجع اليها جماع الاسباب التي تكون ظاهرات الطبيعة . فكلمة Causality- تدل على السببيات التي هي ليست بشيء سوى أوجه الترابط الواقع بين سوابق طبيعية ولواحق متكررة متواترة في كل نواحي النظام الطبيعي ممتدة في الزمان والمكان لترجع الى علة غائية ، وجماع هذه العلل الغائية تعود الى علل نهائيـة تدخل في باب الغيبيات الصرفة . فالجاذبية مثلا علة غائية لانه يرجع اليها عدد من السببيات التي تعبر لنا عن كثير من الظاهرات الطبيعية . أما الجاذبية ذاتها فتعود الى علة نهائية خارجة عن الابحاث الطبيعية فكلمة -causality اذن هي السببيات الجزئية أو التسبيب لا العلل . جاء في القاموس الانسيكلو بيذى ص ١٠٧ مجلد ٢

Causality — The agency of a cause; the quality or property of causing

وهذه المعاني الدقيقة يجب أن نلاحظها جيداً اذا أردنا أن نتمرن على درس العلوم والفلسفة درساً قائماً على الحقائق الاولية فيهما .

خامساً — Determinism أهي المعينية أم القصدية ؟

قال الاستاذ رداً علي إذ أردت أن أترجم هذه الكلمة « بقصدية » أن الدتيرمنزم هو عكس « القصدي » تماماً . لان « القصد » مظهر من مظاهر الاختيار في حين أن الدتيرمنزم هو انكار تأثير الاختيار في الحادثات . والحقيقة أننا لم نرم بالقصدية الى الاختيار الحر مطلقاً . بل رمينا الى القول بأن الارادة غير حرة وأنها تحول الى غايات قسراً عنها بفعل قوة قدسية تحول القوى العقلية الى نهايات وأفعال توافق « مقاصدها » وتقضي على « مقاصدنا » . وهذا هو المعنى المدرك مما عرفت به هذه الكلمة كل القواميس وكتب الفلسفة .

أما اذا لم يوافقنا الاستاذ على هـذا الاصطلاح فانه يستوى على الاقـل واصطلاح « المعينية » الذى يريد أن يضعه ترجمة لهذه الـكلمة بل أن « القصدية » أقرب للمعني الاصلى من اصطلاحه .

سادساً — Evolutional — أتطورى أم نشوئى ؟

إستعملت كلمة تطور في ترجمة أصل الانواع واستعملت أيضاً كلمة نشوء ترجمة الاصطلاح Evolution- . غير أنى لم استعمل أحداهما ترجمة لـكلمة Development مطلقاً لان هذه تدل على « النماء » لا على النشوء أو التطور وهو اصطلاح قديم عدل عنه النشوئيون في العهد الاخير بعد ظهور داروين .

أما السبب فى أنى أفضـل كلمة نشوء الآن على تطور وان كنت لا أرى مانعاً من استعمالها لتحل احداها محل الاخرى ، هو إن كلمة تطور لم تسمع من العرب ولا استعملوها ، بل استعملوا كلمة نشوء . هذا فضلا عما في كلمة نشوء من المعنى الدقيق الذى يدل على تولد بعض الاحياء من بعض ونشوءها في سلسلة طويلة . ناهيك بأننا ننحت منها كلمة نشوئى Evolutionist للمفرد ونشوئيون للجمع . أما كلمة تطور فليس فيها من المطاوعة ما نجد فى كلمة نشوء .

سابعاً — Behaviour — أهى سلوك أم انتهاج ؟

اعترف الاستاذ بأن ترجمة هذه الـكلمة « بانتهاج » كما جرى هو عليها لا تؤدى المعنى تماما . ولذا وجب علينا أن نرجع الى تعريف الـكلمة في لغتها الاصلية .

جاء فى القاموس الانسكلو بيدى ص ٤٨١ مجلد أول مايلى .

Behaviour: Outward deportment; such couduct as is visible to the eye.
1— Such outward deportment as is filled favourably to impress.
2—Gesture, posture, attitude, specially of a graceful kind.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الـكلمة تدل على « السلوك » الظاهر الذى يأتى به حى متحرك من الاحيـاء . وجاء في القـاموس الانسيكلو بيدى ص ٤٨١ مجلد ١ مايلى :

Conduct: Including what is within the heart and unseen, not less than what is visible.

وهذا يدل على «الصفات» لا على الاخلاق القلبية التي يتصف بها الانسان أو الحيوان . وعلى هذا نصطلح على ترجمة سلوك وأخلاق وعلم الاخلاق ، فنستعمل للاول كلمة behaviour والثانية conduct والثالثة Ethics- جريا على المعاني الاصلية التي وضعت هذه الكلمات لتدل عليها من لغاتها الاصلية .

ثامناً :- Normal,Abnormal — أسوى وغير سوى ، أم قياسي ولاقياسي جاء في القاموس الانسيكلوبيذى ص ٢١٥ مجلد ٥ ما يأتي

Normal: As adjective(صفة)according to a rule,principle or standard conforming to certain standard, type or established law; regular, not abnormal.

Techincally :—

Bot:— Not in any way departing from the ordinary structure peculiar to the family or genus etc. of a plant.

من هنا نرى أن كلمة Normal تدل على "القياس" فلسفيا وعلميا .
وجاء في القاموس نفسه ص ١٣ مجلد ١ ما يأتي .

Abnormal—Not according to rule, irregular; anomalous, departing from the ordinary type.

ويقول مستر ترنش في كتابه "اللغة الانجليزية قديما وحديثا" أنها استعملت حديثا جداً في اللغة الانجليزية . ومن هذه التحاديد نرى أن الكلمتين تدلان على "قياس" الافراد والاشياء على معيار ما فتكون قياسي ولا قياسي . أما "السوى" فيدل على الكمال كما يقال "فتمثل لها بشراً سوياً" أى كاملا وهذا يدل على الاصل الذى يقاس عليه لا على الشيء المقيس على أصل يتخذ قاعدة للقياس .

هذا ما رأينا في نقد الاستاذ لعلنا نكون قد أحيينا بعض الحقيقة ، آملين أن يكب المشتغلون بالعلوم على مثل هذه الابحاث "والعصور" تفسح صدرها لكل نقد خدمة للعلم والعربية ونحن على يقين من أن النقد محك الحقيقة .

اسماعيل مظهر

الموسيقى العربيه والموسيقى الغربية

توطئة — ماهى الموسيقى؟ — ابرز ناحية فى الموسيقى العربية — فقر الموسيقى العربية — التفاوت والمميزات بين الموسيقتين — النهضة الموسيقية العربيـة

توطئـة

ليس من ينـكر تقدم الموسيقى العربية ، تقدما محسوساً ، تلمسه من خلالها ، ونبوغ أفراد جروا شوطاً بها ، اذ هذبوا ، وأصلحوا ما فسد وانحط منها ؟ وابتكروا (شيئاً) من عندياتهم واقتبسوا من الموسيقى الغربية ، ما (وجدوه) ضروريا ، ومناسباً لها ، حتى غدت كما هى الآن

كانت الموسيقى العربية فى العصر العباسى ، فى حالة ازدهار ، ورقى ، حتى بلغت شأواً من الدقة ، والسمو ، ولـكن بعد أن دالت الدولة العباسية ، تسرب اليها الانحطاط ، والضعف شيئاً فسيئاً ، حتى وصلت منذ قرن ونيف ، الى أقصى دركات الفساد والتأخر ، الى أن قيض لها (عبده الحمولى) الذى ارجعلها (بعضاً) من غابر مجدها (وشيئاً) من مكانتها السالفة فى عالم الموسيقى ، ومنذ ذلك الحين ، بدت طلائع عصر جديد في الموسيقى الشرقية ، وظهر بها نوابغ قليلون في سوريا ، ومصر ، والمهجر ، تدرجوا بها من الممات الى الحياة

ما هى الموسيقى ؟

ان لفظة «موسيقى» يونانية الاصل وهي فن ، أى انها لا تقتصر على العزف لا غير ، بل تجمع فنى الغناء ، والتلحين أيضاً

وقد اطلقت لفظة «موسيقى» على كل من انضم تحت لواء الآلات الموسيقية ، على اختلاف أنواعها ، من عازف ، ومغن ، وملحن

أبرز ناحية فى الموسيقى العربية

ان الموسيقى العربية مشهورة برقتها ، ونعومتها ، وجمالها ، ويقال على الاجمال انها اشتهرت بأمر واحد بارز ، هو : «الـكآبة»

فانك لترى الـكآبة ظاهرة في جميع الالحان ، والانغام ، حتي فيما كان منها مثيراً

ان هــذه النغمة القديمة ، قد ورثناها عن أيام العرب ، يوم كان المغنى يتغنى متغزلا بحبيب ، أو باكيـاً لموت قريب ، أو لفراق عزيز ، فانك ترى الـكآبة متجلية فى جميع المعانى والألحان ، حتى لتـكاد تتلمسها ، وتشعر بتسربها الى نفسك .

أما اليوم فيجب أن تطلق الموسـيقى العربية من قيودها ، ومن محيطها المحدود ، حيث تعـددت المنازع ، والمناحى ، واختلفت العواطف ، والاهواء ، ويجب أن تسير مع رغائب الانسان ، ومناحى حياته

فالموسـيقى العربية ، مختصرة على التأوه ، والبكاء ، والنحيب والـكآبة ، والحزن ، والعواطف ، والشواعر ، فى المعنى ، والمبنى ، واللحن ، فليس الذنب هنا على المغنى أو العازف وحدهما ، بل وعلى الشاعر أيضاً

ومما يؤسف له أن تستمر الموسـيقى العربية ، مقيدة بقوالب ، وأوضـاع ، وأساليب قديمة ، بالية ، سخيفة ، لا يتجاوزها الموسيقيون ، أو يبتكرون سواها ، فانك ان شئت ، أن تستروح النفس بسماع غناء ، فالويل كل الويل لك ، حيث جنيت على نفسـك ، لأنك وأنت تصغى الى المغنى ، تصرف وقتك ، وينفذ صبرك ، لتراه ينتهى من آه ! . . . آه ! . . . آه ! . . . ياليل ! . . . ياعين ! . . . فاتحاً فمه ، يمط الـكلمة كأنها زئبق أو مطاط ، صارخاً بأعلى صوته ، مردداً ، شاكيا ، باكياً ، متأوهاً ، منادياً ، (العين) و (الليل) عشرات المرات ، حتى يطفىء نور العيون ، ويزعج عفاريت الليل ! . . . ولـكنك مع هذا الصبر الطويل ، لا تفوز ببغيتك ، ويغير لك هذه النغمة ، المترددة ، لأنه لا يرحم السامعين ، ولا يشفق عليهم من الاغماء بصياحه المزعج المتواصل ، وترداده ياعين ! . . . ياليل ! . . . — الا بعـد طويل أمن — وحتى لو كانت كل (صرخة) تخلف نغماً ، فان النفس لتسأم كثرة ترداد الـكلام ، ولو اختلف اللحن قليلا

وأما في العزف على آلة ما ، فلا تسـتطيع التملص من الـكآبة البـارزة في اللحن

فقر الموسيقى العربية

تفتقر الموسيقى العربية الى قوة التوليد ، والتفنن ، والابتكار ، في الاساليب ، والانغام ، والاوضاع ، لكي لا يمل السامعون متى غنى مغن ، أو عزف عازف ، من الاساليب القديمة الرثة ، التي أصبح يمجها الذوق ، ويملها السمع

والموسيقى العربية في أشد الافتقار ، ومسيس الحاجة الى الاقتباس من الموسيقى الغربية ، والاستفادة من نوتتها ، وروائعها وفنها الكلي ، كما اقتبس الغربيون ، موسيقاهم عن العرب ، يوم كانت موسيقاهم في أبان نهضتها ، وقد انعكست الآية الآن ، وغدونا في أشد الحاجة للاقتباس ممن كانوا يقتبسون منا بالامس ! ... وهكذا الدهر قلب ...

لم تبلغ الموسيقى العربية ، درجة سامية ، تجعلنا نقارنها بالموسيقى الغربية ، التي بلغت الى أسمى ما بلغه الفن من أيام (باخ) و (بيتهوفن) و (موتسارت) و (هايدن) الى الآن

ويقال على الاجمال في الموسيقى العربية ، ان ليس فيها من النبوغ والعبقرية الا النزر اليسير ، وأما في الفن والصناعة ففيها الكثير ، إذ لا تصلح الموسيقى بدونهما

وأما النوابغ فقليلون ، وانهم لم يصلوا بها الى ما بلغت الموسيقى الغربية من الارتقاء ، والتفوق ، والعظمة ، وقد قال لي الموسيقى النابغة وديع صبرا مخترع البيانو الشرقي:

« وقد تبلغ الموسيقى العربية ، شأو الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة »

ولكني لا أوافقه مطلقاً على هذا القول ، حيث أن بلوغ الموسيقى الغربية قمة المجد ، كانت نتيجة درس ، وعراك ، واستعداد ، وابتكار اربعمائة سنة ، وظهور نوابغ كثر فيها ، جعلوها في هذا المستوى الراقي — فأين نحن من الموسيقى الغربية والنهضة الموسيقية ، ولما نزال في المهد بعد ؟ وأين النوابغ عندنا ؟ وأين أعمالهم الموسيقية الخالدة ؟ وما هي ثقافتهم الموسيقية ؟ وما يعرفون عن الموسيقى الغربية ، واختلاف انواعها ودرجاتها ، وتعدد فنونها وأساليبها ؟ وتاريخ الموسيقى ، وتاريخ

الموسيقيين ؟ وتاريخ الآلات الموسيقية ، وتطورها ، وتطور الفن الموسيقى منذ نشأته الى الآن ؟ ماذا يعرفون و يعلمون عن الموسيقى ؟ هل تجاوزوا عدة فنون بها ؟ هل يعلمون أو يعرفون أن يعزفوا أو يغنوا و يلحنوا غير ألحان : (القصائد) ، (الادوار) ، (المواويل) ، (التواشيح) ، (البشارف) ، (الطقاطيق) ، (المنلوجات) ، (المارشات) ، (التقاسيم) ، (الرقص) ، (السماعيات) ؟ — هل هذه كل فنون الموسيقى ؟

أين (الاوبرا) و (الاوبريت) و (السوناتا) و (السارناد) و (السيمفونى) و (الجاز) و (تريو) و (كوارتت) و (سكنت) و) (سبست) و (ستت) و (اوكتت) و (نونت)و (كورنسرتو)و (فنطازيه)و(رابسودى)و(كابريشيو) و(فيوج)و(اوفرتيرو) وغيرها من فنون الموسيقى الراقية ، التى تعبر عن نفسية الانسان وعواطفه — فى موسيقاهم ؟ فلا يجب القول اذاً أن الموسيقى العربية تبلغ شأو شقيقتها الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة . لان هذا القول هراء ، من الخرق التسليم به ، لانه لايقوم على حقيقة راهنة ، و في رأيي أن الموسيقى العربية (قد) تبلغ مبلغ الموسيقى الغربية بعد مائة سنة

التفاوت والمميزات بين الموسيقتين

تتفوق الموسيقى الغربية على الموسيقى العربية . بعدة مميزات : فى الصنعة ، والفن وقوة التوليد ، والتركيب ،والدقة ، والاتقان ،والتفنن ، والابتكار ،والسمو ، والخلود ،والكمال ،والنبوغ والعبقرية ،والعلامات الموسيقية (النوط)وتعدد المرامى والمنازع وكثرة فنونها ، والحماسة

وأما الموسيقى العربية ، فتتفوق على الموسيقى الغربية : بالرقة ، والجمال ، واللطافة ، والحس ، والشعور ، والعاطفة ، والحزن ، والكآبة ، والشجو، والطرب، والصبابة ، والمناجاة ، وان فى ديوانها ، أربعة وعشرون (٢٤) ربعاً — وديوان الموسيقى الغربية اثنا عشر (١٢) نصفاً — وان مافى العربية ، ليس فى الغربية ، من الارباع ، وكثرة الاوزان ، اذ أن الثانية انصاف ، وهذا ما يعرف بداهة

فالتفاوت عظيم بين الموسيقتين ، من حيث هـذه المميزات التي دون بعضها ، انحطاط الموسيقى ، وتقهقرها ، وموت الفن

ولـكن لا أقول إن الموسيقى العربية ، خلية من الاوصاف التي تتسم بها الموسيقى الغربية ، انما أقول أن بها بعضها فقط ، وهذا (البعض) ليس متقناً ؟ ومتفوقاً وقوياً ، والا لبلغت الموسيقى العربية شأناً من السمو ليس لها الآن

النهضة الموسيقية العربية

ونرى الآن بوادر نهضة طيبة — ولـكنها بطيئة — في فن الموسيقى العربية ، حيث ظهر بها موسيقيون يحاولون الاقتباس من الموسيقى الغربية والجرى على منوال نوابغها ، والحذو فى التأليف حذوهم ، وفعلا قد أفلحوا قليلا ، وقد يفلحون كثيراً ، ومن فجر نهضتهم اعتمدوا على (النوط) — وليس على السمع كما كان يفعل الموسـيقيون قديما — في التأليف والتلحين ، والعزف ، وادخلوا (النوط) الى الموسيقى العربية ، حيث أصبح التخاطب الموسيقى شائعاً بها ، وراحوا يؤلفون ، ويكتبون ، ويلحنون به ، ويعزفون بواسطته ، وقد أصبحوا الآن على صلة راهنة بالموسيقى الغربية ، وفى العالم أجمع

ومما يسر كل عربى وكل شرقي ، محاولة هؤلاء الموسيقيين ادخال نوعى (الاوبرا) و (الاوبريت) الى الموسيقى العربية ، وفعلا لحنوا بعض (اوبرات) نجحوا فيها قليلا ، وكثيراً من (الاوبريت) نالت نجاحاً أعظم ، لانهـا من نوع (أوبريت كوميك) — فى مصر وسوريا

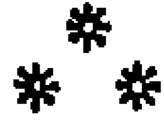
وقد نظم شـوقى بك أوبرا انطونيـوس وكليوباطره ، لحنها الموسيقى محمـد عبد الوهاب ومثلت فى مصر مرات عدة ، ونالت نجاحا لا بأس به

ونظم الدكتور زكي أبوشادى عدة أوبرات : (احسان) (الآلهة) (اردشير) (اخناتون) (الزباء) لم تلحن جميعها . ونظم الدكتور على الناصر أوبرا (سلوى) لم تلحن أيضا . ونظم الخورى مارون غصن اوبرا — أسماها (الملـكان) لحنها وديع صبرا فى بيروت ، وقد مثلت مراراً ، ونالت نجاحاً جعل الصحف تلهج

بالثناء على ناظمها وملحنها ، وعلت من حولها ضجة كبيرة فى هــذه الصحف من الــكتاب والنقاد

وقد لحن موريس نجار الموسيقى الســورى — نزيل باريس اليوم ورئيس جوقة الموسيقى في احدى الجوقات الموسيقية بها — عدة أوبرات ولكنها افرنسية وهذا الموسيقى ، يلحن ألحاناً عربية كما يلحن ألحاناً غربية

ولحن كميل شامبير ٣٥ رواية (اوبريب كوميك) وترجم (توسكا) الى العربية وقد وضع لها ألحاناً عربية ، ولــكنه لم يجد لها أصوات أكفاء لغنائها فلم تمثل للآن



هــذه بوادر مباركة فى النهضة الموسيقية ، ترفع هذا الفن العربى ، الى الذروة التى يستحقها ، وعسى ان ينشط الموسيقيون فى القطرين المصرى والسورى ، الى الهدم ، فالبناء والاصلاح فى الاساليب ، والاوضاع ، والالحان ، والفنون الموسيقية الغربية ، والاقتباس من الموسيقى الغربية ؟ لتسير موسيقانا وموسيقاهم جنبا الى جنب ، فنرجع لهــا مجدها الغابر ، ونفاخرهم بموسيقانا وننافسهم فى دولة الفن والموسيقى .

بيروت — منير الحسامى

لماذا ألحدت

قرأت باعجاب مقال الاستاذ رسل المترجم في مجلة العصور فلم أتمالك من قضاء عدة ليال مسهدا أفكر في الموضوع ولا أكتمكم انى كنت شديد الايمان في الصغر فدب الشك في قلبي وأخيراً صرت ما أنا إياه الآن ملحدا وأظن أنكم ستفسحون مجالا لى في مجلتكم كي أبسط للقراء مادعاني الى أن أكون كذلك وذلك اجابة بنزعة حرية الفكر .

ولدت قريبا من جهة قبر شمون من أعمال لبنان الجنوبي من والدين مارونيين (كاثوليك) فلما شببت وكنت أقصد كنيسة الناحية في كل مرة انتابني السأم من عظات الخوري (القس) المملة المتشابهة فبعد ما كنت في صغري أقصد ما يسمونه بيت الله كما يذهب صغار المدن دور السينما في الوقت الحاضر لمشاهدة فصول القداس يقوم بها الخوري والشماس وغيرهما اختلفت وجهة نظري فاخذت أذهب لاتطلع الى وجوه غيد القرى وهن يتهادين بأثوابهن الجميلة قاصدات مكان الصلاة. ولشد مادهشت عند ماعلمت من غيري من الشبان أن داعي ذهابهم الى هناك لايختلف عن داعي ذهابي، وليس هذا فقط بل علمت أن الاوانس أيضا يتأنقن خصيصا ويذهبن مدفوعات بأيدى أمهاتهن بأمل وقوع أحد الشبان في شباكهن وكنت أجد لذة في تصفح الخدود النضرة والعيون الذابلة وهي تحدجني بلحاظها الخفية حين كان يكسو الخجل الوجوه . وتلفت يمنة ويسارا فلم أجد الورع كاسيا الا أوجه بعض العجائز الذين يشعرون بدنو أجلهم ويرتعدون فرقا من نار الجحيم، فلأجل هذا يبذلون جهدا غير يسير لاتباع طريق الجنة حسب ما ترسمه لهم الاديان . وكلما واجهوا الشك رجعوا عنه الى الايمان خوفا من أن تشوى النار جلودهم بعد يوم الدينونة . وهم دائما يتعللون قائلين ان السخافات المطلوب منهم القيام بها لها معان سامية لاتدركها افهامهم. وفكرت في موضوع جهنم فلم أتمالك من أن اسأل نفسي اذا كان الانسان لايصل الى الشعور بحقيقة الله فلماذا يعذب ؟ الان تفكيره غير راق وهذا ليس بذنبه بل ذنب الذى وهبه قوة التفكير ؟ واذا قصد على فرض أن لا يؤمن بالواقع فلم يخلى ذلك ؟

ليس لوجود خلل فى عقله لم يكن هو السبب فيه ؟ أما اذا كان كتب عليه الكفر فاذن ليس له دخل فى الموضوع فهو مسير لامخير . انتقل الى فكرة عذاب الجحيم فنسأل لماذا يميل الله الى القاء الناس في نيران الجحيم كما كانت تفعل محاكم التفتيش؟ وهل يجد لذة من التطلع الى الاجسام وهي تتلوى من الالم؟ ماالفرق اذن بينه و بين ملوك الزنوج المتوحشين عند مايحرقون المغضوب عليهم وهم لعذابهم ينظرون؟أم هل يسره أن يسمع الانات والاهات المرسلة من أفواه أولئك المساكين ؟ أذن يكون عديم العاطفة صلب القلب على حد تعبيرنا . أم يريد التشفى والانتقام ممن كتب بيده عليهم هذ العذاب فى حين كان فى مقدرته اهدائهم سوءا السبيل؟ وهنا أسأل ، هل يعقل مايقال من أن عذاب الاخرة مستديم وكيف يمكن أن يكون هكذا لالف أو ملايين من ملايين السنين فى حين أن الضحية لم تجرم أكثر من عدة سنين هي كل حياتها الارضية وذلك بصرف النظر عن انها كانت مقوده ؟ ثم لم يقل ولا أحد منا تكون نهاية هذا العذاب هل له آخر أم لا ؟ ومتى يكون آخره؟ واذا كان لنا فكيف يمكننا تصور ماليس له نهاية؟ واذا كان له أخر فما الذى يحصل لتلك النفس بعد ذلك ؟ أليست فكرة التقمص أرقى بكثير من هذه الفكرة البلهاء؟ أليس قريب من العقل القول بان السير على طريق الخير يؤدى الى الحياة الراقية فى حين أن السير في طريق الشر يؤدى الى حياة سافلة ؟ وهكذا يمكننا بالاقل التفكير بنظام داخلي معقول

وهل يريد الله بعقابه المخالفين لاوامره ان يردعهم؟ فاذا كان الامر كذلك فما هى فائدة الردع وهم سيخلدون في العذاب أو على الاقل لا يرجعون الى حياة أخرى ليحاولوا فيها اتباع الصراط المستقيم ؟ وأما لو كانت هي فكرة أهريمان اله الشر عند الزرادشتيين المسمى الشيطان بلغتنا ، فهل ليس «لاهورمزاد» اله الخير عندهم المسمى الله بلغتنا سلطان عليه حتى يعبث بالخلائق نهارا جهارا فيتبعونه رغبة النكاية بالله؟ وهل التسليم بهذه الفكرة مما يشرف فكرة الالوهية ؟ وهل اذا كان في استطاعة الله كف يد ذلك الشرير عن اقتياد الناس على جهنم الحمراء ولكنه لا يفعل يكون مثالا حسنا لفكرة الآله الرؤوف الرحيم

ولماذا لم تنزل الرسل الا فى الاوساط الهمجية كاواسط افريقيا في الوقت الحاضر ولاتنزل في الاواسط المتمدنة ذوات العقول الراقية؟ بل لماذا كانوا ينزلون في الماضى ، و بين كل اثنين منهما حوالى مئات من السنين لا تتجاوز العشر ، و بين الساميين دون غيرهم فى حين كان لغير الساميين آلهة من البشر تملى عليهم اراداتها رأسا من جوف الاصنام؟

لنرجع الى فكرة الصلاة فنتساءل لماذا يخصص لها وقت معين ولاتترك للناس لاقامتها حين يشعرون بأنهم فى حاجة الى الابتهال لله بدلا من أن يؤدونها بطريقة آلية قياما بالواجب؟ وقد يكون الفرد منهم منشغل الفكر لدرجة لا يتيسر له معها الانصراف تماما الى الصلاة . ولماذا أيضا تتحتم الصلاة على أصول مخصوصة بحركات واقوال معينة في حين أن الابتهال الخالص يكون بالتعبير الصحيح عما يخالج الانسان على حقيقته ؟

هذا قليل من كثير من الاسباب التى اظنها تبرر رفضى لتعاليم الاديان القائمة على فكرة وجود الله

ساؤ و باولو — برازيل
بندلى البيلونى

جمعية

بحث العلوم الخالدة

.... صاحب العصور

بحمده و يمنه تعالى اجتمع فريق من أرباب العقول الناضجة والافهام العالية تحت رئاستى أنا الضعيف المذيل هذه النشرة باسمى فألفنا جمعية لبحث العلوم الخالدة و ينحصر غرض هـذه الجمعية فى احياء العـلوم التى كاد يودى بها جهل الاجيال اللاحقة و يشترط في من يطالب الانضمام الينا أن يعد رسالته عن أحد الابحاث الآتية وعلى الله الاتكال

١ — جيولوجية جبل قاف

٢ — مركز العنقاء في سلسلة النشوء والارتقاء

٣ — تشريح فسيولوجى للشجرة المحرمة

٤ — حمولة وسرعة سبعين نوع مع بيان قوتها ونوع درعها وتقاسيمها الداخلية

٥ — مقارنة بين دستورى جمهورية يأجوج ومأجوج ومملكة واق الواق

٦ — حق العلمـاء في تقرير مصـير الخلق مع تبيين ما أبقوه للديان ليفعله يوم الحساب

٧ — المعرى وهل كان كفيفاً أو متكافقاً وهل سيلقى فى قاع جهنم أو فى حفرة توجد خصيصا له فى ذلك القاع

٨ — تطبيق نظريه ملتوس على قصة تجنيد مائة الف فارس كأنهم الليوث العوابس من سكان قرية تحوى مائتى نسمة

٩ — ارجاع الالفاظ المحرفة المذكورة بعد الى أصلها العربى مع ذكر نتف عن مخترع كل منها :

السيارة . الطيارة . القاطرة الكهربائية . الدبابة . البرق بلا موصل . الحاكي المدرعة . الدراجة . الكهرباء . المصرف . التطور . المذنبات . الغواصة . الجاذبية . طرق الحديد . المحركات البخارية

١٠ — مقارنة بين نواطح السحاب ومضارب الشعر ونسبة خلط الاسمنت المسلح في كل منهما مع ذكر قوة المقاومة في كل سنتيمتر مربع

١١ — اسكات السفهاء في تبيين أطعمة الخلفاء مع مقارنته بين الفالوذج وحلاوة بلدنا

١٢ — اقناع الخناس في درس امة النسناس وكيف كانت الغور لا انساناً ثم مسخه البارى الى ماهي عليه الآن

١٣ — شرح نظرية السقوط من أدنى الى أعلا مع ذكر مثل لذلك من عهد الرشيد ومقارنتها بنظريه الجاذبية

١٤ — مقارنة لغة الملائكة باللغة السريانية مع التكلم عن تطور كل منهما

١٥ — هل نحن أحسن أخلاقاً أم الاوائل، مع ملاحظة أن ما حرم عليهم هو الفاشى عندنا فى الوقت الحاضر

مما سبق تجدون أننا لم نترك علماً من العلوم الى ممسناه ولا مانع لدينا مطلقا من أن يكتب المرشحون ذواتهم عن مواضيع مماثلة

ط . ه . حنين

رئيس جمعية بحث العلوم الخالدة

مصر القاهرة المحمية

اختزال الكتابه

باللغة العربية

جادل أكثر من واحد أن ينشىء طريقة لاختزال الكتابه العربية ولكن يلاحظ أن هم الكل انحصر في نقل الطرق الأجنبية بتغيير طفيف غير جوهوى لى اللغة العربيه، ولما أفلح البعض فى متابعة الخطباء بسرعة تتفاوت بين الثمانين والمائة والعشرين كلمة فى الدقيقة ظنوا أنهم توصلوا لاول درجة من درجات النجاح ولكن الواقف على حقيقة الحال يلاحظ أن هذا النجاح ليس إلا جزئياً لا أمل فى ازادته زيادة كبيرة في المستقبل

كلنا يلاحظ أن هناك مراحل يجب قطعها في التمرن على اختزال الكتابة هى كالترتيب الآتى

١) استبدال الاحرف باشارات

٢) جمع اشارتين في اشارة واحدة

٣) استبدال المقاطع باشارات

٤) الرمز على الكلمات الكثيرة الاستعمال باشارات

٥) الرمز للاصطلاحات المركبة باشارات

فيجب علينا الآن بحث هذه النقط واحدة فواحدة لنرى اذا كان فى الامكان اتباعها فى اللغة العربية

١) لاشك أن الكتابة العربية اذا محونا منها النقط تصبح فى حد ذاتها نوعا من الاختزال وما عليك إلا المقارنة بين حرف ب و b و(م) و h لتجد أن الاحرف العربية أسهل في الكتابة جداً وهى على حالها من الكتابة الاجنبية فاذا ازيلت النقط ،والطريق الى ذلك سهل للغاية،زادت سرعة الكاتب.لذلك نجح أصحاب الطرق العربية بعض النجاح . ومن المعلوم أن الكاتب المسرع يتيسر له متابعة الخطيب باللغة الانكليزية مثلا بسرعة تتفاوت بين ٤٠ و٦٠ كلمة في الدقيقة اذا استعمل الاحرف العادية.وأما فى اللغة العربية فقد تصل السرعة الى ما بين ٦٠ و٨٠ كلمة في الدقيقة. وهنا اقترح وجوب الكتابة المختزلة من اليسار الى اليمين لانى

لاحظت انها أسرع من الكتابة بالعكس

٢) وكذلك قل عن طريقة جمع الاشارتين المتشابهتين فى اشارة واحدة فلو كانت اشارة (م) هكذا ـ واشارة ن ـ لامكن جمع اشارة الحرفين من فى اشارة ـ

٣) أما المقاطع فتكاد تكون مفقودة تماما في اللغة العربية أما الانكليزية مثلا فان المقاطع الآتية

Intro ult inst en inf at com cul con وغيرها فكثيرة الاستعمال فى أوائل كلمات تلك اللغة كما وان

ed tion by live ing وغيرها كثيرة الاستعمال فى أواخر الكلمات فمن السهل استبدالها أمافى لغتنا فمع افتراض أن هناك زوائدفهى لا تزيد عن حرف أوحرفين أما في الاول مثل (از) أوفى الآخر مثل (ون) وهذه قليلة لان أغلب الاضافات على أصل احرف الكلمة فتوجد مبعثرة هناوهناك فمثلا لنأخذ كلمة كتب فنجد انه يصح أن يضاف الى أولها

ا. ن. ي. ت، سأ. سن. ست. سي، از، استـ الخ

وأما آخرها فاما يكون ت تما تم ن تن بن ان ون ا تا و ا ن نا ه ها هما هم هن نى نا ك كما كم كن ى الى آخره

فترى مما سبق أن هناك احرف ايذت تضاف الى الاول و يمكن اضافة س الى كل منها فتكون

اكتب نكتب تكتب يكتب سأكتب سنكتب ستكتب سيكتب وأيضا انكتب (اندفع) ينكتب (يندفع) (سأنكتب) (سأندفع) سيندفع (سينكتب) فلا يمكن وضع اشارة للالف فى اكتب مماثله للاشارة الدالة على (از) في انكتب او (استـ) فى استكتب فيجب لاجل تبيين ما اذا كانت الاشارة تدل على أى واحدة من الالفات ان تأخذ شكلا مخصوصاً بلا قل وبمعنى آخر ان تكون لدينا اكثر من اسارة واحدة ويجب ان تتباين هذه الاشارات عن بعضها تباينا ظاهرا حتى لا ينتج عنه التباس اما في الانكليزية (طريقة جريج) فيدل على in وهما حرفان بحرف (ن) و Induct بحرفي (ن) ، (د) و Introd بحرفي (ن) ، (ت) وعن tion بحرف (اش) sh

كذلك ما الذى يمكننا ان نفعله فى كلمة ا كاتبه فهناك الف في الاول والف في الوسط وهاء فى الآخر وماذا نفعل في سأله سألها سألتهما ساءله سألته ساءلتموه سألتماه سألتمونى سألتمونيها وأسأله واسائله الخ المشتقات المرتبكة التى لايمكن وضع قاعدة لها يمكن اتباعها . ولابد فى هذه الحالة من ان نترك الحال على ماهو عليه أى نستبدل كل حرف باشارة ويكون اقتصادنا في هذه الحالة لاقيمة له بالمرة لاننا سنغنى فقط عن النقط ويجب ان لايغرب عن بالنا ان اللغه العربيـة تفهم لتقرأ بعد ذلك فمثلا لايمكنك ان تقرأ كتب الا اذا رجعت الى ماقبلها وربطتها بما يأتى بعدها هذا بخلاف الانجليزية فان كل كلمة لهامعنى في ذاتها .

فمثلا قرأت كتب محمد قد تعنى انك قرأت جملة (كتب محمد) أويجوز انك قرأت كتب (بالضم) محمد

٤) اما الـكلمات الـكثيرة الاستعمال فى العربية فعديده وهى تفوق كثيرا مثيلاتها في اللغة الانـكليزية واليك بعض منها ضمائر الرفع والنصب المنفصلة واسماء الاشارة والشرط واخوات كان وان واحرف الجر والعطف فجلها مركب من حرف أو حرفين بينهما شبه كبير فمثلا (من) (لن) (لا) (لم) (اما) (ان) (ام) (ما) فهى خليط من احرف (ل) (م) (ن) (ا) فكيف توفق بين هذه الـكلمات السبع وبين اشارات الاحرف الاربعة خصوصاً وعندنا كلمات اخرى تحتاج الى استعمال هذه الاشارات مثل (نحن) (ومنا) (ولنا) و (لما) و (الا) و (الى) وغيرها

٥) اما الاصطلاحات فلا ضابط لها فى لغتنا فمثلا نقوم انشاء الله انشاءالبارى انشاء الرحمن باذن الله وكلها مترادفات لنفس المعنى وليس لنا قاعدة واجبة الاتباع فى العنوانات فمثلا نـكتب حضرة المحترم حضرة الفاضل حضرة المكرم حضرة صاحب العزة حضرة صاحب السعادة حضرة صاحب الدولة حضره الاخ الاكرم حضرة اخى العزيز حضرة الصديق الصدوق عزيزى الأخ الفاضل عزيزى الأخ عزيزى المحترم الخ مع ان جميع العنوانات الانكليزية تـكاد تـكون احدى هذه

Excellincy, Sir, Dear Sir, My Dear Mr.

وكذلك قل عن نهاية الخطابات فهى فى الانجليزية لاتخرج عن ان تكون
I have the honour to be sir your obidient servant yours truby او your
yours sincerely أو yours faithfully او obedient servant

أما نحن فمن تقبل تحياتى الاخوية الى وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام وتنازلوا لقبول احترامانى وقبلات من المخلص واقبل وافر الاعظام والاجلال ومنى اليك تحية زكية وسلام في الختام

هذه بعض الاسباب ، وهى المهمة ، التى تدفعنى للحكم ، بان لا أمل في متابعة فن اختزال الكتابة باللغة العربية امثاله فى اللغات وخصوصاً فى اللغة الانكليزية والسبب الاول المهم فى غلاظة الاشتقاق في لغتنا وهذا مالا يمكن مداركته بالاقل في الوقت الحاضر

الدكتور صروف

فقيد العلم والصحافة في الشرق العربي

في دار الاوبرا الملكية أقيمت حفلة لتأبين الدكتور يعقوب صروف . وقد قالت العصور كلمتها في الفقيد على صفحاتها وعلى صفحات المقتطف وهي التراث الاكبر الذى ورثه الشرق عن الفقيد وجهده الدائم طوال سني حياته . لهذا نجتزىء بمقتطفات مما قيل في تأبين فقيد الشرق ، لا لان هذه المقتطفات تعبر في الحقيقة تمام التعبير عن الفراغ الذى خلفه الدكتور صروف من بعده في عالم العلم والصحافة ، ولكنها بعض ما يجب له من أمة عرفته شاباً يافعاً ، وخبرته كهلا وشيخاً ، فجنت من ثمرات عقله وعلمه وخلقه أفضل ما تجنى الشعوب من أفذاذها وعظمائها .

كلمة وزير المعارف

ياحضرات السادة . كانت الفكرة التى أوحت الى لجنة التأبين أن تسند رياستها الىّ هى أن الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلا من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذى ندبتني اللجنة له لنتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم .

لقد أخرج الفقيد رحمه الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين به مستزيدين من فضله فكانت مهمته مثلاً جميلاً لاحسن الصلات بين المعلم وتلميذه . واعتقد أنني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما أعرب عنه من التأثير العميق والاسف الخالص ، لان الفقيد الكريم أدى أجل الخدمات للغة وكان أساسا متيناً في الصحافة المصرية و بعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق أقدم التعزية الخالصة لاسرة الفقيد وأهله ولاسرته العامة قراء المقتطف والمقطم ، الذين نشر عليهم كثيراً من آرائه القيمة ومباحثه الجليلة

وأسأله تعالى أن يعوضنا خيراً فى فقيدنا الكريم . وأنى أترك تفاصيل القول عن الفقيد الى خطباء الحفلة

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا

ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم أن يكون لها شرف الاشتراك مع الذين يقومون با كرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف

و إننا فى هذا المقام الذى لايسعنا فيه الا أن نشعر بعظيم الخسارة التىمنينا بها بفقده يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب بأعماله الجيدة ونغتبط بما أوتيه فى حياته من النجاح فى تلك الاعمال العظيمة لخير الانسانية

ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكره فقط كاحد خريجى الجامعة النابغين ،ولكن كرجل فذ بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبهالعظيمة لخدمة وطنه وأبناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيما في نشر العلوم العصرية بين أبناء تلك اللغة وفى تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كل ما يهمه من الافكار والتحولات الغربية النافعة و بشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنياً على أساس التمدين الوطيد

واننا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصياً أو من كتاباته المنتشرة في أنحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكراه الخالدة ونتهلل قلبيا بما أوتيه من النجاح الباهر فى خدمة الجنس البشرى خدمة مبنية على حرية الفكر والتعمق فى المعرفة والاطلاع مع سمو فى الاخلاق والمبادىء الشريفة

نائب الرئيس

من كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية

أيها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون خلة المثابرة فى سبيل الحياة المعنوية والعلم أساسا للفضيلة . ذلك لانها دأب وكدح في غير لذائذ البدن ، ولانها رياضة للارادة على ان تسكن للمعانى دون ان تشغلها شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذى نشيد اليوم بذكره كم صابر وجالد . فضحى براحة الجسم في سبيلى الاستنارة والانارة . وكم ضن على جسمه بهدآت الليل في سبيل التحصيل والاذاعة وكم حرم نفسه لذة الرياضه واللهو والترف — وكل ذلك يسر له —وجهد في تحويل ما وصل اليه من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيد للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع أو خدمة الذاهب في أنواع التفكير مذاهب لم يسبقه اليها العلماء بل كانت خدمة الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلاده وقومه فيرضى هذه الحاجات بما ينقل الى المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ، وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا يأباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طبائعنا

أيها السادة :

كان الفقيد عالما محققا مدققا مخلصا للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في كتاباته ومباحثه . ولكنه مع ذلك ظل يرعى فى وجدانه حرارة الايمان بالروح وعالمها الآخر . كان واقفا على العلوم المادية الحديثة وقوفا دقيقا لكنه لم يكن كبعض العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلا لكل شيء مبدأً ومصيراً ، بل كان رحمه الله لا يرى تناقضا بين ما كان يتصل بنفسه من نزعات روحانية وعلم مادى . وينم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله فى منظومة طريفة :

اما واجسامنا ليست سوى صور　　مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت　　فى شكل مستودع للنفس جثمانى

حتى اذا تم فى الدنيا تطورها طارت الى منزل فى الكون روحانى
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لابد للعلم من يوم يفوز بما يبين الحق فيه خير تبيان

من كلمة أسعد بك لطفى

رئيس نقابة الموظفين

معالى الوزير . سيداتى . سادتى :

التاريخ أبو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الأثر . والأثر الصالح أصله ثابت وفرعه فى السماء. وخير الآثار مادعمه صاحبه بيمينه ومن الناس من يعيش ويفنى بغير آثار. ومنهم من يرغم أصدقاءه واخوانه أن يذكروه ويمجدوه بعد الممات . وكان من هذا النفر الدكتور صروف

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنه نال أعلى الدرجات المعنوية، فلقد كان مخلصاً في وظيفته فعاش فيها خمسين سنة أو يزيدون . وما أطيب أن يصل الانسان الى مجد ويرى ثمرة عمله بعينه وقد كان هذا شأن صروف فقد كان أداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلا بان الشرقى شعلة فى الذكاء وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذى قام به واحسن من هذا أنه عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد أن يعلن بنفسه عن نفسه ولكن عمله أعلن عنه • لقد أحسن صروف الى نفسه ووطنه والى اللغة العربية فليتلق فى جوار ربه حسن جزائه وأما أنتم يا أسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

من كلمة الشيخ عبدالعزيز جاويش بك

مراقب التعليم الاولى بوزارة المعارف

سادتى الاكرمين :

أليس من العجيب أن يقوم أحدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى الدنيا العربية بسبعين مجلدا ضخما من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب

والمباحث القيمة ما أكسبه بحق مركز أستاذ العلمين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحده تعرف الدكتور صروف الى الدنيا الغربية فلم تسول له نفسه يوماً ما أن يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكرا . ولولا ما كان من صرير اقلامه الدائم في مقصوراته لكان مثله فى بره الخفى بالعلم وجهاده الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيح السائب يصيب الارض الموات بلا خرير يسمع فيحييها و ينبت البهيج من أزواجها

كذلك تحس انه برغم ما كان له فى شبابه من العبقرية والحذق والتفوق على زملائه ولداته لم يجد العجب والزهو سبيلا الى نفسه البصيرة ولا مدخلا الى قلبه الكبير . ولذا كان طول حياته أبعد الناس عن استجهال الناس وأحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكأن طاب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثا منقبا متحريا وجوه الصواب موازناً بين ماقد يكون للعلماء من الرأى فيها . ذلك كيلا يقطع برأى في أمر حتى يمتحنه من سائر جهاته امتحانا رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

***

سادتى : لقد كان يكون الرزء فى أستاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يحمل عليه الصبر والفراغ الذى أحدثه اختفاؤه مما لا يرجى أن يملأ لولا انه طاب ثراه قد ترك للامة العربية في جملة ميراثه العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندى صروف فلقد استخلفه على منبره العام بعد اذ انبته نباتاً حسناً فخلقه بأخلاقه المرضية وزوده بعلمه الواسع وابرزه للناس فى صورته الطيبة فلندع الله أن يرزقه من التوفيق والنفع مارزق عمه من قبل حتى لا ينقطع عن الأمم العربية صالح عمله ولا ينطمس عن الابصار نافع أثره

***

مرثية أحمد شوقي بك

سماؤك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب

وما أنت الا جيفة طال حولها قيام ضباع أو قعود ذئاب
وكم ألجأ الجوع الاسود فأقبلت عليك بظفر لم يعف وناب
قعدت من الاظعان في مقطع السرى ومروا ركاباً في غبار ركاب
وجدت عليهم في الوداع بساخر هن اللحظ عن ميت الاحبة نابي
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة ومالوا فلم تستوحشي لغياب
تسوقين للموت البنين كقائد يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
رأى الحرب سلطاناً له وسلامة وان آذنت أجناده بتباب
ولولا غرور فى لبانك لم يجد بنوك مذاق الضر شهد رضاب
ولا كنت للاعمى مشاهد فتنة وللمقعد العانى مجال وثاب
ولا ضل رأى الناشيء الغر فى الصبا ولا كر بعد الفرصة المتصابي
ولا حسب الحفار للموت بعد ما بنى بيديه القبر الف حساب
يقولون يرثى كل خل وصاحب أجل انما اقضى حقوق صحابي
جزيتهمو دمعى فلما جرى المدى جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ وبالمستقبلها لسان صواب
دعوتك يا يعقوب من منزل البلا ولولا المنايا ما تركت جوابي
اذكرك الدنيا وكيف ولم يزل لها اثراً شهد بفيك وصاب
حملنا اليك الغار بالامس ناضرا وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب
وما انفكت الدنيا وان قل لبثها لسان ثواب أو لسان عقاب
الا فى سبيل العلم خمسون حجة مضت بين تعليم وبين طلاب
قطعت طوالى ليلها ونهارها بآمال نفس في الكمال رغاب
رأى الله ان تلقى اليك صحيفة فنزهتها عن هوشة وكذاب
ولم تتخذها آلة الحقد والهوى ولا منتدى لغو وسوق سباب
مشينا بنورى علمها وبيانها فلم نسر الا في شعاع شهاب
وعشنا بها جيلين قمت عليهما معلم نشء أو إمام شباب
رسائل من عفو الكلام كأنها حواشي عيون فى الطروس عذاب

هى المحض لا يشقى به ابن تميمة غذاء ولا يشقى به ابن خضاب
سهول من الفصحى وقفت بها الهوى على ما لديها من ربى وهضاب
وما وضعت بين الشرق والغرب مشية كما قيل فى الامثال حجل غراب
فلم أر أنقى منك سمة ناقل إذا وسم النقل الرجال بعاب
وكم أخذ القول السرى معرب فما رده لاسم ولا لنصاب
وقدت على الفصحى بخيرات غيرها فوالله ما ضاقت منا كب باب
وقدماً دنت يونان منها وفارس وروما فحلوا فى فسيح رحاب
تبتلت للعلم الشريف كأنه حقيقة توحيد وانت صحابى
وجشمت ميدان السياسة فارسا وكل جواد في السياسة كابى
وكنا ونمر فى شغاب فلم يزل بنا الدهر حتى فض كل شباب
وأى الثورة الكبرى فسل يراعه لتحطيم اغلال وفك رقاب
وما الشرق الا أسرة أو عشيرة تلم بنيها عند كل مصاب

(*)

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة تحدر من اعطاف كل سحاب
ورفاف ريحان يروح ويغتدى على طيبات في الخلال رطاب
وذكرى وان لم تنس عهدك ساعة وشوق وان لم نفتكر باياب
وويح السوافى هل عرضن على البلى جبينك أم سترنه بحجاب
وهل صن ماء كان فيه كأنه حياء بتول فى الصلاة كعاب
ويالحياة لم تدع غير سائل أكانت حياة أم خلية غاب
وأين يد كانت وكان بنانها يراعة وشى أو يراعة غاب
ولهفى على الاخلاق فى ركن هيكل ببطن الثرى رث المعالم خابى

*

* *

نعيش ونمضى فى عذاب كلذة من العيش أوفى لذة كعذاب
ذهبنا من الاحلام فى كل مذهب فلما انتهينا فسرت بذهاب
وكل أخى عيش وان طال عيشه تراب لعمر الموت وأبن تراب

من كلمة الآنسة « مي »

في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الا شهراً واحداً ، اجتمعنا هنا للاحتفاء بعيد المقتطف الخمسيني ، وكانت بهذه الدار داوية باسم صروف وفي هذا المسرح ، وكان ينتصب تمثال فاخر جادت به أريحية المهاجرين الى الديار الامريكية من السوريين واللبنانيين . وحيال التمثال الصامت الجامد كان من مصر شخص حي نابض تكون من ممثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية ، والنزعات الفكرية . تبعت تركيا المقدوز من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد أن كانت سيدة . فاذا بك يامصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتتبوئين المكانة المعدة لك بين أقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة فى رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما أنت زعيمة فى الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما أنت زعيمة في الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية

وعند مانهض الدكتور صروف يلقى كلمة الشكر — سامحوني ، أيها الخطباء والشعراء ! — كان أجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلىء شباباً على طول عهده بالحياة ، الممتلىء يقظة على طول عهده بالجهاد ، الممتلىء نشاطاً علمياً وعملياً على ماأوهى العمل من خيوط قلبه وأفنى العلم من ذرات دماغه .

تكلم متأثراً ، فأدركنا فى لحظة كم هو قاسى فى وحدته الفكرية ، وكم كان ثباته عظيما في انزوائه العلمى . فكان حقاً أن تحين ساعة الانصاف . كان حقاً لذلك العامل العظيم فى ميدان الثقافة الشرقية أن يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفا من جميع الاصوات ، منسوجا من جميع الافكار ، متوجداً من جميع القلوب !

« * »

ذكرت الخلود ، أيها السادة والسيدات . وهى كلمة طالما تداولناها في الاعوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد ؟

أما خلود النفس بعد الموت فمنبثق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق فى

كل ضمير حي وحاجة صميمة لاتقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن الخلود بمعناه المدني أو العلماني — ان صح هذا الوصف — أي خلود الشخصية في هذا العالم بين بني الانسان — ترى ماذا نعني به عند ما نشير اليه

أهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنة تتجاوب به الاصداء على توالى الاحقاب ؟ معناه أن مبادىء الشخص الخالد، تعاليمه تظل شائعة بين أبناء الاجيال الآتية تزكي منهم الهمم ، وتنيلهم المعلومات والفوائد ، وتوحي اليهم حب النشاط والعمل ؟ أم معناه أن بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الازمان ، هناك أسماء تظل خافقة كالرايات ، مضيئة كالمنائر ، هادية كالاعلام في الصحراء ، مشجعة كاصوات الحب والحياء

قد يكون للخلود في هذا العالم بعض تلك المعاني أو كلها . ولكن لدى عن الخلود فكرة اخرى استميحكم في الافضاء بها اليكم

الخالد في تقديري هو الذي خطا بجماعته خطوة حاسمة في الميدان الذي تفوق فيه . الخالد هو الذي جعل وسطه، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته. الخالد هو الذي ثقف وأنمى جانباً من الشخصية العامة ، فكان له في تكوينها اثر لاتمحوه الاعوام والدهور

وتلك الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها الشرق في نصف قرن على يد المقتطف ، هي التي نسجلها للدكتور صروف في توديعه كما سجلناها من قبل في تحيته . انه خالد بها لانه عمل في تكوين الشخصية العامة واهلها للتقدم في مراحل التاريخ والعمران

فلا تطرقي حزنا وأسى ، يازوجة صروف أنت التي قاسمته ساعات الحياة في ألوانها البهيجة والقاتمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسر بالخيال لزيارة ذلك الضريح البعيد في ظل الغصون . و بينما تتعاون أيدى الرجال القوية النبيلة على اضفر أكاليل التكريم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنقدم له نحن ، بالنيابة

عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعه بهذه الكلمة الشهيرة لفيكتور هوجو :

« أيتها الشمس المتغيبة وراء الافق ، ان أشعتك باقية الانوار »

كلمة نقابة الصحافة ألقاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

أيها السادة

في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤبن صحفيا من أعلام الصحافة اغتاله الموت وهو فى ميدان الشرف يناضل نضالا سياسيا عنيفا . كنا نؤبن صديقنا وزميلنا المغفور له امين بك الرافعى الذى سقط شهيداً فى جهاده السياسى وما يزال فى عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤبن علماً آخر هو المرحوم المغفور له الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤبنه شيخاً من شيوخ الصحافة ، قضى حياته فى خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلا . شيخا كان في مثابرته وصبره على بث الفكرة العلمية التى تحتاج الى الوقت الطويل ما كانه أمين الرافعى فى اندفاعه القوى لتحريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرته وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمى والاجتماعى من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعا في أنحاء العالم المختلفة فيه اشتراكا قلبياً دل على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجهود المجيد الجليل

والواقع أن حياة المغفور له الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف . فلقد عاش هذا الرجل صحفيا بمعنى خاص غير المعنى الذى يتبادر للاذهان من كلمة الصحفى . عاش صحفياً متخصصا لناحية معينة هى نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن له اشتراك فعلى في تحرير جريدة المقطم التى يظهر اسمه عليها . وانه لم يعن يوما من

والايام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشئون السياسية، ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل أن يقف الدكتور صروف على كل شئون نشره فهو الذى يضعه فى المكان الذى يختاره من المجلة . وهو الذى يصححه التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف أثناء الشهر الذى سبق ظهوره وكان مطبوعا بطابع الدكتور صروف العلمى الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيا سياسيا ، ولم يكن يعنى في حياته الصحفية بشيء عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفيا اختصاصيا ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ أول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كل نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق أول نشأة هذا الرجل بعيدا عن تمثل الروح الغربية تمثيلا يكون لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة أداة نشر هذا العلم الذى أحبه حباً جماً . والصحافة أداة قوية فى تعميم العلم وتوطئته قوتها فى نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من أسباب التفكير والشعور

وفي سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضي الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطلع وينقب ويتابع تطور العلم ومايجد فيه من الآراء والمكتشفات ليجلبها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصا للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستنفدان من المخاص لهما كل هباته وضخته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مغتبطا أشد الاغتباط . وان الذين رأوا الدكتور صروف فى مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجى عن أن تصل الى مسمعه ، والذين شهدوه وهو يقلب فى صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافا مضاعفة على تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها ، هؤلاء جميعا يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت

الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرون مبلغ ما تحكم العلم وما ملكت الصحافة في وجوده تحكماً استبداديا محبوبا ، ويقدرون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصاً لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل جميعاً فاذا مدت المقادير للعامل في حياته فزاده ذلك محبة لعمله واخلاصاً له ثم كان عمله متصلا بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ للرجل وعمله ، ولقد قضى المغفور له الدكتور صروف أكثر من خمس وخمسين سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم له في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي أجمل اعتراف وهو لاشك سيعترف له بعد وفاته بهذا الفضل أخلص اعتراف وأصدقه

وان أسرة الصحافة التي شرفتني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها لتشعر لفقد المغفور له الدكتور صروف باكبر الاسى ونرجو الله له الرضوان بمقدار اخلاصه الجم المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي ... على الاريب الكاتب الألمعي
جرى عصي الدمع من أجله ... فزاد في الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه ... فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالاتها ... حظ ولا للشام في أروع
مصاب صروف مصاب النهى ... فليبكه كل فؤاد يعي
كرم بالامس وأكفانه ... تنسجها الاقدار للمصرع
ياصائغ الدهر لتكريمه ... صغه لمنعاه من الادمع
قد زين العلم بأخلاقه ... فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى ... خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم له روعة ... ينهار منها صلف المدعي
وحلة الفضل لها شارة ... أزهى من السيفين والمدفع

يشبع من حصل من علمه ... وهو من التحصيل لم يشبع
مبكراً تحسبه طالباً ... يسابق الفجر الى المطلع
قد غالت الاسقام أضلاعه ... والرأس في شغل عن الاضلع
مات وفى أنمله صارم ... لم ينب فى الضرب عن المقطع
صاحبه خمسين عاماً فلم ... يخن له عهداً ولم يخدع
موفق أنى جرى ملهم ... ماضل فى الورد عن المشرع
لم يبره بار سوى ربه ... ولم يحزه جاهل أو دعى
في النقل والتصنيف أربى على ... مدى ابن بحر ومدى الاصمعى
أى سبيل للهدى لم يرد ... وأى باب منه لم يقرع
يقتطف الزهر ويختاره ... كالنحل لايعفو عن الاينع
فتحسب القراء في جنة ... عقولهم فى روضها ترتعى
صروف لاتبعد فلست الذى ... يطويه طاوى ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه ... لم يسكت الآثار فى المجمع
ذكراك لاتنفك موصولة ... في معهد العلم وفى المصنع

شكر أسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما أكرم هذا الشعب وأطيب عنصره وما أشرف خدمة هذا البلد وأبرها »

هذه هي الكلمات التى فاه بها لى المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من شهر ابريل منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي :

ثم زاد على ذلك قائلا :

« ترى أنستحق ياسعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة فى مصر والشرق مثل هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كالتى شهدناها يضعها جلالة الملك فؤاد تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشترك فيها الامراء وسائر الوزراء وعظماء البلاد ونوابها وأدباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم و يبعث اليها سعد على

رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ماقاله في المقتطف ومنزلته فى مصر وأثره في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان » .

ثم صمت هنيهة ونحن سائرون معاً وعاد فاستأنف الكلام مجيباً بنفسه عما كان شاكا فيه فقال :

« كلا — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره وأصحاب الكلمة فيه أكرم. فهم فى خدمة العلم والعمل على نشره فى البلاد يعطون ديناراً بدرهم .وأخاف أن أكون قد قصرت فى أداء واجب الشكر لهم في الحفلة . ولا يخرس اللسان مثل الشعور العميق بالجميل » .

« ولكن يجب أن نحسن العمل أكثر وان نستمر على وقف أقلامنا ومواهبنا وأرواحنا فى سبيل خدمتهم ولا ندخر وسعاً فى تقويم الافهام وتثقيف الاذهان كما قال سعد لنبقى موضع ثقتهم ولكى لايعتقد أحدهم أنه أخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة التى وضعونا فيها واذا لم يمد الله في أجلنا فتقومون أنتم يا أبناءنا واخواننا بهذا الواجب » .

هذا ما صحت عليه عزيمته بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو أن يداوم الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة المقتطف وسواه من المؤلفات مما كان قد أخذ له العدة وجمع الأهبة. ولكنه كان يخشى أن لايمد الله فى عمره الى أن يحقق أمانيه ويوفي مصر وأبناءها دين الجميل الذى أسدوه اليه فأوصانا نحن بايفائه ووضعه فى أعناقنا

رسالة المقتطف

حضرة صاحب المعالى سيداتى وسادتى ،

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التى تدفع بالحضارة الى الامام ووصف مظاهر العمران ووجوه ارتقائه ، فلا ريب فى أن الكل مجمعون على أن التاريخ في صميمه انما هو حديث ارتقاء الفكر البشرى وانطلاقه من قيوده وابداعه فى مآتيه

فبالفكر تغلب الانسان على طوائف الاحياء التى كانت تنازعه البقاء في

ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التى كانت تقعد به عن النهوض والجرى في مضمار الرقى . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى مكامن أسرار الحياة . تطلع الى الكواكب فقاس ابعادها واجرامها وحلل عناصرها وعين نسبها ومقاديرها . والى الجراثيم فدرس طبائعها ووسائل استخدامها واتقائها . والى العقل فكشف عن أصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة . والى الاحياء فقرر نواميس نشوئها وارتقائها . وبالفكر ايضا تحكم فى قوى الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوق الارض بامواج الاثير وجاب البحار على مدن طافية . وحلق فى الجو بجناح و بغير جناح وتصدى لحالك الظلام فبدد غياهبه بأنوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبار هى فى الحقيقة أشعار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد .



نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف . وانطو بالخيال والفكر اثنتين وخمسين سنة من تاريخ الشرق نرود أعصاره ونرنوا الى أحواله ونتتبع مظاهر تململه ويقظته حتى تستقر على رابية فى راس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير فأنشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم فى غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقى العقول التى تروم الكشف عن أسرار الوجود . والنفوس التى تتطلع الى ادراك كنه الحياة ومبدع الحياة . ندربها على البحث العلمى القائم على الدقة والانصاف ونولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لانعرف للمذهب الدينى سبيلا يفسد علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين القويم المكان الأعلى في كل أعمالنا لاننا نريد أن نخرج للحياة رجالا تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل المثقف والرأى الحصيف ...

في هذا المعهد العلمى المنير نشأ المقتطف وترعرع

وعلى أقطابه الاعلام تلقى منشئاه العلوم الحديثة وأساليب التفكير الحر

وفى دوره ومعامله وانديته طبعت نفساهما بأن العمران بناء فسيح الرحاب يقوم على دعائم كثيرة أقواها وألزمها دعامتا العلم الصحيح والدين القويم

هناك تسلماً قبساً من النور نشراه في أرجاء الشرق

ولكن مصراً كانت منذ أقدم عصور التاريخ ولا تزال مثأى للكريم عن الأذى ، فحضنت المقتطف ورحبت به وعطفت عليه ، حين كان سيف الاستبداد مصلتاً فوق رقاب الاحرار من أبناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف الديار المصرية على الرحب والسعة ، واتصلت أصوله بتربتها الغنية تستمد منها القوة والغذاء . وامتدت فروعه في جوها تتسابق الى أفسح الاجواء تأخذ من الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتعضيد حكامها وعلمائها وأعلامها منارة تبسط من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولا أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب . في ميدانه الرحب التقت أقلام العلماء والمفكرين من أبناء الحضارتين . آناً تتفق آراؤهم وآناً تختلف . ومنشىء المقتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف منه كل طارف وكل تليد حتى غدت مجلته مدرسة سيارة ، ومنارة جوالة ، ورابطة تضم أبناء الشرق في وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيه أسباب التضامن وفشت عوامل التفرقة والانقسام

واذا سمحتم لي ايها السادة أن أتجرد هنيهة من علاقتي الشخصية بالمقتطف وأصحابه لجودت من مجلداته السبعين . شخصاً معنوياً أضعه في مكان فرنسيس باكون الفيلسوف الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيذيين الفرنسيين وعلم ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل والتكهن بالغيب ، وقضى على منطق ارسطوطاليس ، وأقام التجربة والامتحان أساسا للعلم ، فكان بذلك رائداً مقداماً شق الطريق أمام العلم الحديث الذي تغلغلت آثاره في كل مقومات العمران.

الاصلاح فى الاسلام

للاستاذ : فيليكس فالوى

هذا المقال هو الفصل الاخير من سلسلة محاضرات ألقاها « فيليكس فالوى » فى كلية دارتموث بنيوهمبشير الجديدة فى الولايات المتحدة تحت عنوان : « قوى الترقى فى الشرق » .

* * *

كان الفيلسوف الألمانى « نيتشه » قد نبه الى مقدار ارتباط مصير الحضارة الأوروبية بالمسألة الأسيوية . فتكلم بلهجة تنم عن الغضب الممزوج بالازدراء عن أوروبا التى هي شبه جزيرة بالنسبة للقارة الاسيوية وكيف أنها تدعى السيادة الروحية لمجرد أنها ابتدعت النظام الفنى الحديث ، فى حين لم تدرك شيئا الى الآن من روح آسيا الذى ابتدع جميع الفكرات الدينية والفلسفية العظيمة التى تؤلف كياننا الأدبى .

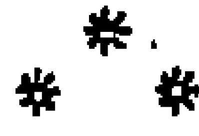
وقد أيدت الحوادث منذ ذلك الوقت صدق نظر « نيتشه » وثاقب بصيرته فان علم الاقتصاد حاول محاولة موفقة في النزول بجميع الظاهرات الاجتماعية الى جعلها مسألة أرقام ومواد انتاج وعلاقات مادية . غير أن الوجوه الأدبية والروحية للمسائل الانسانية كانت لها الغلبة العظيمة على أشياع « كارل مركس » على اختلاف مذاهبهم وعلى أولئك الاقتصاديين الذين أبوا منذ وقت طويل أن يبالوا بآسيا لأنها ليست ذات مصانع وهو مايوجب في نظرهم عدها همجية . وهاهو الغرب حين تنبه من الحكم الاشتراكى ومن العلم الكاذب بوجوه تبادل المواد قد وقف أمام المسألة الشرقية فى قالب جديد يبعث على القلق . وهي المسألة التى عرضتها للبحث فى البدء أطماع أوربا المادية وسترتها بلاغة الاكليروس من بعد ذلك بستار المسألة الدينية وصارت فى نهاية الحرب الكبرى مسألة أدبية وروحية تتعلق رأساً بتوازن القوى التاريخية التى تحرك الانسانية .

ولم يبلغ التاريخ بعد فى أوربا لسوء الحظ شأو علم الاديان ولم يرتق اليه . ولا يزال كما كان لم يتحرر من الاوهام التى تصده من أن يفكر تفكيرا « عالمياً »

بدلا من التمادى فى الغرور العنصرى وهو كبير الخطر على سلام العالم والطمأنينة. وقد اعتاد المؤرخون الاوروبيون عند الكلام عن المسألة الاوروبية أن يهملوا وجوهها وأصولها الاسيوية . فلم يستفد التاريخ الاوروبى شيئاً من براعة نظرهم فى أمور الشرق وكفايتهم فى العلم بها . وأعظم الأخطاء التى ارتكبها مشاهير المؤرخين لدى الحكم على آسيا والاسلام ونتائج السياسة الاوروبية في آسيا انما توضح فى العبارات التالية. أن الاختصاصيين في مسائل الشرق مازالوا إلى الآن من علماء اللغات الذين يقضون العمر كله تقريباً فى درس نص قديم من نصوص الشعر الفارسى أو فعل غير قياسى جاء في أحد المخطوطات الشرقية . على حين يقتضى الامر بذل الهمة في استقصاء المصادر الصحيحة لتاريخ آسيا . وهى المصادر التى تكاد تكون مجهولة في الغرب ولا تزال الى الآن غير متداولة بين الاوروبيين الذين نتلمس الاغلبية الكبرى منهم رأيها فى الشرق من العبارات الجوفاء والمفتريات التى أذاعها فيما مضى رواة الاخبار والوقائع من البيزنطيين واللاتينيين وهم مفضلون فيجامعات الغرب . وما نعلمه عن كاتب أغريقى قديم من الدرجة العشرين يفوق بكثير جداً ما نعلمه عن أجل المظاهرات السياسية أو الروحية فى التاريخ الاسيوى .

وليس من شك في أن اللاهوتيين الذين تدخلوا فى المسألة الشرقية مستترين خلف « الديبلوماسية » والدوائر المالية العالية كانوا بوجه خاص ضحايا جهلهم . ولم يتناول البحث العلمى النزيه الاسلام والشرق فى أوربا الا فى العهد الاخير . ولقد بقيت المسألة الشرقية حتى القرن التاسع عشر فى عوز الى وسائل البحث الكافية والى الفكر الاوروبى المتحرر من كل الاوهام الدينية . وساعدت الروايات التى بثها ذوو الاغراض من مسيحيي الشرق على تضليل المرسلين وايقاعهم فى الخطأ . وتشهد آداب الاسلام وفلسفته الدينية على التهذيب العظيم لقواعد الاخلاق والحياة الانسانية عند النخبة المفكرة على الاقل . وهي تلك النخبة التى تدعو بقوة الى الاخاء بين الناس جميعاً بعد إذ صفت عقيدتها ورجعت الى مبادىء الاسلام الاصلية البسيطة فى سمو ونبل . ولم يكن قد بقى فى نفوس خيار المسلمين

من قبل الحرب أى أثر لكره المسيحيين . ونعنى بخيار المسلمين أولئك الذين اعتادوا أن يطلبوا العلم فى جامعات الغرب وأن يأتلفوا ائتلافا وديا برفقائهم الغربيين في كل مكان لايمنع فيه الوهم المتعلق بألوان الشعوب من جلوس الاوربيين مع الشرقيين على مائدة واحدة . وقد حل محل الكراهة القديمة للمسيحية الرغبة فى الاشتراك فى العمل الفكرى الانسانى تحت لواء العلم . واذا كان المسلمون المفكرون يجحدون اليوم ارشاد الغرب الادبى، واذا كان فى العالم الاسلامى عناصر ساخطة تعرض عن النظم الاوروبية، فان الخطأ فى ذلك واقع على أولئك الذين لم يعرفوا أن يأسروا ارادة الشباب المسلم المتحمس والمستعد للاهتداء والانقياد لعلم الغرب .



أما الاصلاح فى الاسلام فقد بوشر فى دوائر شتى . وانما ترجع محاولات الاصلاح التى شملت الفلسفة الدينية والفقه والاخلاق الى أصحاب النظر بالعقل من المعتزلة فى القرن الحادى عشر . ومنذ ذلك الوقت لم يقف سير الاسلام فى طريق التطور . غير أن تجارب الاصلاح التى حققها أصحاب المذاهب الاسلامية وان كانوا جد مخلصين فلم تؤت تجاربهم بثمار عملية دائمة الا فيما ندر . وكانت غاية المفكرين ورؤساء الفرق الاسلامية والمرابطين (!) أو سواد المؤمنين على كثرتهم ينحصر في تصفية العقائد الدينية وتهذيب الطباع والعادات ورفع المستوى الخلقى لبعض شعوب الشرق التى لا تزال على الفطرة . الا ان تقدم الاسلام الى الامام كان يتطلب شيئاً آخر . فان كل اصلاح أساسى يدخل على النظم الاسلامية لا يوفق الى الاخذ به فى كل أنحاء العالم الاسلامى الا اذا توفر فيه بديا شرطان جوهريان . أولا : بألا يكون صادرا تحت ضغط أوربا . ثانياً ، أن يأتى من أمة اسلامية قوية حية ومستقلة . وقد فشل أول اصلاح تركي — التنظيمات — الذى أسس تحت تأثير المبادىء الفرنسية سنة ١٨٣٩ بقانون « جولهان » لأن الاخذ به كان تحت ضغط أوربا ، وكان يقول بالتدخل الاجنبى بدلا من أن يبطله

نهائياً (١) وحينئذ ، وحاول انكليزي مستنير هو خير مؤرخ لحياة الاسلام أنجبته أوربا ونعني به « دافيد أوركار » أن يحمل « الديبلوماسية » الاوروبية على العدول عن المذاهب الخاطئة التي تفرض على تركيا اصطلاحات تضعها وزارات خارجية لوندرا وباريس وبطرسبرج . واعترض بشدة على تطبيق القواعد الاوروبية تطبيقا أعمى على الشرق ودعا بقوة الى المحافظة على التقاليد الاسلامية الصالحة التي امتدح حيويتها . وأشار « أوركار » الى قبول الدولة التركية في حلقه النظام الدولي الاوروبي.

وهو مقتنع أشد الاقتناع بان النجاح فى منع التدخل الاجنبي الدائم فى شئونها يعيد تركيا عنصرا عظيم النفع فى التوازن العالمي ويجعلها تواصل بنجاح مهمتها التاريخية كمصدر لبث المبادىء الغربية في آسيا . ولبث « أوكار » طول المدة من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٦٠ ينصح بتنحي الدول الاوروبية المطلق عن التدخل في مسألة الاصلاحات لكي يتاح تحقيق التطور التاريخي الذى تستحيل به الشعوب الاسلامية إلى دول حديثة تحقيقاً طبيعياً بالتعاون مع الاوزبيين المتنورين والمطلعين على أمور الشرق الذين يختارون لكفاياتهم والذين يكونون بمعزل عن كل تدخل ديبلوماتيقي وكل دسيسة دولية . وكانت خير نصيحة قدمها الى الدول الاوربية هى أن تكل أمر التفكير فى الاصلاحات وتحقيقها الى الممثلين الحقيقيين لعلم الشرق والغرب بدلا من أن يكون ذلك وسيلة للمناورة في أيدى الساسة . ولا تزال هذه النصيحة حافظة بقيمتها الى الان

وقد كان « اوركار » أول من أدرك أن المسألة التركية بالشكل الذى يطرحها به خصوم الاسلام على أوربا انما هي حيلة يراد منها اثارة المذابح التى يتذرع بها للاصطياد فى الماء العكر المسألة الشرقية . وقد غاب عن الدوبلوماسيين أن روح المسألة انما هو قلب العلاقات بين أوربا وآسيا رأساً على عقب لكي يتاح لدين شريف وعناصر بشرية جليلة أن تحل المسائل الحيوية لوجودها فى حمى من الدسائس الخارجية .

---

(١) راجع بحثى « أوربا فى آسيا الصغرى » (الطبعة الثانيسة) فى مطبعة « بوكار » باريس سنة ١٩٢٢ .

على أن أولئك الذين يؤكدون أن الاسلام مستغرق في عقائده وأن من العبث أن يبذل أى مجهود في سبيل تحريره من التقاليد الموروثة المناقضة لمطالب الحياة الحديثة، ينسون أن لا صحة للنظرية القائلة بجمود الاسلام وانه لم يسلم في كل عصر من هزة الحركات الفكرية في التاريخ. ويبدو فى تشريعه الذى يراد اصلاحه اليوم أثر القانون الرومانى. وفى اتساع أحكامه الدينية نفسها أثر الفكرة الهيلينية فى حين اقتبست فلسفته الآراء الافلاطونية والهندية. وهذه الظاهرة الدالة على تأثر الاسلام بمبادىء الامم الاخرى قد وضحها ببراعة كبير. المشتغلين بالمسائل الاسلامية في عصرنا ونعنى به الاستاذ جولزيهر من بودابست في دروسه المشهورة عن الاسلام: فقد برهن «جولزيهر» على أن الاسلام أظهر استعداده للاندماج العضوى وهضم العناصر الاجنبية في كل حقب تاريخه. قال ان من الخطأ اعتبار الاسلام مسئولاً عن وجوه النقص الادبية والركود الفكرى اللذين ينسبان الى الاستعدادات الجنسية والمناخ. وما يزال الاسلام من الوجهة الادبية امبراطورية عالمية جديرة بكل اهتمام المفكرين. ألا ان هناك فرقا لاحد له بين الاسلام من وجهة العقائد والاسلام من وجهة التاريخ. وجلى أن ترقى الاسلام فى المستقبل يرتبط بالموقف الذى تقفه بازائه أوربا وأميركا.

وفى أساس الاسلام يوجد المبدأ الانتخابى الذى ينص عليه «قانون الاجماع» وهو موافقة اغلبية المسلمين على كل اقتراح جديد. قال «جولزيهر»: ان مبدأ الاجماع يشمل في جوهره القدرة التى تعين الاسلام على أن يتحرك بحرية وان يتطور. وان فيه لوسيلة مناسبة لكبح الطغيان والسلطة الفرديه. وقد ثبت فى الماضى على الاقل انه العامل الاولى في قابلية الاسلام على التكيف. فما الذى يمكن أن يثمره في المستقبل تطبيقه الموافق؟ »

ان العقيدة الاسلامية الصافية تعتبر كل فكرة جديدة متفقة كل الاتفاق مع تعليم النبى الجوهرى اذا حازت موافقة الاغلبية المسلمة. والمراد من مبدإ الاجماع « أن كل ما تتقبله الجمعية المسلمة على أنه حق وعدل ينبغى أن يعتبر حقاً وعدلا. وكل ما هو حائز لموافقة المسلمين العامة فهو عدل ويتحتم الاعتراف بعدالته ولا

يكون غذلا إلا في القالب الذي يعطيه إياه الاجماع ،وما يقره الشعور العام للجماعة بانه حجة وثقة فى أمور الدين ،سواء أكان رجلا أو كتابا يكون كذلك لا بقرار تصدره هيئة من علماء الدين بل برأى عام يشبه أن يكون لا تنبيهياً بحيث يعتبر فى مجموعه م لا يجوز عليه الخطأ (١)

ولقد صار الاسلام — الذى كان في الاصل جمعية دينية صغيرة فى مكة ونظاما سياسياً فطريا في المدينة — امبراطورية عالمية قامت في البدء على السيف مثل الامبراطورية الرومانية المقدسة ثم قامت من بعد تجزؤ الممالك العربية على الشعور السامى الذى يجعل من المسلمين أعظم اخوة انسانية فى العالم . وكان محمد يرى أن سر اتحاد العناصر البشرية انما هو شعور الجميع بالامتثال لله وتعلقهم به . ويقول القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً »

ولقد بقيت هذه المبادىء النبيلة زمناً طويلا تعترض العادات الموروثة للشعوب التى اتبعت محمداً وصار الاسلام دين الاقطاع لمجرد أن النظام الاقطاعى كان يسود الشرق كما كان يسود أوروبا وجعل أصحاب الاراضى فى الاسلام يوفقون بين الدين والاحتياجات المنطبقة على مصلحتهم .

وكان من تأثيرات استخدام المجوس لعهد الخلفاء العباسيين من بعد سقوط بنى أمية الذى نسب اليهم التطرف في العادات الدنيوية ان فرضت على الاسلام مبادىء الحكم الأوتوقراطى (١)

وينبغى أن تنحصر مهمة مصلحى الشرق في تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة

وفرضت على الاسلام مبادىء الحكم الاوتوقراطى بتأثير استخدام المجوس لعهد بنى العباس الذين تولوا الخلافة بعد سقوط الامويين المتهمين فى التاريخ بالعادات الدنيوية المتطرفة (٢)

---

(١) راجع كتاب « قواعد الاسلام » تأليف جولزيهر (الطبعة الفرنسية).
(٢) مكس فيبر

وا ١ ينبغي أن يكون تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة وقيادته الى العلم عن طريق التربية هو كل ما تشمله مهمة المصلحين فى الشرق ، وأن ينحصر مبدأ أولئك الذين يتحملون مسئولية السياسة الشرقية فى أوروبا وأمريكا فى ألا يشجعوا معارضة الدينيين وألا ينقادوا للحزب الدينى المتشدد. ويكاد يكون الإسلام قد تجاوز الطور اللاهوتى فى ترقيه ولا يزال يحتاج الى تغييرات اجتماعية واقتصادية كثيرة لكي يؤسس أو يعيد تطور التعاليم الاسلامية الصحيحة التى وضعها محمد. دين المساواة بين جميع الناس.

وليس في روح الاسلام الصحيحة ما لا يستطيع الاوربى المهذب أن يقبله . وهو ما برهن عليه السيد أمير على — من اكبر علماء المسلمين الاحياء — ببراءة تامة . هذا المفكر الجليل الذى اجتمع له اكثر من أى مفكر معاصر آخر علم الشرق التاريخى وعلم الغرب ، قد نشر طبعة جديدة من كتابه عن الاسلام وأضاف اليها فصلا جديدا ذا صبغة حاضرة . وقد صور فيه تصويراً صادقاً مؤثراً الكفاح الهائل بين مبادىء الترقى ومبادىء المحافظة وذوى الجمود . ذلك الكفاح الذى هز الاسلام من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر والذى انتهى بفوز التقاليد برغم تعاليم الرسول الاصلية (١)

ويستخلص من بيان السيد أمير على الذى بسط بأوضح طريقة أن القرن العاشر كان عصر المأساة الكبرى لاوربا وآسيا . ولا يزال يبدو لى كأشأم حقبة بالنسبة لمصائر العالم وعلى هذا الاعتبار نشأت من وقت هجرة الشعوب ونزوحها العظيم من مواطنها كل المسائل الديبلوماسية والعنصرية التى تواجهنا اليوم؟ وقد أيد السيد أمير على هذا الرأى، ولكن فى توسع غريب . وبينما كانت القارة الاوربية قد مزقتها الشهوات المادية الناشئة عن الاحتياجات الحيوانية للعناصر التى كانت تتنافس فى القرن العاشر على المراعى وأماكن الاقامة تحت المناخ الجيد الوحيد المعروف، كانت القارة الاسيوية التى غمرها الاسلام وكانت في حالة بحث فكرى مسرحاً لكفاح شبيه بالكفاح الذى كان دائراً فى أوربا الا أنه كان يضاف اليه معركة عنيفة حول مسألة الخير والشر .

(١) كتاب « روح الاسلام » للنبيل السيد أمير علي طبعة « كرستوفر » بلندن

و بينما كانت أوربا تتقاتل على الرزق كانت آسيا المسلمة التي بلغت شأو الحضارة السامية تشهد العراك الديني الفلسفي الذي قام حول حقيقة رسالة محمد بين المعتزلة والمحافظين من أنصار العقائد الاولى . وكان أصحاب النظر بالعقل يطلبون تأويلا حديثاً لتعاليم الرسول و يبنون ذلك على مبدأ المسئولية الذاتية للانسان وحريته في الحكم بين الخير والشر وتركه يهتدى بالله من الطريق المستقيم باختياره الادبي . وقد كثر أنصار هذه النظرية الفلسفية والدينية منذ نشأة مدرسة المدينة، الا أنه بمقدار ما استولى الاسلام على عناصر مختلفة ذات عقلية محافظة قليلة التساهل استولت المذهبية المتشددة على تلك العناصر الجديدة وانتهى الامر بمذهب النظر بالعقل في الاسلام الى الهزيمة التامة فى نهاية اربعة قرون كافح فيها كفاح المستبسل

وقد وصف السيد أمير على الاطوار الرئيسية لهذه المأساة الفكرية الاسلامية مبرهنا بطريقة لاتقبل الجدل كيف أن العناصر المتعصبة التي دخلت فى الدين الاسلامى بعقلية ورثت التشدد والمحافظة قد أخرت ترقى الاسلام الفكرى . . وكان خير مفكرى الاسلام وأكبر علمائه فيما بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر يؤيدون حرية الفكر حتى من كان منهم على مذهب المتصوف الكبير الغزالى، ويؤثرون النظر بالعقل . وكان الغزالى يكافح أصحاب النظر بالعقل من الفلاسفة وفي الوقت نفسه يستنكر التعصب و يدعو المتعصبين باصحاب الاسلام الكاذبين وباسم الفكر الانسانى جاهد ضد جماعة « الموالى » وعلماء الدين من دعاة التأخر ببراهين جليلة وأدلة حديثة عصرية . الا أن هذا العالم الذى كان « باسكال » الاسلام ساعد دون اختياره على هزيمة قضية الترقي العلمى في الشرق

كذلك استحوزت على التعليم الاسلامى الروح المدرسية المحافظة « سكولاستيك » ابتداء من القرن الرابع عشر أى في الوقت نفسه الذى كانت فيه المدرسة السكولاستيك في أوربا فى طور الاحتضار وكان العلم الحديث يخطو فيه الخطوات الاولى في اوربا . وقد افضى الكفاح الذى قام بين « ابى حنيفة » و « ابن حنبل » على سيطرة المذاهب الدينية التي جحدت بها الروح العلمية في الاسلام

تلك الروح الباهرة التي لا يزال الى اليوم موضع اعجاب الذين يدرسون العلوم الاسلامية كالجغرافيا والطب والرياضيات التي أزهرت قرطبة واشبيلية وفي بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة . وقد عدد السيد أمير علي الشخصيات العلمية الكبيرة في الاسلام والمبتدعات الفكرية العظيمة للحضارة الاسلامية وهو ما يؤيده كبار الباحثين في أوربا . فان عالماً كاثوليكيا كبيرا في اسبانيا اهتدى الى المصدر الاسلامي الذي استمد منه أعظم ديوان شعري في الكاثوليكية ونريد به « الكوميديا الآلهية » لدانتي . الا ان سيطرة التقاليد المصطنعة ثقلت وطأتها على العالم الاسلامي لسوء حظ آسيا واوربا ومنذ عهد النهضة لم يعد يشترك في حركة تطور العلوم . واتفق له ما اتفق لاوربا في القرون الوسطى حين قبرت قضية الحرية الفكرية بأزاء المبدأ الاكليركي

قرونا عديدة من الجمود الفكري كانت نتيجة ذلك الكفاح الذي انتهى بخذلان حرية الفكر في الاسلام أمام اللاهوتيين المحافظين . ومن عادة المؤرخين الاوروبيين ومعهم فريق من رواة الفارسيين والعرب والهنود أن يلقوا مسؤولية ذلك على عنصر كانت مزاياه الحزبية صاحبة السيطرة على آسيا قروناً طويلة . ولم يسلم السيد أمير علي نفسه من هذه العادة لا في « تاريخ العرب في الاندلس » ولا في « روح الاسلام » . فكيف كان من الممكن أن يسلم منها علماء أوربيون مثل المأسوف عليه ادوار . ج . برون أو الاستاذ مارجوليوث وقد فتنهم سحر الحضارات الاوروبية العديدة فجعلوها مادة علمهم الواسع العجيب ولم يروا الا وجهاً واحداً لعلاقات الشعب الفارسي أو الشعب العربي بالعنصر الذي أسميته بالعنصر الاكثر تعرضاً للتهمة في التاريخ .

يعزو التاريخ الى الاتراك دمار الحضارة الاسلامية . ولا اساس لهذه التهمة تاريخياً وان كان بعض الوقائع يعطيها ظاهراً من الحقيقة . لانه اذا بدت تلك الوقائع صحيحة حين تؤخذ على حدة ، كان ذلك دليلا على انها لم تمحص وانها فسرت تفسيراً سيئا . فان قضية العنصر التركي التارخية قابلة للتصحيح .

ويؤكد البعض ان ذلك العنصر لم يبتدع ولم يعمل ولم ينتج شيئاً في غضون سيطرته السياسية والحربية الطويلة . لكن هل يجهل ذلك البعض الاحوال التي احتوى فيها تاريخ الاتراك مؤسسي الدول في الصين وفي الهند وفي آسيا ؟ حقاً أن العنصر التركي لم يمتز بأية ميزة في دائرة الفكر وعلى الأقل لم يكن له نبوغ الابتكار . . .

ولكن اذا كان حق العنصر في الحياة الوطنية يرتبط بميزة الخلق في الفكر المجرد لكان مركز بعض العناصر الهامة في أوربا غير مكين . انما يأخذ كل عنصر دوره ووظيفته طبقا لاستعداداته الخاصة ولا يمكن أن نلوم رجلا عظيما من رجال الاعمال على أنه لم يبتدع شيئا في الادب أو الفن . ويقارن البعض بين الرومانيين من الوجهة الدولية وبين العنصر الانكليزى السكسونى. على انهم أكثر شبها بالاتراك مما نظن .فان الفكر الرومانى والفكر التركي قد اتجها جميعا الى العمل السياسي ولم ينظرا الى الاشياء الفنية الا من ناحية الزينة والأبهة . وكما أن الرومانيين اقتبسوا أفكارهم من مصادر اغريقية ومصرية ووفقوا بينها وبين احتياجاتهم والمستوى الذى بلغوه ، فان الاتراك قد أخذوا الحضارات الاسلامية والفارسية والعربية والهندية التى اتصلوا بها واعتنقوها . وكان الدور الذى قاموا به ينحصر فى تنظيم بلدان عديدة وحكمها كما فعل الرومانيون بالضبط بوسائل أخرى فى بيئة بشرية تختلف كل الاختلاف عن الوسط التركي الا أنهم مثلوا ذلك الدور حيناً طويلا بنجاح وبفضل تجريداتهم الحربية تعارفت الحضارات الاسيوية المختلفة وامتزجت لكي تتألف منها حضارة اسلامية موجودة الآن ولن تتم الا اذا ظهرت فى آسيا الحضارة الغربية بواسطة الفرنسيين والانكليز الذين يساعدون على نشرها بطريقة عملية فعالة ومتسعة . ولا ينقص الاسلام غير التربية الحديثة والعلم . ينقصه ان يخلع عنه ثوب الاوهام والتقاليد القديمة وصيغ حياته الفكرية التى انقضى زمانها .

إن أولئك الذين يعتقدون أن الاتراك فى العالم الاسلامى هم العنصر الأقل استعداداً للإصلاح الذي يدعو اليه مع السيد أمير علي خيار المسلمين جميعا، انما هم

ضحايا الاكذوبة التي تعمد اذاعتها عن الاتراك في البدء جماعة المغلوبين على أمرهم فى آسيا الايرانية ومن بعدهم أولئك الذين يطمحون منذ قرنين الى أن يكونوا ورثاء الاتراك في دولتهم. على حين أن عقليـة الاتراك العملية هى الوحيدة في لاسلام التى تستطيع أن تعرض عن الصيغ اللاهوتية القديمة وتكون فى جانب الاصلاحات ، على شريطة ألا تكون ذريعة للتدخل الاجنبى فى حكومتهم . أن التعصب التركي المزعوم انما هو من صنع التصور الاوروبى . فليس هناك عنصر أكثر طواعية لتعاليم التسامح الدينى من الاتراك . والاسلام مثل كل دين آخر اتخذ صورة التعصب في كل بيئة كان الذين أسلموا فيها ذوى طبيعة متعصبة. ألم تكن الديانة الـكاثوليكية التى كانت متعصبة في أسبانيا متسامحة دائما فى المجر؟ وقد كانت فى يد آل هابسبورج أداة اضطهاد دينى الا أنها لم تتطور ببطء الا حينما ابتدأ الفـكر العام يترقى فى أوربا .

وانما كان التعصب الدينى فى تركيا من الامور التى تنسب الى أسباب سياسية أو اجتماعيه ويندر أن تنسب الى الدين. ولنتذكر دائماً ملاحظات « رنان » عن الاسباب العنصرية للتعصب السامى .

وظاهر أن الدول الغربية تعول بوجه خاص على فتوحاتها الاقتصادية فى الشرق . الا أنه لا قيمة كبيرة لهذه الفتوحات من الوجهة العملية لانه ليس فى وسع المزايا التى تأتى على الضد من المبادىء الحديثة فى حقوق الانسان أن تستثمر فى هدوء وطمأنينة . ولم تعد القوات الحربية تكفى لقمع القوى الروحية . ولا يمكن أن يكون المركز الاسلامى الاقتصادى مقيداً حقاً الا للدول التى تراعى تلك القوى الروحية . في الشرق لايزال يتألف من الروحى والمادى «كلا» عضوياً . وفى أراضى الاسلام الثروات الجوهرية فى المواد الاولية وليس المحرك العظيم للسياسة العالمية الحديثة — البترول — غزيراً الا فى الشرق . ولا بد من ترسم سياسة الفتوحات الاوربية للوصول الى الاستحواذ بصفة فعلية على موارد العالم الاسلامى الاقتصادية لمصلحة العالم بأسره . ولن تفضى الحرب العنيفة ضد الاسلام سواء أكانت على الورق ، تقوم بها الجماعات الكليركية ، أم في ميدان القتال بالاسلحة

الحديثة الا الى زيادة الارتباك الاقتصادى فى العالم وهدم كل سبب للنهوض ، وعلى النقيض من ذلك يكون الاعتراف برغبات الاسلام كقوة دولية ذات سلطان أدبى وسياسى عظيم. فانه يتيح للقوى المدبرة للاقتصاد العالمى العمل فى آسيا ولكن طبقا لمبادىء المساواة فى المعاملة ومبدأ الباب المفتوح وهما الباعث على عظمة القرن التاسع عشر الاقتصادية

فان مبدأ الباب المفتوح هو الأداة الكبرى التى يمكن أن تحرك الولايات المتحدة الامريكية الى ترسم سياسة عادلة بازاء الاسلام ونحن لا نرى الى الآن فى أمريكا أى أثر لسياسة اسلامية تنم عن الذكاء . فان المرسلين الامريكيين بدعايتهم المتعصبة ضد الاسلام يضللون نظر القائمين بأعظم قوة اقتصادية شهدها تاريخ العالم . وليس فى وسع الولايات المتحدة فى آخر الامر أن تعرض عن وضع برنامج لسياستها الاسلامية برغم انها لا تحكم مسلمين الا فى الفيليبين . ذلك لان مساعدتها الاقتصادية ضرورية لنهضة الشرق كما هى لازمة لنهضة الغرب . فاذا ارتضت ألا تصغى الا لصوت الحكمة وأن تعرض عن اتباع أولئك الذين يبذرون فى العالم بذور الاحقاد الدينية فانها لا تلبث أن تصير محبوبة فى الشرق الاسلامى كما اتفق لها فى الصين حين تولت الدفاع عن سلامة البلاد فحصلت على مركز إقتصادى عظيم

ان قانون الاسلام الادبى صارم فى تحريم الغدر حتى بازاء غير المسلم . وهو ما برهن عليه « جولز يهر » وان توطيد السلم فى الشرق لا يتطلب مطلقا استعمال الطرائق الضيقة التى تتخذ ضده بنجاح لا جدوى منه انما يكفى التقرب من الاسلام بالنية الطيبة نفسها وبالارادة الحسنة ذاتها اللتين كان يظهرهما محمد عن طواعية نحو المسيحيين واليهود فى عصره .

أما الاعتماد فى الشرق على حزب ضد حزب آخر فانها سياسة خبيثة عقيمة لان الوحدة الادبية للاسلام تؤيد من الوجهة الاقتصادية الاصلاح اللازم لترقى آسيا المادى .

ترجمة عبد الحميد سالم

فهرست

ANCORA IMPARO



مجلد ٢ - العدد ١٠ شعاع الحكمة يجذبنا اليك يونية سنة ١٩٢٨

مبادىء الفلسفة الحديثة

سلسلة ابحاث فى قالب سهل المأخذ نعتمد فيها على عدد من اساتذة الفلسفه المعروفين ، ينتفع بهـا المبتدىء فى درس الفلسفة ، كما يستعين بها الباحثون على تفهم المبادىء الاوليه بأسلوب حديث .

الفلسفة والحيـاة

— ١ —

« الفلسفة » احدى الدعامات الاوليـة التى تقوم عليها المعرفة الانسانية . وعلى الرغم من هذا ، وعن قدم عهدها وشبوبها مع تطور الفكر ، قد عانت من المهوشـات وأثر الفوضى ، مالم يعـان فرع غيرها من فروع المعرفة . فكثيراً ما أخطأ الناس معرفة أغراضها وتحديد موضوعاتها . وقد تجـد أن الفلسفة اذا سلمت حيناً من الجهل المطبق بها ، فانها لم تسلم فى كثير من الاحيان من الفوضى فى تحديد أساليبها التى تتبعها فى بحث حقائق الاشـياء . فاعتقد البعض أنهـا ليست أكثر من تخيلات لاتستند الى شيء من الحقائق . أما المعتقد السائد فى « التفلسف » فقـائم على فكرة أن هذا الاسلوب ليس أكثر من أحـلام وخيالات وتخبط مع الاوهام . أما العلماء Scientists فقائلون بأن الفلسفة عبارة عن تأملات جافة غير منتجة تدور حول مسائل، ان لم تكن ثانوية من ناحية الاهمية

والخطر ، فأنها من الاشياء التي لا يمكن أن يعثر العقل الانساني على حل لها ، ولذا يجب أن تترك وتهمل في حيز الاسرار المستعصية التي يجب أن لا تعالج الا من الناحية الباطنة في كفايات العقل الانساني .

على ان هذه النظرة الخاطئة في الفلسفة لها من المقدمات ما يجعلها نتيجة محمولة على تلك المقدمات . وليس من شأننا في هذا التمهيد أن نمضي في سرد تاريخ تلك المقدمات وما حمل عليها من النتائج . بل يكفي أن نقول هنا أن مثل هذه الاتجاهات العقلية أزاء الفلسفة ليست أكثر من أخطاء وسوء فهم لما هي الفلسفة ، وأنها ظالمت الفلسفة ، وهي بعد تلك النزعة العقلية التي كانت في الماضي وسوف تكون في المستقبل ، مادام الانسان مجداً في توسيع أفقه العقلي ، ذات منزلة خاصة تشغلها في نظامات العقل الانساني . وما غرضنا من هذه الأبحاث الا أن نقضي على مثل هذه الفكرات الخاطئة التي تظهر من ناحيتها في الفلسفة، ولنظهر أنها أكبر عون للعلم على الوصول الى أغراضه العليا . لهذا نبدأ بالبحث في العلاقة بين الفلسفة والحياة .

١ ـ غرض الفلسفة

الحياة الانسانية حقيقة واقعة ، بصرف النظر عن اختلاف الناس في تقدير قيمتها . أما الحياة الفردية فهبة ، ليس للفرد فيها من اختيار . ولها فوق ذلك التزامات وواجبات ليس للفرد عن الخضوع لها من مفر . ومهما كان من أمر نشأتها ، أو منقلبها ونهايتها ، فانها حقيقة يشعر بها الاحياء ، ويجب على كل حي أن ينتفع بها على وجه ما من الوجوه . وفضلا عن هذا ، فاننا نعيش في محيط طبيعي يفرض علينا واجبات ضرورية . لأن قواسر الحياة التي لا يمكننا بحال ن نفلت منها تضعنا في موضع نواجه فيه فواعل بيئة تضطرنا الى الاتيان بأفعال لها طابع خاص وصورة بعينها . فانك من أجل أن تعيش ، مفروض عليك أن تأتي بأفعال مخصوصة عند حلول ظروف معينة .

للنشاط الذي ندعوه « الحياة » أوجه عديدة . ومن تلك الأوجه وجه ذو شأن وخطر هو أن الحي يشعر بأنه « كائن » أي أنه يدرك أنه « موجود » أو بلغة

الفلسفة « ذاتى الادراك بوجوده » . وهذا أمر يصدق على النوع الانسانى على الاقل . اننا « لا نعيش » لاغير، بل ندرك أننا نعيش ، وقد نفكر فى بعض الأحيان في الكيفية التى تجعلنا أسعد حالا مما نحن . اننا لا نأتى بأفعال فقط ، بل فينا قدرة على التمييز بين الافعال والاعتقاد بأن أفعالا ما تكون ضرورية ، وأخرى ذات نفع ، وثالثة فيها صواب أو خطأ . وبعبارة أخرى نقول إن الحياة الانسانية حياة « تأملية » فى ناحية من نواحيها العديدة . ولا يجب أن تنسى مع هذا أن هذه الناحية «التأملية» من الحياة البشرية هي فى ذات الوقت مبعث الضجر والتبرم ، كما أنها منشأ العظمة والجلال الانسانى ، وانما يكون « التأمل » مبعثاً على التبرم بالحياة لأن فيه جموداً ، وكثيراً مايكون غير مثمر . في حين أنه منشأ العظمة والجلال ، لأن من طريقه استطاع الانسان أن يتم أعماله العظمى ويقيم قواعد الثقافة ويشيد الحضارات التى تشكل تاريخه المجيد . وسواء اعتبرناه عقبة يجب أن يتخلص الانسان منها ، أم أخذناه على أنه قوة يتحتم علينا استخدامها ، فالتأمل من الصفات الاصلية في الحياة الانسانية .

ما هو « التأمل » ؟ التأمل فى اظهر مظاهره هو القدرة على أن تسأل وتجيب وأن تستعرض مشكلات وتحاول حلها ، وان تنظر الى المستقبل وتختط للسلوك خطة ما . هو ان يكون فيك قدرة على استطلاع الحقائق التى ينطوى عليها وجودك ويحتوى عليها المحيط الذى تعيش فيه . هو « ان تنظر فى الماضى وتستطلع المستقبل ، وأن تستشوق بحرارة الى معرفة المجهولات » .

وللتأمل مظهران لهما أكبر العلاقة والشأن بموضوعنا هذا ، ولذا وجب علينا أن نعينهما . فالمظهر الاول هو أن يبحث التأمل عن أجوبة للاسئلة التى يقيمها . انه لا يقنع بالاجوبة التى يناقض بعضها بعضاً . أو التى تتنافى أجزاؤها المكونة لها ، منافاة تؤثر في اقتناع العقل بها . أما المظهر الثانى فهو أن التأمل يعمل دائماً وبقدر المستطاع ضرورة ، أن يناقش الاجوبة التى يجاب بها على مسائله ليعرف مقدار ماتتجانس عناصرها ومقدار ما تتنافر ، وبالاحرى مقدار ما بينها من العلاقة والترابط . أن التأمل لا يقنع بان يترك الحلول المختلفة التى تحل بها مشاكله

التى يخلقها مفككة لارابطة تربطها ولا صلة تجمعها ، بل يتابع البحث والتنقيب ليعرف ماذا يكون من أمر هذه الحلول الكثيرة اذا اعتبرت فى مجموعها منطقياً. وعلى الجملة نقول بأن « التأمل » يتطلب منا ، باعتبار أنه مثلا أعلى ، أجوبة ثابتة لكل الاسئلة التى يمكن أن تقوم في العقل ، كما يتطلب ترابطاً منطقياً يصل بين كل الاجوبة التى يتسنى لنا الوصول اليها . بل نقول تعميما بانه يرمى الى معرفة الكون من طريق نظرة شاملة فيها ألفة تامة ، بحيث لا ينقص تلك النظرة شيء من كمال الاسلوب ولاحسن النظام ، الذى يقصد به تتابع النسق التدليلى وترابط وجوهه وعدم تنافر أجزائه بحال من الاحوال

ولقد أثبت الفلاسفة فى العصور الحديثة اثباتاً قاطعاً ، ان الفلسفة كالعلوم ، انما تنشأ من تلك القدرة البشرية التى ندعوها « التأمل » وما الفلسفة فى حقيقتها الا ذلك الاسلوب أو النظام الذى يرمى الى تحقيق ذلك الغرض المثالى الذى يرمى اليه التأمل . وفي هذا وحده تنحصر الصعاب التى نعانيها من صفة التأمل الكائنة من تضاعيفنا . غير اننا نقول و بكثير من الحق أيضاً انه ليس لنا من سبيل الى معرفة حقيقة التأمل إلا بأن نواجه هذه الصعاب وأن نعمل على حل المشكلات التى يخلقها التأمل من كثرة الاكباب على النظر فى حالات العالم . فان الفلسفة ليست بتلك الحالة السلبية التى تخيل البعض أنها عبارة عن رؤى يحلم بها الفلاسفة ولا تتناول من العالم الا ترهاته وسفاسفه . بل على الضد من ذلك . إن قوة التأمل فى حالة نشاطها ، تمعن بكل وسيلة في العمل لكى تصل الى أغراضها العليا . ان الفلسفة انما ترمى لان تخلق تصوراً عاماً في حقيقة المسائل والمشكلات التى تقوم في البيئة التى تكتنف الانسان وتحف بمركزه في الوجود . والحقيقة أن الفلسفة كما قال الاستاذ وليم جيمس ، العالم البسيكولوجى المعروف ، عبارة عن مجهود غير عادى يبذل في سبيل أن يحصل الانسان على القدرة على أن يفكر تفكيراً قوياً .

لهذا نجد أن الفلسفة انما تنشأ مباشرة في الحياة نفسها أولا ، ثم من مطالبها ثانياً . ان كل من يعيش فوق الارض ، على شرط أن يكون للتأمل قسط من

حياته ، هوفيلسوف بالطبع . يقول الاستاذ بيرى Perry فى كتابه «مدى الفلسفة» (١٩٠٥) ص ٢٢

« ليس الانسان بطبعه فيلسوفاً مستقل الرأى في فلسفته ، بل هو فيلسوف مغرض تماؤه الحزبية. لقد بدأ الانسان بالفعل أن يكون فيلسوفاً بمقتضى حالاته الحاضرة . ولا شبهة مطلقاً في أن هنالك فرقاً كبيراً بين فكرة تقوم فى عقل رجل من رجال الاعمال العاديين وأخرى تقوم فى رأس رجل يعمل جاداً فى سبيل معرفة الحقيقة لذاتها . غير اننا اذا مثلنا لهذا الفرق بأنه سياحة طويلة ، عرفنا بعد قليل أنها سياحة تذهب طريق واحد مستقيم لاالتواء فيه ولا انحناء . فالفلسفة في يد الفلاسفة تذهب الى حيث تصبح مصطلحات متخالطة مهوشة ، شأن كل شأن يتعهد الفكر الانسانى بجهوده القصية . ومن أجل أن تكب على درس الفلسفة بما يتطلب الاكباب عليها من شجاعة وقوه يقين ، يجب عليك أن توطد النفس على مواجهة الصعاب ومناجزة المشكلات العديدة التى تواجهك في تيهها القصى البعيد المدى . وحسبك أن تعرف أن مشكلة « الفلسفة » عامة هي المصدر الاول الذى تنشأ عنه مجموعة المشكلات، كبيرة وصغيرة. وسواء أعددنا أنفسنا من عمد الفلسفة المشتغلين بها المكبين عليها ، أم من المنتسبين اليهم هوى، و رغبة لاغير، فحسب الفلسفة أهمية وخطراً أن تكون ذات صلة متواصلة بالحياة ذاتها »

٢ ــ الفرد

عندما وصلنا ، نحن ابناء آدم ، لأول مرة الى ذلك الحد الذى شعرنا فيه بوجودنا و بدأت لدينا القدرة على التأمل في طبيعتنا تظهر آثارها الجلى ، عرفنا أن حياتنا انما تتكون من مجموع من الرغبات والحاجات نمضى عاملين على أن نحصل عليها . فانا نرغب من طعام وسكنى وملك . ونحتاج الى الاجتماع بأخواننا في الإنسانية . ونجاهد فى سبيل الحصول على درجات الشرف ونجهد أنفسنا لكى نحصل على عطف أولئك الذين نشعر بميل نحوهم. وفوق هذا نعجب من أنفسنا ومن العالم الحاف بنا . وعلى الجملة نقول بأن كلا مناهو بمثابة مركز

للنشاط يجاهد في سبيل الرضا بالحصول على رغبات وحاجات ما . وماهذا النشاط وتلك الرغبات والحاجات الا مظاهر لذلك الشيء الذى نسميه « قسر الحياة » فالفرد باعتباره شيئاً « حياً » هو مبدأ « للنشاط » ومن أجل أن تكون حياً يلزم أن تكون عاملا في سبيل الاستحواز على غايات ما ، وان تسد شهوتك بالوصول الى رغبات مخصوصة ، وأن تحصل على حاجات مخصوصة وفوائد معينة : هذه هى الحياة على ماتظهر في الذوات البشرية . هي عبارة عن « معركة » لنيل « الغايات » .

في هذا التحليل مسألتان ، يجب على الباحث أن لا يغفل عنهما في كل بحث يتناول فيه الفلسفة

الاولى — ان الفرد باعتباره عنصراً حياً ، هو عنصر ايجابى Dynamic لا عنصر سلبى Static

الثانية — هي أن كلا منا باعتباره عنصراً ايجابيا — عاملا — يجب ن يركز مظاهر سلوكه حول «غايات» ما ؛أى حول رغبات وضرورات

فيلوزوف

غنني ياطير

أنشودة غنائية

غنني ياطير انى شاعر   يعرف الانشاد شجواً وحنين
غنني ياطير انى عاشق   يرسل الانفاس فى الليل أنين
غنني ياطير انى عابد   مؤمن بالحسن في الحب أمين
غنني ياطير انى فتى   هزنى الحب كهزات الغصون
انى عبد الجمال   طاهر طهر الملاك

***

غنني ياطير انى مزهر   عزف الحب على النغما
غنني ياطير لحناً مطرباً   يبعث السحر ضياء فى السما
انه الجنات تجرى نغمة   هاهو القلب اليها قد سما
غنني ياطير. غن والهاً   غنني فالهم بالقلب طمى
واسقنى الخمر الحلال   فى كؤوس من غناك

***

أنا إن مت غريباً ليس لى   دمعة ترثى سوى دمع الشفق
هل يهيج الحزن موتى عندمن   هام قلبى فى هواها وخفق ؟
آه ! انى قرب نهر مترع   بيدأن الروح يطويها الشرق
غنني ياطير شدواً مشجياً   غنني ياطير وامرح في الافق
غنني دون ملال   وارثنى من بعد ذاك

حسن كامل الصيرفي

جولة

فى ارض ياجوج ومأجوج

وهو فصل آخر من كتاب عالم زمانه وواحد عصره وأوانه حجة البيان وفخر الاكوان أستاذى العالم العلامة والبحر الفهامة صاحب الفضيلة شأبوب الزاجل أثابنا الله تعالى وإياه ونفعنا به . وقد نشرنا له فصلا آخر فى عدد العصور الماضى

و بينما الزنبور يطوى طبقات السماء طياً شعرت بجسده يتجلد فجأة وانه أخذ يهوى من حالق . فعلمت أنه مات ولا حول ولا قوة الا بالله فعتقت الحيلة لعقلى طريقا للخلاص من الموت الزؤام فملت الى جناحيه (١)فاقتلعتهماوأخذت بسرعة أحركهما نازلا الى الارض وأنا ممسك جسد الزنبور بفخذى مؤملا دفنه بالاحتفال اللائق بمقامه اذا قدرت لى السلامة

ولما قربت من الوصول الى غايتى شعرت كما لو كنت أهبط على فوهة جبل من نار وكانت الرياح الملتهبة تلفح وجهى لفحاً وألسنة النار المندلعة تلذعنى لذعاً فنطقت بالشهادتين وأغمضت عينى مستسلما للاستشهاد فى سبيل العلم فغاب صوابى أمداً طويلا ، ولما أفقت وجدت نفسى ممداً على الارض . فأجلت نظرى من حولى و يا هول ما رأيت . فالارض حمراء كالمقلاة المركبة منذ مائة الف سنة على موقد « برية موسى (٢) » وكان زفير النار ينتشر خلال ما حولى من الفضاء ورأيت أمامى عقاربا رجل الواحدة منها فى حجم أربعة جمال ورأيت المردة ذوات المناظر الوحشية تتنقل مسرعة من مكان الى آخر والشر مرتسم على وجوهها البشعة. عندذلك فكرت فى زنبورى المسكين فوجدت جلده تحتى وبالبداهة عرفت أنه طق من شدة الحر فعمرنى ما كان يملأ أحشاءه من المواد

---

(١) يعنى بالجناحين مظلة النجاة التى كان يستعملها عباس بن برجاس وهو يقطع بحر الظلومات طائرا

(٢) حرف الافرنج اسم هذا الاكتشاف العربى الصميم فنطقوه بريموس

اللزجة وهذا هو السر فى أننى لم أعد أشعر بألم وأنا جالس وسط ذلك الأتون الملتهب ، بل هـذا هو السر في أن العقارب كانت تحييني كلما مرت بي باحناء رؤوسها وهي تبتسم. كما أن المردة يرفعون قبعاتهم لى احتراما (١)

وارتفع صوت احد المردة يصيح « الا اخرجوا ايها الناس لتذوقوا عذاب اليوم» واذا بمخلوقات كالجرذان فى الحجم تخرج من شقوق جبل قاف واجسادها ترتعد فرقا من الرعب وعندئذ اخذت العقارب تعبث بينها لدغا ونزل المردة فيها ضربا دون شفقة ولا رحمة . ففقدت صوابى وصحت صيحة ارتجت لهولها الجبال وخمدت النيران فوقف الجلادون . مطأطىء الرؤوس خائفين : (ففات مخلوقاتهم على راحتى فاذا له اذنان طويلتان تكادان تحجبان جسده فسألته عن قصته فسردها لى كما هو مبين بعد بالتفصيل وها أنا أنقله لك بالتمام

قال اعلم وفقك الله أنى عبد رب هذا الجبل (٢) كنت افلح له الارض وآكل من طيباتها وأنا هادىء البال ناعمه . ولكن خطر ببالى ذات يوم أن اكتشف ما بعد الظلومات هناك حيث تنتهى القمة ولما وصلت الى النهاية رأيت شعاع من نور (٣) يمتد الى مالانهاية فرغبت فى سبر غورها و بالفعل تابعتها قليلا بنجاح لا مزيد عليه الى أن زلفت رجلي عفواً فسقطت الى هنا وقد دقت أطرافى لاصطدامى بصخور الجبل البارزة وأنا اتدحرج عليها . ولما أفقت وجدتني أمام ملك هذه البلاد فحكم على بالتعليق من أذنى فى شجرة وهذا هو السبب انهما طويلتان ثم طلبنى الملك بعد ذلك بأيام وقال لى أننى اقترفت جرما لا ينتظر لى منه بعد اقترافه رحمة الى يوم الدين ومن ذلك اليوم وأنا ألاقى صنوف العذاب كما رأيته الآن »

قمت الى آخر وقلت له وأنت ماقصتك فأجاب كلنا يامولاى صرعى الرغبة فى البحث . ووافق الكل بهز رؤوسهم فلتفت الى أحد المردة مسائلا عن سبب اقدامه على تعذيب مخلوقات الله الرحمن الرحيم فقال ان الملك هدده بأشر أنواع

---

(١) القبعة من لباس العرب ولكن لايعترف بها من اصبحوا أكثر عربية من العرب

(٢) جبل قاف (٣) سبق ذكرها فى بلاد الواق

العذاب ان لم يفعل و بالفعل كاد يرش على وجهه ماء مسحوراً ليمسخه قرداً فالتفت الى العقارب اسألها فلم تخرج فدعوت الله أن يفنيها ففعل وهو القادر على كل شيء .

و بعد أن سلحت نفسي بالأحجبة والتعاويذ طلبت من القوم ارشادي الى حيث يقيم الملك فساروا معي وأنا أقرأ عدية يس بصوت عذب رقيق و بعد مسيرة عام و يوم ساروا الى غار منقوش بابه على الطراز العربى القديم فدخلته بقدم ثابت وهناك رأيت رجلا قبيح الشكل مرسلا لحية وخطها الشيب وقد لف رأسه بعمامة كبيرة تكاد أن تكون برجا . ولما أن نظر الى وجهى المنير كالبدر فى ليلة تمامه خر ساجداً محاولا لثم قدمى فضننت عليه بالقاء السلام وقلت له كيف تفعل هذا ياشيخ السوء وهل تظن الله غافلا عما تقترفه من الآثام . أين الشفقة بل أين الرحمة التى سكبها الخالق جلا وعلا على قلوب عبيده ؟ فقال الصالحين .فادركت أنه طالح .سيلقى جزاءه فى جهنم و بئس المصير .فاقسمت لأذيقنه العذاب الأليم الذى طالما عذب به أولئك النفر المساكين اذا لم ينطق بالحق و يتكلم الصدق فقال

اعلم أن ذلك المكان هو واد أجرد سحيق قريب من بحيرة طبريا فى ارض المقدس . يخشاه الأهلون و يسمونه وادى جهنم . كما كان يدعوه قدماء العبرانيين (جوهانيم) فأغرانى الشيطان أن امتلك ارضاً اتحكم فيها حسب ميولى وأهوائى فيكون لى فيها عبيد متعبدون يخضعون لحكمى فاغررت بوعده وصدقت وسوسته فأتيت هنا الى منفذ ذلك الجحيم الارضى واتخذت لى أعواناً من اتباع الشيطان الرجيم فى أشكال عقارب هائلة الجرم وأول ما فعلته اننى اختطفت بضع عمالقة بشعى المنظر مخيفى الخلقة عودتهم على تدخين الحشيش والافيون وشرب البوظه و بذلك أصبحوا أطوع لى من بنانى ثم أخذت فى اختطاف الناس من هنا وهناك و بعد أن أمسخهم جرذاناً أعرض عليهم الايمان بى فيرفضون فأقص عليهم قصة النور والخطيئة التى ارتكبوها بفضولهم عند البحث فى الماهيات ، وأظنك سمعتها ،

ثم أسلمهم للمردة والعقارب يلقون الفزع في نفوسهم . ومع انى تمكنت من منعهم عن التفكير في كيف يمكنهم الخلاص من هذا الشقاء خوفاً من الوقوع فى ما هو أشد منه لم أقدر حتى الآن على اجبارهم لاتخاذ الشيطان لهم آلها دون رب العالمين وهذا ما يز ز عيشي و يدفعنى الى صب جام غضبى عليهم في كل آن وحين

سألته اذا كان يعتقد أن العقل البشرى بسيط لدرجة ان يتصور امكان البقاء فى عذاب مقيم لا موت فيه ولا خلاص منه . فأجاب أجل فالرهبة تدعو البسطاء الى تصور ما يظنه العقل غير صحيح

سألته وهلا يعتقد أن العذاب المتتابع يصبح مألوفاً . و بذلك يخرج عن كونه عذابا . فالعذاب أمر نسبي لا يعرفه الناس الا بمقارنته بما هو ضده . فقال أصبت فهذا اما أفسد على تدبيري وطلب منى الامان فأمنته . قائلا ان الامر ليس بيدى . بل هو حق لمن انزل عليهم جام غضبه فتظاهر بالانشراح وأظهر الندامة . ورغبة فى اظهار ندمه أشار الى أفعى عظيمة . قائلا انها هى المطية التى كان ينتقل بها من مصر الى حيث هو كلما احتاج الى زيارة الأهل والاصحاب . وعرضها على هدية قائلا الهدية على قدر مهديها . و بينما نحن مجدين في السير الى حيث ينتظر القوم صرخ رفيقى صرخة قوية وسقط الى الارض مرعباً فتلفت اليه واذا بيده فرفرة (١) انطلق منها سهم هز ارجاء الفضاء وتقدم الى أحد المردة قائلا . لولا انى قتلته لكان أرداك بآلته السحرية غدراً فشكرته . ولما وصلت الى القوم قصصت عليهم قصتى من أولها الى آخرها وسمحت لهم بالذهاب الى حيث يشاؤون فشكرونى كثيراً ودعونى لمقاسمتهم الطعام . فقبلت واذا باطباق رصاصية رصت عليها البساكيت والفندنات والبقالى مع كثير من الملبس وعيش السرايات (٢) فأكلت هنيئا وشربت معهم نخب نصر وحدتهم الف وت ر (٣)

وفكرت فى الاستفادة من الحية فامتطيتها وأمرتها بشق طبقات السماء . وبعد

---

١ الفرفرة آلة جهنمية تحدق بحجارة من سجيل فاذا ما أخطأت احداها الهدف نصت على الصحيح وأسماها الفرنجة زيفرافرا

٢ — أكدوا لى أن هذه الاطعمة الفاخرة ليست غير بقايا مائدة سماويه سقطت خطأ على الارض . وقد أخذ الشيخ بذور منها زرعها فى مصر وهذا هو السر فى وجود أصناف البسكويت والفندون والبقلاوة فى محل الحاتى ٣ — حرفها الكفار فنطقوها الانور

مسيرة مائة الف الف عام جاءت وعلى حين فجأة التهمت رجلى اليمنى فغضبت وعاجلتها بضربة بيدى اليسرى على وجهها لانى كنت ممسك زمامها باليمنى فأكلتها حتى الكوع والبوع والكرسوع. فزادغيظى. وشككتها بدبوس كان معى شكة كادت تجن معها من الألم. فحركت ذنبها صوب عينى اليمنى فقلعتها. وكسرت لى عشرة أسنان وعندئذ كنا نحوم حول منارة جامع أم العواجز. فغافلتها وألقيت بنفسى على المنارة المذكورة وتسلقتها بسرعة. نازلا الى أن وصلت الى حيث أجلس الآن على بابها عارضا نفسى كضحية للبحث العلمى والاكتشاف التاريخى ومن الغريب أن الجهلة من الفرنجة المدعين العلم ظنوا الحية وهى تحوم في الفضاء باحثة عنى لتلتهمنى. نجمة ذات ذنب. فياللكفر والالحاد. بل ياللجهل المعيب. وادعوا أن السبب فى تحليق هذا المذنب المزعوم تعزيم رجل إسمه هلالى. وحتى فى ذلك أبى الله أن يهديهم الى الحق فحرفوا هذا الاسم العربى ونطقوه هالى

وها أنا الآن العالم المكتشف المؤرخ أنهى بحثى التاريخى الطريف هذا جالسا على باب بنت الحسين والملايم تتساقط مع المشرات الخردة فى حجرى كالسيول

واذكر أن احدى النسالات نفحتنى ذات مرة بمائة الف الف دينار. لأننى أفلحت فى فك طلسم سحر عقدته لها ضرتها. وأعطانى بائع عرقسوس وزنى دراهم لنجاحى فى سحر عدوله

«كتبه الفقير اليه تعالى شأبوب ابن الزاجل الحنفى القرشى القاهرى السيدة زينبى من حارة الاعور بالمنزل المشهور بمنزل فاتح البخت في العشرين والست من رجب المكرم عام ستمائة وعشرين وثلاث للهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام. وها أنا بختمى أبصم هذا ختم

هذا ويقول الناشر أن الاستاذ الفاضل والعالم المدقق مستعد فى كل وقت لقبول احسان المحسنين وانه ينظر البخت ويكتب الأحجبة ويسخر الجان أى وقت أثناء الليل وأطراف النهار عفى الله عنه ونفعنا بعلمه في الدارين. امضاء

حسين محمود

مدى الحيــاة

أو

حديث الظلام

نبئيني ياظلمة الليــل عمن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟
كم أسالوا على شواطيك دمعاً وتعالت من بثهم حسرات !!
كل قول منهم يتم بآه وكثير لدى الهوى الآهات !!
نغمات الحزن تبعث شجواً فى فؤاد الشجى لهـا أنات

***

نبئيني ياظلمة الليــل عمن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

***

نبئيني اذا احتوتني ستور من سواد الاشجان لى حاجبات
كيف أقضى ليلى، وأدفع همى وجراحى ليست لهن أساة ؟
هى بحر هذى الحيــاة خضم قد علتنى أمواجه الصاخبات
مائجات تعلو ، وتهبط طوراً ثم تعــلو فى إثرها مائجـات
وأرانى مابين هذى وهذى كغريق تلهو به الحـادثات
لست أدرى أى الشواطىء أمدى ؟ فكأن الشطئان بى تائهات [١]
وكأن الدنيـا بحر وصيل ببحر وكأن لم تكن بها يابسات ...

***

نبئيني ياظلمة الليــل عمن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

---

١ — أمدي : ابلغ المدى .

***

نبئيني أين الحيـاة اذا ما سكن القلب ؟.. نبئى ماالحياة
نبئيني .فالفجر يعلو رويداً فوق تلك الربى فتحيا الرفات [1]
نبئيني .. أراك صرت شتاتا !! هكذا نحن فى الحياة شتات..
أمصير الجمـال والحب والنا س ماصارت له الأوقات ؟
فانيـات كما فنيت لتعلو دولات من بعدها دولات ؟؟.

***

بزغ الفجر، أيهاالناس قوموا جددوا العمر والدنى [2] نائمات
غردوا ؛واصدحوا بكل غناء أسرعوا ؛قبل أن تدول الحياة ..

***

لاتسلنى ياصاح عن آمالى أين تنمو ، وهل لها ميقات ؟؟
قد طواها قبل النمو بقلبى جدول ناضب ، وأرض موات

حسن كامل الصيرفى

---

١ — الرفات : يراديها الناس فى نومهم .
٢ — الدنى : جمع دنيا .

بعد ١٠

مذكرات (أنا)

بقلم (ى)

— ٧ —

كنت أحد أطفال سبعة لوالدين فلم أكد أبلغ الرابعة من عمرى حتى أرسلت الى المدرسة ليس لأجل أن أتعلم بل ليستريح الأهل منى كما استراحوا من اثنين قبلى . وهكذا أدخلت مدرسة الراهبات. التى لاتزال في مكانها بشارع منشا بالاسكندرية وهناك قضيت مدة لاأقدر على تحديدها ولو بالتقريب. ولا أذكر من هذه الفترة الا أمرين.اذ ضربتنى الاخت بسير من الجلد ضربا مبرحا . ثم بكائى يوم توزيع المكافآت، فاضطرت الرئيسة لكي تسكتنى أن تعطينى حصانا صغيراً من الخشب دون أن أستحقه.

وكان بعض أهالى الاسكندرية قد افتتحوا مدرسة في قسم محرم بك باسم مدرسة العروة الوثقى .فادخلت فيها ولست أذكر تماما فى أى فصل ألحقت بها غير أننى انتقلت صعوداً وهبوطا أكثر من مرة. وذلك بمناسبة تنسيق الفصول حسب الكفاآت. كذلك أذكر مدرسنا عثمان أفندى المتقدم في السن وكيف كان يتشاتم مع ولده الشاب من أجل « القرش التعريفة » كن معلمنا هذا يلبس الجلباب والبالطو. وبينما كان يقرئنا صائحا : الف.همزة . فتحة أ . ألف. همزة كسرة إ الخ .كان بنافذة الفصل المطل على الشارع يفتح ونسمع صوت الإبن يقول له « انت رايح تجيب القرش يادين ..... والا ...... » فيتعطل الدرس وكثيرا ما كان الاب يضرب الولد « الجسران » بخيزرانته ضربا مبرحا ، إما في الفصل أو في حوش المدرسة: كذلك أذكر ما كان يعمله التلامذة الكبار طلبة السنة الرابعة مع خادمات المنازل الملاصقة وكيف كانوا يرسلون معنا بخطابات شفوية أو كتابية نضطر الى تسليمها خوفا من « العلقة » ولا أنسى ذلك اليوم الذى تشاجر فيه ضابط المدرسة مع شخص آخر .فجمع له عصبة من التلامذة ذهبوا كلهم إلى كوم الدكة وهناك تبادلوا مع جماعة أخرى « ضرب الحجر » ولايذلن القارىء

أننا تبعناهم للتفرج ، كلا ، فاننا كنا نلعب دور فرقة الذخائر والمهمات. فكنا نجمع الحجر بكثرة لنغذى بهصفوف جيشنا.وفى تلك الليلة رجعت المنزل معصوب الرأس. لأن قنبلة من قنابل العدو أصابت رأسى.

وكان عملنا في المدرسة اقرب الى التشريفات فكلما ورد كبير الى المدينة كنا نقاد للترحيب به. وذلك بالاصطفاف على جانبي الطريق. وكم كانت والدتى المسكينة تتألم من مصاريف الكساوى لأن مديرى المدرسة غفر الله لهم لم يهتموا الا بالمظهر فكانوا يرهقوننا بين وقت وآخر بطلب بدل كساوى من طرابيش الى بذلات الى جزم لنقابل بها سعادة القادم. وكانت حالتنا المالية لاتسمح بالانفاق لأن والدى كان في أقصى الصعيد. فتركنا مع والدتنا بين الاهل حتى لايحملنا مشقة الانتقال الى جهات لم تكن قاطرات السكة الحديدية قد وصلتها بعد . وبالطبع كان يجزيء مرتبه الضئيل الى قسمين أصغر يحتفظ بهلنفسه. وأكبر يرسله الينا وكثيراً ما حاولت أمى المسكينة أن تفصل لى البذلات في المنزل من تلك التى كان والدى يستغنى عنها أو من القماش المطلوب لاجل التوفير. ولكن أصحاب الحل والعقد. كانوا دائما يخيرونها بين اخراجى من المدرسة و بين تسديد المطلوب. وكان الباقى أكثر مما تستحتمه الثياب كثيراً وهنا لايسعنى الا ذكر حوادث اصطدام وجه الطالب بمركوب المدرس فجأة . وكان من الامور العادية . وكان بعض المدرسين يكتفون بالقاء أصابع الطباشير على التلامذة أو فى بعض أحوال المساطر لتنبيههم الى وجوب الانتباه وكان هذا في الاوقات التى يكون فيها المركوب جديداً فقط وكانت « الفلقة » من وسائل التربية ،وكذلك كانوا يزجرون كبار الطلبة بطريقة ظريفة هي ايقافهم في مكان ثم اصدار أمر للطابور أن يبصقوا فى وجه المذنب الاثيم . وويل للذى يحترم الخلقة الشريفة فلا يلقى ريقه الطهور دون حساب فى وجه الشاب المعاقب. وويل له أيضا إذا فعل.فانه يجازى من المعلم اذا ترفق ويأكل علقة من التلميذ اذا أسرف .

ولما دنى مركز والدى من الجهات العامرة اصطحبنا معه فدخلت لاول مرة مدارس الحكومة النظامية ولكن مساكين هم موظفو الحكومة ، معيشتهم كالعرب

لرحل لا يستقرون في مكان ولذلك تضيع على أولادهم فرصاً كثيرة فلا تعجب ذن أيها القارىء اذا علمت بأنى لم أحز الشهادة الابتدائية الا بعد دراسة أربعة عشر عاماً لا أكثر ولذلك أسباب :

١ — ادخالى فى المدرسة وأنا صغير السن فسئمت نفسى منها خصوصاً وانها كانت بعيدة عن أن تجاب السرور للقلوب الصغيرة .

٢ — دوام انتقال والدى من بلد الى آخر فكانت تنقطع سلسلة التعليم ثم تبدأ وكان يعسر على وصلها .

٣ — قد غضب والدى ذات مرة من ناظر المدرسة لاسباب خاصة فأخرجنى منها و بذلك ضاع على ثلاث سنوات قضيتها في مدرسة الفرير حيث برنامج التعليم « يختلف تماماً عما هو » عليه فى المدارس الاميرية فلما رجعت الى النظام الحكومى سقطت مرتين في شهادة الدراسة الابتدائية فى مادة اللغة الانكليزية .

٤ — ولرغبة والدى في استعاضة تأخيرى أرهقنى بالدرس وكم ساقنى بالعصا والصفع مؤملا أن اعوض مافاتنى بهذه الطرق الظريفة معتقداً أن تأخرى سببه لم ينتج بحسن تصرفه من جهة وكثرة تنقله من جهة أخرى ، بل حسب أن السبب ينحصر فى « وساخة مخى » وكم هددنى رحمه الله بصندوق البوية أو بعدم دفع البدل العسكرى عنى لأكون مراسلة لأحد الضباط

وعلى القارىء أن يبحث شكايتى بانصاف ثم يحكم بعدئذ لى أو على . فهل يطيق الطفل أن يعيش عيشة التعاسة التى كنت فيها ؟ أخرج من المدرسة فأجد فتى المرتب منتظراً في المنزل ليسمع لى :

« ولما احتضنته خديجة كان يمر على الارض اليابسة فتخضر . واذا ما سار ظللته غمامة تتبعه أنى ذهب» قال البوصيرى :

ظللته الغمام وهو ابن خمس　　فوقته من حر شمس حمى
وأتته الاشجار تسعى اليه　　ساجدات لوجه الاقرى »

ومثلا : وعند ولادته عليه السلام اهتز الايوان ايوان كسرى وخبت النيران

نيران المجوس وغاضت بحيرة ساوى وانقطع وادى سماوه وتراءت لأهل قيصر قصور الروم وتجلت للارض زهر النجوم . قال الشاعر

وتراءت قصور قيصر للروم يراها من داره البطحاء
وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوئها الارجاء »

ومثلا :

« اعلم بأن أبا النبى وأمه أحياهما ازب الكريم البارى
حتى له شهدا بصدق رسالة صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عارى »

وأشد هولا مما سبق هو ما كنت أحفظه عن ظهر قلب دون فهمه مرغما مثل :

« س — ما الذى تفعله الحيضاء والنفساء اذا انقطع الحيض والنفاس قبل طلوع الفجر ؟

ج — تنوى وتغتسل »

وكم كنت أغيظ الشيخ عند ما أسأله عن معنى الحيضاء والنفساء أو عن النجاسة الصغرى والكبرى أو عن ريح القبل والدبر .

وعند ما كان يريحنى الله من الشيخ العلامة الذى يفسر « فى جيدها حبل من مسد » بقوله يعنى فى وسطها (تارة وفى رقبتها تارة أخرى » حبل والحمار يفهم معنى حبل الذى أسأل الله ان يشنقك با . ومسد .هو نوع من الحبال اسمه مسد كما تقول حبل ليف أو حبل خيط » يستقبلنى باستاذ اللغة الانكليزية فيرهقنى وكان كاتبا في ديوان والدى، وكان يمضغ الالفاظ مضغا ليرينى أنه واقف تماماً على أسرار اللغة الانكليزية . لكن والحق يقال كان يعقوب افندى كثير الحنولى مع ميل الى المداراة. فقد بلغ به الحال أن داراني أمام والدى أكثر من مرة ظناً منه بأننى أتوسط له في علاوة أو درجة، وكنت أوهمه أننى سأفعل . أما ذلك الشيخ فقد فهم والدى حق الفهم ولذلك كان دائم الشكوى منى وكم ضربت

ضرباً مبرحاً أمامه وأظن ذلك لكى يفهمه الوالد بأنه غير مقصر فى تربية بنيه ليشبوا رجالا

ولما سقطت دفعتين فى الشهادة الابتدائية أدخلنى والدى مدرسة ثانوية أهلية لكى أتمكن من اللغة الانكليزية التى يدرسها هناك رجل انكليزى وبالفعل استفدت من دخولى اذ مررت فى الامتحان الابتدائى لما قدمت لثالث مرة وحصلت على ١٦٫٥ من ٣٠ درجة

وأذكر أن والدى سألنى عن المدرسة الثانوية التى أرغب دخولها فتدللت عليه ثم قلت أليس الأحسن لى الاستراحة الآن سنة استخدم فيها مثل فلان الذى التحق بوظيفة في مصلحة البوستة بخمسة جنيهات فكان الجواب صفعة ألقتنى على الأرض باكياً

وبذل والدى جهد الجبابرة ليدخلنى مدرسة ثانوية ولكن ضاع سعيه فلزمت أن أقضى سنة أخرى فى الثانوية الاهلية وحدث عن سيرى وسلوكي هناك دون حرج فبعد ما كنت اشتغل بحرارة فى العام السابق لكى أحصل على الابتدائية أهملت اهمالا فظيعاً ولم أكن الوحيد فى ذلك. بل تبعت بقية التلامذة وكنت الوحيد بينهم الذى تحصل على شهادة. وأذكر أننى طبعت بطاقة زيارة زينتها بلقب « من حملة الشهادة الدراسية الابتدائية ومن طلبة المدارس الثانوية » وانصرفت الى التظاهر بما يحتم على مركزى العلمى فكنت أسير أكثر من ساعة يومياً ذهاباً وايابا على قدمى لكى اقتصد مصاريف الانتقال فاشترى بها وبمصروفى الخاص فنجال قهوة وعشرة سجائر حلى وجريدة اللواء وانحصر فى الاشتراك في جميع المظاهرات التى نظمها الحزب الوطنى فى عهدى المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد. ولو كانت ماليتى تسمح وقتئذ لكنت انضممت الى ذلك الحزب وأما معلوماتى فلم تخرج عن حفظ قصيدة

« كم ذا يكابد عاشق ويلاقى » وقصيدة أكبرت حتى أنهم صلبوك. ومقالة ظلموك يا سعد وموال ايش بعد حكم الملاحظ والشويش والباش. ومقالة الاسلام غريب في بلاده وغير ذلك من القصائد والمقالات التى كانت تتناقلها الأفواه

في ذلك الحين .وعند ما انتهت السنة كنت الثاني في فصلي. فذهبت الى المدير أعتب عليه فقال انني كنت من الذين يتغيبون كثيراً جداً عن المدرسة ولا يظن القارىء أنني كنت الثاني حقيقة بل كان الفصل وعدده فوق الستين مقسم الى قسمين . أول ويحوى كثيراً من الاوائل المكررين . وهم الذين يثابرون على الحضور اكثر من غيرهم ، وثاني ويحوى بدوره كثيراً من المكررين وهم الذين يحضرون قليلا أو لا يحضرون بالمرة. ودرجات الاول ٢٥ في كل علم أو ماحول هذا الرقم ودرجات الثانيين تقرب من العشرين

وشعر أبي بالواقع فلما بدأت السنة الدراسية الجديدة ضاعف جهده لالحاقي بالمدارس الاميرية. ولكن بدون جدوى. وهنا اذكر أنني استحصلت على توصية من ناظر المعارف ولكن ناظر المدرسة فضل عني آخر لم يحصل على الابتدائية لان الذى أوصى عليه كان انكليزى بوظيفة مدير التعليم الفني والزراعي والصناعي و بفضل عدم قبول التوصية التي كانت بيدى قذف والدى من كنانته ما أخرسهم محافظة على مستقبلي فأرسلني الى جامعة عساى. أجد لي فيها مكاناً

الى الاستاذ جبر ضومط

بمناسبة يوبيله الخمسيني

جاءت اليك تبث من شكاتها   وفؤادها يلتاع من حسراتها
تبكي على المجد المؤثل قد مضى   والحزن يمزج بالدما عبراتها
ما أن سمعت نداءها حتى (م)   اندفعت مغامراً تجلو لها غمراتها

***

كانت مليكة عصرها فيما مضى   تعنو لها فى الارض كل لغاتها
سحرت عقول الناس رقة لفظها   وقلوبهم رقصت على نغماتها
ان خاطبوا الرحمن فهى وسيطهم   أو املوا خيراً فمن آيتها
دانت لصولتها ملوك زمانها   وحنت لها أمم الثرى هاماتها
هبوا اسألوا أبناء مصر لم سلوا   لغة الجدود وآثروا كلماتها ؟
وسلوا فلسطيناً وما قد كان من   متنوع الأقوام في جنباتها
وسلوا شعوب الشام ماذا آنسوا   فيها فأضحوا فى عداد هواتها
وسلوا العراق فأهله كم من لسان (م)   قد بلوا من قبل فتح كماتها
خفقت بأنحاء البلاد بنودها   من مدنها الكبرى الى فلواتها
من سندها المغرب الاقصى وأندلس (م)   ومن اهرامها لفراتها

***

وجنى عليها أهلها حتى هوت   من بعد أن رقيت الى ذرواتها
جاء الرواة فوثقوا أصفادها   وأتى النحاة فشبكوا عقداتها
ولها ذووها عن تعهدها ولم   يحموا ذراها من أذى نكباتها
حتى اذا مر الزمان وأقبلت   أيامنا الملأى بمخترعاتها
قالوا هى اللغة التى اعتلت وشا   خت بيننا هم أوجدوا علاتها
وتنكبوا عنها وراموا غيرها   بدلا ولم يصغوا الى لهفاتها

***

فأتتك ترسف بالقيود كئيبة — والغم قد أحنى قويم قناتها
لما تفاقم خطبها أمتك مو — قنة بأنك جابر عثراتها
فأسفت غصتها وكفكفت الدمو — ع الجاريات على سنى وجناتها
وظللت طول العمر تسعى دائباً — حتى أزلت مجاهداً كرباتها
خمسين عاماً قد صرفت مقوما — منآدها ومسدداً خطواتها
وملقناً أبناءها آدابها — ومثقفاً أذهانهم بعظاتها
فككت خواطرك العراب قيودها — فاذا بها جاءت على اخواتها
وبدت «خواطرك» الحسان تحفها — فرأى الانام خلالها حسناتها
وعلا بفلسفة البلاغة كعبها — حتى نبت عنها سهام عداتها
ألبستها ثوبا قشيباً بعد أن — أبلى الزمان وناسه بذلاتها
ذا العيد عيد جميع من شغفوا بوقع (م) كلامها — وتعشقوا نبراتها
فهنأ فإن الناطقين بضادها — عرفوا بأنك مستعيد حياتها

ابراهيم دادا

حول البابية أيضا

— ١ —

كتب لمجلة العصور حضرة البهائي أبو الفتوح محمد بطاح رسالة من تسع صفحات (فولسكاب) منسوخة على الآلة العربية الكاتبة بخط دقيق وطلب خدمة للعلم والادب وانصافاً للحقيقة الخ نشر هذه (الكلمة) في العصور . و بما أن المجلة لديها عدة مواضيع تبحثها ولم تخصص فقط لنشر بروباجندا لصالح البهائية ، كلفني صاحب العصور بتلخيصها للقراء مع ابداء ملاحظاتي عليها واوها أنا ألبي طلبه والله شهيد على أمانة تلخيصي

بدأ الكاتب الفاضل رسالته بسيل من المدح تفضل بتوجيهه الى شخصي الضعيف فأسكرني وتصور لي مكانة عالية من العلم والاداب ووصف ابحاثي بالدقة والتحقيق شأن ذوي الافكار السامية والآراء النزيهة الوافية (استغفر الله هذا بعض مما عندكم) وارتفعت بعد ذلك الستار عن الفصل الثاني . فاتهمني انني مفتر وأنني شتام ومشوه ومشوش وقاذف وجارح ولم أسلك مسلك النقد الشريف . وانه لا يوجد في الأمة من هو في أقل حاجة الى سماع أمثال بياناتي غير البريئة . وقال ان سوء ظني بطلاب الحقائق وأهل العلم والادب في مصر والشرق أجمع دعاني الى الاعتقاد بأن عقولهم قاصرة . ومداركهم منحطة تستشنع ما كتبته من الصغائر (استغفر الله مرة ثانية وأشكركم على حسن ظنكم بي) ثم قال انني أكره البهائية كراهية دفعت بي الى كتابة ما كتبته (واني بكل تواضع أقول أن السبب في مخاصمتي للبهائية انها اقترضت مني شلناً وأبت رده لي حتى الآن) و يقول أنني أردت بذلك ايقاف تيارها الجارف و زحزحة ظلها الممدود الوارف ولكن طاش سهمي . وكنت (كناطح الجبل العالي) فالبهائية قد انتشرت في جميع أقطار العالم (زادها الله انتشاراً) وسقطت بأنوارها على كل المعاهد والربى (فهمنا المعاهد . فما المقصود من الربى) وفي مكان آخر ينكر ما قلته في مقالي الاول من أنهم يدعون أن لها ملايين من الاتباع . ثم شمر عن ساعديه

رحاول اثبات أن البهائية دين. والبرهان على ذلك في اعتقاده هو أن أحد القضاة الشرعيين ذكر فى حكم له أن البهائية دين جديد واستدرك قائلا — بغض النظر عن وجهة نظره فى هذا الدين — له عقائد وأصول (حسن ياسيدى فقد علم لنا ما أرتآه فرد من الناس)

ودهش حضرته لعدم اقتناعى بما سبق أن نشرت العصور لأحدهم رداً على مقالتى عن البابية ورأى في هذا منتهى الغرابة لسقامة وضعف ما أمطرته من سماء فضلى ومعرفتى (هكذا اللطف والافلا) وقال ان الكتاب الاقدس نزل بلسان عربى مبين (أجل. وكذلك يتكلم أهل تونس بلغة عربية مبينة مشابهة للغتهم)

ثم استطاع أن يسكتنى جيداً فقال وكيف كان الباب أستاذاً للشيخ الاحسائى ؟ وله تمام الحق في اعتراضه هذا لان المطبوع هو « وكان من تلاميذه الشيخ الاحسائى » وصحته « وكان من تلاميذ الشيخ الاحسائى » فالهاء هنا زائدة وعقلى الضعيف يظن أن من الممكن على أى كان ملاحظة هذا الخطأ المطبعى ولكنى لا أحب أن أخيب ظن الفاضل فأعترف نادماً بأن (خطيئتى عظيمة)

أما (قفشته) الثانية فتنحصر في السؤال عن اسم كتاب الأزل وما فيه وسأحاول أن أجاوب عن ذلك مستقبلا فليمهلني المناظر الفاضل وقتاً حتى أتمكن من درس الازلية لأنى لم أحاول ذلك حتى الآن وأكون ممتنا لوتفضل بارشادى الى مراجع وأظن أن الازلية شيء والبهائية شيء آخر. فهل يعرف حضرته اسم كتاب المورمون وما فيه؟ فهذا لازم لاثبات أنه يعرف شيئاً عن البهائية ما دامت البهائية توجب البحث عن كل الأديان

ويسألنى عن ذكر البيان الذي كتبه بهاء الله وفيه يقول أن الأزل صعد الى السماء وانى ألفت نظره بأن بيانات البهاء لم يحتفظ بها الا بعد قضائه لعدة سنين فى عكا وذلك بعد أن رفع الضغط عنه وأما قصة الصعود فكانت في ادرنه. فلما كتبت البيانات كانت المسألة نسياً منسياً

وحضرته محق فى قوله بان الازل لم يمت قبل اخيه، بل بعده بمدة طويلة وانى شاكره على تنبيهى لهذا الخطأ وبمراجعة المصدر الذى أخذت عنه لاحظت أن

المقصود هو « وبعد اضمحلال الازلية » وليس « وبعد موت الازل »

وحاول أن يورطني ورطة عظيمة لاني قلت « أريد أن أدلي اليك بشيء من تعاليم البهائية ولكني أجهل كيف أفعل ذلك » وبني خياله العلائي من القصور على هذه الجملة فاتهمني بالجهل والتورط المضحك ولطمني ببيت شعر أوله (والحقد يفعل في النفوس الخ) ويفهم من تلاوة جملته أنه يحاول اظهار عدم اتياني بشيء عما يسمونه المبادىء البهائية مع انني كتبت أربع صفحات كاملة من العصور حاولت أن ألم فيها بكل مايقوله البهائيون وصارحت القراء بعدها قائلا انني أجهل كيف أدلي بها (ولم أقل أجهلها) وبالطبع المقصود من ذلك أن مايسمونها التعاليم البهائية متنافرة وغير منظمة ، لا رابطة تربطها ولا عناية تجمعها فكلما يتلقف زعماء الجماعة نظرية يزجونها في البهائية ويدعون انهم موجدوها ثم صفعني حضرته بشعر أوله (ماضر شمس الضحى الخ)

ثم يعثر من بعد ذلك على قولي ان البهائي مسلم بين المسلمين ملحد بين الملحدين فيقول ان البهائي يحيط بكتب الأديان كلها « بالعلم وبالبحث» ويجب أن يكون مؤتمراً بأوامر الكتب السماوية ومنهياً عن نواهيها (يعني يجب على البهائي التوفيق بين نظرية العين بالعين ونظرته من ضربك على خدك الأيمن) ايهيا جماعة المتناقضات وكيف يمكن اتباع المتناقضين في نفس الوقت ؟ ثم يصفعني مرة أخرى بشعر (ومن يك ذا فم مر مريض الخ)

ويحتج بكل قواه على قولي أن عباس افندي كان معروفا في حيفا بالشيخ عباس ويظن أنني أريد أن أنال بهذا من (جلاله وعظمته) وأقسم انني ناقل ولم يدر بخلدي قط أن لقب شيخ يقل من (جلال وعظمة) أحد الافندية فقد كان المذكور يلبس العمامة فهو شيخ وكان متقدما في السن فهو شيخ وكان مقدم جماعة فهو شيخ فهو والحالة ثلاثة شيوخ معاً وليس شيخاً واحداً ثم صفعني مرة أخرى ببيت من الشعر أوله (حسدوا الفتى ان لم ينالوا سعيه الخ) وآخر (وهبني قلت هذا الصبح الخ)

ولأجل أن يثبت لي أن الشيخ عباس لم يكن شيخاً بل افندياً لا يتأثر

بالمطاعن والمثالب كتب ٥٧ بيتاً قيلت في مدحه (آمنا انه افندى وأفندى وافندى وليس بشيخ أبداً) ثم عرز قوله قائلا وعند — صعود — عباس افندى نشرت جريدة النفير الغراء . « ورصع صفحتين من رسالته الى المجلة بآيات الشعر المملوءة بالمدح . وهنا اعترف بأنى تعلمت من حضرته شيئا جديداً هو أن الشيخ عباس (استغفر لله بل عباس افندى) صعد بالطبع الى السماء لانها وحدها التى يصح القول بأن الانسان (هل كان كذلك ؟) يصعد اليها فهل مات ثم قام من بين الاموات فصعد الى السماء وجلس على يمين الآب وهل أيضا يأتى بمجد عظيم ليدين الاموات أم انه صعد ولم يمت ؟ أفدتنى أفادك الله

وهاج وماج لانى بسطت رأيا يقول أن البهاء جن فى أواخر أيامه فلم تغضب سيدى وأنا لم أجزم بل أظهرت فقط أن فيه قولان. وقد علمت رأيكم وهو أن البهاء لم يجن مطلقا ولكن أليس من واجبى بسط ارأى المخالف ايضا ؟ وهل يصح منطقيا اثبات عدم جنون البهاء بالاتيان بسبعة شواهد من القرآن تثبت أن النبى اتهم بنفس التهمة ؟ وشاهد من الانجيل يثبت أن المسيح رمى بالجنون فهل هذا شيء من المنطق ؟ وأتى بعد ذلك بمراث شعرية جمة ذكر فيها البهاء كامام الهدى... وظهرت معجزاته تتلألأ ... وغير وعن ذى مقلة عمياء... واعترى الارض هزة (زلزالا) يوم أودى ... وهوت حزنا أنجم الجوزاء (أحسنت أحسنت)

وبهذا انتهى ثم بدأ (يجر ناعما) المجلة ووصل الى بيت القصيد وهو طالب وضع المجلة تحت أمره ليقوم فيها بيروبا غندا نصالح البهائية . وانى اقترح على صاحب المجلة أن يخصص داخل ورقة الغلاف الاخيرة لنشر الدعوة البهائية بأجر مناسب ووالله قد وقع مع البهائيين ولن يغنه منهم غير حمال الحول المتولى .

عمر عنايت

البابية والبهائية

نشر السيد « عمر عنايت » مقالا عن البابية والبهائية في الجزء السادس

من المجلد الأول من مجلتكم الزاهرة ضمنه بعض معلومات وملاحظات ، استلفتت نظري كما استلفتت نظر كل من له إلمام بحقيقة المذهب البابي . وبما أنني أحد الذين سبقت لهم نشريات مطولة في هذا الموضوع . وحيث قد وجدت في هذا المقال بعض النواقص التي يجوز أن نعزيها الى الاختصار الوارد في مقال الكاتب ، وددت أن أدلي القراء مجلتكم المحترمة بمعلوماتي الآتية المتبنة على الدرس العميق والاحتكاك الطويل والتتبع في المصادر المعول عليها .

و بينما أنا أدون هذه المعلومات ، واذا برد طويل للكاتب « كامل أفندي صموئيل مسيحه » منشور في الجزء الثامن من المجلة انبرى فيه صاحبه للدفاع عن البابية والبهائية بحماس بلغ منتهاه ، واذا باعتراض مختصر من « السيد عمر عنايت » على هذا الرد ، واذا بجماعة من البغداديين يحضون هذا وذاك على الرد على ذينك المقالين ونشر حقيقة المذهب البابي وما آلت اليه قضيته . فالتزمت آنئذ بارسال هذا المقال المطول على أمل أن تفسحوا المجال لنشره خدمة للحقيقة والتاريخ .

كان في مدينة « شيراز » من أعمال فارس سيد يتصل نسبه بالسلالة الطاهرة المحمدية . رزقه الله ولداً عام ١٨١٩ م . (غرة محرم الحرام ١٢٣٥ هـ .) سماه « على محمد » وانتقل الى دار البقاء وولده في الثالثة من عمره فتعهد الطفل خاله (الميرزا على) وكان مثرياً يتعاطى التجارة بنطاق واسع . وصودف أن أسواق التجارة كسدت في « شيراز » فانتقل بابن أخته الى « بوشهر » ليشتغل معه في التجارة حتى اذا ابرع فيها استقل بعمله وطفق يدرس العلوم الدينية والرياضيات علاوة على أشغاله .

وقد اتفق المؤرخون المحايدون على أن الميرزا « على محمد » عند ما بلغ العشرين من عمره أصيب بمرض عقلي اضطره للهجرة الى العراق فجاء كربلاء ونزل ضيفاً على السيد كاظم الرشتي رئيس الكشفية فيها ، ومذهب الكشفية هذا قام على أنقاض مذهب الشيخية الذي ظهر في كربلاء بالعراق عام ١٢٤٠ هـ . على يد الشيخ أحمد الاحسائي . فلما توفي الشيخ أحمد عام ١٢٤٢ أخذ تلميذه السيد كاظم الرشتي مقامه وأظهر المذهب الكشفي كما أسلفنا .

وكان الميرزا « على محمد » شديد الاتصال بالسيد الرشتي الى درجة أنه لم يكن ليفارقه ساعة واحدة طول النهار . و بعد أن أتم فى العراق أربعة أعوام زار خلالها البصرة و بغداد ، رحل الى الحجاز عن طريق البحر . الا أنه غير وجهة سفره وهو فى عرض البحر ، فعاد ونزل في ,, بوشهر ،، حيث وجد جماعة الرشتي واعوانه يبثون الدعوة فى بلاد فارس لتأييد المذهب الكشفى . و بينما هم في تلك الوضعية اذ نعى السيد كاظم من كربلاء عام ١٢٥٩ هـ . ١٨٤٣ م . وأرخت وفاته بعبارة ,, مات منبر الهدى ،، فاعلن الميرزا على محمد ،، خلافته من بعده ودعى نفسه بالباب ، أى باب الوصول الى « المهدى المنتظر » والحقائق الالهية .

وسمى نفسه بالنقطة (١) وتبعه دعاة الرشتي وكان عددهم ١٨ نسمة فسماهم وهو معهم بالحروف الحية وهو الاسم الذى تعرف به البابية حتى الآن (٢) .وكان من بينهم فتاة فى غاية الجمال والكمال كانت تلقب بـ « قرة العين » واسمها أم سلمة بنت الملا صالح البرغانى ابلت فى الدفاع عن البابية بلاء حسناً كما سيجئ التفصيل ومن هنا ظهر المذهب البابى عام ١٢٦٠ هـ . ١٨٤٤ م . وراح أنصاره يبثون الدعوة لتأييده فى جميع أنحاء ايران .

ومع أن التعاليم التى أتى بها الباب نظرية بحتة مبنية على أسس الحلول والاتحاد ، أو بالاحرى كانت تصورات وهمية لايقرها العقل ولا يقبلها المنطق فانها صادفت صدوراً رحبة من بعض ذوى النفوس الضعيفة على أنها تقوى على مجابهة الحقائق والقضايا العلمية . أما الباب نفسه فانه لما رأى أعوانه يزدادون آناً فآناً ادعى بنفسه أنه هو « المهدى المنتظر » وأنه هو الذى سيملأ الارض قسطاً وعدلا بعد أن امتلأت ظلماً وجوراً .

---

(١) المقصود بالنقطة هو ماجاء فى أصول المذهب الكشفى من أن الوجود نقطة ولها مظاهر . فواجب الوجود هو النقطة الحقيقية والنبي (صلعم فى حياته هو مظهرلها أما بعد موته فالباب هو المظهر كما ترى البابية
الحسينى

(٢) وسبب تسميتهم بالحروف الحية يرجع الى وجوب وضع عدد يعلوكلمة الـ (واحد) التى يعبر بها الله عن نفسه . فالواو ستة والالف واحد والحاء ثمانيه والدال أربعة والمجموع (١٩) ومن هذا العدد الى الـ (١٩) يقصد ,, الواحد ،، الذى يمنح الحياة وهو الله جل شأنه .
الحسينى

يعتقد البابيون بوجود آله واحد أزلي كما يعتقد المسلمون . ولكن هذا التوحيد يختلف عن التوحيد في الاسلام كل الاختلاف . فالخالق في الاسلام ذات بأوسع معاني هذه الكلمة ، له شخصية مستقلة عن الكون « أي معنى ايجابياً » ولكن الخالق في العقيدة البابية متوحد بمعنى أن ليس له شريك يشاركه في القدرة « أي معنى سلبيا » والخلق في الاسلام صادر عن أمر الله وتقديره « أي أنه فعل » ولكن في مذهب البابية الخلق مظهر الله ذاته « أي أنه صفة » فالخالق في الاسلام يخلق لانه أراد أن يخلق . وعند البابية هو يخلق لانه لايدرك حياً مؤثراً بالخلق »

والبابية في خلق الكون نظريات . منها أن لله أحرفاً مقدسة تتمثل الصفات الآلهية فيها . ومن هذه الصفات القدرة والارادة والتأثير والكبرياء والوحي وغيرها ويرى المسيو جو بينو مؤلف كتاب (الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى) أن آله البابيين ليس بآله جديد ، فهو آله فلاسفة الكلدانيين والاسكندريين وفلاسفة حكماء الشرقيين الذي عبدته الامم الشرقية ثم جاءت الديانة المسيحية والاسلامية فحجبتاه عن تلك الأمم . ثم جاء الباب فدعى اليه وكشف للناس الحجب عنه.

انتشرت هذه المبادىء بين قوم في صفات الايمان فصادفت ترحاباً منهم كما أسلفنا . ولما كانت السلطة الدينية هي التي تسير أمور ايران في تلك الآونة ، وحيث أن حركة الباب لم تكن ذات اتجاه ديني بحت بل كان للسياسة فيها منزع دولي ، لم تشأ الحكومة الايرانية أن تقف مكتوفة اليدين أزاء المهازل التي قام بتمثيلها البابيون على مراسح الدين في سائر أنحاء ايران ، خصوصاً وقد قامت قيامة رجال الدين ضد تلك الحركة ، فوجهت عيونها ترقب حركاتهم وسكناتهم . ولما استفحل أمرهم قبضت على معظم زعمائهم ودعاتهم وزجتهم في غياهب السجون . ثم أتت بالباب الى « تبريز » مخفوراً بثلة من الجيش فجمعته بعلماء المدينة وفضلائها ليناظروه ، ولما لم يجدوا للتعاليم الصحيحة والمدعيات المبشر بها في قلبه موطناً حكم بعضهم باعدامه وحكم البعض الآخر بجلده فنفذت الحكومة فيه الحكم الاخير وسلمته الى خاله « الميرزا علي » على أن لا يتصل بأحد ولكنه فر هارباً الى اصفهان وصودف أن وباء انتشر في المدينة أثناء هربه فاقعد ولاة الامور عن تعقبه . غير أنه لقي من حاكم اصفهان كل عطف وكل لطف

لامر الذى أوجب تأثر رجال الدين فأمطروا بلاط طهران وابلا من البرقيات فكتبت الحكومة الى والى اصفهان أن يرسله محفوظاً ألا أنه لم يفعل ذلك بل أرسله الى خارج المدينة وأعاده ليلا الى داره فمكث عنده أربعة أشهر أغتيل خلالها الوالى فاطلع ابن أخيه « كركين خان » علماء أصفهان على أمر الباب فهاجت البلدة وماجت لذلك وتدخلت الحكومة في القضية فأرسلته الى تبريز مصحوباً بثلة من الشرطة ومن هناك أرسل سجيناً الى قلعة « جهريق » ومكث بها تسعة أشهر كاملات ثم نقل الى سجن آخر وبقي فيه ثلاثة أشهر أخرى وفى تلك الاثناء لبى دعوة ربه المغفور له محمد شاه عام ١٢٦٣ هـ . فخلفه ابنه ناصر الدين شاه وكانت ايران تموج اضطراباً من فتن البابية ومقاومة العلماء لها ووقعت معارك دامية بين البابيين وبين خصومهم مثل فيها الاولون بالآخرين أنواع الفظائع والمحرمات من فتك وذبح وسبى وهتك . ولو أردنا أن نأتى على وصف دقيق لتلك الحوادث التى دامت زمناً طويلا لاحتجنا الى تحبير بضع ملازم من هذه المجلة الا أننا نوجزها فنقول أنها انتهت بوضع الحكومة سيفها محل الندى فأصدرت أوامرها الى والى أذربيجان باعدام الباب رمياً بالرصاص .

وفى اليوم السابع والعشرين من شعبان ١٢٦٥ هـ . جيء بالباب مع شخصين من المغالين في نصرته هما الملا محمد على المازندرانى والسيد حسين اليزدى « من يزد » لتنفيذ الحكم فيهم . الا أن جماعة من الاخيار دخلوا عليهم وطلبوا اليهم التوبة فلم يتوبوا الا السيد حسين فانه قبل النصيحة واستغفر فاطلق سراحه أما الباب وصاحبه فقد علقا بحبل في القلعة وتقدمت ثلة من الجند أعدت لاعدامهما فرمتهما بالرصاص ولما انقشع دخان البنادق وجد الملا محمد على يتخبط بدمه وهو يقول « هلا رضيت يامولاى » أما الباب فقد انقطع حبله واختفى في زاوية من القلعة فجيء به للمرة الثانية وعلق وفعلت فيه الكتيبة فعلها بصاحبه فمات . وفى رواية لساذج كتب عن بهاء الله أن الكتيبة امتنعت عن اطلاق الرصاص على الباب بعد أن نجى في المرة الاولى فاستبدلتها الحكومة بغيرها

وتدعى البابية أن هذه العملية تمت فى ٢٨ شعبان ١٢٦٦ ه والفرق بين الروايتين سنة ويوم واحد كما ترى .

ثم أن الجثتين سحبتا بالحبال في الازقة والطرق ورميتا فى خندق خارج المدينة حيث بقيتا فيه أياماً طعمة للكواسر • ويروى ساذج بهائى أن سليمان خان بن يحيي خان أحد كبار التجار في أذربيجان تمكن بمساعدة حاكم المدينة من نقل الجثتين وحفظهما عنده مدة من الزمن حتى ورد أمر البهاء الذى خلف الباب المقتول بدفنهما ففعل •

وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية بأن جماعة من البابيين نقلوا الجثتين إلى عكا حيث دفنتا فى قبر لم يزل مزارا وهى رواية تفتقر الى تأييد تاريخى لاسيما وحقيقة الحال لاتؤيد ذلك •

وبعد أن انتهت هـذه المأساة أعملت الحكومة الايرانية سيفها فيمن بقى من البابيين فقتلتهم عن بكرة أبيهم الا الذين اختفوا أو هربوا • وباتت ديار داريوس بعد مقتل الباب فى هدوء وسكون حولان كاملان لم ينبس أى أحـد خلالهما ببنت شفة • ولكن في ١٥ أغسطس ١٨٥٢ ظهر ثلاثة أشخاص يريدون أخذ الثأر لضحايا المذهب البابى وعمدوا الى اغتيال السلطان ناصر الدين شاه، الا أن حركتهم هذه أتت بعكس النتيجة المتوخاة • حيث أوجبت اضطهادات جديدة من الايرانيين ضدهم • وفى ٣١ آب ١٨٥٢ جاء دور قرة العين الشاعرة الجميلة المارة الذكر وأعلنت أنها تبغى أخذ الثار لقتلى الباب فتعقبتها الحكومة وقبضت عليها وعلى أتباعها . أما هي فقد ارسلت الى طهران حيث أعدمت على فوهة مدفع جعل جسمها تطاير فى الهواء أثرا بعد عين . وأما أتباعها فقد قتلوا وصلبوا وانتهى كل شيء بانتهاء حياتهم • ولم يحدث أى شيء يذكر حتى ظهور البهائية التى قامت على أنقاض البابية •

كان من بين أتباع الباب الذين خلصوا أنفسهم من اضطهادات الحكومة الفارسية أخوان لاب • يدعى الاول ميرزا حسين على ويسمى الثانى ميرزه يحيي نور • والمعروف أن الباب وهو في سجنه بقلعة جهريق أحس بأنه في أواخر

أيامه فكتب وصيته وختمها بختمه وأوصى بالزعامة من بعده الى المرزا يحيي نور على أن يخلفه شقيقه المرزه حسين علي ويتولى وكالته طيلة زعامته . فلما قتل الباب على الوجه المذكور وأوقعت حكومة ايران ضروب الاضطهاد بالبابيين ، أحب المرزا يحيي نور أن يخفي أخاه عن أعين الناس مخافة أن يفتضح أمره فتفعل فيه الحكومة مافعلته بالباب نفسه . لاسيما وهو رجل روحاني مقدس يجوز في مذهب البابية أن يفتديه جملة أشخاص بأرواحهم . فقام يكاتب الناس ويخاطبهم بصفته وكيلا . ولما كثرت تعقبات الحكومة ضدهم كما أسلفنا هرب وشقيقه الى بغداد فوصلاها في غرة محرم الحرام عام ١٢٦٩ هـ .

ولد البهاء « المرزا حسين علي » عام ١٨١٧ م في مدينة طهران « وهذا تاريخ متفق عليه » ونشر مذهبه فيها عام ١٨٤١ م ، جاء بغداد هاربا مع شقيقه عام ١٨٥٣ وطلبت الحكومة العثمانية تسفيره وأخاه فسفرا الى الاستانة عام ١٨٦٣ وبعد قليل من الزمن نقلا الى أدرنة ، وبعد أن مكثا فيها خمس سنوات كاملات رأت الحكومة أن تفرق ما بينهما فنقلت البهاء الى عكا عام ١٨٦٨ حيث توفي فيها صباح ١٦ مايو ١٨٩٢ م وعمره ٧٥ سنة وأرسلت أخاه الى قبرص في البحر المتوسط وذلك في نفس السنة حيث بقي فيها الى أن مات في ضواحيها عام ١٩٠٨ .

وتحرير الخبر هو أن البهاء « المرزا حسين علي » عند وصوله بغداد افتضح أمره بين العلماء وتزلزل موقفه بين الناس فرأى أن لاسبيل الى النجاة ، الا باخفاء نفسه أو الهجرة الى مجاهل لايتسنى لأحد اكتشاف أمره فيها . فسافر وحيداً فريداً الى جبل يقال له « سركلو » من أعمال كردستان الشمالية بالعراق العربي وظل مدة مديدة يتنقل من محل الى آخر وكان يختلف في بعض الاحيان الى السليمانية « احدى المدن العراقية في كردستان » بزي الدروشة تارة وبزي العلماء طوراً حتى اذا عرف سكان هاتيك الديار أمره ، عاد مسرعاً الى بغداد وأخذ يصلح من شئون طائفته ولم شعثهم . وفي تلك الأثناء دب دبيب الحسد في نفس أخيه المرزا يحيي نور الذي لقب أخيراً « بصبح أزل » وبدأ ينازع أخاه في أبهة الزعامة ونشبت معارك بين أتباع الاخوين لايستهان بنتائجها فتدخلت

الحكومة العثمانية في الامر وكانت قد تلقت فى تلك الاثنـاء التماساً من حكومة طهران بأن تنفى الاخوين الى خارج العراق لأن وجودهما في بغداد على مقربة من ايران مما يزيد الحالة تفاقماً فى بلادها . وفى الوقت نفسه كان قدعلا ضجيج رجال الدين من حركات البابية والبهائية ودعاويهم المضللة للرأى العام وخافوا على الدين الحنيف من مطاعن هؤلاء فيه فعقدوا اجتماعاً خطيراً في بلدة الكاظميين « باقرب من بغداد » قصدته وفود من النجف وكربلاء وسامراء وغيرها وقرروا فيه لزوم مقاومة هذه المبادىء والايقاع بالبهائية وأتباعهم أينما وجدوهم ، فلم تر الحكومة العثمانية بداً من اصدار أوامرها بتسفير بهاء الله وأخيه وجماعتهما ومن أحب الالتحاق بهما فسفرا الى الاستانة و بلغاها فى أوائل أغسطس عام ١٨٦٣ . ومكثا هناك أربعة أشهر وقيل أنهما بقيا خمسة أشهر. ثم نقلتهما الى أدرنة و بعد أن مكثا فيها خمس سنوات كاملات فرقت بينهما على الوجه المذكور .

وتذكر البابية في كتبها وأساطيرها بأن البهاء أثناء اقامته فى عكا كاتب الملوك والامراء فى أمر مذهبه ودعى الناس الى نصرته ولكن لم يابى أحد طلبه لا أمير ولا ملك ولا وزير . وفي ١١ ايار من عام ١٨٩٢ اعتراه مرض عضال لم يمهله أكثر من ١٩ يوماً فمات فى ٢٨ ايار ١٨٩٢ عن أربعة بنين وثلاث بنات كان أكبرهم سنا عباس افندى الذى تولى الزعامة من بعد أبيه والذى لقب (بعبد البهاء) وسمى (غصن أطهر) . وكانت مدة اقامة البهاء فى عكا ٥٤ ربيعاً والذى يجب أن تتنبه اليه الانظار هو أن البهائية استقلت عن البابية رسمياً أثناء إقامة الاخوين فى أدرنة ، لأن البهاء كان يعتقد بأن تعاليم الباب لم تعد فى اعتقاده ملائمة لروح العصر . ومن ذلك الحين انقسم البابيون الى أزليين وهم الاقلية وبهائيين وهو الاكثرية ، وأخذت البهائية تنتشر في سائر الأنحاء .

مات البهاء عام ١٨٩٢ م كما اسلفنا فخلفه ابنه الكبير عباس افندى بوصية منه وقد ولد هذا في ٢٩ ايار (١٨٤٤) ونازعه على الزعامة أخوه المرزا محمد على فسبب ذلك انشقاقاً فى صفوف الطائفة . ولكن عباس افندى تمكن من أن يتغلب على أخيه بدهائه وفطنته علاوة على العضد الذى لقيه من أتباعه

فاستقر له الحال في أواخر أيامه وقد سافر ١٩٠٨ الى حيفا حيث جعل فيها مركزه حتى اذا جاء عام ١٩١١ رحل رحلته الشهيرة الى قارتي أوروبا وأمريكا . وجاء مصر ومكث في القاهرة أياما كان خلالها موضع التجلة والاحترام . كان قد لقي من رجال أوروبا تعضيداً يذكر . فحول عقيدته من الفكرة الدينية الى المبادىء السياسية. وغرته أبهة الملك وعظمته. فراح يدعو بين الناس الى تأسيس فكرة جديدة هي عدم وجود فوارق بين المذاهب والاديان . وان ماجاء به موسى (ع) هو نفس الشيء الذي بشر به عيسى (ع) والذى ادعى به الباب ثم البهاء هو نفس مدعى الأنبياء الذين أتوا من قبل. ورأى ضرورة توحيد الاديان فدعى اليها ولكن هذه المبادىء غير المرتكزة على قاعدة عامة يصح الركون اليها لم تصادف أذناً صاغية على الرغم مما نالته من تشجيع بعض الشخصيات البارزة في القارتين المذكورتين . ثم عاد الى مصر ومنها الى عكا فبلغها في الخامس من كانون الاول عام ١٩١٣ ، ولما جاءت الحرب العظمى بهولها ومصائبها خدم تعبئة الحلفاء خدمات يذكرونها له وقد أنعمت عليه الحكومة البريطانية برتبة فارس الامبراطورية . وتوفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢١ حيث كتب وصيته الى حفيده شوقي الرباني .

ومما يجدر ذكره في هذه العجالة هو أن البهاء عند مجيئه الى بغداد عام ١٨٥٢ نزل في دار بمحلة « الشواكه » من بغداد فاعتبرت البابية أن هذه الدار يجب أن تقدس وبنت فيها آثار جليلة وكلها دينيــة وفي عام ١٩٢٤ وقع نزاع بين الشيعية الامامية في بغداد وبين البابيين أفضى الى انتزاع هذه الدار من البابيين واتخاذها مسكناً لفقراء الشيعة .

أما مذهب البابية ونقده فذلك مالا أريد التدخل فيه بعد أن كتب الاستاذ عمر عنايت مالزم وبعد أن رد عليه صموئيل افندي بما رآه مناسباً.وقد بعثت لكم هذه الحقائق خدمة للحقيقة والتاريخ ولكم أن تنشروها ولكم أن تعرضوا عنها ولكل والرأى في نظر المنطق المحترم .

بغداد صاحب جريدة الفضيلة السيد عبد الرازق الحسني

العصور — على الرغم مما يدعيه البهائيون من مرونة فكرية وتسامح فانهم في كل ماوصلتنى من كتاباتهم يظهرون نفس تلك الروح التى أصابت الكثلكة من العصور الوسطى ، روح الجمود البعيدة عن مطاوعات الشك واللاأدرية الفائضة بضروب المرونة الفكرية . ولا أدرى كيف يمكن التوفيق بين منازع العقل الجديدة وبين كل مافيه من الاجتماعيات مثاليات يتعذر تحقيقها وكل مافيه من الاعتقاديات مسروق من الاديان الاخرى . على أن من العالم عدد عديد من الاديان . فماذا يفيد الناس نشوء دين جديد يدعى البهائية أو الازلية أو أى شيء آخر . مادام أن انتشاره لا يؤدى الى ارهاق الناس بالمذهبيات ودسيسة في المعتقد ولا يهرق دماء الأبرياء سعياً إلى هدايتهم . ولكن الظاهر أن الدين البهائى سوف لايعد قاعدة كل الاديان . فبالدماء بدأ صفحته وبالدماء سوف يختتمها .

الانيميا الخبيثة

علاجها بخلاصة الكبد

لقد كانت الانيميا الخبيثة لسنتين مضت من الامراض المتعسر شفاؤها وقد كان الاساتذة يحذرون طلبتهم ألا يذكروا اسمها أمام مرضاهم كي لا يدخلوا الى قلوبهم اليأس من الشفاء . بيد أن الحال قد تبدل واكتشف الدواء الشافى منها . وقد أوضح ذلك فى تقرير عن مائة وأربع وثلاثين حالة نشره أخيراً جمهرة من الاطباء الممثلين لهيئات مختلفة فى مجلة « اللانست » وهذا أكبر عدد من الحالات فحصه الأطباء فى آن واحد . ليستدلوا به على تأثير العلاج الشافى وهو يؤيد ادعاء الامريكيين مينوت ومورفى . اللذين ابتكرا هذا العلاج . وهو من البساطة بمكان بحيث ادهش الاطباء كيف لم يعثروا قبل الآن أبان ابحاثهم المطولة على علاج شاف للانيميا الخبيثة . ولو الى حين . وينحصر في تغذية المصاب بكبد الحيوان .

ومما لم يقطع فيه للآن مسألة أكان هذا الاكتشاف نتيجة الصدفة المجردة أو الشواهد الذى برهنت على صحتها التجاريب . بيد أنه مهما كانت هذه التجارب فمما لا شك فيه أن كل مريض يغذى بكميات وافرة من كبد الحيوان يشفى من عوارض هذا الداء الخبيث و يستعيد صحته وقوة دمه

والصعود التى اضطر القوم الى مواجهتها هى التحايل بكافة وسائل الطهى على تحضير هذا الغذاء للتغلب على كراهية المريض للتغذى بكمية وافراة من الكبد ونفوره منها .

ومن الطرق التى لجأوا اليها هى تحضيرها كسائل لتقدم كذلك المزيج الكحولى الشهى وهو « الكوكتيل » بحيث تقطع الكبد قطعاً خفيفة وتقدم في كأس ممزوجة بعصير الليمون والمواد ذات النكهة الطيب .

وأخيراً سار القوم شوطاً كبيراً حين أمكنهم تحضير خلاصة من الكبد سهلة التناول دون غضاضة ومركزة فى حجم صغير ومما لم يعرف للآن تأثير ذلك العلاج

على جهاز التغذية الانسانى اذ أن من المفروض أن الكبد وأنواع اللحوم الاخرى ليست من الضروريات لصحة الابدان . والا كان نصيب كل نباتى الاصابة بالانيميا الخبيثة .

والنظرية المحتملة أن هذا العضو يخزن كمية من العناصر الغذائية المتوفرة فى المواد الغذائية الاخرى مما يطلق عليه « الفيتامينات »

ولذلك فهذا العلاج اجتهادياً ولم يتعداه بعد الى الميدان التجريبى ومن المشكوك فيه أن فكرة مينوت وميرفى مما لم يسبقهما أحد فيه و يدللون على ذلك بقصة الطبيب الصينى الذى يداوى بالاعشاب وشفائه لمريض أشار عليه بالتغذية بكبد غراب آكل للحم الحيوانى .

وان شهرة الفطائر المحشوة فى الشفاء من الانيميا قائمة على الكبد الذى هو احدى عناصرها .

وقبل أن نختتم هذا المقال لابد من الاشارة الى احصاءات التجارب التى حصل عليها اثنان من اطباء مستشفى لندن اذ اتضح لهما أنه ما بين ١٩٠٩ و١٩١٩ أثناء معالجتهم لمائة وار بعة عشر مريض بالانيميا الخبيثة لم يبق منهم على قيد الحياة للآن سوى مريض واحد وتوفى اثنان وخمسون فى ظرف تسعة أشهر بعد دخولهم المستشفى

بين أن هذين الطبيبين يؤكد أن نتيجة العلاج بطريقة مينوت ميرفى تبشر بعظيم الامل وهما مقتنعان أنه خطوة ناجحة بين أنه من المشكوك فيه عندهم هو هل يقبل المريض على التغذية بالكبد لاجل غير محدود

النقد والتأليف

تاريخ نجد الحديث وملحقاته

تاليف أمين الريحاني في ٤٣٢ من قطع المصور حسن الطبع والورق اخرجته المطبعة العلمية ليوسف صادر ببيروت ، لبنان

والكتاب يشتمل على نبذات ثلاثة في نواحي نجد ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية وآل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

ليس في هذا الكتاب من العربية إلا الألفاظ والحروف ، أما المباني والاسلوب والتراكيب فانجليزية صرفة . لذلك استعان الكاتب والطابع بكثير من الاشارات وأصفار الكلام والفصل والوصل على الطرق المعروفة عند الطابعين يستخرج الكلام عربياً بقدر الامكان ، وليغشوا على الاسلوب الانجليزي جهد مستطاعهم ، ليكون قريبا الى العربية بعض التقريب

أما الذوق فسهل قريب الفهم لا يستعصي عليك أن تفهم كل العبارات فهماً واضحا جليا . ولا تحتاج فيه الى تضحية شيء من تواصل الفكرة لتقرأ خلال السطور . وهذه ميزة في الكتاب لا أجدها في كثير من الكتب الاخرى . ولعلها نتيجة لاتباعه أسلوب النثر الانجليزي في كتابة العربية، والحقيقة أن الاساليب العربية المنتقاة يتعذر على الكثيرين في هذا العصر تتبعها تتبعاً تاماً .ولا يضحون بشيء من تتابع الفكرة وتواصل الفهم . اللهم الا الذين استعمقوا في دراسة الأدب العربي ووقفوا على سر الاساليب التي اتبعها المنشئون الذين اعترف لهم بالتفوق في كتابة النثر العربي .

أما الصور فتكاد تنطق عن الحقيقة كما قامت في ذهن المؤلف . فالامراء الذين تناولهم المؤلف بالوصف أو رجال تلك الدولات البدوية الصغيرة يكادون يتمثلون لك ذوات قائمة من حولك أو خيالات تتراآى لك بين سطور الكتاب من ألفه الى يائه .

في الكتاب فصل عنوانه « ذبحة بن الرشيد » اذا نقلنا اليك صورة منه كانت دليلا واضحاً على صدق ما تذهب اليه . جاء في ص ١٤١ مايلي ·

« وصل عبد العزيز بن سعود الى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفز من رجال بن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل فى ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فتقهقر الرشيديون ، فاحتل السعوديون مراكزهم .

وكان عبد العزيز الرشيد راكبا حصانه يدور في معسكره مستنهضا محرضاً . فلما وصل الى المكان الذى كان فيه فرقة من جنوده ، ظن أنها لاتزال هنالك ، فصاح بحامل البيرق يحرضه على الهجوم

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق » من هان يالفريخ » ؟

« وأين الفريخ ؟ قد تقهقر واأسفاه مع المتقهقرين ، فحل محله بيرق ابن سعود »

« من هان يا الفريخ » ؟

« عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! ثم تكلم الرصاص .

« وطلقت البنادق السعودية على الامير التائه ، فخر صريعاً وفيه بضع وعشرين رصاصة . »

« وهذا سيفه . وهذا خاتمه . يالامام » ؟ !

هذه الصورة الساذجة الطبيعية تعطيك فكرة كاملة عن حروب البدو . وعن الحياة الحرة عند العرب . وهى فوق ذلك من الصور التى تبقى قائمة في ذهنك زمانا طويلا ، بل لاأبالغ اذا قلت بانها صورة لا تمحى أبداً . بل فيها من رنات الحزن الأسى ما يطبع تصورك بطابع قد لا تمحوه الايام . ومن الذى يقرأ « ذبحة بن الرشيد » فارس العرب المقوار وأميرها المتكبر المتماطم ، ثم ينسى تكلم الرصاص مع الامير التائه تحت جنح الظلام ؟

وفي الكتاب من الروح التاريخية قسط وافر غير انى لاحظت دائما أن

الـكاتب يبرع دائما فى المواضع التى يترجم فيها عن الرجال اضعاف مايبرع في المواضع التى يروى فيها الحوادث. فهو ككتاب فى التاريخ ينفرد بأنه الاول من نوعة في العصر الحديث ، ولـكنه يضعف دائما كلما استوحى آلهة التاريخ فانها لا تؤتيه طواعية . أما فى الترجمة عن الافراد فهو قطعة من الفن لا يشق لها غبار .

أما الصورة التى خلقها الـكتاب فى ذهنى عن الوهابية فلا تخرج عن أن الوهابية مذهب دينى رجع الى الاصل الذى قام عليه الاسلام وأدمج ، الدين في الدولة والدولة في الدين . وعندى أن هذا من أخطر الاشياء التى عرضت لدول الاسـلام فى كل أدواره التاريخية ولا جرم أنها تكون أشد خطورة اليوم منها فى أى زمان آخر

والحقيقه أن الـكتاب يسـاعدنا على فهم شىء من حقيقة الحركة القائمة فى شبه جزيرة العرب ، ولـكنه لايساعد العرب مطلقا على فهم أخطائهم . فان أثر التحيز لابن سعود فيه ظاهر جلى . ولا شبهه في أن هذا من الاسباب الاولية التى جعلت الـكتاب مزيجا من التاريخ والتراجم يساعد غير العرب على فهم العرب ، ولـكنه لايساعد العرب على فهم أنفسهم

هـذا وجه من أوجه النقص في الـكتاب باعتباره كتابا للتـاريخ . قال الاستاذ ماكولى تريفليان :

« ان ميزة التاريخ التى لاينكرها أحد تنحصر فى تدريب العقل ليصـل الى درجة يقتدر بها على ادراك المسائل السياسية ادراكا صحيحاً . ولـكن هذه الميزة لا تتناول التنبؤ عن المستقبل . فلا يمكن للتاريخ مثلا أن يمدنا بمجموعة من السنين العامة يصح تطبيقها فى كل عصر ليسترشد بها السياسيون . ولا يستطيع التاريخ أن يظهر لنا من طريق المقارنة التاريخية من المتخاصمين كانه من جانب الحق في أية مسألة من المسائل العامة . ولـكن ماهية التاريخ تنحصر فى شىء أبعد من هذا شأناً وخطراً . حتى تدريب عقلية الانسـان على معالجة المسائل العامة وفهمها ومشاركة بقية الأمم فى شعورها. فان المعلومات التى يمدنا بها التاريخ لا قيمة لها فى ذاتها مالم تخلق فينا حالة فـكرية جديدة . فان فائدة

ما كتب « ليكى » فى تاريخ ايرلاندا لا ينحصر فى أنه جمع فى كتاب واحد تفاصيل المذابح العديدة وحوادث القتل والتقطيع ، بل انه أحدث فينا حاسة بالعطف ، والشعور بالخجل ، وساعد على ادراك الحقيقة التى تقضى بان ذنوب الآباء تتعدى الى الابناء والى الاجيال التى تشب على الكراهية (إشارة للحكمة المعروفة فى التوراة) فهو لم يبرهن على منح الحكم الذاتى لايرلاندا من حيث هو خطأ أو صواب ، بل درب عقول انصار الاتحاد مع انجلترا ، وأنصار الحكم الذاتى لايرلاندا ، على ادراك المسألة الايرلاندية وغيرها فى المسائل أدرا كا صحيحاً »

ولا مرية فى أننا اذ أردنا أن نطبق فكرة تريفليان على هذا الكتاب خرجنا منه وملؤنا اعتقاد ثابت بأنه ليس من التاريخ الحديث فى قليل ولا كثير . ولكن للاستاذ الريحانى عذره فهو مؤرخ البلاط السعودى كما يقول في أول الكتاب . وقلما يكون مؤرخو الاباطرة الملكية مؤرخون . فهم مدونون للحوادث بما يقرب من الحقيقة إذا كانوا منصفين ، ومداحون مغرقون في المدح اذا قلت فيهم حاسة الانصاف وحب العدل ، حتى فى رواية الحوادث

بابُ الأفراح

فى مناجاة الارواح

للمرحوم الدكتور ابراهيم عربيلى

إن أول ما يخطر ببالك وأنت تتصفح هذا الكتاب هو السؤال عما اذا كان الدكتور منح هذا اللقب فى الفلسفة أم اللاهوت أم الطب . ففيه روح التبشير بوجوب الايمان . وفيه كلام طيب عن الجاذبية والنمو ، وكذلك نجد له جملا فيها فلسفة أو أدب ، وعلى كل انك لو أخذت جمل الكتاب مفردة لوجدت فيها مادة تحتاج الى تنظيم الامر الذى لم يحسنه المؤلف . وأظن السبب هو محبة الموضوع بحماس وايمان جعلاه يستنجد بالاثباتات الموافق منها والغير موافق لمجرى الكلام فليست ترى مثلا فى « مناجاة الارواح لا تجعل الانسان كامل الصفات ، فان الله وحده هو الكامل فقط . ولا تجعل الانسان مساوياً للملائكة انما تساعده على

أن يعيش عيشة صالحة روحية فتحسن صفاته ويستطيع أن يعرف الامور معرفة حقيقية فيرتقي بافكاره . وتساعده على أن يشعر بنقائصه ويغلب شهواته الجسدية ويسير في سبيل التقدم والارتقاء»

«ان التقدم الذى ناله الانسان لم يكن دائما الى الأمام لان العالم كثيرا مايتوقف في عدة أدوار من أدواره عن الصعود في سلم الرقى فيبقى خاملا متأخراً جامد الحركة جاهلا . وقد عرف الروحيون ذوو الاجساد البشرية انهم لايضاهون الذين هم في عالم الارواح مرتبة ولا مقاما ، فلا يجهلون حقيقة الاختبارات الارضية التى تجعل حياة الانسان وارتقائه مضاعفة الصعوبة. وعليه تكون مكافأته عن امنه في الطبيعة في الحياة الروحية عظيمة جدا مثلا لما سبق وقلته لك اعلاه » ولا يظن القارىء أن هذه جمل مقتطعة من هنا وهناك مجموعة بين قوسين ، فهى مأخوذة على علاتها دون زيادة أو حذف

هذا هو مثل لما ذكر في متن الكتاب حتى منتصفه. أما النصف الثانى فعبارة عن خطابات الارواح لأهل الارض وغير ذلك مما يقرب الى روايات الجن والعفاريت من البحث العلمى .

وحقيقة قد أكون متحاملا على ما يسمونه علم مناجاة الارواح. ولكنى اجتهدت هذه المرة أن أفهم لاقوم بواجبى نحو القراء فوجدت أنه يجب على « أن أكون مؤمناً أولا ثم بعد ذلك اقتنع بصحة ما آمنت به » وهذا مالست مستعداً أن أعمله فأقدم للقارىء عذرى لأنى لم أتشرف بعد بمعرفة الارواح والعفاريت

بين المد والجزر

للآنسة مى

ليتنى تشرفت بتقريظ الطبعة الاولى من ابتسامات ودموع من التى نقلتها عن ماكس مولر . حتى كنت اعطى بالتقريظ قطعة من قلبى كما يقول الافرنج . فان في الطبعة الاولى من الابتسامات والدموع سراً لا أعرف كيف أدرسه ، وفيها جاذبية ما زلت أحن اليها حتى اليوم اثبتت أنامل مى الالهام الذى أملاه

عليها مولر مندفعة بالشباب بل بجراءة الفتوة ، ومن العبث أن تجد فى تلك الطبعة الاولى أثراً لما يسمونها (الحذشصة الكاذبة) فهى صورة طبيعية رسمتها دقات قلبها وكما أن لى الطبعة الاولى من الابتسامات والدموع كذلك لها ترانيم شعرية كانت تطبعها فى ذلك الوقت الذى كانت تضرب فيه على قيثارتها تلك الاغانى اللطيفة الروح المطلية الجذابة

ولكن الزمن أبى الا أن يزيل تلك البهجة وأن يطمس ذلك الرونق ، فطبعت مارى زيادة الابتسامات والدموع طبعة ثانية.وأذكر تماماً أن صديقاً لى ، رغبة فى الأنتقام منى ، فاجأنى ذات مرة قائلا: «لك أقدم أيها الصديق نسخة مطبوعة من الابتسامات والدموع . حتى لا تضن بالنسخة الخطية التى تحوزها على أصدقائك» وحقيقة لدى نسخة خطية من الطبعة الاولى طلب منى صديقى المذكور ذات مرة أن أعيرها له كي يقرأها فاشترطت عليه أن يفعل ذلك أمامى وذلك خوفاً عليها من الضياع . فجلس يقرأها كارها وانتظرت بدورى صابراً متململا

فتحت غلاف الطبعة الثانية.وأخذت أقلب الصفحات واحدة بعد الاخرى وعلائم الهم ترتسم على جبينى،ثم رددت اليه الكتاب بألم ظاهر قائلا« لا ياصديقى» فهذه الطبعة ليست لى بل هي لحمزة فتح الله وجبر ضومط » أين تلك الطلاوة التى أتذوقها من كناشتى ؟ انها ذهبت فاطارتها محاولة حسن السبك . وأين تلك البساطة التى تستهوينى وأنا أقرأ كناشتى ؟ أودى بها التعقيد المفتعل . وهكذا ساءته كتابه ورجعت كما ارجع بين وقت وآخر لكناشتى العزيزة فأقرأ منها الطبعة الاولى لابتسامات«مى»ودموعها، وذلك،منذ عشر سنوات الى الآن

وكنت أتصفح بعد ذلك ما كانت تدبجه«مى»من المقالات وكنت أسمع طنطنة حول اسمها ،فأقدم على القراءة بشغف لاحد له ، ولكنى لا ألبث حتى ألقى جانبا سائما تلك الالفاظ الجوفاء والكلام المرصوص . واليوم عدت فجذبنى عنوان كتابتها « بين المد والجزر»وهو عنوان شعرى فانتبذت ناحية هادئة على أمل التفرغ بمشاعرى له عساى أجد فيه ما أجده من ابتسامات (كناشتى) ودموعها . ولكنى وجدت ذلك العنوان الجميل بعيداً كل البعد عن

مواضيع الانشاء المطبوعة على صفحات الكتاب . فكأن مارى زيادة أرادت أن تملأ فراغاً ، ولا أجسر على القول بأنها أقامت بعمل الى قصد نوال الأجر . وكم أنا آسف للدرك الذى أخذت تنحدر اليه الآنسة فان كتاباتها لم تعد تحوى مادة شعرية ولا روحاً خفيفة كما كان عهدى بها في الزمن الغابر

أى آنستى، أن روحك اللطيفة قد صبت على أن تكون شعرية خيالية، فلها جاذبية ولها حنين. فمالك ومال المواضيع الجافة الجبارة التى لا تحتاج الى رقة ولا الى عواطف ، بل فقط الى عقول ..... وعقول جبارة أيضاً . انه من العبث أن تحاولى تسلق صخور المعرفة المدببة القاطعة بيديك الرقيقتين الناعمتين . فان ترانيمك التى تبدئين جهادك الشاقي بها لاتلبث حتى تنقلب حشرجة تملأ القلوب أسى . فبربك ارجعى عن ركوب ذلك المركب الخشن ، بربك ارجعى :—

أى آنستى. لديك مجال للعمل فى الوادى أشجار، وفيه ينابيع وعيون فاحملى قيثارتك ، وترنمى عليها ماشئت فانك بعملك هذا تخففين مصاعب الذين قدر عليهم تسلق جبال البحث الوعرة المسالك . أجل ، ترنمى وانشدى دون أن تعتقدى بأن عملك لا قيمة له فانه مسل وانه مخفف لشقاء الذين يعملون أولا عملية شاقة مملة .

ان القلم والمعرفة ليسا محتاجين الى الرقة. والتغريد لا يصيرهما جذابان، بل بالعكس، يعرفهما بصورة مؤلمة مضحكة سمجة للانظار

تقبلى سيدتى الآنسة تحيات أحد المغرمين بابتساماتك ودموعك الاولى ... أجل ، الاولى فقط ، فقد نقلتها بيدى هذه من نسخة مطبوعة حرفاً بحرف ولم أندم على الوقت الذى أضعته فى النقل   ع . ع

كل ذلك رغبة فى أن امتلك نسخة منها

التعريف

بالنبى والقرآن الشريف

للسيد محمد على البيلاوى

كتيب صغير حسن الطبع ورقه مصقول تظنه لأول وهلة كتب للسنة

الأولى الابتدائية . ولكنك تراه قد ختم بمواضيع تحتاج الى سابق درس فى المعاهد الدينية . اختص المؤلف النصف منه بالتعريف بالنبى محمد بن عبد الله ولولا التكرار الذى لالزوم له ، ولولا استنتاجات غير منطقية مثل « كان على مابه من اليتم وقلة المال يشب على غير مايعهد فيمن اتصف بهذين الوصفين فقد كان ينمو بدناً وقوة وعقلا وأدباً حتى عرف بين أهل مكة فى ريعان شبابه بالأمين » فهل من مستلزمات اليتم وقلة المال امتناع النمو بدناً وقوة وعقلا وأدباً ؟ ؟ بل هل الأمين هو القوى العاقل الأديب والنامى الجسم ؟

اليك مثل آخر قال : « أدبه الله تعالى أدباً » الى أن قال : « ولم يكن له أستاذ يهذبه .ولا مثقف يؤدبه.وانما هي عناية الله تحفظه » والى هنا لااعتراض الا أنه قال بعد « أدبه الله تعالى أدباً » « لم تجر العادة بأن تزين به نفوس اليتامى الذين قل مالهم » فما العلاقة بين أن الله اصطفى انسانا.و بين الحشوالغريب وهو الاشارة الى الفقر واليتم .وهل يحرم اليتيم من تأديب الله له ،من هذا يتجلى للمطالع أن مؤلف الكتاب يحاول أن يفهم الناس بأن اليتم وقلة المال حادثان يقفان فى طريق الأمانة والتأدب.وهذا قول غريب كرره تكريراً مملا ظاناً اياه معجزة لاتقدر .

وكذلك أغفل الشرح تماماً فى أكثر مواقف مثل « ثم لقطعنا منه الوتين» ولم يفسر بعض الجمل تفسيراً حسناً فنقل مثلا قول خديجة وهي تبشر زوجها اذ قص عليها مارآه فى غار حراء « انك لتصل الرحم .... وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » وقد فسر نوائب بالنوازل والحوادث. كما فسر الحق بقضاء الله وقدره فليس من المنتظر أن يفهم المبتدىء من هذا التفسير أنها تخبره بأنه سيساعد الناس للتخلص من النوازل التى قدرها الله عليهم ؟

ولمناسبة ذكر خديجة،هل لى أن أسائل قساوسة المسلمين عن كان السبب ولا يزال فى حرمان المرأة المسلمة من حق خطبة الرجل لنفسها ؟

لننتقل الى التعبير ، فهل من حسن التعبير أن يقول رجل مسلم أن النبي « أصيب بمصاب عظيم » هو موت عمه أبي طالب،و زوجه خديجة ، وكذلك هل

يصح أن يقال عنه أنه كان يطلب من الحجاج أن « يمنعوا عنه أذى قومه فلا يستجيبون له » كأن النبي ما كان يشعر بأن الله هو حافظه والقادر على منع الاذى عنه ؟ وكيف يمكن للقارىء الذى يحاول السيد أن يعرفه بنسب النبي وما شابه ذلك مما هو معلوم لاطفال الكتاتيب تفهم ما يأتى « ولما أصابه من قريش ما أصابه يوم أحد شق ذلك على أصحابه » فما الذى أصابه يوم أحد ؟ هل تنتظر من شخص تحاول أن تعلمه مايكاد أن يعد من المفهومات أن يفهم لنفسه يوم أحد يتكلم عنه .

أسمعه يقول تحت كرمه عليه السلام « كان لايبارى جوداً وسخاء وسماحة نفس، وصفه بذلك كل من عرفه وكانت حاله في ذلك قبل النبوة كما كانت بعدها فقد قالت له خديجة حين رجع اليها يرجف « كلا. مايخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » أليس أول مايتبادر الى ذهنك عند ماقرأت « قالت خديجة » أنها ستقول مايثبت كرمه فتذكر حادثاً وقع ؟ فما علاقة وصف تفسيرها لحلم هنا باثبات الكرم .

اسمع : « روى أنه حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها يقسمها فمارد سائلا حتى فرغ منها » لنفترض أن رجلا سأله التسعون ألفاً فهل كان لايرده ؟ لنفترض أن الاغنياء سألوه قبل الفقراء، فهل كان لايردهم، أليس هذا نوع من الحشو المشهود به للازهريين .

قال : « وقد نعاه الى أصحابه أبو بكر وقال لهم وهم مجتمعون وقد ملكتهم الدهشة « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » فهل ترضى ذمة المؤلف بالتمويه الذى ارتكبه باخفاء اسم من قال الجملة المنتهية « علوته بسيفى هذا » هكذا تكون الأمانة فى التاريخ والا فلا .

وصف المؤلف رؤساء الاديان الكتابية ص ٣٤ بأنهم « حظروا على من سواهم النظر فى نص من نصوص الدين وتفهم الغرض منه فعطلوا العقل وأطفؤا نور الفكر » ولو كنت هواويني لكتبت هذه الحكمة بماء التبر على آماق مهج علمائنا الاعلام نفعنا الله بهم فى الدارين .

لولا هذه الاخطاء رهي عديدة لصلح الجزء الاول من كتابه لتلامذة السنة الاولى الابتدائية ،وأما الجزء الاخير فغليظ فى موضوعه كأنه جلمود صخر حطه السيل من جبل قاف .

وقد فتح السيد بيني و بينه أبواباً للنضال فمثلا يقول وقوله الحق « ان النبى جعل رسالته الى الناس عامة » ويقول « ويجب على كل من بلغته الدعوة الى هذا الدين أن يؤمن به » ويقول « ان محمداً أرسل الى جميع الناس عربهم وعجمهم » فكيف يوفق بين هذه الحقيقة و بين تحريم ترجمة القرآن حتى يمكن للعجم أن يفهموه ؟ فهل نجبرهم على تعلم العربية أولا حتى يفهمونه ؟ أم نريهم فضائله لكي ينجذبوا نحوه فيقبلون عليه و بعد ذلك يؤمنون .

كذلك نقل السيد عن تيلر المبشر الانكليزى ودعاه منصفاً « اننا لنرى الاسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها . » ولم يفهم السيد أن المقصود بهذا الحط من مبادىء الاسلام واتهامه بأنه يدعو الى تعاليم بدائية يسهل على عقل المستوحش استساغتها بعكس المسيحية فلا تفهما الاعقول راقيـة المستوى .

كذلك جرني السيد الى ساحة جدال أخرى يدور النضال فيها حول فكرة اعجاز القرآن . وبالرغم من اتفاق كل أو أغلب الائمة على أن الاعجاز يدور حول البلاغة والفصاحة.أعترض بكل احترام قائلا:أن التسليم بأن بلاغة وفصاحة القرآن ليسا ببرهان مقنع للفرنسى على تنزيله • كما وان بلاغـة وفصاحة أحسن ما كتب باللغة الانكليزية لاتبرهن الا أن المؤلف كان يتقن اللغـة أكثر من غيره قليلا أو كثيراً • فاعجاز القرآن ليس فى المبنى بل هو فى المعنى لما في حكمه وفي مواعظه وفى ارشاداته من تفوق .

أما بقية الكتاب فتبحث فيما يسمونه السبعة أحرف وهو بحث ممل يكاد يملأ الثلث الأخير من الكتاب .

وكم كان بودى لو قصر السيد كتابه على السيرة النبوية وألم بأطرافها . فمثلا كان الواجب عليه أن يذكر بتوسع قصة :

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

كذلك غاب عنه شرح كيفية استقبال أهل المدينة للنبي وفي مقدمتهم بنات النجار ينشدن مرحبات به

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فهذا وأمثاله من الافاضة فى ذكر معجزاته كتظليل السحاب له واخضرار ماتحت موطئ قدمه، وانتقال ايوان كسرى مما يرغب الاطفال فى التهافت على درس كتابه القيم .

العقل الباطن

لسلامه موسى

زج بي صاحب العصور فى أحرج مركز بتصميمه على وجوب نقد هذا الكتاب الصعب العويص بقلمى أنا دون غيرى . ولم تفد تضرعاتى ولا التماساتى فى تحويل رأيه الظالم هذا ولا أكتم القارىء حقيقة هي أننى لم (أدرس) علم النفس الا سنتين فقط تحت ارشاد أستاذ كان يخاف أن يكتب مذكرات فى الموضوع بحجة أنه لم يدرس هذا العلم تماماً . ذلك بالرغم من أنه قضى ست سنوات في تدريسه علم النفس لمن سبقنا من الفصول . وكان هذا الاستاذ من حاملي لقب الدكتوراه فى الفلسفة .

فليس أمامى والحالة هذه الا الرضوخ ومحاولة القيام بالواجب الملقى على عاتقى على أحسن حال .

الاستاذ الكبير سلامه موسى أشهر من أن يعرف . فهو عالم فيلسوف وأديب مبتكر . ويمكن لكل قارئيه معرفة ذلك من التصفح آثاره التى يضرب فيها مختلف العلوم العويصة بسهم صائب فمن حياتولوجيا الى اجتماعولوجيا الى اجنتلوجيا الى حيوانولوجيا الى نباتونى الى تشريحوتومى (علوم الحياة والاجتماع والاجنة والحيوان والنبات والتشريح) الى غير ذلك من العلوم التى لم تمر بي أسماءها ولو عرضنا تلك التى يقتضي للعالم الغربي في بحث أحدها عدة سنين قبل أن يجرأ على كتابة فصل وحد يمس به الموضوع مساً سطحياً .

ولكن لاستاذنا الفاضل ذكاء يرزأ بالصعاب و بالغموض . وله عقل جبار يسهل عليه مهمة الفهم . لذلك تراه يثب بين أفنان العلوم مثل الطير فيسمعنا من وقت لآخر تغاريد علمية تسحر الألباب :

ألف الاستاذ كتاب (العقل الباطن) بعد أن «قرأ» نحو عشرين كتابا في هذا الموضوع، فاذا أمضى ثلاثة أشهر في قراءة كل كتاب، فيكون قد قضى نحو خمس سنين في مطالعة العشرين كتاباً . و بالطبع يجب على من يقرأ هذه الكمية من الكتب عن العقل الباطن، أن يقرأ أيضاً كمية أكثر عن موضوع علم النفس وعن تشريح المخ ليلم بأساس الموضوع. وهذا عمل جليل نشكر الاستاذ عليه. فإن قضاءه لعشر سنين على الاقل في الدرس قبل أن ابتدأ يؤلف كتابه ، أمريقا بل بالشكر والامتنان، والذي يزيد الاستاذ فخراً أنه أتحف العالم العربي بكتب قيمة في مواضيع عويصة أخرى فاذا كان ينفق عشر سنوات على القراءة في كل من المواضيع التي يكتب فيها يكون له من الجلد على المطالعة مالا يصح السكوت عنه ، و بالرغم من أنى أجهدت نفسي كثيراً لافهم (العقل الباطن) مستعيناً تارة بالقهوة السادة وتارة أخرى بالدوش البارد ، عجزت عن ذلك ولم أتمكن من ربط محتويات الكتاب بما عاق بذهني من قراءة مبادىء علم النفس لوليم جيمس على الاقل. وانى أعترف أن الذنب ليس بذنب الاستاذ بل ضعف معلوماتي هي المسئولة عن اخفاقي المخزى ولو كان المؤلف الفاضل قد ترجم لنا مؤلفا الى العربية عن (ديفوز) مثلا لامكن أيا كان الرجوع الى الاصل الاجنبي لنفهم مايغلق عليه فهمه من الترجمة .

أو لو كان الاستاذ قد كتب مؤلفه بلغة أجنبية لاستفاد منه مكدوجال وفرود وجيمس وغيرهم .ولأمكنهم اعطاءه حقه من النقد. فنحن أمة لم تصل معلوماتها بعد، الى تفهم نتاج قرائح العلماء الاعلام .

ولكن مادام الاستاذ قد عمل بحسن نية على طبع مؤلفه الكثير الفائدة باللغة العربية، فلا أرى بداً من حث إدارة الجامعة المصرية وغيرها من الجامعات لتقرير كتاب القرن العشرين لطلبة التخصص في كليتي الطب والعلوم العقلية

لان من الخسارة أن يلقى الاستاذ درره الغوالي على قارعة الطريق ظناً منه بأننا نحن الجهلة قادرون على فهمها ومادتها عويصة .

وكنت أود الوقوف هنا ، ولكننى ارتأيت أن أنقل للقارىء الفاضل شيئا من درر هذا المؤلف العظيم الفائدة قال حفظه الله في باب تفسير الاحلام .

« رأيتني في طيارة عمومية تسوقها امرأة وفيها امرأة أخرى تقتضى من الركاب ثمن التذاكر وتعطيها اياهم والطيارة مستطيلة وفيها مقاعد على الجانبين فلما قعدت لاحظت أن أحد الداخلين يحمل مجلة « .... » في يده . ثم طارت الطيارة ، وكانت الطيارة ترتفع كأنها في خط عمودى ، فدب في قلبي الخوف وأمسكت بمسند المقعد الذى أمامى ووضعت رأسى بين يدى وأنا خائف . ثم صحت بصوت مرتعش وأنا لاأرفع رأسى من الخوف انزلوا بقى .

« وكان الذى فى خلفي وهو الذى يحمل مجلة « .... » يضحك منى ضحكا خافتا ، وسمعتنى السيدة التى تجمع التذاكر فقالت للسيدة التى تسوق السيارة بيقول انزلوا بقى » .

وأدرك شهرزاد الصباح . قال الاستاذ :

« وهذا الحلم يحتاج الى شرح طويل ، ويحتاج الى أن أكاشف القارىء عن نفسى . فانني أحرر مجلة « .... » وأعنى بعض العناية بالمقالة الافتتاحية ، فاحاول أن أسمو فيها الى الافكار والخواطر العالية . وكثيراً ماذكرت فيها التقدم مقرونا الى فكرة تقدم المرأة وسياقتها للطيارات وادارتها للاعمال الكبيرة . وكثيراً أيضا ماذكرت فيها الطيران وانه رمز للحضارة الراقية . فقترنت فكرة الرقى والتقدم فى عقلي الباطن بفكرة الطيران وتقدم المرأة .

« هذا من جهة . ومن جهة أخرى قام في نفسى صراع بشأن تحرير المجلة فنفسى تسمو الى أن أجعلها مجلة علمية جدية . وهذا في نظرى معنى الرقى . ولكنى في اليوم الذى حلمت فى مسائه هذا الحلم ، كنت أجادل أحد الصحفيين بشأن المجلات وما يجب أن تكون لكي تروج فاضطررت ، الى الاذعان لرأيه ، وهو أن المجلة الجدية العامية لاتروج ، وأن الجمهور يحتاج الى مادة خفيفة .

« ومع اذعانى فقد كان فى نفسى صراع بين شيئين :

١ — أن تكون المجلة علمية جدية رقية ولكن قليلة الربح .

٢ — أن تكون خفيفة المادة على قدر الجمهور ولكن كثيرة الربح .

« فجاء عقلى الباطن يمثل لى هذا الصراع في تلك الليلة . فجعل الطيارة والمرأة تسوقها رمزاً للرقى . ثم جعلنى لاأطيق هذا الرقى . وجاء بواحد من خلفى يحمل مجلة « ... » ويضحك منى . والرقى المعنوى الذى اقصده جعله عقلى الباطن رقيا محسوسا بارتفاع الطيارة كما يفهم الطفل معنى الرقى »

انتهى . صورة طبق الاصل ر

ولست أدرى كيف يمكن أن يكون تفسير الاستاذ لهذا الحلم وهو في اليقظة هو نفس ماقام في عقله الباطن وهو فى النوم ؟ أليس من الجائز أن يكون عقله الباطن قد رمى الى شيء غيرهذا ؟ لاسيما وأن مثل هذا الحلم يمكن تفسيره بكثير من التفسيرات التى لايمكن أن يجادل فيها مادامت هي داخلة فى باب التأويل .

وهل يمكن أن تكون مثل هذه التفسيرات مادة علمية صحيحة ؟

أظن أن ذلك غير مستطاع علمياً . فان ظاهرة الأحلام وحدها هي التى يمكن أن تتخذ مادة للبحث فى علم النفس ، لا تفسير الأحلام على قاعدة لاضابط لها ولا نظام .

السياسى الدولى

أو الدبلوماطيقى

بقلم جول كامبون
من الاكاذمية الفرنسية

الدبلوماطيقى

ما أكثر نواحي العمل الذى يتولاه السياسي الدولى. وما أقل القواعد الصريحة التي يسير عليها. وما أكثر التقاليد التي يخضع لها. وما أشد حاجته الى الحرص والدأب فيما يريد، من النجاح الذى يتوقف على الظروف. وما أشد اضطراره الى التزام النظام الذى لا يكون بلا خلق متين وعقل مستقل. لكل أمة أخلاقها وعاداتها وأساليبها. لا يتجرد السفراء منها لمقامهم بين أمة أجنبية، ولكنهم بحكم مهمتهم التي تحتم عليهم خدمة بلادهم، وعدم اثارة ضغن بين معاشريهم مضطرون لملاءمة البلاد التي يعيشون فيها. رأى «لابروبر» الذى كان يعيب على السياسي تأثره بالزمان والمكان وأخلاق الرجال. مهمة السياسي هى «ألا يخدع وأن يخدع سواه» ولكن لارشفوكول، وهو أعرف منه بدخائل السياسى. كان يقول «ليس أيسر من الخداع الانسان عندما يحاول خدع الآخرين» على أن اعتبار الزمان والمكان وأخلاق الرجال ليست من الغباوة في شيء. وكذلك ليس من الخداع في شيء أن تعرف الحرص والانتظار. والفارق بين السياسي وجمهور الناس انه يعيش غريبا عن اهوائه الشخصية شديد الصون لاسرار والشعوب في ذلك مختلفة، منها ما يحب من السياسي الصراحة، ومنها ما يحب منه الغموض والكتمان والظهور بغير ما يبطن

يتوهم الناس أن السياسة دسيسة، ومن لا يعرف الدسيسة من السياسيين متهم بالتفرغ للهو والملاذ. ومنهم من يحسب دور السياسة مسارح تجرى فيها الحوادث بتدبير سابق. وأقدر الساسة عندهم من كان ماكيافلى الطبع يحكم تدبير النكاية، ناسين أن ريشليو وبترمرك انفسهما لم يملكا ناحية الحوادث، التى تجرى على

ما يريدون وعلى عكس مايريدون. والقول في ذلك ماقاله فردريك الثانى « ليس فن السياسة اختلاق الحوادث بل الاستفادة منها . »

والفارق بين السفيرين ووزير الخارجية أن هذا يجمع آراء ومعلومات سفرائه يوازن بينها و يرتب عليها مصلحة بلاده .على أنه يعيش فى بلده،أما السفير فهو يخالط أمة غريبة يتعرف أخلاقها وعاداتها وميولها وقدرتها،ومهمته أن ينقل مايرى ومايعلم الى الوزير لا يتعدى حقوق منصبه.ولكنه لايكون أشبه شيء بصندوق البريد فله رأيه وله أن يبديه للوزير .والا كان خطراً على بلاده . وعليه ترى مهمة السفير أن يكتسب بصدقه ثقة الحكومة المدين لديها وثقه حكومته · قال ماكيافلى الذى لا يعرف الناس حقيقة قدره لسفير فلورنسا لدى شارل ثامن « على السفير أن يجهد نفسه ليرى الناس أنه رجل لايظهر غير ما يبطن » . ومن هنا ترى أن الصفة اللازمة للسفير ليست الخداع . انما هى المهارة الحقة.وقد عرفها شوازل بقوله هى أن تقول الحقيقة أحياناً فى شدة، ودائما في لطف،ومعنى ذلك أنه يتعين على السفير لاداء مهمته الا يغضب أحداً وأن تكون له منزلة فى كل ناد من نوادى الامة التى يعيش بين أهلها

والتعرف بأمة معناه النفوذ الى روحها والعيش فيجو أفكارها وفهم المصلحة بين سياستها الخارجية وحالتها الداخلية ،ولا يصل السفير الى ذلك بمحادثة الوزراء ورجال السياسة،فقد يعلم من حديث طائش ما لا يعلم من مناقشة جدية، ولا يدله على حقيقة الحال ومواقف الاحزاب اكثر من النوادى، وقد يفيد من سيدة كبيرة مالا يفيد من سياسى خبير

وأشد ما يجب أن يحذر السفير هو الاستهتار ، وكفى أن يعرف عنه ذلك حتى تمجه الاذواق وتنكره النفوس وينظر اليه بلا رعاية ولا احترام . على أن شدة الحرص والتزام الجد،العبوس تدعو الى النفور والحذر، وقد تقضى على الثقة،فلم يكن أحد أصرح من تاليران والبرنس بزمارك فى أحاديثهما الخصوصية. كذلك من يكثر الهشاشة ويفرط في التحبب والتقرب يحسب أن ذلك يكسبه الثقة والمحبة،على أنه بتفريطه هذا، قد يفشى من الاسرار ما لا يجوز افشاؤه ·

ليست السياسة الخارجية مسألة عواطف، انما هي اخضاع الحوادث العارضة للقوانين الدائمة التي تتحكم في مصير الأمم . وهـذه القوانين موجودة . وليس حكمها في يدنا، ومصالح الشعوب لا تتغير، الطبيعة والموقع الجغرافي والاخلاق هي التي تقررها .

ومهما اختلفت سياسة البلاد الداخلية لابد أن تبقى سياستها الخارجية على حكمها التقليدي لايغير منها شيء الا اذا اقتضته ضرورة جديدة ، كأن تنشأ الرغبة في الاستعمار، فيقتضي ذلك انشاء الاساطيل .وهذا يوجب النظر فيما يجيد من العلاقات بينها و بين الدول البحرية،ومبلغ ما يكون لهذه العلاقات من الأثر . كما كانت الحال بين ألمانيا وانجلترا حين قال غليوم . ان مستقبل ألمانيا فوق البحار ، وجد في انشاء المدرعات فأحدثت هـذه الحالة الجديدة أثرها في الحرب الكبرى .

يجب ألا يعنى السياسي بشيء سوى النجاح وألا يثير حول نجاحه ضجة، لان الخطر كل الخطر في استفزاز أنانية الخصم . على أن النجاح لايدوم الا اذا كان باتفاق الجانبين فيجب أن يتوارى السفير ليرضى الحكومة التي يعمل لديها وحكومته .

ليس هذا فقط ، بل عليه أيضاً أن يكون أملك لنفسه ولسانه من أى كان حتى لا يكشف خصمه عن مقاتله

وأعجب ما يعجب له الجمهور اليوم.هو ما يراد من الائتلاف والتقرب بين السفراء . كأنهم يعيشون أصدقاء

المفاوضات

كان بيورك يقول « ان الحكم اعتداء » فلسفير ملق بالوزير، والمفاوضة تفاهم واتفاق . والسياسة الدولية لاتعتمد على القانون وصرامته، بل تنظر الى الوقائع والرأى العام، وتنحني أمام الضرورة. وتخشى النتائج العاجلة والآجلة، وتحتمل خطأ لتجتنب ضرراً، وهذا يبعد بالمفاوضة عن الاخذ بالنصوص . ومهما قيل عن القانون الدولي فانه لايزال بعيداً عن القوانين المدنية الداخلية، لئن أيدته المعاهدات

وهيئات التحكيم المتفق عليها . ومحكمة لاهاى،فليس له من قوة تكفل تنفيذه . لذلك تلجأ الأمم الى السيف وجهد السياسة اجتناب هذا الحكم .

من الاوهام الشائعة فى الدوائر السياسية أنه لاحق لأمة سوى ما نصت عنه معاهدة ، ولكن الشعوب أشخاص أدبية لها حياتها، قد تمحى دولة من خريطة أوروبا ولكنها تبقى حية، مثال ذلك ايطاليا و بولونيا،فالسياسى الحقيقى من نظر الى ذلك وأفسح صدره رحباً فى مفاوضاته ولقد رأينا بعض المفاوضين يسمو الى التفكير في مصلحة أوروبا عامة لاعتقادهم أن سعادة دولية جزء من سعادة المجموع الاوروبى . يغيبون اليوم ما كان معروفاً بسياسة التوازن، على أن جمعية الأمم ليست سوى أداة لهذا التوازن،ليس السفير حكماً،ولكنه مضطرالى احترام عواطف البلاد التى يفاوضها . ليحتمل مسؤلية ما يعقد من الاتفاقات

ولكن هذه الاتفاقات تذهب أحياناً بكثير أوقليل من الآمال فيحتم عن ذلك غضب الشعب على المفاوضين . وقال لارشفوكول ، أن الذى يسيئنا من المفاوضين هو اهمالهم مصلحة أصحابهم في سبيل مصلحة المفاوضة ذاتهاالتى تصبح مصلحة المفاوضين أنفسهم بما يكسبوا من المجد بنجاحهم ، وارأى عندى أن السياسى الحكم ، هو الذى لايلتفت كثيراً على تهليل الجمهور بل هو الذى يتذرع بالصبر والحذر يعمل بذوقه السليم وعقله الحر

ليس القصد من رجل حرم الذوق السليم.على أن حرية العقل واصالة الرأى الزام ما يحتاج اليه السياسى يتبين بها مقاصد خصمه ومراميه ، و يسير على ضوءها الى حقيقة ما يقصد اليه

القدرة على انتظار الغرض لا تقل عن هذه لزوماً.وقد تهب الرياح على غير ما يشتهى، فلا بد من اللف والدوران للدخول الى الميناء بلا مبالاة بما يقوله من لا خبرة لهم .

وأخيراً لابد للمفاوضين من كتمان سره رعاية لرئيسه الوزير ولمقام من يفاوضه لاتخرج المفاوضة عن حديث لايجوز افشاءه لان فى إفشاء مايقع اثناءه من ترددوتقلب وتراجع وعرض ورفض يقطع على المفاوض خط الرجعة ، و يعرض المفاوضة للفشل

لقد كره الناس اليوم المفاوضات السرية تساعدهم الصحف على المطالبة بمعرفة تفاصيلها . وأصبحت الحكومات مقيدة. الا أنها لاتجد مندوحة عن كتمانها .

والحقيقة أن المفاوضات ترجع في البلاد الحرة الى برلماناتها .فلا تعقد معاهدة الا بعد تصديقها عليها . فاذا كانت المفاوضات سرية فانها متى أفرغت فى قالب عهد واتفاق ذهبت سريتها . على أن طبائع الناس لاتزال كما هى منهم الدساسون الذين يتربصون بالمفاوضين الدوائر يكيدون لهم ويفشون ما يعلمون عن أحاديثهم فيسيئون الى مصلحة البلاد التى يدعون خدمتها . فمن خبر خدمة وطنه فى بلاد أجنبية علم انه متى بطلت المفاوضات السرية بطلت المفاوضات جملة ، والحال فى السياسة مثلها في الآلات الميكانيكية لاتقدر قوتها الدافعة بلا تقدير قوة المقاومة . قال بزمارك، اذا أردت أن تشترى حصانا فانك لا تعلن بين الملأ أغلى ثمن تدفعه واذا أردت أن تبيع حصانك لاتعلن أقل ثمن تطلبه . فلا بد للسياسة من اتباع هذه الحكمة الاولية .

يتوهم البعض أن السفير متى قدم أوراق اعتماده صار فى وسعه أن يبدأ البحث فى جميع ما يهم حكومة بلاده. على أن أوراق الاعتماد ليست سوى تعارف يخول له حق الكلام باسم حكومته. ولا يستطيع البت فى شأن بلا إذن خاص من رئيسه لذلك يذكرون في مقدمة كل اتفاق أن أوراق الاعتماد والتصريح فحصت ووجدت صحيحة . على أنه قد يكون للسفير شخصية تعينه على اكتساب الثقة، كما حدث في حرب الولايات المتحدة واسبانيا. وكنت سفير فرنسا في وشنطن فعهدت الى اسبانيا بالنيابة عنها في عقد الصلح ، وكان لى الشرف أن وثق لرئيس الجمهورية الامريكيه المستر ماك كنلى بكلمتى. فأوقف رحى الحرب قبل وصول التفويض الى من مدريد بالتوقيع على الاتفاق . .

السفراء والسياسيون

ان رجال السياسة الذين تقضى عليهم صناعتهم كتمان ما يعملون محرومون بذلك وحده مما يخص به المؤرخون رجال الحرب من الاطراء. فكم خدمة صادقة وعمل نافع أدى أولئك لبلادهم. ولكن تلك الخدمات والاعمال بقيت سرا

مكتوماً لا يعرف الناس عنها كثيراً ولا قليلا. واذا مضى الزمن واهتدت يد مؤرخ الى سجلات السياسة وأراد تدوينها، فاته الكثير من ظروف تلك الحوادث ودقائقها ومقتضياتها فلا ينال السياسي من حقه سوى لمحات خفيفة ناقصة .

فلو أردنا اليوم ذكر أولئك العظماء بأعمالهم الخفية لاضطررنا الى سرد تاريخ السياسة ومجلداته الضخمة على ما يعوزها من روح زمانها .

من الساسة فيما مضى من كان يقف عزمه على رأى يعتقده الصواب كلما تتغير الظروف . ولا يغير منه شيئاً ، وقد يفلح بعض الفلاح ولكن الحوادث الجديدة تكتسحه وتذهب بجهوده ، ومنهم من كان حولا قلبا يلبس لكل حال لبوسها ولكنه لا يتزحزح عما وضعه نصب عينه من خطة مرسومة وأمل معقود . فهو مع الثورة يخدم غاية معينة ، وهو مع الامبراطور يخدم تلك الغاية ، يتنقل من حزب الى حزب دون أن يفرط فيما قصد له . يبنى . فاذا هدمت الحوادث ما بنى ، عمد يده الى الانقاض ، ويعيد البناء وفق ظرفه على أن يكون وافياً لغرضه

بفضل هؤلاء الذين لا يشيد التاريخ بذكرهم ، أقيمت الممالك واستقرت ونهضت الى أوج مجدها . هم لها إذا هبت العواصف من الخارج أو اضطراب موجها في الداخل قوة وعدة للكفاح والحياة . فما أسعد البلاد التى تنجب مثل هؤلاء المفلحين الخاملين .

الهيئة السياسية

يقولون ان الحكومات اليوم لا تحتاج الى هيئة سياسية أى رجالا اخصائيين قد تمرسوا بالشئون السياسية . وأن الديموقراطية تكره هذا النوع من الانتخاب الصناعى ، لذلك يجب الاستغناء عن تلك المهنة . ولكن الحقيقة العملية تثبت أنه إذا كان هذا الاستغناء ممكناً في عهد الملكية لسير حكومتها فى طريق محدود على نوع ما . فان ذلك لا يمكن فى عهد جمهورية تمر بها الحكومات مروراً لا يسمح للوزراء بترسم سياسة ثابتة ، وهذه الولايات المتحدة التى يفصلها عن العالم المحيطان الاطلنطيقى والهادى ، قد بدأت تشعر بالحاجة الى هيئة سياسية ، فاذا كانت تجدد تعين سفرائها بعد كل انتخاب لرئيس الجمهورية ، فقد جعلت من نظامها الثابت الموظفين الثانويين ثابتين . وجرت العادة في فرنسا أن يقضى الشاب المرشح للاعمال

السياسية زمناً طويلا ، للمران في السفارات ، يقضى بعد ذلك امتحاناً يؤهله من اجتيازه الى منصب أسمى بلا مراعاة لمقامه أو نسبه أو شهاداته . ولقد لاحظ « سانت بوف » ان كثيرا من شئون المجتمع والحياة والعالم الجديد ، يتعلمها الانسان من الهواء والجو والعلاقات اليومية ، فالاعتماد فيها على الامتحانات ليس له سوى ظاهر من العدل . فلا بد أن يعرف العلم بمعرفة الحياة والتبصر بالامور وادراك الحقائق الراهنة . لا بد من الفطنة والذكاء ، وهما ليسا مما يلقن في المدارس ، وقد عاب أحد المضطلعين بالشئون السياسية وطبائعها على الحكومات . حصر اختيارها في طبقة من الشعب . قائلا ان أكثر هؤلاء السادة لا يصلحون الا لسفارة احتفالات ، لا للمفاوضات ، قد يصلحون للخطابة في حفلة ميلاد أو عرس أو تأبين ولكنهم لا طاقة لهم على الاعمال السياسية ومشاقها .

للحكومات الحق في أن تتخير من تشاء لخدمة أغراضها على أن يكون هذا الاختيار حراً بين الحذر والنقد

أما الذين يدعون الى الاستغناء عن الهيئات السياسية فانهم قابعون في منازلهم لا يطلون من نوافذها . اذا كانت الولايات المتحدة تستطيع ذلك فلأنها تعيش بعيدا عن جارات متاخمة ومنافسة ومزاحمة كما هي الحال في أوروبا .

ويكفي أن نعلم أن بسمارك لم ين لحظة عن التقرب الى جيرانه والاتصال بهم يعرف دخائلهم فيستغل خيرهم ويتقي شرهم . وكان هذا دأب نابليون . وان صح فيه القول انه كان يسعى لصداقة ومآلفة جيرانه بالسيف . وهذه انجلترا بنظامها العجيب ، تحرص على مكتب السياسي الدائم . فكل الدول في حاجة شديدة الى سياسيين محنكين يقف كل منهم دولته على أخبار جيرانهم ودخائل أطماعها ومقدار استعدادها ولا عبرة بتغير أسماء هؤلاء السياسيين سواء كانوا سفراء أو مندوبين المهم أن تبقى المهمة ذاتها

القناصل

قال مونتسكيو في كتابه روح الشرائع « ان للاعمال التجارية علاقة ضرورية بالاعمال العامة . ولقد انتهى عصرنا الحاضر الى ادراك هذه الحقيقة وليس أدل

على ذلك من مشاكل البترول والكاوتشوك وغيرهما مما له أثره في السياسة الدولية ، لذلك صار من المتعين على الحكومات أن تختار قناصلها من بين رجال السياسة والاشغال العمومية

وقال تاليران في تحديد وظائف القناصل « إن مهمتهم تختلف الى مالا حد له ، عليهم أن يكونوا لمواطنيهم فى دوائرهم قضاة ومحكمين ومصلحين ذات البين ومسجلين شرعيين ومراقبين صحيين وعليهم بيان كل مايتعلق بالتجارة والملاحة والصناعة فى البلاد التى يعيشون فيها . وارشاد مواطنيهم من تجار وصناع الى موارد الربح الحقيقية ويدونون مايجب من البيانات في مذكراتهم الخصوصية. »

ولكن مهمة القنصل فى بلاد الشرق .قد تجاوزت حدودها الاصلية بما عقد بين الدول الاوربية وبين دول الشرق من الاتفاقات المعروفة بالامتيازات الاجنبية .وأول اتفاق من هذا القبيل هو الذى عقد بين فرنسوى الاول ملك فرنسا والسلطان سليمان فى الاستانة سنة ١٥٣٥ باعفاء الرعايا الفرنسيين من حكم « القاضى » ومن ثم سارت أوروبا على مثال فرنسا وأصبحت لها امتيازات خصوصية في جميع الامم الشرقية بحجة أن العدل فى هذه الدول غير مضمون وأن التجارة غير مكفولة ولا ضامن لها .

وبقيت هذه الامتيازات نافذة المفعول الى أن ألغت اليابان نيرها ونهضت تركيا للتخلص منها . والحقيقة أن أعمال القناصل لم تكن دائماً خالصة لحماية العدل والامانة وكثيراً مانشروا حمايتهم على من لايستحقون الحماية .

لا يعطى القنصل اعتماداً لدى الحكومة المنتدب اليها . وانما يعطى خطاب تعارف ،فمهمته في أصلها ليست سياسية،ولكنها فى الشرق تحاول أن تكون كذلك حيث يتدخل القنصل فى المنازعات الفردية التافهة،ويتحمس لكل شكاة يرفعها اليه مواطنوه. لذلك كان بزمارك وتاليران وتيير ،يشددون على القناصل أن يجتنبوا كل مشكلة لا مساس لها بسياسة بلادهم .

الحفوات الرسمية

كانت العادة فيما مضى أن يحتفى بالسفراء احتفاء رسمياً لدى الممالك التى

يرسلون اليها . يحرص فيها السفير على مقام دولتـه وتظهر به الدولة الموفد اليـها اكرامها لها. تجرى ذلك في حفلات غاية فى الابهة والفخامة يجتمع فيها السفراء الاجانب وكبار الدولة فى قصر الملك . وكثيراً كانت تحدث أثناءها منافسات بين السفراء، وأخطاء من كبار الدولة أو السفير القادم تفضى الى مشاكل. وهكذا كانت الحال عنـد انقضاء مهمـة سفير واستبداله بآخر.حيث كان ملك الدولة يقدم الهدايا والاموال للسفير الراحل .

تبدل كل هذا،وان كان لايزال أثره ظاهراً عند تقديم أوراق الاعتماد.حيث تتلى الخطب اعلانا بالمودة والترحيب كما انهم اكتفوا عند توديع سفير أن يمنحه الملك نيشاناً أو يقلده وساماً .على أن الممالك لاتزال حتى الآن على تفاوت فيما يتعلق بهذه التقاليد .

لغة السياسة

استمرت اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر بين الدول المسيحية لغة السياسة يتحدث بها فى المؤتمرات وتـكتب بها العهود والاتفاقات • ومن ثم قامت بين الدول تلك الحدود الادبية التى فرقت بين ميولها القومية كما فرقت الحدود الجغرافية بين مواقعها • غير أن اللغة الفرنسية بفضل لويس الرابع عشر وفولتير. أصبحت لغة السياسة بين جميع الدول بحيث كانت بروسـيا وروسيا وانجلترا تـكتب وثائقها السياسية باللغة الفرنسية • ولـكن الولايات المتحدة كانت على الدوام شديدة الحرص على لغتها فلم تـكن تسمح بكتابة ميثاق دولي يتعلق بها الا باللغة الانجليزية ،ولذلك كتبت معاهدة فرساي باللغتين الفرنسـية والانجليزية •

الديمقراطية والحرب

لم يكن الألمانيون سنة ١٨٧١ قد جلوا عن سـان دانيس والـكن الحرب الاهلية كانت قائمـة بين الفرنسيين، فقال جول سيمون : ان الحروب الاهليـة والدينية هي التى يجد لها العقل مبرراً • والحقيقة أنك تجد الجندى أشد صلابة واستبسالا عند ما يحاول أن يحقق حلماً • وقال موتنسيكو،وقبل روسو، متى اجتمع الناس ذهب عنهم الخوف . وبدأت الحرب • فعلى الدول أن تعمل ما كان يقول

به امرسون لـكل فرد « من لم يتغلب كل يوم على خوف فهو رجل لم يتعلم شيئاً من دروس الحياة » •

غير أن مما يغتبطله أن الانسانية بدأت تبغض الحروب الدولية • وما اتفاقات التحكيم ومحكمة لاهاى وعصبة الامم سوى أدلة على عاطفة عامة تجعل الحرب نادرة الوقوع • والفضل فى ذلك لرجل السياسة الذين أحدثوا هذا التغيير في النفوس . لذلك ترى اليوم الحكومات تخلق المعاذير لتبرير ماتقدم عليه من حروب .

من الاوهام مايعتقده البعض من أن الديمقراطية حامية السلام • ان لهذه شعورها وشرفها وما ورثته عن الارستقراطية من الاهتمام بمصالحها المادية وكفى بهذه أسبابا قد تدعوا الى الحرب . غير أن الحقيقة التى لامراء فيها أن الحرب ستكون نادرة لان اقتياد شعب كامل أبعد نوالا من اقتياد حكومة . فلو كان حزب المحافظين على رأس الحكومة الانجليزية سنة ١٩١٤ لما تردد فى اعلان عزمه على خوض غمار الحرب ولربما حال اعلانها دون وقوعها . ولكن الشعب الانجليزى عند ما علم اجتياح الالمانيين حياد بلجيكا لم يطق صبرا . فالنظم الديمقراطية عائق في سبيل الحروب ومتى كانت الحرب بين الشعب لا بين الجيوش كانت أفظع وقعاً وأشد هولا •

لقد خرجت السياسة الداخلية والسياسة الدولية من مكاتب الوزراء • وأصبح لرجل الشارع بمافيه من أهواء وغرائز وأوهام كامنة فيها. وصار من اصعب الامور على السياسى أن يكبح جماحه فاذا كان للانسانية أمل في تخفيف ويلات الحرب ان لم يكن منعها فلا ينتظر ذلك من الشعب بل يجب أن ينتظر من عصبة الامم

عصبة الأمم

قال فولتير « ان العالم قائم على متناقضات فماذا يجب لالغائها ؟ لواجتمعت حكومات الجنس البشرى على مافي طبائع الناس لكان اتفاقهم تناقضاً جديداً »
ان فكرة جمعية الامم ليست من مبتكرات ويلسون. فقد فكر فيها من قبل

سولى وفنلون وسان بيير . ولكنها لم تتجسم الا أمس . ولقد شهدنا ميلاد عصبة الامم وسمعنا صوتها . على انها لم تنج من سخر أعدائها .

ان عصبة الامم تمثل الرأى العام وهى تقف به في سبيل الخاطرة والخاطرين ولكن أنصارها أشد خطراً عليها من أعدائها بما يقدمون من مشروعات خيالية توهم أننا سائرون الى حياة تجعل الأرض فردوس النعيم . حيث لاخصام ولا شقاق بين الامم . يزعم هؤلاء أنه لم تبق حاجة الى السياسة لأن مندوبى الدول سيجتمعون فى جنيف . وفاتهم أن من السخف مايتوهمون من انتظام أعمال الحياة الدولية بقوة جمعية غير دائمة . اذا كانت جميع الامم تستطيع تسوية المعضلات الكبرى فمن الطبيعى أنها لاتستطيع أن تفض جميع الاختلافات التى تشجر كل يوم بين الأمم . ولا سبيل لتسويتها بدون واسطة السفراء ورجال السياسة وكأن هؤلاء الواهمين يحسبون أن المسائل تفض فى جلسات البرلمان . ويجهلون أن جلها ان لم يكن كلها يعد فى أروقة ودهاليز البرلمان . لابأس أن لا يكون للسياسيين مكانا في عصبة الأمم ولكن الحاجة اليهم لازمة لمناقشة المصالح القومية واتخاذ التدابير لحمايتها .

ويذهب البعض الى ان تصور الشعوب قد أهملت مصالحها واستغنت عن المحالفات اعتمادا على عصبة الأمم التى تعتبر جميع الدول المستقلة فى منزلة واحدة فلا حاجة بهم الى الاتحاد لتقوية ضعفهم . وهذا هوس لايخفى وهن عقول أصحابه . هب أن الولايات المتحدة انضمت الى جمعية الامم . أيعقل أن تكون منزلة مثلها كمنزلة مندوب احدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ؟ ألا يجتذب العظيم من الاتباع والمؤيدين مالا يجتذب الصغير ؟

كان الشائع في المانيا قبل حرب سنة ١٩١٤ أن لامعنى لبقاء دول صغيرة وأن الواجب ادماجها في الدول الكبرى . وكانت فرنسا تعارض هذه النظرية . جاءت عصبة الامم ، ولا يمكن أن تخلو من أحزاب ، فقررت بقاء الدول كبيرها وصغيرها وأباحت التحالف بما نصت عليه من أنه لا بأس أن يعقد بعضها مع بعض اتفاقات وعهود يكون الغرض منها حفظ التوازن .

ويقول البعض اعتراضاً على هذه الملاحظات أن الحال فى أوروبا لن تبقى على ماهى عليه وأن ستنتهى تحت رعاية عصبة الامم الى الانضمام والاتحاد تحت علم واحد،وتدعى الولايات المتحدة الاوروبية . ومتى تم لها ذلك استغنت عن المحالفات . ومن تأمل عبارة «الولايات المتحدة الاوروبية» علم أن أمريكا والصين واليابان وانجلترا تبقى خارجة عنها ومتى اصطدمت مصالح هذه الولايات الاوروبية بمصالح غيرها وقعت الحرب لا بين دولة ودولة بل بين قارة وقارة . وهنالك الفزع الاكبر وهاهى أسباب الخلاف ظاهرة من الآن يشهد بها توتر العلاقات بين أمريكا واليابان بسبب منافسة المال . على أنا لو فرضنا امكان تحقيق فكرة الولايات المتحدة الاوروبية أيمنع اتحادها الحرب بينها وقد علمنا التاريخ القديم ماكان من الحروب بين الولايات اليونانية رغم اجتماع مندوبيها فى مجلس الانفاكتيون الذى لايختلف فى شىء عن مجلس عصبة الامم . والتاريخ الحديث يعلمنا ماحدث فى الولايات المتحدة الامريكيه وفى سويسرا . حيث كادت الحروب الداخلية تمزقها .

واذا حاولت عصبة الامم السيطرة المطلقة على الدول أضاعت إستقلال هذه الدول. ولا يمكن أن تصل إلى ذلك . وكذلك لن تجد سبيلا للتسوية بين الممالك العظمى والصغيرة . وكفى عصبة الامم لصيانة السلم العامى أن تعنى بالمحافظة على المعاهدات واحترام الاتفاقات الدولية والوقوف بكل دولة عند حدودها المقررة.

إن عصبة الامم لاتعتمد على قوة السلاح بل على قوة الرأى العام. فهى في حاجة الى تعضيد جميع الامم . فكل مانرجوه أن يقف الرأى العام على حقائق الامور وأن يكون عونا لعصبة الامم على صيانة السلام أو على الاقل لتفسح للشعوب الثائرة مجال التفكير والعودة الى الصواب .

سياسة الغد

علمنا مما تقدم أن مهمة السياسى الدولى ستكون فى المستقبل غيرها فى الماضى. فقد تغيرت العلاقات بين السفراء والوزراء عما كانت عليه . كانت العادة فيما مضى أن يعطى السفير تعليمات مكتوبة تتضمن الحالة العامة فى أوروبا وملخص

سياسة حكومته والاغراض التى ترمى اليها ولم يكن في وسع السفير أن يحيد عنها في زمن لم تكن المواصلات بينه و بين رئيسه ميسورة . لذلك كان يضطر عند مفاجأة الحوادث أن يبذل مافي مقدوره من قوة ودهاء .

ولكن التليفون والتلغراف قد يسرا المواصلات وسهلا المخابرة بين الوزير والسفير و بدت رغبة الوزير في العمل بنفسه مباشرة ولكن هذه الطريقة لاتخلو من خطر فى الحوادث المستعجلة ، إن الغرض من وجودوسطاء لايستطيعون الفصل فى الامور بأنفسهم بين الحكومات هو اكتساب الوقت لاحكام الروية والامعان في التفكير . على أنه مهما تكن رغبة الوزير فى تناول الاعمال الدولية بنفسه لا يستطيع النظر فى جميعها وعليه لابد له من رقيب هنالك ينقل اليه دقائق وتفصيلات الحوادث . لذلك نحسب أن مهمة السياسى الدولى لم تنته . غير أنه مطالب اليوم أن يعنى بالحالة الحاضرة وما تنطوى عليه من أغراض .

وليس معنى هذا الغاء سياسة قديمة وايجاد سياسة جديدة. أن جوهر السياسة باق وانما يتغير منها الظاهر . وسيكون لكلمات الفضلاء من السفراء أثرها فى الحوادث . قال تيير . لاتوجد مسائل خطيرة ومسائل غير خطيرة . لا يوجد سوى مسائل. إن التاجر الصغير يحتاج فى تجارته الى مايحتاج اليه المفاوض من الدقة والمعرفة.

وقال لوردجري أن حرب سنة ١٩١٤ أحدثت هوة سحيقة بين عهدين للسياسة الدولية . إن الذين عاشوا وعملوا قبل سنة ١٩١٤ يجدون اليوم أنفسهم أمام حوادث وشؤون جديدة يلتبس عليهم فهمها. لقد انتقل جانب من ادارة الاعمال الى الشباب وستنتقل اليهم كلها وهؤلاء اقدر منا على فهمها . لايجب ان نعتقد انا لما نعرف من شئون الماضي احد منهم نظرا الى المستقبل . وكل مانستطيع عمله هو ان نقدم اليهم خبرتنا وآراءنا لعلهم يفيدون منها شيئاً .

ان الذى يتقدم بالانسانية اليوم هو روح الديمقراطية لاتدابير السياسيين وخططهم فعليها ان تعرف الى اين تسير .

لقد أدت الهيئات السياسية للانسانية اجل الخدم . أما النظم التى أسست فى جنيف ولاهاى فمن شأنها أن تحملنا على تمجيد ذكرى الذين دعوها وأقاموا أسسها

أسماء

قصة واقعية منتزعة من الحياة الاجتماعية

فى منتصف الساعة الثامنة كل صباح سوى أيام الجمعة. يرى أصحاب الحوانيت وغلمان القهاوى في شارع ..... فتاة متقنة الهندام رشيقة القوام. تسير رزينة بخطى متئدة فى هنة جدية. تحمل بضع كراريس وكتاباً كأنها تقصد الى مدرسة الا أنها فيما يرى الناظر قد تجاوزت سن الطالبة. وكان يرى جميع هؤلاء مضافاً اليهم تلك الفتاة، شاباً متأنقا يحمل كتاباً لا أظن القارىء يعنى بما فيه ولا أظن حامله كان يعنى به لان نظره لم يكن منصرفاً الا الى تلك الفتاة.

تكرر هذا اللقاء الصامت الذى يلوح كأنه عن ميعاد مضروب، فالتفتت اليه الانظار، وكان طبيعياً أن تشتبك أنظار المتلاقين. وما أبوا أن ينال بعد ذلك ستعجالا للحوادث واقتصاداً فى روايتها.

نظرة فابتسامة فسلام، فكلام فوعد فلقاء.

ولكنى أرجو الى القارى أن يسمح فأقف به قليلا فى منتصف الطريق. جاءت النظرة عفواً والابتسامة سماحة والسلام كرماً أو أدباً لا بأس به. أما الكلام فلا بد للوصول اليه من تفكير وعزم وإقدام. لذلك وقف الفتى أمام هذه المحطة من مرحلة غرامه، موقف الحائر. أيستوقفها فى الطريق فيحادثها. لا. هذا لا يليق بآدابه عدا خوفه من أنظار الناس. وهي! من يدرى كيف تقابل هذه الجرأة. لا. لا. أيرسل اليها من يعرض عليها الامر. من وكيف؟ أيتعقبها في السير أو يرصد عودتها فيعرف منزلها. أخذ يعذب نفسه بهذه الوساوس الى أن انتهى الى العزم أن يكتب اليها وأن يتبعها الى حيث تخف الانظار عن مراقبته فيعطيها الرسالة. وعلى هذا العزم كتب فعلا يقسم لها بشرفه وانه أنه يحبها وأنه باسم هذا الحب يرجو اليها أن تقابله ولو بضع دقائق. وأنه سيكون صباح يوم الجمعة في حديقة الاسماك فى انتظار سعادته أو القضاء عليها. الامضاء رشيد

لم يكن من السهل على صاحبتنا أسماء (ان لم تكن تعلم أنها تدعى أسماء

فليكن في علمك ذلك .) أن تلبي رجاء رشيد أو تثق بما جاء في رسالته التى لم تشعر الا وهى ملقاة بين دفاترها وكتابها . فلم تجسر على الالتفات الى من ألقاها كأنها خشيت أنظار الرقباء أو كأنها كانت تعلم ملقيها على أنها لو التفتت لما رأت أحداً لأن الذى ألقاها كان أسرع الى الانزواء من أن تأخذه الانظار . هل تذهب الى الحديقة ؟ ولماذا لاتذهب ؟ ولماذا لاتقابل رشيد ؟ أليست بحكم صناعتها (وأرجو الى القارىء أن يعلم أنها مدرسة) تحادث الرجال ؟ أليس لها من علمها الادبي مايدعوها الى الثقة بنفسها . ولكن من يدرى كيف ينظر رشيد الى سرعة تلبيتها رجاءه . أيظنها طواعة تلبي كل نداء أو يقدر أنها لم تخرج في ذلك عن حدود الآداب واللياقة .

قضت ليلتها مترددة بين الحياء الملازم للعادات والتقاليد. أو اطاعة الحب ملازم الحياة الجديدة الذى فتحت النهضة الجديدة السبيل أمامه .

مالاح صباح يوم الجمعة حتى نهض صاحبنا رشيد . وحلق لحيته وهذب شاربه وارتدى أجمل مالديه من ثياب وتأبط عصا وكتاباً وانطلق الى حديقة الاسماك وكأنه النحلة تسرع الى الزهرة اليانعة . أسرع فطاف جوانبها وتفقد أقبيتها لما لم يجد أحداً أخذ يخطو الهوينا يستروح النسيم ويقف أمام كل مقصورة ليتأمل مافيها من السمك وكلها جميل فى نظره، كلها رشيق كلها محبوب . مضت الساعة التاسعة. فأعاد الكرة متجولا باحثاً متطلعاً الى كل داخل . رابه غيابها ولاح امامه شبح الشك ولكنه بقي يدافع ما يتسرب الى نفسه وما يلوح أمامه بقوة ايمانه بالحب . انتصفت الساعة العاشرة فتجسم الشك ولكنه بدل ان ييأس لزم مدخل الحديقة وشخصت عيناه الى الداخلين. وفى هذا الوقت المتوطن على الجمود كان فكره في شغل شاغل : هل سخرت من رسالتى ؟ لا، إن صفاء وجهها وصدق نظراتها ادعى الى الرجاء . انها آتية . آتية بلامحالة لتأت ولتقل ماتشاء ..

دقت الساعة العاشرة واحس رشيد بخفوق فؤاده خفوقاً شديدا بشره الحظ والامل بأن اورد على ذكرته قول الشاعر .

ماالقلب الا داره دقت له فيها البشائر

ماهي الا نظر يتداوله حتى هتفت اجزاء نفسه كل يبشر الآخر هاهى ! هاهى ! جاءت أسماء وجاءت وحدها . كنسمة السحر او نجمة الفجر وطلعة الصباح فدب الامل المرجو . جاءت في أبهى ماتزدان به الفتاة ، وجه كله طلاقة ووسامة وجسم كله رقة ورشاقة ونفس كلها وقار وثقة .

أسرع رشيد اليها فى شيء كثير من الورع كأنه مؤمن يتقدم للعبادة . مد اليها يده باسما متواضعاً ولكنها تقدمته . سارت وهو يتبعها الى قمة تلك الربوة العالية، ثم استوت هناك على مقعد كأنها الآلهة . دنا منها يقدم اليها قلبه قربانا ، جرى بينهما حديث العاشقين الذى يعرفه ويعرف مافيه من طرب وسرور ولذة ، كل من حادث حبيباً ؛ غير أن حديث صاحبينا امتاز عن سواه بأثره فى نفسيهما ذلك انه لم يثر فيهما تلك الشهوة الجنسية المتنكرة وراء كلمات الحب الخيالى او ما يدعونه الهوى العذرى . بل كان اثره الاحترام ونوع من التقديس لاتدرى ما سببه حتى كأنهما جاءا للاتفاق على التنسك والعبادة لا لحياة الحب وشهواته . أذلك الكتب التى كانا يحملانها او صناعة التعليم وما تقتضيه من التزام الجد والحشمة أم هو شيء آخر ، لذلك كان اقصى مافاه به رشيد قوله « ثقى أنى أمامك عابد واسمحى لى أن أدعوك معبودتى »

تكررت المقابلة وتكرر اليقين . وتقدمت الدعوة الى الحياة المشتركة وما ينتظران من سعادة كأنهما وجدا فى ذلك الحب القدسى لذة تستحق ان تقضى فيها الحياة . ادركت الوالدتان على ابنيهما هذا التغير وعرفتا سببه ، فلم تمض ايام حتى صحب رشيد والدته لزيارة اسماء فى منزلها

علمت والدة رشيد ان والد اسماء يدعى الحاج حسنين وانه من تجار طنطا وكان يزور القاهرة مرة اواثنتين كل اسبوع ، وعلمت والدة اسماء ان والد رشيد تاجر فى الحمزاوى . سرت الوالدتان لهذا التعارف وارتاحت كل منهما لعروس ولدها . واتفقتا على محادثة زوجيهما فى موضوع الزواج .

ما رأت أم رشيد زوجها حتى أبلغته الخبر قائلة : لقد زرتها وحادثتها وهى فتاة جميلة مهذبة « بنت حلال » عاقلة . ولم تخف عليه ما بين ابنها والفتاة

من الحب . و بالطبع كل ماعرفته عن أسماء و والدتها و والدها ومنزلها . وبينما كانت تتوقع في ختام حديثها كلمة الرضى من زوجها رأته قد تقطب جبينه وأعلن عـدم رضاه عن ذلك الزواج فى غلظة وعنف .

حارت الزوجة وأرادت معرفة السبب فلم تظفر من زوجها بغير قوله . لا . لايمكن . لم يحن وقت زواج ابنـك بعد . سأبحث له عن زوجـة غنية . ألحت الزوجة في اقناعه وألح فى الرفض فلم تر خيراً من الانتظار .

ومن الغريب أو مما لاغرابة فيه ، أن لقيت أم أسماء من زوجها هذا الاعراض والنفور ، وكان الجواب واحداً. أريد لابنتنا زوجاً غنياً ، وفهمت الزوجتـان أن سبب النفور هو حب زوجيهما للمال وخوفه من نفقـات العرس فكانت هـذه تقول سأعطى ابنتي جميـع حلاى • وتقول تلك سأبيع فدانين أزوج بهما ابنى وأفرح به . ولـكن هـذه التصريحات أو التسميمات لم تصـل بهما الى الغاية . اشتمل المنزلان على القلق وأدرك العاشقان حقيقة الحال فلم يطيقا صبراً . ازدادت أواصر الالفة بينهما ارتباطاً واشتدت رغبتهما فى ان يسكنا مع بعض فعمـداً الى التفـكير في طريقة يحققان بها سعادتهما وأحست الوالدتان بذلك فما هى الا أيام حتى دار بين والدة رشيد وزوجها الحديث الآتى .

أم رشيد — ان نتيجة اصرارك على منع ابنى من حبيبته أنه سيتزوج بها بعيداً عنا .

الزوج — لايمكن .

أم رشيد — بل ممكن جداً وأحسبه قريباً جداً .

سخر منها الزوج وقال متهكماً . قريب جداً ! قلت لايمكن . وكفى .

أم رشيد — وأنا أقول لك . انى لاأستطيع حرمان نفسى من الفرح بابنى وها أنا ذاهبة لحضور عقد كتابه .

نظر اليها الزوج غاضباً — تحضرين عقد كتابه . أبلغ الامر إلى هذا الحد؟

أم رشيد — وانتهى الامر فقد أبلغنى رشيد أنه استأجر شـقة من مـنزل وفرشها واتفق مع الفتاة ووالدتها ، ودعا المأذون الشرعى وسيعقد عليها الليـلة .

انتفض الزوج — هذا غير صحيح . أعرف أن والدها لم يقبل هذا الزواج

أم رشيد — ماذا يهم رضى أو لم يرض . كفى أن العروسين راضيان .

الزوج — الليلة . بدون علمي و بدون حضورى . قلت هذا لايكون. هذا لايكون . حذار . حذار أن يقع ذلك .

كان فى صوت الزوج هزة خوف عميقة ، فكان رنينه في أذنيها رنين توسل الا أنها هزت كتفيها وقالت ساخرة — اذا كنت تريد ألا يقع هـذا فهيا معى نحضر عقد الكتاب . أؤكد لك أنك ستسر برؤية العروسين ، وتفرح وتدعو لهما بالزواج السعيد . ماأجملها وما أوفر أدبها . انتظرنى حتى ألبس ونذهب معاً .

ثم انثنت أم رشيد الى غرفةهندامها . و بقى الزوج جامداً لايترددفىخاطره سوى شيء واحد . لايمكن . لايمكن . عادت أم رشيد وقد لبست ثياب الزيارة وتهيأت للذهاب . رأت زوجها جامداً فى مكانه فقالت مازحة « شاورت عقلك» « الله يهديك » هيا بنـا .

قال الزوج ، وكأنه لم يسمع كلمات زوجته — وهل يعقدون الكتاب إذالم تذهبى؟

أم رشيد — لقد انقلب رشيد فما هو ذلك الابن الطائع اللطيف الهادىء لقد جاءنى فى هيئة المتعنت المستبد ، وقال بعنف لم أعرفه فيـه . اسمعى ياوالدتى . لقد انتهى الامر سأعقدكتابى على الآنسة أسماءالليلة . فاذا حضرت كان سرورى عظيماً . حاولت بعد أن عرفت منزله الجديد أن أكلمه أو أمسك به ولكنه أفلت من يدى وطاركالعصفور قائلا . الليلة الساعة الثامنة ستكون أسماء زوجتى .

تململ الرجل كمن يحس ألماً داخلياً يحاول الا يبدو على وجهه ثم غالب نفسه وقال. ابقى أنت وسأذهب أنا .

أم رشيد — انه ليس ابنك وحدك . انى ذاهبة لامحالة .

الزوج — ابقى . ابقى أنت .

عصيت أم رشيد وأبت سماع كلمات زوجها فانطلقت مسرعة ولم يسمع الحاج حسنين سوى الجرى وراءها . وهو يردد فى نفسه . لايمكن . لايمكن . لقد اتفقت معه والدته اللعينة . هذا انتقام مؤلم .

مادقت الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة ..... حتى كانت أسماء ووالدتها

ورشيد في المنزل الجديد . والى جانب رشيد اثنان من خير أصدقائه . وقدحضر المأذون وقدمت القهوة وتلاها شراب الورد وفتح الشيخ دفتره .

فيهذه اللحظة دخلت السيدة أم رشيد مسرعة . وهي تقول . رشيد. رشيد انتظر . لقد رضي والدك وجاء معي. فهتفت أسماء بصوت خافت • آه ليت والدى أيضاً يحضر معه .

انتفض رشيد سروراً وأسرع الى والدته يقبلها في غير وعى — والدتى . والدتى .. ! أين أبي ! أين أبي !

ماظهر الحاج حسنين عند مدخل الغرفة حتى أسرع اليه رشيد وأسماء وكلاهما يصيح . والدى ! والدى !

بهتت السيدتان ونظرت كل منهما الى الاخرى نظرة استغراب واستفهام يمازجها شيء غير قليل من نظرة الضرة الى الضرة ثم حولتا أنظارهما الى الحاج حسنين .

ولما هدأت سورة المفاجأة قالت أم رشيد لزوجها . هل أنت والد أسماء ؟ وقالت ضرتها . هل أنت والد رشيد ؟

لا أريد أن أثقل على نفس القارىء في هذا الموقف بالافاضة في بيان ما كان يجول بنفس ذاك الزوج الذى عاش بين الضرتين يكذب على كل منهما بأنه يعيش لها وحدها . وقد رأى نتيجة ذلك الكتمان التى كادت توقعه في نكبة لاتشرف والداً .

ان نظرة واحدة الى ذلك الرجل تكفي لتعرف ثورة نفسه التى رقرقت الدمع فى عينه ثم أجرت منها دمعة لاتدرى أدمعة الندم والاضطراب؟ أم دمعة الالم والخزى .

أسرع رشيد الى أخته أسماء واجماً يتردد الفزع فى نفسه من هول ما كان مقدما عليه . ضم أخته الى صدره وهو يقول . ستبقين ياأسماء معبودة أخيك . فأجابته أسماء فى لجاجة الموتور الحانق . على أن تقسم لى بشرفك الآتخون زوجتك بمثل هذا النفاق .

البعد الرابع

THE FOURTH DIMENSION

أأرقب فيك (الله) والنعمة الكبرى
وهل منك أستوحى الملاحة و (الشعرا)؟
لئن كان ماحجبت كوناً مصرداً (١)
من الناس أجساماً ، فهل تخذل الفكرا ؟
وإن كان لايدريك قوم حياتهم
ممات فهل وافاك من فاتهم حرا ؟
أليس لأرباب (الفنون) ألوهة
وفى كونك المستور تستودع السرا ؟
وما كنت مخشى العرام (٢) كعالم
نعيش به طحناً ونتركه ذعراً
وهوب (٣) لمن ناجاك ، بالوحى مسعداً
فليس الذى ناجاك من يشتكي الفقرا
إذا اندمج الفنان فيك تمثلت
له نعمة (الدنيا) كما بانت (الأخرى)
فيسمع أنغاماً ويبصر جنة
وحسناً وسحراً لم يكن أبداً سحراً
وما الموت الا نقلة لانهاية
ومبدأ عمر فيك قد دام وافترا
شعاع وأمواج يقصر حسبنا
بعالمنا عن أن يشق لها سترا
إلى أن نعلى (للسبرمان) بالحجى
فتعشق أرواح لنا فيك مستذرى

(١) مصردا : ممنوعا مقطوعا . (٢) العرام : الشراسة والاذى . (٣) وهوب : كثير الهبة

واليست تناصى (١) الشمس بل قد تفوتها
دوامج (٢) تغزو الكون أجمعه طرا
مصاليت (٣) أبطال نجوب بلا ونى
بكون سلام لا ينام به ضر
لنا غزوات (للسعادة) دائما
كما قد عرفنا البعث والخالد الدهرا!

*
* *

وقلت لمن قد عير (الشعر) حاسبا
به الوهم مسطورا وغفلتنا الكبرى!
« وهمت فليس الشعر في صدق روحه
سوى صلة بالكون لاهبة صغرى
وكل خيال فيه حس محقق
لدى الشاعر الفنان يبذله نشرا
يترجمه لكن يفوت أجله
فما لغة الدنيا سوى لغة الاسرى
وما اتسعت للوصف عن غير مابها
وللشرح عما قد سما نيرا قدرا
وما الشعر الا مجمع الفن كله
فكان لسان الخلد لا الناشر الكفرا
فإن شئت عش عيش الجسوم مضللا
أسيرا، تظن الاسر للمادة الخيرا
ولا تلق تثريبا على الشعر بينا
يقود نفوسا فى ظلام الاسى حيرى! »

الاسكندرية فى ١٤ مايو سنة ١٩٢٨ أبو شادى

---

(١) تناصى الشمس: تبلغ ناصيتها أى مستوى رفعتها (٢) دوامج: متغلغلة من دمج بمعنى دخل فى الشيء واستحكم فيه (٣) مصاليت: جمع مصلات وهو الجاد الماضى فى أموره

تأملات فى الأدب والحياة

يحاول أحد أساتذة الجامعة المصرية وهو أستاذ اللغة العربية والآداب . أن يقول ، بل هو يعتقد بأن القرآن ليس بكتاب منزل ، وانه من وضع محمد بن عبدالله بز به العرب بلاغة تعبير وقوة بيان وحسن سبك وفصاحة أسلوب ، فغلبت عليهم فكرة أنه معجز وصحت لديهم من هذه الطريق نبوته ، فكان واضع الدين الاسلامى الذى لا يكمل الاسلام من غير أنه يذكر اسمه بجانب اسم الله فيقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

يعتقد الشيخ طه حسين هـذا الاعتقاد ويحاول أن يبلغ الى بث فكرته بمحاولات عديدة منها محاضراته التى يلقيها فى القرآن يورى فيها تورية ؛ ومنها أحاديثه الخاصة يبوح فيها بما يعتقد . غير أنه لايجرأ على أنه يجهر برأيه هذا بين الناس ويذيعه على رؤوس الاشهاد ، فيدور فى محاضراته تلك الدورات الغريبة و يلف تلك اللفات البعيدة التى لاتنتهى الى غاية ولا تصل الى قصد معين .

ولست أدرى لماذا لا يجاهر الاستاذ برأيه ؟ أظن أن السبب فى هذا قلة إيمانه بصحة مايرى وضعف عقيدته بصلاحية النظرية التى يعتقد بها . والا لكان من الواجب عليه أن يذيع رأيه بشجاعة و يدافع عنه بصلابة ، اذا كان تام الاعتقاد بصحته .

تقوم فى ناحية أخرى فكرة مشابهة لفكرة الاستاذ هي فكرة الشيخ على عبد الرازق فى أصول الحكم فى الاسلام . هو في الواقع يريد أن يقول ان حكومة الاسلام لم تقم على قواعد اجتماعية صحيحة وانها كانت حكومة مستبدة اجتمعت فيها السلطة الدينية والزمانية في شخص واحد . وان هذه القاعدة لا يصح أن تكون أساساً لقيام حكومة فيها من النظام الديمقراطى قسطاً يضمن صلاحية الحكم وقيام العدل بين الناس

يريد هذا فيلف ذلك اللف البعيد. ويدخل بنا في مناقشات شبيهة بالمناقشات التى دارت في مجمع افسوس وخلفيدنية ونيقية ويقذف بنا في بحث مسألة الحكم

فى الاسلام من ناحية التوكيل الآلهى لشخص محمد عليه السلام . ولماذا لا يقول بأن أصول الحكم فى الاسلام بائر وأن القاعدة الديمقراطية أصح منها ؟ السبب فى هذا أن الشجاعة فى ابداء الرأى تنقصه والايمان بصحة نظريته ناقص غير كامل

قال الاستاذ بيكر بعد بحث طويل في مدلول لفظة « الاسلام » ما يلى :

« وقد تستعمل لفظة « الاسلام » في النهاية لتدل على ذلك النظام العمرانى الذى يجمع في تضاعيفه بين الحكومة والدين . لان قيام مدنية ما ؛ على الرغم من كل الخلافات الموضعية، وعلى الرغم من قيام تلك الخلافات فى كثير من عصورها المتفرقة ، إنما يدل ظاهراً على أن فيها كثيراً من صفات التماسك والبقاء . اننا انما نبحث فى حقيقة التبعية للدين ، فنجد أن حكومة الاسلام ومدنيته عبارة عن وحدة تامة شاملة كاملة الأوصاف ،حتى أن أكثر الناس قد يضمون أمماً بلغت الفروق بين بعضها وبعض ، مبلغ الفروق الكائنة بين الآريين والساميين والزنوج تحت ذلك الاسم الجامع — « الاسلام »

هذه هى الحقيقة . الحقيقة أن الاسلام كان دينا وحكومة وأمة عظمى . والحقيقة أيضا أن هذه الحكومة كانت من أسباب الضعف الاولى فى الاسلام وفي مدنية الاسلام . ولماذا لا تقول بانك تفضل الحكومة الديمقراطية على هذه الحكومة ، ولا تلف اللف البعيد ، وتقيم من النظريات ما يقذف بنا فى ذلك التيه الجدلى الذى لا نصل فيه الى نهاية ؟

***

الخطأ الاكبر الذى وقعت فيه الاديان قولها بان الله منفصل عن المادة وانه ذات متحيزة منفصلة عن الماديات تدبر الاكوان والعناصر المادية بقوة ترسلها على الموجودات كما ترسل الكهرباء تياراتها على الالواح القابلة من التلغراف اللاسلكي . وكان هذا الخطأ سبباً فى أن يعجز أهل الدين عن مجاراة أهل العلم في تفسير المادة ، ومن في يعجز أهل العلم عن ادراك الله في تفسير النصوص المنزلة .

وكانت أكبر المشكلات التى وقع فيها أهل الاديان البحث في قدم المادة

قالوا بأن الله قديم مخالف للحوادث . آمنا بذلك وصدقنا . ولكن كيف نتكر على المادة قدمها . والعقل لا يسلم بخلق شيء من لا شيء أو فناء شيء الى لا شيء ؟ وكيف نوفق بين حدوث المادة وقدم الله ، اذا اعتقدنا بأن الله علة كاملة وأن العلة الكاملة لا يتخلف عنها معلولها بحال من الاحوال ؟

وعندى أن المتصوفين والباطنيين أصحاب القول بوحدة الوجود قد حلوا أكبر اشكال صادفه العقل البشرى خلال كل العصور . قالوا بأن الله هو المادة والمادة هى الله . أى أن فى المادة مبدأ مدبراً هو الله . وان عنصر النظام الذى تعثر عليه فى نواحى المادة هو الله . وأن القدم للمادة لا يترتب عليه الاعتقاد بحدوث الله . ولاقدم الله يترتب عليه حدوث المادة

المادة في الله والله فى المادة . هذا هو المبدأ الذى يخيل لى أنه صحيح . والذى يحل مشكلات أهل الدين وأهل العلم فى هذه المسألة الكبرى بل يكون معه الدليل على وجود الله ملموساً محسوساً لا يحتاج الى تلك الجدليات العقيمة التى لا تنتهى الى غاية ولا تقف عند نهاية . جدليات أقل ما كان فيها من الضرر انها أبعدت الانسانية عن الله، وأبعدت الله عن الانسانية، بقدر ما كان فيها من التعصب لفكرة القدم ومخالفة الحوادث .

* * *

دارت حول البهائية معركة حامية على صفحات «العصور» . وعلى الرغم من أن المعركة قد دارت حول تاريخ البهائية ونشأتها و بعض منازع يظهر بها أنصار هذا المذهب الجديد أو الدين الجديد أو الخرافة الجديدة أو ماشئت من الاسماء ، فان المناقشة قد أخذت تتطور من بحث تاريخى الى بحث فى اصل العقيدة البهائية ، وفي نشأتها وفى أنها دين منزل وفى أن الله حل في عبد البهاء وفى عباس افندى من بعده وانه يحل الآن في شوقى افندى خليفتهما الاخير ، كأن الله لا شغل له عند البهائيين الا أن يتقمص تلك الاجسام البشرية التى لا تخرج عن أنها ماء وطين، وان هذا المزيج سوى ذواتاً ندعوها البشر .

ولا جرم أن هذا الدين أجرأ الاديان على الافتراء . ففى الازمان القديمة

يختار الله بعض الشعوب دون بعض ، وميز بعضها على بعض برسالاته ، وخصها بعطفه . أما اليوم وعن طريق البهائية فانه يختار النوع البشري برمته . فكان اختياره لليهود في الازمان السالفة كان عبثاً تريد البهائية اليوم تقويمه

ولا يضرنا اليوم أن يضاف الى الاديان التي تنتشر بين سلالات البشر دينا جديدا ، ولا يضير الانسانية أن تزيد الخرافات الذائعة بينها خرافة جديدة ولكن الذي يضيرنا و يضير كل الآخذين بمبادىء الطريقة العقلية الحديثة أن يقف نفر من الناس ينادون بالشعوب هلموا الى الخلاص الاخروى من طريق البهائية فانها آخر ما أوحى به للناس . كأن الناس لم يكفهم أن ينال منهم الوحى ذلك المنال القاسي خلال كل العصور الغابرة، فأخذوا اليوم يحيكون من الخيال خرافة جديدة يسمونها البهائية

ولعمرك لئن كان الدين عبارة عن قوة مما فوق العقل ولا علاقة له بشيء مما في طبيعة الانسان سوى مشاعره وعواطفه وانفعالاته، فكيف بالبهائية تكون دينا وهي تتناول بابحاثها الاقتصاديات والعمرانيات ومشاكل الاجتماع الانساني ، بل ولا تتأخر عن أن توحي اليك بما تفعل في بناء القناطر والجسور ؟

لا شك في أن هذا الدين نسيج وحده في تاريخ الانسانية

***

يحاول فلاسفة الهند أن يخرجوا الانسان من الطبيعة بان يجردوا الروح من اغلال الجسم • فاذا اعتبرنا الروح قوة تحل في الاجسام الحية كان لا مندوحة لنا عن الاعتقاد بأنهم انما يحاولون في الحقيقة أن يقللوا جهد المستطاع من تأثير الجسم في الروح ، لا أن يجردوا الروح من الجسم تجريداً تاماً

الروح والجسم ، وما نقصد بالروح الا سر الحياة المودع في الاجسام الحية ، مثلهما كمثل المادة والقوة . فاذا استطعنا أن نبرهن على أن هنالك مادة يقوم وجودها بغير قوة ، أو ان قوة من المستطاع ان توجد في غير مادة ، أمكننا أن نبرهن على أن الروح قد توجد في غير جسم حي ، أو أن جسما حياً من المستطاع أن يوجد بلا روح • فالروح اذن يجب أن تحل في جسم أي في مادة

وماذا يكون من أمر الروح بعد أن تموت الاجسام ؟ ذاك سر لم ينض عنه الحجاب .

* * *

من الأكاذيب المتفق على أنها صحيحة أكذوبة أن الانسان ولد حراً .

أول ما فى هذه النظرية من بطلان أن الانسان لم يختر أن يوجد في هذه الحياة . فكيف به يكون حراً ؟ وكذلك هو يرتحل عن هذه الحياة غير راض عنها ولا عن الارتحال من بيئتها ؟ فكيف به يكون حراً ؟

ثم هو عند حد قول بشار

خلقت على ما فى غير مخير هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

فكيف به يكون حراً ؟

أفهم ان تكون الحرية معقولا نسبياً لا غير . أما الحرية المطلقه التى نشدها خياليو الزعماء في الثورات الكبرى، فهى أكبر الأكاذيب التي استغوت الجماعات منذ أبعد العصور .

فيلو بونس

شجرة الغار

اسطورة قديمة فيها ادب وعلم (١)

حدث فى عصر من العصور أن فيضاناً عظيما غشى الارض من جميع أطرافها . وكان السبب في هذا الفيضان أن شعباً من الشعوب الانسانية قد أغضب الآلهة ، فما كان من جوبيتر إلا أن يجعل المياه الكائنة في بطن الارض تفور من تنانيرها كما أرسل عليها من السماء حسباناً فتركها قاعا صفصفاً .

ولم يشأ جوبيتر أن تجف الارض قبل أن يموت كل من عليها من الاحياء . ولأجل أن يصل الى غرضه هذا حبس كل الرياح التى تهب على الارض ماعدا الرياح الجنوبية وهى التى كانت تسمى « رسل الامطار » فبعث جوبيتر «رسله» هذه لتعصف على الارض من كل جهاتها مرسلة عليها زعازع تجلب الامطار والدمار .

ولقد كانت الرياح الجنوبية في ذلك العصر من أفظع آلات التدمير والتخريب اذ كانت كلما تهب تفرغ من السحب مياهها فيتصبب مدراراً . وكان وجه ذلك الريح مغشى بقناع كقناع الليل ، ولحية تفيض بالمياه تنصب كأنها من أفواه القرب ، وأجنحته وأطرافه تقطر ماء . ولقد ساعدته في ذلك آلهة البحار والانهار ، ولم يمض زمان قصير حتى كانت الارض قد غابت عن الانظار تحت مد ذلك الموج العظيم ، وغرق بذلك كل الاشقياء الذين زهدت فى وجودهم الآلهة

أسف جوبيتر بعد ذلك إذ رأى الارض خاوية على عروشها ؛ فحبس الرياح الجنوبية فى سجونها الازلية ، وأطلق على الارض الرياح الاخرى . فهبت الرياح الشمالية المنعشة تعاونها الرياح الشرقية والغربية على الارض حتى جففتها وأحيت مواتها . وبعد أن صلحت الارض لان تعضد الحياة أرسل اليها شعوباً أخرى من رجال ونساء لتعمرها .

غير أن المياه بعد ماغمرت الارض زماناً طويلا قد غيرت من عناصرها

(١) جاء ذكر الطوفان فى كل الكتب المقدسة تقريباً . وهنا تجد أن هذه الاسطورة ترجع باصلها الى أساطير روما واليونان وربما تكون هذه الاسطورة قد نقلت بنصها اليهم من معتقدات الامم التى سبقتهم فى مدارج المدنية

فأخرجت حيوانات عجيبة الخلقة ؛ وكان من بينهم مسخ عظيم الجثة هائل المنظر كريه المخبر حتى انى لأعجز عن أن أضرب لك بقبحه مثلا يقر به من مخيلتك . وكان فوق ذلك كثير العناد ذا قسوة وشدة ؛ فارسل الرعب والفزع فى قلوب الناس الذين عاشوا بالقرب من مجاهله التى كان فيها ؛ حيث أقام بين الحراج الملتفة الاعشاب المترعة بالماء .

ولقد بلغ الفزع بالناس من هذا الحيوان حداً لم يجرأ معه أى انسان من أن يقرب ذلك المكان الذى كان يعيش فيه. وفي ذات يوم حضر الرامى « أبولون » و بيده أقواسه وسهامه اللامعة وقتله بعد موقعة شديدة . ففرح الناس وأخذهم المرح ؛ وأقاموا عيداً أولموا فيه الولائم لابولون . غير أن ابولون كان قد أخذه الزهو وملأته الخيلاء ؛ فلم يغادر هذه الارض حتى كان الكبر قد فعل بنفسه فعلا ذريعا

ولم يمض في سبيله غير بعيد حتى التقى بكوبيدوس حاملا قوسه وسهامه المسددة. وكوبيدوس هو إله الحب الصغير ؛ وكان يسمى في بعض الاحيان آله «القوس» واليك ما يظهرك على ما كان فى أقواس كوبيدوس من عجب عجاب .

كانت بعض أقواسه مدببة الاطراف مصوغة من الذهب الخالص . وكان الذى يسدد اليه سهما من هذه السهام فيصيبه ؛ يقع فى شراك الهيام والحب . وكان البعض الآخر مصبوبا فى صرفان تارز شديد ؛ فاذا أصاب أحدها ؛ غرس بذور العداء والبغضاء . وسترى الآن ماذا كان يعمل كوبيدوس بهذه السهام الغريبة .

فلما التقى أبولون بكوبيدوس وهو مسلح بهذه السهام ؛ أخذ كوبيدوس يسأله : ماذا تصنع بهذه السهام ؛ ودل عليه مكتبراً في غير تواضع ولا احترام . فأجابه أبولون — « ان هذه هى أسلحتى ، ولقد قتلت بها مسخا هائلا مخيفا . تقدم الى يا كوبيدوس وسلمنى هذا القوس الذى ليس لاحد من حق فى ان يحمله غيرى . »

كان كوبيدوس آلها صغيراً سريع الانفعال شديد التأثر ؛ فصاح أبولون

صيحة الغضب قائلا — « إن سهامك إن كانت تخترق كل الاشياء، فان سهامى في مستطاعها أن تجرحك جراحاً لابرء لك منها . »

واختفى كوبيدوس بسرعة البرق . وهو يفكر في طريقة تجعل ابولون يعرف أيهما أحد سهاماً وأهدى مرمى . وبعد قليل اهتدى الى مكان كانت تقطنه حورية جميلة ، وتظل تطوف بارجائه ليلا ونهاراً . وهنا اهتدى كوبيدوس إلى ضالته ، فسدد الى قلبها سهما من الصرفان ، فشعرت الفتاة أن قشعريرة ملأت جسمها ، ونظرت لترى السبب فيما حدث ، فرأت ثياب أبولون الذهبية تتدلى فى فرع شجرة باسقة . ورآه كوبيدوس ، وبحركه تحاكي حركة البرق سدد الى قلب أبولون سهماً من السهام الذهبية . واختفى فجأة مشبعاً فى نفسه نهمة الانتقام .

وفعل السهم الذهبى فعله من قلب أبولون ، فانه لم يكد ذلك الآله الكبير يرى « دفنى » تلك الحورية الحسناء ، حتى وقع من شراك غرامها . أما «دفنى» فقد قابلت ذلك الحب المحرق ببغض شديد وكراهية ، ومضت تفر من وجهه كلما تبعها تطوف أنحاء الغابة المتسعة المترامية الاطراف .

وأخذ أبولون يتبعها أينما سارت مهيبا بها أن لاتخاف ولا تجزع ، وقد أخذه عليها الوجل أن يصيبها من الاشواك والغصون الملتفة مايؤلمها .

« لا توجلى ولا تفرى منى . انى أحبك ولست بمنزل بك ضراً . انى الآله ابن الشمس . أنا أبولون » .

غير ان دفنى لم تزد مع سماع هذه الكلمات الاوجلا ، وأسرعت فى الاختفاء عن نظره ، بينما كان ابولون يتبعها أينما سارت

وكاد أبولون أن يلحق بها ، فمدت ذراعيها مستنجدة بأبيها آله ذاك النهر الذى كانت تعيش دفنى على ضفافه . « يا أبى أنقذنى . أنقذنى فشق الارض واجعلها تبتلعنى ، أو بدلنى من صورتى هذه صورة أخرى يبغضها أبولون »

ولم تكد دفنى تنتهى من ابتهالها حتى ثقلت أطرافها وأخذت بشرتها تكتسى بمادة أشبه باللحاء . وبدأ شعرها يستحيل الى أوراق أشجار ، وسواعدها الى أغصان ،

أسطورة شجرة الغار



أبولو ودفني

وأقدامها التى كانت تحملها هرباً من أبولون الى جذور غاصت فى الارض ، فقد أجاب أبوها ابنها الماء ، ومسخها فكانت شجرة الغار

ولما رأى أبولون أن دفنى محبوبته الجميلة قد استحالت شجرة بكي . وأخذ يرمى جذعها بسهامه قائلا :

« أما وقد استحال على أن تكونى لى زوجاً ، فلا أقل من أن تكونى شجرتى وأن تكون أغصانك تاجاً تتوج به رؤوس الغزاة والفاتحين ، وأن تظل مخضرة يانعة صيفاً وشتاء »

وكان ما شاء ابولون . فاصبحت شجرة الغار منذ ذلك اليوم رمز الشرف والانتصار . فاذا سمعت بعد اليوم أن رأساً توج باغصان الغار ، فارجع بذاكرتك الى ابولون ودفنى ، وأرسل تحية الى ذكرى الحب يقابله البغض ، والى ذكرى الانتصار ، تقابلة الذلة والانكسار .

تمثال النهضة

الاحتفال بازاحة الستار عنه فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٨

مهما قيل في تمثال نهضة مصر ، ومهما كان من أمر اختلاف الاحزاب على تحديد معنى النهضة ، بان التمثال قطعة فريدة من الفن الناطق بعظمة الفكرة التى تقوم في نفس الشعب المصرى وتطلعه إلى أن يتبوأ مكاناً يليق بتاريخه الخالد بين شعوب الأرض . وليس لنا أن نزيد هنا من شيء على ماجاء فى خطبة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا . فقد ألم فيها بأسمى المعانى التى من أجلها تكونت الفكرة من إقامة التمثال . ونحن ننقل هنا هذه الخطبة بحروفها تسجيلا لذكرى ذلك اليوم المشهود :

خطبة رئيس الوزارة

ياصاحب الجلالة .

إن في تفضلكم يامولاى بتشريف هذه الحفلة لمعنى سامياً جليلا ، جدير بجلال شخصكم ومجد بلادكم ، فانه لتوفيق من الله تعالى ونعمة منه على مصر وشعبها أن يكشف النقاب عن تمثال نهضتها أول ملك دستورى رقى عرشها وأرفع صانع من صناع مجدها ، وأن تحتفل الأمة المصرية على اختلاف طبقاتها حكومة وبرلماناً وشعباً بتخليد نهضتها فى تمثال أصبح منذ اليوم مثلا حياً مجيداً ، يوحى وحى النهضة الى المصريين مهما تعددت طوائفهم ، وتعاقبت أجيالهم .

مولاى .

لم يكن بد للمثال المصرى ، وقد أراد أن يرمز بفنه الى مصر الخالدة من أن يجمع فى فكرته بين العصور متعددة ، والازمنة متعاقبة ، ليمثل أمة ولد التاريخ في أحضان مجدها ، وما كان التمثال في مظهره الفنى ، ومعناه الوطنى إلا صلة تجمع بين أدوار التاريخ المصرى ، غابره وحاضره وقابله ممثلا من الماضى مجده ومن الحاضر جده ، ومن المستقبل أمله ، ومصوراً مصر الفتاة وهي تهم بأبى الهول لينهض بها وتنهض به ملقية ببصرها الى قديم صولتها ، مترسمة ذكرى العلا فى

وثبتها، ولا عجب ، فان كان لامة من غابرها ما يبرر حاضر نهضتها، فهذه الامة هي مصر.

مولاى

ان نهضة مصر لا تقرأ فى صفحة واحدة من كتاب الدهر ، بل هى كتاب صفحاته السنون والاجيال ، فقد نهضت مصر والدهر لا يزال فى طفولة عمره ، وانبثق فجرها والتاريخ لا يزال حائراً بين ليله وفجره ، فكانت منذ القدم مهد المدنية ، ومنبع الحكمة البشرية ، وظلت تتابع مجدها مع تتابع الأحقاب حتى أصبحت سيدة يهاب العالم سلطانها ، ومعلمة يستمنحها عرفانها . ثم انتشرت الحضارة والحكمة منها الى اليونان فروما فدولة العرب الزاهرة فاوروبا ، وهاهى مصر الحديثة تسترد بعض ما أضاعت وتستفيد كما أفادت ، مثبتة أن تلك الحيوية العجيبة التى ظلت نامية ألوفا من السنين لا تزال كامنة فى نفوسنا ، وان المجد القديم الذى لم تقو يد الحادثات على محو آثاره لا يزال رابضاً في مطامحنا ، متحفزاً فى جهودنا .

ولقد أتاح الله لمصر الحديثة عظيما من عظماء التاريخ فى شخص ساكن الجنان مؤسس العائلة العلوية الكريمة محمد على الكبير ، فنفث من روحه في روحها ، وتعهد بعبقريته عبقريتها ، حتى أصبحت مصر الحديثة مدينة له بكيانها ورفاهيتها. وتلاه أسلافكم الكرام مترسمين آثاره في التجديد والاصلاح ، وفى مقدمتهم والد جلالتكم ساكن الجنان اسماعيل باشا خديو مصر ، الذى كان له أكبر الفضل فى نشر التمدين الحديث وما استتبعه من أفكار ونظم حديثة ، فصدق على مصر قوله المأثور « ان بلادى لم تعد جزءا من أفريقيا بل هى قطعة من أوروبا » لقد سارت الامة من ذلك العهد في سبيل التطور والرقى الى أن لاحت بشائر عهدكم السعيد ، فخطوتم بأمتكم خطوات واسعة فى سبيل الحرية والدستور ، وما تطمح اليه من رقى أدبى ومادى معا ، مما جعل عهدكم عهد حرية وعدالة ونهوض .

مولاى

بعد أن وضعت الحرب أوزارها . وأدركت الشعوب أن أعلى وأسمى

ماتطاحنت من أجله هو استقرار العدالة في مقرها ؛ نهضت مصر نهضتها الرائعة فهبت تطلب الحرية والاستقلال لابنائها ؛ والهناءة والرفاه لنزلائها ؛ مطالبة بالدخول فى حظيرة الامم على قاعدة المساواة والود معلنة كلمتها سلاما لاخصاماً ؛ معتضدة بتلك الحقيقة الخالدة وهي أنه مامن أمة تشقى لنفسها وتسعد لنفسها ؛ بل هي جزء من كل يشقى بشقوتها ويهنأ بهنائها .

ومن أول يوم أهاب بالامة المغفور له سعد باشا زغلول داعي النهضة وحامل لوائها وهو يقرر تلك الحقائق الخالدة بما أوتي من قوة الحجة وبلاغة التعبير ؛ حتى لاحت فكرة النهضة متلألئة باهرة ؛ وظهرت الامة نفسها موفقة مظفرة ؛ تعيش في تاريخ عظمتها ؛ رافعة تمثال نهضتها ، متفيئة ظلال ماليكها .

ولم يكن عجباً أن اقترنت النهضة السياسية بنهوض فى جميع الحياة المصرية فما كانت الحرية — وهي روح من عند الله — لتقبل تجزئة أو تحتمل أغلالا في أى ميدان من ميادين نشاطها ، ولقد تزاحم المصريون فعلا رجالا ونساء ؛ حول مورد الحرية العذب وانتهلوا منه كفايتهم ؛ فتحررت عقولهم وميولهم وكبرت مطامحهم ، مما كان له أثر بليغ في كل مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية ؛ والعلمية والفنية . فبلغت مصر الناهضة في سنوات معدودات مالم تبلغه فى عشرات من السنين .

ولم يكن لينقص تلك النهضة الفيحاء الا فنان من أبنائها يخلد بفنه مايوحيه اليه شعوره من جمال النهضة وروائها . فكان المثال محمود مختار خريج مدرسة الفنون الجميلة العليا بباريس هو ذلك المصرى الذى وفق إلى تخليد النهضة بوحى فنه ، فأبرز الفكرة تمثالا ، وألبسها جمالا وجلالا .

وما كادت فكرة مختار تبرز في صورة مادية هى النموذج الذى وضعه فى باريس فى سنة ١٩٢٠ حتى عرض النموذج المذكور فى معرض الفنانين الفرنسيين لحاز الاعجاب وأجازته عليه لجنة المحكمين فى المعرض المذكور .

وعلى أثر ذلك تألفت لجنة برياسة المغفور له حسين رشدي باشا وعضوية حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة .

الاستاذ ويصا واصف ، واصف غالى باشا ، محمد محمود خليل بك ، الدكتور حافظ عفيفى بك ، الدكتور فؤاد سلطان ، عبد القوى أحمد افندى ، المرحوم أمين الرافعى بك .

ودعت تلك اللجنة الى اكتتاب عام لاقامة التمثال فى أحدميادين العاصمة فكان إقبال المصريين عليه مظهراً للشعور الوطنى والاهتمام الذى أثاره هذا المشروع فى جميع الطبقات . ثم سعت اللجنة لدى الحكومة المصرية فقررت منذ سنة ١٩٢١ إقامة التمثال فى ميدان باب الحديد ومنحته الحكومات متعاقبة والبرلمان ، الاعتمادات اللازمة لاتمامه .

ولقد وقع اختيار المثال بالاتفاق مع اللجنة على حجر الجرانيت المستخرج من اسوان لنحت التمثال عليه ، فكان أول مثال نحت من الجرانيت من عهد الفراعنة الى الآن ، إذ أن صلابة ذلك الحجر حملت الفنانين منذالعصر الرومانى على أن يعدلوا عنه الى غيره من المواد المرنة. وبالرغم من ذلك فقد كان المصريون لاينحتون تماثيلهم الكبيرة الا من ذلك الحجر مما دل على استعداد يكاد يكون معجزاً في فن النحت وأدواته .

والتمثال منحوت من حجر الجرانيت ذى اللون الوردى ومقام على قاعدة من الجرانيت الاسود ، وبعد اعداد هذه الاحجار الضخمة فى اسوان نقلت الى القاهرة فى شهر يونية سنة ١٩٢٢ وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ انتهت عملية نقل الكتل الكبيرة منها بطريق النيل ، وقد بلغت زنة الكتلة الواحدة منها خمسة وأربعين طناً .

وفي صيف سنة ١٩٢٧ تم الاتفاق بين وزارة الاشغال والمثال مختار على إتمام الاثر وتسليمه في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ ، الا أن الجهد الذى بذله المثال أمكنه من البر بتعهده قبل الميعاد المحدد بنحو ستة شهور ، وهاهو اليوم فى مظهره الرائع الجميل دليل ناطق على نهوض الفن المصرى وعلى عظمة النهضة المصرية وتعدد نواحيها .

مولاى .

ان أمتكم الأمينة قد أقامت نهضتها على أركان وعمد من الاخلاص والعزم

وستبقى تلك النهضة المقدسة بعون الله وفضل رعايتكم موجدة الارادة فى الامة أفرادا وجماعات ! طوائف وديانات مبيدة لاصول الفرقة والشتات وانا لنتعهد أنفسنا بتذكر ماسهل الله لنا من صعاب وذلل من عقبات ، شاكرين له تعالى نعمة هذا اليوم الذى أقيم فيه تمثال النهضة علماً على الحق الغالب ، ومثلاللشعب الناهض ، ورمزاً للحرية والاستقلال .

كلأكم الله يامولاى بعنايته ، وأبقاكم للامة ذخراً وللنهضة فخراً ، وأقر عينكم بولى عهدكم وأيد الامة في ظلكم .

وصف الحفلة

منذ الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الاحد حشدت قوات الجيش والبوليس المنتدبة للمحافظة على النظام فى ميدان محطة العاصمة أثناء الاحتفال بازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر موزعة فى جوانب هذا الميدان وعند مفترق الطرق المؤدية اليها وعلى طول الطريق المؤدى الى قصر عابدين .

ومنذ هذه الساعة أيضاً صارت حركة قطارات الترام الآتية من العتبة الخضراء عن طريق شارع كاوت بك إلى السبتية وشبرا و روض الفرج معطلة وكذلك حركة ترام مصر الجديدة من محطة كبرى الليمون الى قلب القاهرة .

و وقف بأبواب السرادق الكبير الاربعة بعض ضباط البوليس. و وقف بالباب الاول المواجه لقسم الازبكية فريق من رجال الحرس الملكي لاستقبال صاحب الجلالة الملك .

وأشرف على النظام سعادة اللواء رسل باشا حكمدار العاصمة. وهو ممتط جوادا و واضعاً فوق رأسه قبعة طاف بها أنحاء السرادق ماشياً فاستاء الكثيرون من وجود حكمدار بوليس مصر متقبعاً في حفلة مصرية يحضرها جلالة ملك مصر ووزراؤه وأعضاء البرلمان. وأبدى بعض كبار المدعوين هذه الملاحظة لموظف كبير فى وزارة الداخلية. وكأنه لفت نظر الحكمدار الى ذلك، فغاب عن الاعين وقتاً عاد بعده متطربشاً .

وقبل حضور صاحب الجلالة الملك طاف صاحب السعادة محمود باشا فهمى

القيسى مدير الامن العام ومعه أصاحب العزة اسماعيل شيرين بك وكيل محافظة العاصمة بأنحاء السرادق .

ولم يحضر الحفلة أحد من أصحاب السمو الامراء ولا من أصحاب المجد النبيل ، وكذلك لم يحضرها أحد من أصحاب الدولة رؤساء الوزارات السابقة . وحضر من الوزراء السابقين أصحاب السعادة توفيق دوس باشا ومحمود عزمى باشا وتوفيق رفعت باشا ؛ وأبى الدعوة ستة من العلماء .

وفى الساعة الخامسة والثلث حضر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا فوقف الجميع لدولته إجلالا واحتراما وقد صافح الكثيرين من كبار المدعوين وفى مقدمتهم وزراء الدول المفوضون؛ وعقيلاتهم .

وفي الساعة الخامسة والدقيقة الـ ٢٥ حضر صاحب الفخامة اللورد لويد ؛ وفى معيته الكابتن فلوريد ياوره الخاص؛ فصافح دولة الرئيس وأصحاب المعالى الوزراء مصافحة ودية؛ ثم حيا المدعوين وصافح باليد فضيلة الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية سابقا .

وفي الساعة السادسة والدقيقة الـ٣٥ سمع تصفيق حاد فى خارج السرادق فكان ذلك إيذانا بقدوم صاحب الجلالة الملك . ونزل جلالته من سيارته أمام المقعد الذهبى الكبير المعد لجلالته. وقد صافح جلالته أصحاب الدولة والمعالى الوزراء والاستاذ رئيس مجلس النواب هاشاً باشاً ثم جلس وحوله جميع كبار موظفى القصر وعلى رأسهم دولة نسيم باشا وجميع رجال ديوان كبير الامناء وعلى رأسهم معالى سعيد ذى الفقار باشا ومعهم صاحب السعادة محمود شوقى باشا سكرتير جلالته الخاص .

واعتلى صاحب الدولة رئيس الوزراء منصة الخطابة التى أقيمت فى الجهة اليسرى على بعد مترين من المقعد الملكي. وما كاد دولته يعتلى منصة الخطابة حتى تفضل جلالة الملك بالاعتدال في جلسته واتجه اليه بكليته ،وساد السكون التام إذ أنصت المدعوون باسماعهم الى دولته،حيث ألقى خطبته بصوت قوى ؛ ولسان عربى فصيح

ولما ذكر دولته اسم الفقيد الكريم المغفور له سعد زغلول باشا محيي النهضة المصرية وزعيمها، سرت بين الجميع لواعج الحزن والأسى على فقده قبل هذا اليوم ؛ يوم تخليد ذكرى النهضة ، بتمثال النهضة ؛ ولما انتهى دولته من خطبته التاريخية الوطنية دوى السرادق بالتصفيق الحاد وتفضل جلالة الملك فصافح دولته مرة ثانية وشكره

وتقدم بعد ذلك الى منصة أخرى على بعد ثلاثة أمتار أمام المقعد الملكي الاستاذ علي افندي الجارم وألقى قصيدة صاحب العزة احمد شوقي بك

وبعدئذ تقدم صاحب المعالى ابراهيم فهمي بك وزير الاشغال بين يدى جلالة الملك وتلقى من جلالته أمراً بازاحة الستار عن التمثال. فأعطيت الاشارة بذلك إلى رجال مطافىء الحريق الذين تولوا ازاحة الستار بشد الحبال وقد علا التصفيق الحاد فى داخل السرادق وخارجه عند ظهور التمثال

وتفضل جلالة الملك فامر باستدعاء الاستاذ محمود مختار . وكان جالساً بين مندوبى الصحف. وقد قدمه صاحب المعالى على الشمسى باشا وزير المعارف الى جلالته . فصافح الاستاذ مختاراً وقال له : « أهنئك يا أستاذ مختار »

وانصرف على أثره صاحب الدولة رئيس الوزراء فى سيارة مفتوحة فاستقبلته بالهتاف العالى والتصفيق الحاد الجماهير الغفيرة المزدحمة فى خارج السرادق . وقد حيت هذه الجماهير وزراء الشعب ورئيس مجلس النواب تحية صادقة مخلصة

وانصرف المدعوون وبذلك انتهى الاحتفال الرسمى وتدفق سيل الجماهير على السرادق لمشاهدة التمثال، وكان الاستاذ مختار واقفاً عنده مع بعض أصدقائه فهتف الشعب بحياته

وقد استغرق العمل فى ازاحة الستار بضع دقائق والسبب في ذلك يرجع الى أن المحل التجارى الذى عهدت وزارة الاشغال أمر اسدال ستار حريرى على شكل مربع حول التمثال اذا ماشد شريطه ظهر التمثال. لم يحسن المهمة التى عهدت اليه فضلا عن تأخره فى أدائها وقد اعتذر بعدم وجود عماله في يوم الاحد

وعلى الرغم من كل هذا كله فقد كان الاحتفال بالغاً منتهى الرونق والبهاء

بين الصحف والمجلات

---

١ — مجلة الحديث — حلب سوريا — من مقال بعنوان الفلسفة ودراستها للدكتور منصور فهمي معيد دروس الفلسفة فى الجامعة المصرية :

الظاهر أننا لانزال ننظر فى الفلسفة تلك النظرة التى تبعدنا عن حقيقتها بعداً تاماً . فقد ننظر فيها على اعتبار أنها من الامور الجدلية الصرفة التى تنزع بنا دائما الى عالم من الغيبيات والسلب . وقد ننظر فيها كأنها مسائل عملية صرفة تبعد عن الفلسفة بقدر ما يبعد العلم عن الفنون نقول هذا بعد أن قرأنا لمنصور افندى فهمى كلاماً فى الفلسفة أخرج به مفهوم الفلسفة عن التأمل وهو مدارها وسنادتها ، وأدخله في منطقة العلوم الاختبارية الصرفة . ولم يقم على حقيقة منزعه من دليل ، بل ولم يشرح ماذهب اليه شرحاً يظهر حقيقة ما يفهم من الفلسفة . واليك ماقال :

« الفلسفة يجب أن تدرس من غير تفريط في الجهة العلمية التطبيقية ، وفي استطاعة الفلاسفة أن يكون لهم مختبراتهم ومعاملهم Laboratories ان للعلماء مختبرات ومعامل. تجد هذه المختبرات في مستشفيات الامراض العقلية وفي كثير من التجارب على الانسان ، وهو فى شؤون عيشه العادى من حبه و بغضه وانتقامه وحزنه الى آخر ذلك من الحالات النفسية . »

« و يستطيع الفيلسوف — كما يستطيع الدكتور بالطبع — أن يجد لعمله مختبراً ذا خطر في مظاهر الفنون الجميلة المختلفة من موسيقى وتصوير ونحت الى غير ذلك وفي كل ماحدثنا عن الجمال . ولقد رأيت انى لجأت الى الموسيقى عند دراسة الفيلسوف نيتشة وفاجنر ومن فهمهما لمعنى الفن الجميل ما بررت به الحانه وبعض التوقيعات الموسيقية فى بعض الدروس . ويمكن لمدرس الفلسفة أن يجد فرصاً كثيرة لربطة دراسته بمظاهر الفنون المختلفة . وعندى أن هذا المحاولة التى أحاولها من توثيق التضامن بين الموضوعات الفلسفية والمظاهر الفنية لهى من أبرك المحاولات وأنفع

التجارب التى تمكن للفلسفة مكانها اللائق فى نفوس الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة من جمالها ويصلوا بين هذا الشعور وبين فهم الامور ، وما لفهم لحقيقة من عظمة وقوة . »

*

* *

وكيف لا يكون للدكتور منصور فهمى مذهب فى الفلسفة يسميه تواضعاً وانكساراً محاولة ، مادام للدكتور طه حسين فى الادب مذهب ديكارتى ؟ ولماذا لا يكون لمنصور فى الفلسفة ما لطه فى الادب ؟ هل ما كتب منصور فى تاريخ محمد يقل عما كتب طه في بن خلدون ، وكلاهما نال ببحثه الدكتوراه ؟ ألم يتفقا فى « الدكترة » ؟ فلماذا ينفرد أحدهما بأنه صاحب مذهب، ويبقى الآخر غفل من « المذهبية » ؟

ولماذا يخطىء طه حسين فى مذهبه الادبى فيعتمد على ديكارت وينقل مذهبة ممسوخا فيأخذ بظاهره دون لبه ؛ ويماشى شك ديكارث من غير أن يعير أحكامه الوقتية التى أسماها « أحكاما وقتية لضبط النفس » أقل اهتمام ، ولا يخطىء الدكتور منصور فهمى فى نقل مذهب برجسون الذى ينشره من بين جدران السوربون فيقول بان من الواجب أن يكون للفلسفة معامل ومختبرات يبحث الجمال فيها في أنابيب وتحت عدسة الميكرسكوب ؛ ويحلل فيها الفن بشتى الاحماض الكيماوية ؟ أليس كلاهما دكتور ؟ فلماذا يخطىء أحدهما ولا يخطىء الآخر ؟

ولماذا تظل الفلسفة كما كانت وكما ستكون راجعة الى قوة التأمل فى الانسان، ولا يرجعها الدكتور الكبير لقوة التجربة والاختبار ؟ لماذا ؟ وأى مانع يمنع هذا وأى حدث ينال كفايات العقل الانسانى اذا اختلط فيه التأمل بالتجربة ليخرج من المزيج فلسفة يقول فيها منصور فهمى إنها محاولة « من أبرك المحاولات »

يالله ! ! كيف يكون لكثير من الجامعات مذاهب فلسفية يقصر الغرض منها على هداية النوع البشرى ولا يكون لجامعتنا المصرية مذهب يقصد به هداية جميع الاحياء ؛ من الاميبا الى الشمبنزى والانسان ؟ ألم يقل الاستاذ إن محاولته

في الفلسفة من « أبرك المحاولات وأنفع التجارب التي تمكن للفلسفة مكانها اللائق من نفوس (الاحياء) الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ؟

تأمل أيها الباحث قليلا في الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ! ألا تشمل كلمة الاحياء ، في عرف العلماء الذين يحاول الدكتور أن يتشبه بهم في فلسفته ، كل ما اتصف ببضعة صفات أولية تكون في مجموعها الحياة ؟ اذن ففلسفة الدكتور الحديثة يصح أن يقصد بها هداية الاميبا الحية في حياتها الدنيا كما يصح أن تكون نبراساً يهتدي به النوع البشري .

الحمد لله ! ! لقد أصبح لجامعتنا مذهباً فلسفياً جديداً ، نفاخر به برجسون في السوربون وديوى في جامعات امريكا . مذهب يرشد كل الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة !

على انى أريد أن اسائل الدكتور الكبير هل هنالك أحياء يريدون أن يشعروا بالحياة وأحياء لايريدون أن يشعروا بها ؟ فلياتنا بمثال زادنا الله من فضله فضلا ، ومن علمه علماً ، ومن محاولاته محاولة جديدة تعيد عماء الفلسفة الى نظام ، وتغير مجرى العقول والافهام

على انى ياسيدى الاستاذ قرأت لغيرك من أساتذه الفلسفة مذهباً لا مرية في أن مذهبك أو محاولتك سوف تبزها وتقضى عليها قوة حجة ومتانة أسلوب . ولكن هل تسمح لى ياسيدى أن أسرد لك شيئا مما يفهم استاذ من كبار أساتذة العصر الحاضر الذين كتبوا في معنى الفلسفة وتحديد مراميها ، ولا يزال قوله الى الآن عمدة ـ غيرك بطبيعة الحال ـ من أساتذة جامعات أوربا ، الذين لم يصلهم نبأ محاولتك حتى الآن ؟

الاستاذ الذى أنقل اليك عنه هذا الكلام يدعى « جون تيودور مرتز » كتب تاريخا في « الفكر الاوروبى » — وحاول — أن يحدد معنى الفلسفة فقال

«يقال إن العلم ذا صفات ثلاث . تام ، ايجابى ، موضوعى . وأن الفرق بينه وبين صور الفكر الاخرى ان هذه غير تامة ، مبهمة ، ذاتية .

Subjective ان العلم يؤدى للعقل نواتجه أو فكراته فى اصطلاحات محدودة بالتعريف ، رمزى فى قوامه ، غير مباشر المعنى والتعبير . ان العلم ليسلم بأن ليس له من دعامة الا دعامة المعرفة على أن تكون بينة جلية تامة الوضع . لهذا تجده معانداً فى طبيعته لنواحى الفكر المرتكزة على الآراء والاعتقاد والايمان . ولا يغيب عنا أن هذه المصطلحات أما أن تشير الى الاسلوب الذى ينتحى فى البحث . وأما أن تشير الى موضوع البحث ذاته . أما العلم فيعترف بأن له أسلوباً ثابتاً لا يحتمل الجدل ولا يسع التورط فى المسائل الخلافية النظرية . وأما بقية فروع الفكر ، فأما أن تستعير أساليبها من الأساوب العلمى . وأما أن تطبق أساليب متغايرة لم يجمع عليها الاجماع كله ؛ أو تأبى الخضوع لأسلوب ما على وجه عام . »

« اذا بلغنا هذا المبلغ أمكننا أن نقول بأن وضع حد للتفريق بين موضوعات بحثنا أصبح مستطاعاً . فالعلم يتناول كل الاشياء أو الموضوعات التى تطرأ على أذهان السواد الاعظم من الناس أو تمس مصالحهم ، وهى موضوعات قد يبلغ الى الاحاطة بها كثير من الناس . ولهذا يفخر العلم بأن مشاهداته واستنتاجاته خاضعة دائما للتحقيق والبحث آناً بعد آن . لذلك تجد أن شطراً عظيما من المشاهدات والاستنتاجات العلمية قد تؤخذ فى أكثر الاحيان على انها حقائق تامة أجمع على صحتها وثباتها ، فيمضى الذين لا يأنسون من أنفسهم القدرة على تمحيصها وبحثها ، أو الذين تقعد بهم الهمة دون فحص براهينها ، قانعين بأنها أشياء بدهية ثابتة لا مبدل لها . غير أن هنالك أشياء كثيرة تقوم فى عقل كل فرد من الافراد ؛ شخصية فى طبيعتها ، ذاتية فى مبعثها . ولهذه الاشياء فى أنفسنا من الشأن والخطر ما لغيرها من مطالب الحياة وحاجاتها . ان هذه الاشياء تكون المادة الحقيقية التى يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم ؛ وهي في جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم اليقيني . وفي هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون ، على نفس الطريقة التى تحتذى فى العلم . فالاخذ بالبرهان في ذلك الشطر مستحيل . والاجماع على شيء فيه لا يضم تحت

لو انه الا عدداً قليلا من الناس. فالاقوال والنظريات لا يمكن أن تؤخذ في هذا الشطر على أنها حقائق ضرورية لاتحتمل الجدل كما هي الحال في العلم ؛ بل ان كل شخص لابد من أن يجتاز فيها السبيل الذي اجتازه الذين تقدموه ، قبل أن يأنس من نفسه القدرة ؛ أو يجد لنفسه حقاً ؛ في قبول ما ألقي اليه أو الانتفاع بثمراته .

« ان الصفة الوحيدة التي تلازم ذلك الشطر من الفكر انه فردي ذاتي ؛ في حين أن العلم ؛ مهما كانت صبغته ؛ ومهما كان أصله ؛ عام موضوعي . فاذا تمثلت الفكر بشيء ذي طرفين متناظرين ألفيت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر ؛ وان الدين في الطرف الآخر . وانك لتجد أن الاتفاق في الطرف الاول صفة ملازمة ؛ كالاختلاف في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الاول . في حين أنك لن تقع لها على ظل في الطرف الثاني . انها لم تعرف في الدين ولن تعرف . وانك اذا أردت أن تعبر عن ذلك بالكلام الدارج لاستطعت أن تقول ان المعرفة والتحقيق لزام الطرف الاول وأن الايمان والاعتقاد لزام الطرف الثاني . على أنك فيما بين الطرفين تقع على مسافة كبيرة من الخلف تفصل بينهما . ان هذه المسافة ليغشاها من الفكر صور تصل بين الطرفين ؛ تبرز حينا في هيكل من المعرفة ؛ وآخر في مثال من الايمان ؛ فيختلط فيها قليل من الاشياء المحققة ؛ بكثير من الايمان والاعتقاد المبهم . تلك المسافة الكبيرة ، وهذه المفازة المترامية الاطراف ، والتي تتوارد عليهاصور التغاير والاختلاف سريعة متعاقبة ، هي سكن الفلسفة الحقيقي ، ومنبتها الاصلي . الفلسفة التي تتناول الحقائق ، ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ، ومنبع الاعتقاد واليقين . الفلسفة حلقة الوصل الواقعة بين الطرفين ، طرف العلم اليقيني ، وطرف الدين . »

« ولو كانت كل فكراتنا قائمة على الرياضة الصرفة ، راجعة الى العدد والقياس والتقدير الحسابي ، أو كانت دينية صرفة ، لاتنظر الا في مصالحنا الذاتية ومعتقداتنا الخاصة ، لما كان لنا من حاجة الى وسيط يقوم بعبء التفاهم بين الطرفين ويصل

بين المتناظرين ، ولما قام فى عقولنا خلاف بين الاشياء المحققة ، و بين المعتقد الذاتى . غير أننا لانلبث أن نعكف على القواعد الرياضية ، أو نعمل على ابراز معتقداتنا الى حيز العمل ، حتى تدركنا صورتا الفكر الاخرتين وتلزم الاحتكاك بمصالحنا ، فنشعر اذ ذاك بضرورة الكشف عن نظرية أو مذهب يمنع التصادم بين الاطراف المتباينة ، و يسير كل الاطراف في طريق يمتنع فيه احتكاك بعضها ببعض . على أن الظروف التى تنتج مثل هذا الاحتكاك اذ تختلف باختلاف حاجات الحياة العملية ومطالبها ، وتتباين بتقدم العلم العملى ، كان تغير تلك النظريات والمذاهب ومضيها ممعنة في التطور والتباين أمراً محتوما بحكم ذلك .»

* * *

هذا ما تعلمته من ذلك الاستاذ « مرتز » ولكن كيف تكون الفلسفة عبارة عن تأمل هو بمثابة حلقة وصل بين العلم والدين ؟ كلا . إنها مسائل تجريبية اختبارية مدارها المعامل التى يشرح فيها الجمال و يحلل الفن في الانابيب ؟ أليس كذلك ياسيدى الاستاذ ؟

لا شك في ان تيودور مرتز ومن تلقى عنهم مخرفون . ولاشبهة في أن كننجهام ور وسل .وديوى و برجسون افاكون مسترزقون ؟ والا فكيف يقولون بأن التأمل منبت الفلسفة ، و ينكرون معامل الفلسفة وتشريح الجمال وتحليل الفن كيماوياً وميكروسكوبياً ؟

قيل بأن مدينة من المدن جن أهلها جنوناً أدى بهم الى الاعتقاد بأن شرب الماء مفسد للصحة مبيد للحياة . فسأل الملك أحد وزرائه ، ولم تكن طيفة الجنون قد لحقت به بعد « أيهما الجنون ؟ مخالفة الناس والرجوع الى الحق او التمشى معهم في الباطل » فقال له أيها الملك «الحقيقة ان الشرب ضرورى للحياة . ولكن من ذا يستطيع أن يقول للناس أنتم في جنون » ؟

وحاشا لله أن يكون مثلنا مع الاستاذ كمثل الملك مع مدينتة . بل نرغب من كل جوارحنا أن يكون مثلنا كمثل المدينة التى جنت مع ملكها العاقل ، على شرط أن يقيم لنا الدليل على صحة دعواه

٢ — السيسة الاسبوعية (١) تحت عنوان « تقرير من اكاديمية العلوم » بين عنوانين مهمين هما مقل « من أعمال المرأة في الغرب » و « خاطره في الضمير الانسانى » نرى عدد ١٩ مايو قد رصع بهذا العنوان « العلمي الفنى » واقسم لك بأنه لولا انى قرأت تقرير الاكاديمية هذ في جميع الجرائد بين مختلف الاعلانات وعلى أبواب البارات لظننت أن البيرة الوطنية ضرورية للحياة كيف لا وقد ضنت الاسبوعية حتى بتذييل « دقالها العلمى » برقم الاعلان ولم تضعها بين اطار مثل « أول مصنع للنظارات فى الشرق »

اعرف أن اغفال التنبيه على أن المقالة العلمية المذكورة ليست غير اعلان عن ماء شعير يخمر بين نعال قديمة في براميل يعود على السياسة بمال اكثر مما لو وضعت المقالة بصورة تبين انها اعلان. ولكن هل سمعة مجلة محترمة تساوى عند محرريها اثنين شلن زيادة ؟

(٣) السياسة الاسبوعيه: تحت عوان رجال التاريخ المصرى الحديث

حقيقة ابدع الذى حرر تاريخ محمد على أى ابداع وكان بحثه وافياً . وبالطبع لا يمنع هذا من الفاتنا لنظره الى قوله « (ان محمد على تمكن) من أن ينشىء في أربع سنوات أسطولا حربيا وآخر تجارياً يضارع أكبر أساطيل الدول العظمى » وذلك فى نفس المقال الذى يقول فيه « بخلو مصر من المعادن والصناع ... وأصبح فى مصر ... عشرون الف عامل (فقط) » وعن قوله فى مكان آخر ان الاسطول المصرى بعد « أن رأى ضعف الاسطول العثمانى وتخاذله عند كل موقعة اضطر للالتجاء الى جزيرة كريد و بقى فيها مدة حتى أصلح أحواله » فكيف يمكن التوفيق بين ما سبق خصوصا وان الذى كان يتعقب الاسطولين المصرى والعثمانى هو الاسطول اليونانى ؟ !

وقال حضرة الكاتب فى مكان آخر « يأخذ بعض المؤرخين محمد على بأن تجارة الرقيق فى عصره كانت مباحة. وقد قلنا إن الحكم على حوادث ماضية بعقلية الزمن الحاضر لايتفق مع الانصاف فى شيء على ان محمد على كان شاعراً

بأن هذه التجارة ليست من المسائل الانسانية. وأكبر دليل على ذلك الخطاب الذى بعث به الى حاكم للسودان يقول فيه ليكن معلوما لك أن نظام الرقيق يحط من قدرى في نظر الحكومة الانجليزية التى بين حكومتى و بينها علاقات ودية وانى لا أريد أن أكسب من تجارة لا تشرفنى، واذا كان الغاؤها يتطلب بعض تضحيات فأنا مستعد لتحملها » وأظن أنه سهى عن بال الكاتب الفاضل ذكر الحقيقة وهى أن الدافع على استنكار محمد على لتجارة الرقيق ليس له من سبب آخر الا رغبته فى عدم حط الحكومة الانجليزية من قدره. فهو يريد أن تبقى العلاقات الودية بينه و بين الحكومة الانجليزية ولا يكون هذا الا على أساس تثبيت فكرة انه لا يكسب من تجارة لاتشرفه في نظر الانجليز. وانى لا أكون قد نبهت حضرة الكاتب الى مالا يعلمه اذا قلت ان فكرة معارضة الاتجار بالرقيق لم تستسغها انجلترا ولا شمال اميريكا حبا فى الانسانية بل عند ما شعرت كل منهما بأنها ليست فى حاجة الى فن تربية الرقيق فالكل يعلم أن الحركة لتحرير العبيد كانت موجودة قبل العهد الذى عملت انجلترا فيه كحامية الانسانية ولم يشمئز منها الناس والسبب بسيط هو أن الثورة الصناعية كانت قد قللت من قيمة اليد العاملة فى الاوساط الصناعية وأصبح الطلب أقل من المعروض ولذلك، حينما لم تكن هناك فائدة من الاكثار من الرقيق ، تنبه الرأى البريطانى الى وجود مبدإ انسانى اسمه تحرير العبيد المضطهدين . فكيف يتوصل الى ذلك محمد على الذى كان تاجر مصر الوحيد وزارعها وصانعها ومع ملاحظة أن الصناعة المصرية كانت فى عهده في فجرها ولم يزد عدد الصناع عن عشرين الف كما تفضل حضرته بقوله وكانت مصر زراعية تحتاج الى الايدى العاملة وكان هذا فى الوقت الذى لم تغز فيه الاكتشافات بعدمساحة الزراعة وحينما كان الفلاح يجر للحرب

وانى أنبه حضرة الكاتب الفاضل الى حرب اميريكا الداخلية لتحرير العبيد وأذكره بأن المدافعين عن الحرية كانوا سكان المقاطعات الشمالية الصناعية بعكس الجنوبيين الزارعيين فانهم بذلوا جهداً عظيما في الدفاع عن نظام الرق لانه كان لازماً لهم بعكس الاولين .

فمحمد على لم يكن والحالة هذه مشبعاً بالروح الانسانية لسبب بسيط هو أن ظروفه لم تسمح له بالاستغناء عن الاسترقاق حتى كان يصغى لصوت الانسانية كما فعلت انجلترا بعد ان لم تجد من عملية توالدهم فائدة لها

ومن الغريب أن حضرة الكاتب الفاضل يحاول ايجاد المعاذير لمحمد على لوضعه نظام الاستئجار للفلاحين ومنعهم عن امتلاك الارض ويحذرنا أن نحكم على ذلك النظام متأثرين بما يحيط بنا اليوم من العوامل فهل نسى حضرته أن نظام محمد على هـذا قد اقتبسته حكومة انجلترا واتبعته في السودان ، فالاراضى هناك لا تزال ملك الدولة تؤجرها الى الشركات الانجليزية وهو المستحب أو للافراد وهو القاعدة، على أساس نظام العشور وان ما كان يفعله محمد على من الاتجار بمحاصيل الفلاح تفعله في الوقت الحاضر احدى الامم المتمدنة وليس بعيداً عنا بل فى في حدود أرضنا ؟

ففكرة الولاية كانت فكرة اقطاعية بمعنى أن مصر كانت ملكا لحاكم تركيا الذى كان لا يعترف ببرلمان ولا بمجلس وزراء فاذا كان قد أقطع ارضنا لاحد عماله نظير جزية معلومة فانما يكون قد صرح لاحد اتباعه باستثماره مزرعة مخصصة نظير ايجارة سنوية. فمحمد على كان يفعل ما تفعله انكلترا في القرن العشرين على أسس قانونية منطقية

أريد دفعة أخرى أن أكرر بأن مقال محمد على لهو مقال جيد متين نود لو تحفتنا السياسة الاسبوعية بمثله كثيراً ع . . . . .

ثمار الفكر الغربي

مراجعات وتلخيص عن أحدث المؤلفات الأوروبية

نهر الحياة

تلخيص عن جوليان هكسلي

غيرت الاكتشافات البيولوجية التي تمت خلال المائة سنة الاخيرة كثيرا من طرق تفهمنا للحياة الانسانية. ويكاد التغيير الحادث ينحصر فى أمرين : الوراثة ، والمسائل الجنسية . وهما موضوعان لم نعرهما التفاتاً كافياً فى الماضى بعكس الآن إذ بنا نهتم بهما اهتماما عظيما. فقد بدأ الناس يفهمون ان ازادة المعرفة لاشك ستوصلهم إلى مافيه سيادة مستقبلهم ومستقبل الجنس البشرى أيضا ، وذلك بالقياس على اختباراتهم السابقة ، فبعد ما كنا نستسلم الى القضاء والقدر ، صار همنا منحصرا في العمل لتغيير المتدر ليتطابق مع مافيه صالحنا .

ليس المقصود من هذا البحث الدخول فى موضوع معنى الحياة لان شرحه يطول . فانا أسلم بوجودها على أساس أنه ليس من المتعذر علينا التفريق بين الحى واللاحى حتى بين أصغر المخلوقات التى لا نراها الا من عدسة الميكروسكوب ذلك لان أهم مظاهر الحياة هو التوالد الذى يتجلى بصور متشابهة بالرغم من

١ — إن الحيوانات الدنيا تتوالد بالانقسام أى ينمو الواحد منها نموا كبيرا ثم ينقسم الى قسمين يصبح كل منهما وحدة قائمة بذاتها، وهكذا يجرى التوالد بالتتابع . ففى هذه الحالة يفقد الاب شخصيته (ويموت بطريقة ما ولو أن رمته لاترى) .

٢ — ومن الحيوانات من تتوالد بطريقة التبرعم budding (أو التزرير بالنتوء) إذ يحدث فيها نتوءات تتمدد ولا تلبث حتى تصير أصولا تتبرعم بدورها كالمرجان مثلا .

٣ — ثم توجد حيوانات تتوالد عن الطريق الجنسي الامر الذى يشاهد في النبات أيضا. وتكاد تختص الحيوانات العليا بهذه الطريقة . وما عليك الا مراقبة الدجاج والثعابين (والناس لتقتنع بذلك) ويتم التوالد الجنسي باجتماع وحدتين حيتين بعد انفصالها من أصليهما وهما لا أكثر من خليتين لاتختلفان عن بقية الخلايا التى تتكون منها الاجسام . فالخلية التى تنفصل عن الاب هي الحيوان المنوى Sperm والتى تنفصل عن الام هي البويضة Ovum وتختلف هاتان الخليتان عن بعضهما فى الشكل . فالحيوان المنوى مستطيل وحركته ايجابية بعكس البويضة فهى أكبر حجما واقتبالها سلبي . ولكن هذا لاينفى أن كليهما حى وكليهما خلية. انفصلتا عن الاصل . وكانتا برعتين فاندمجتا في بعضهما. فالتوالد يكون اذن عبارة عن نموجسم منفصل مستقل .

وكان القدماء يظنون إمكان نشوء الحى من اللاحى. ولذلك قالوا إن الدود يولد من الجبن. ولكن باستير أثبت أن تعقيم اللبن يزيل تفاعل البكتريا فيه. فهو يفسد وبمعنى آخر لاتتكون فيه جراثيم الا اذا هى نشأت عن حياة سابقة . هذا هو أساس علم الطفيليات bacteriology

من هذا نرى أن اهتمام علم الحياة ينحصر فى اثبات أن كل حى سواء كان حيوانا أو نباتا ليس أكثر من مجرى المادة حية يتسع في مجال ويضيق في آخر والاتساع دليل على مبلغ النمو والضيق رمز لعمليات التوالد وهكذا يمتد المجرى الى مالانهاية له .

والحيوان أو النبات دائم الامتصاص المادة اللاحية ، عن طريق الاكل والشرب والتنفس . فيقتصر عمله اذن في طبع مايمتصه بطابع نوعه . وبعد أن يأخذ ما يحتاج اليه يقذف فضلته مرة أخرى الى العالم اللاحى فهو فى عمله هذا كالطاحون التى تسخر المادة لصالحها أى لايجاد طواحين أخرى مماثلة لها .

يقول دارون في كتابه « أصل الانواع » ان نظرية التطور من ملازمات التوالد . فجميع أنواع الطيور التى نراها نشأت عن أنواع كانت موجودة في سابق العصور . وأن نوع الطير تطور عن حيوان كان أشبه بنصف طائر

ونصف زاحف". كذلك جميع الحشرات نشأت عن حشرة بدائية . فملايين مجارى الحياة التى لكل منها اسم مخصوص كلها تفرعت من مجرى واحد تفرع بدوره من غيره وهلم جرا. فاذا ما نزلنا نحو البداءة قليلا نجد أن الحيوانات الفقارية (التى لها هيكل عظمى) والحيوانات الرخوة تطابق القاعدة السابقة كما تطابقها الاسماك والطيور مثلا . ولكن مع امكاننا مشاهدة صلة الفرعين القريبين منا، ليس من الممكن الوصول الى أصل تفرع الفروع النائية الا بالقياس المنطقى فقط . ولذلك يصح لنا التمسك بنظرية أن الحياة الحيوانية . نشأت من خلية واحدة جعلها التطور متعددة الخلايا ثم اتخذ كل منها اتجاها وشكلا مخصوصين ونتج عن ذلك وجود الديدان والأنجم والحشرات وذوات الفقار . وذلك حدث عن طريق التوالد والتنوع المتلازمين . فالفقارية مثلا كانت مائية فاعتاد بعضها الحياة فوق اليابسة وبذلك كسب حرارة الدم، كما وأن التطور أنمى فى البعض ما نسميه العقل . فعند ما ينساب نهر الحياة من منبعه على مدى الزمان يتشعب وتتباعد شعابه عن بعضها . لننتقل الآن الى موضوع الوراثة . يشبه الاطفال بوجه عام آباءهم ولكن ليس معنى الشبه التطابق لان الطفل قد يشبه تارة عمه أو جده أكثر من والديه. وقد لا يشبه أحداً من أقربائه فيتكون له شكل مفرد . كذلك قد يتشابه الاشقاء والشقيقات فيطبعون بطابع العائلة ولكنهم لا يكونون أبداً صورة طبق الاصل لبعضهم البعض. اللهم الا فى حالات نادرة بين بعض التوائم . والمقصود من الشبه العائلى يمكن تفهمه بالملاحظة أكثر مما يفهم من الشرح فالاطفال ليسوا أكثر من قطع حية انفصلت عن أصولها . وليس السؤال هو ما السبب فى وجود التشابه لان هذا ما كان ينتظر بل يجب أن يكون السؤال ماهو السبب فى عدم التطابق .

إذا فرض أن الجبنة (الجريفيرا) كانت قابلة للنمو إذا انقسمت فالمنتظر أن تصبح القطع المقتطعة منها جبنة من نفس الصنف وليس من صنف آخر (حلوم أو استرالى مثلا) ولكن فى الحياة لا يتم النمو على هذه الصورة المفترضة . وقد أدلى القس النمساوى مندل بدواعى الاختلاف عند ما سبق غيره فى اكتشاف

قانون الوراثة الذى نسب اليه . وقد أشاد مئات من علماء الحياة نظرياتهم خلال الربع قرن الاخير على هذا القانون. وبذلك تجلت لنا حقيقة مارمت اليه نظرية مندل . وأنه لمن الصعب الدخول هنا في التفاصيل خصوصاً وأنه لم يتم شرح بعض نقط النظرية شرحاً وافياً . فوالحالة هذه أجد نفسي مجبراً على التكلم إجمالياً وعلى الذين يرغبون التعمق الرجوع الى المطولات . وقد أوصلنا درس قانون مندل الى أن المادة الحية يتوارثها الابن عن الاب عن طريق وحدات من الصعب رؤيتها حتى تحت عدسات المجهر القوية. ولكل من هذه الوحدات أثر في عملية الوراثة فينحصر عمل البعض مثلا في تكوين البويضة في حين يعمل غيرها في أشياء أخرى هي التى تفرق مابين نوع من المخلوقات ونوع آخر وتسمى هذه الوحدات عوامل الوراثة Genes ويجب ملاحظة أن كل عامل منها يختلف في تكوينه الكيماوى عن بقية العوامل مع أن لكل واحد منها قوة معينة .

عمر عنايت

توارث الكفايات

Studies in Hereditary Ability

منذ أن نشر العلامة الكبير شارلز روبرت داروين كتابه الخالد في أصل الانواع سنة ١٨٥٩ اتجهت العقول الى البحث فيما يمكن أن يقوم عليه النشوء من الدعائم الطبيعية . وكان البحث في الوراثة من أول البحوث التي اتجهت إليها عقول العلماء . وبعد أن استكشف العلامة مندل قوانينه المعروفة في الوراثة وبدأ البحث في هذا العلم يأخذ الصبغة العلمية الصرفة ويخضع للتجاريب والاختبارات نشط جماعة من العلماء الى بحث الكفايات العقيلة وهل هي موروثة أوغير موروثة عن عدد غير محدود من الاجيال ترجع بصفاتها تلك الى أصل أولى عنه تنسلت.

وفى سنة ١٨٧٢ نشر العلامة فرنسيس غالتون كتابه المعروف « النبوغ المتوارث » Hereditary Genius منتحياً في البحث نحواً علمياً صرفاً ، مثبتاً أن النبوغ يورث جيلا بعد جيل .وأثبت أن وراثة الكفايات العقلية قد تورث على نفس الصورة التي تأصلت في الاصل الذي عنه تورث الكفايات . فاذا كان النابغ

قاضياً مثلا غلب نبوغ التشريع والقضاء فى أعقابه . واذا كان قائداً غلب في أعقابه نبوغ القيادة وحب الجلاد والمنافسة . وهكذا في بقية الصفات التى تورث عن جد أصلى تنتقل منه الصفة الى الاجيال التى تتنسل عنه .

أما موضوع الكتاب الذى نحن بصدده اليوم وهو « توارث الكفايات » تأليف الاستاذ (جن) Gun فلا يخرج موضوعه عن كتاب العلامة غالتون الكبير . و بمقدار مايمكننى أن أتذكر من كتاب غالتون وقد قرأته منذ عشر سنين أستطيع أن أحكم بأن مستر (جن) يخالف غالتون فى بعض أحكام خاصة بتوارث الصفات الفنية من أجيال تناسلت عن فنان نابغ فى الاصل . واليك تلخيص مجمل من هذا الكتاب :

يقول مستر جن فى مقدمه كتابه ان مايتكون منه الفرد انما هو الصفات التى يرثها عن آبائه ، تلك الصفات التى له ترسم قسرا عنه خطة من الحياة فاما أن تؤدى الى النجاح أو الاخفاق ، على حسب الكفايات التى يرثها عن أسلافه . غير أن الاقوال التى يلجأ اليها مستر (جن) عندما يحاول أن يثبت نظريته هذه ، قد تظهر لنا بوضوح أن النظرية لا أساس لها من الصحة . ولا نقصد بالطبع نظرية الوراثة وتوارث الكفايات ولكن نظرية النجاح والاخفاق فى الحياة . فليس لدينا في الواقع أى أساس من البحث العلمى التجريبى يمكننا أن نعتمد عليه في الحكم على أى العناصر الطبيعية أو أى التراكيب كان له الأثر الاكبر في تكوين عبقرية شكسبير أو شيلى أو موزارت ، بما ينتج مثل ماأنتج هؤلاء من الآثار الخالدة التى بلغت حد الاعجاز . والحقيقة أننا لانستطيع أن ننكر أن باحثاً مهما أوتى من قوة الملاحظة والحكم على الاشياء مهما تمكن من دراسة زوج وزوجة أن يحكم على نوع النبوغ الذى سوف يظهر في أعقابهما . والواقع أن مستر (جن) قد أدرك هذه الحقيقة فقال فى ختام كتابه — « ان دراسة تواريخ الاسر قد أثبتت أن الفرق بين الانبغ والاقل نبوغا منه قلما يكون ضئيلا . وأنه كثيرا مايحدث أن يفوز الاقل نبوغاً بظروف قد يكون للحظ فيها نصيب — ويكثر أن يكون سببها قليل من النشاط وحب العمل فيتفوق على الانبغ ويحتل مكانه الذى كان من الواجب

أن يشغله في نظام الاسرة . وأن الواقع أن قلائل هم الذين يفوزون بأن يشغلوا من النبوغ مكانة عليا فى أية أسرة من الاسر » .

أما اتصاف بضعة أسر بقدر من الكفايات الطبيعية والعقلية يكون دائما في أفرادها تتفوق به على كثير من الأسر الأخرى ، فحقيقة لاريب فيها . بيد أن كثيرا من المشاهدات ومن أقوال الاقدمين تؤيد هذه الحقيقة تأييدا تاما . غير أنه من أصعب الصعاب إذا أردت أن تتأمل من المؤهلات الانسانية التى تؤدى الى النبوغ والتفوق فى الافراد الذين يكونون جماعات العصر الحاضر فى المدنية الحديثة وظروفهم التى تحيط بهم في الاجتماع ؛ أن تحكم فى تفوقهم حكما مقطوعا بصحته بحيث يكون بعيدا عن مؤثرات البيئة كالتربية والتعليم والعلاقات الشخصية والمحسوبية فى الاجتماع والسياسة ، وأن تجعل الحكم على الفرد ونبوغه ونجاحه فى الحياة واستعلائه على بقية الذين ينشئون معه نشأة واحدة بعيدا عن حكم هذه المؤثرات فى مجموعها .

على أنه لا يجوز لنا أن نحكم في نوابغ الفنانين حكما عاما كحكمنا على غيرهم من النوابغ . ويكفى أن نذكر أن مؤلف الكتاب قد حكم على أهل الفن حكما جديداً بعيداً عن الاحكام التى وضعها سابقوه فى بحث هذا الموضوع . فقال بأن « التفوق الفنى من الصعب أن يعلله الانسان بالوراثة عن أصل أولى تنسلت عنه أسرة ما » . بل يقول بأن هنالك « قاعدة عامة تثبت لنا أن الذين حازوا أكبر قسط من النبوغ الفنى كان لهم من الاعقاب النابغين عددا أقل مما يعقبه الرجال الذين اتصفوا بالنبوغ فى الاعمال العامة والآداب والعلوم . ويظهر أن الهبة الفنية لسبب من الاسباب ، ويصعب غالبا أن نعينه ، غالب ما تكون محصورة فى فرد من الافراد ، في حين أن الصفات الأخرى تكون موزعة على كثير من أفراد الاسرة الواحدة » .

والكتاب على وجه العموم خلو من المنفعة العلمية الصرفة غير أن فيه كثيرا من الابحاث التى تمهد للمبتدئين في بحث هذا الموضوع سبيل الدراسات العميقة فى وراثة النبوغ وفي الطرق العلمية التى يجب أن يكب عليها الباحثون

فى هذا الموضوع . ذلك لان كثرة مالجأ اليه المؤلف من النظريات قد يفقد الباحث العلمى كثيرا من الاسباب التى يجب أن يرتكز عليها ليكون أحكاما ثابتة أساسها البحث العلمى الصرف .

آدم سميث
كفيلسوف أخلاقى

Adam Smith and his moral Philosopy :—

تاليف الدكتور فون وولتز اكشتين :

أعاد الدكتور وولتزا كشتين الالمانى بابحاثه الحديثة وترجمته لكتاب العلامة الكبير آدم سميث ذكرى تلك الثورة الكبيرة التى أحدثتها كتابات سميث فى أوروبا فى الاقتصاد . فان آدم سميث قد عرف فى أوروبا وفى أنحاء العالم أجمع بأنه مؤلف كتاب ثروة الامم The Wealth of Nations ولم يعرف أبداً بأنه مؤلف ذلك الكتاب القيم «العواطف الادبية» أو «الميول الادبية» Moral Sentimen's

وهو كتاب أحدث فى عهد نشره ضجة كبرى فى دوائر الفلسفة وطبع عدة طبعات متوالية فى حياة مؤلفه

والحقيقة أن كتاب سميث الاقتصادى قد عرف في القارة الاوروبية أكثر مما عرف كتابه الفلسفى . على أنه كان يمجد الاخير أضعاف مايمجد الاول . وكان له في نظره من الاعتبار ما يجعل كتاب ثروة الامم فى المحل الثانى بعده . ولم يكن الامر على نقيض هذا فى انجلترا نفسها . فان كتابه الاخلاق قد طبع عدة طبعات خلال القرن التاسع عشر وطبع مرتين في خلال القرن العشرين . ولكن ظل سميث معروفاً فى انجلترا نفسها بأنه مؤلف كتاب ثروة الامم الذى يعتبر أساس علم الاقتصاد الحديث ، مع أن كثيرين من المشتغلين بالعلم يعرفون أن سميث كان أستاذ الفلسفة الادبية فى جامعة غلاسكو .

أما السبب فى أن كتاب الفلسفة الادبية ذاع انتشاره أولا ثم أغفل أمره الآن، فظاهر جلى . فان الفلسفة الادبية قد جرت خلال العصر الاخير فى سبل تخالف تلك السبل التى جرى فيها تيارها خلال زمن سميث ومن عاشره من

العلماء والفلاسفة . على أن هنالك سبباً آخر . فان كتاب سميث في الفلسفة الادبية كان آخر ماجاد به عقل سميث فى بحث أدبى كاد أن يبلغ منتهاه ، فى حين أن كتابه فى الاقتصاد كان جهد الرائد المبتكر .

غير أن الدكتور اكشتين يدفع عن كتاب سميث الفلسفى . ويقول بان هذا الكتاب على الرغم مما فيه من النقائص والاخطاء التى لاتنكر ، فان فيه من الجمال والفائدة مايضعه فى مصاف الكتب الادبية العليا في تاريخ الفكر الحديث . هذا فضلا عن أن الكتاب تحفة ادبية لمن يريدون أن يضعوا أبحاثا فى تاريخ الفكرة الأدبية وتطورها على مر العصور . فالكتاب فى ناحية من نواحيه ينظر الى الماضى نظرة يحاول من ناحيتها أن يصارع الآداب الميثولوجية التى ملكت ناصية الناس من طريق الدين ، ومثلها ذلك الفريق الذى سمى أفراده أنفسهم بالافلاطونيين فى كمبردج خاصة مضافاً الى ذلك فلسفة « الفردية » التى مثلها هيومسه ومند فيل فى انجلترا عامة . ورمى المؤلف فى ناحية أخرى من نواحى الكتاب الى المستقبل نظرة كلها استقلال فى الرأى وحرية فى النظر أدت الى وضع تلك القواعد التى اتخذها من بعد كانت Kant الفيلسوف الالمانى قاعدة من قواعد مذهبه الاخلاقى . ولقد أظهر الدكتور اكشتين أن « كانت » قد قرأ كتاب سميث الاخلاقى وانتفع به في وضع مذهبه وكان للكتاب عنده قيمة كبيرة . ويرى دكتور اكشتين فوق هذا نظرية سميث في « العواطف الادبية » انما يعتبر حلقة وصل بين نظريات الماضى البعيد وبين النظريات التى وضعها من بعده أمثال « كانت » الكبير واتخذت فيما بعد قاعدة لهذه النظريات الحديثة .

ولقد مضى الدكتور اكشتين بعد ذلك يقارن بين نظريات سميث الادبية وبالأحرى بين كتابه فى « العواطف الادبية » وبين كتاب ثروة الأمم ، وعلى الاخص في التناقض الواقع بين النظريات التى يتبعها في الكتابين فنى . كتابه الادبى يقول بان قاعدة الاخلاق الانسانية هى العواطف أو الميول مع ما يبنى على هذه النظرية من أن الانسان « غيرى » — Altruistic — عقلياً ونفسياً ،

في حين أن كتابه الاقتصادى يرمى الى أن الانسانى « انانى » بطبعه، أوعلى الاقل فى حياته الاقتصادية

يقول دكتور أكشتين إن التناقض الواقع بين نظريات سميث الادبية و بين مذهبه الاقتصادى ظاهرية فقط ، وأنه استنتجها من ابحاث بعض الكتاب الذين ترجموا عن حياته . و يذكر بعد هذا أن طول البحث والاكباب عليه قد أثبت له أن لاتناقض مطلقا بين مذهبي الفيلسوف فى الاخلاق والاقتصاد . لهذا ينكر على سميث أنه مؤسس مدرسة منشستر الاقتصادية و يقول بأنه لم يدافع الا عن العمال الذين مسهم الفقر وفعلت بهم الحاجة ، وأن القاعدة التى جرى عليها فى بحث العلاقة الواقعة بين الحلة الاقتصادية والحالة الاجتماعية تنحصر في قوله بأن الأمة لا يمكن أن تنال شيئا من السعادة فى الوقت الذى تكون فيه أغلبيتها العظمى غارقة فى الفقروالبؤس ، محوطة بأسباب الشقاء . ولهذا يقول فيه مسيو « جيد » الاشتراكي الفرنسوى أنه من أول المدافعين عن فكرة الاشتراكية . وكذلك يقول إن طبيعة العواطف ومعناها يمكن أن يفهم فهما مستقيما بالاكباب على بحث مذهب سميث فيها

و بعد أن حلل دكتور اكشتين مذهبه سميث في الأخلاق مثبتاً أن لاتناقض بين مذهبي الرجل في الأخلاق والاقتصاد ، تناول حياته فقال فيه أن سميث عاش عيشاً هادئاً بعيداً عن مفاسد الحياة وأضطراباتها

ولد فى سنة ١٧٢٣ بعد موت ابيه وكان محاميا ذا شهرة وصيت . وشغل بعض مناصب الدولة بصدق وأمانة . ونشأ في كركالدى مع والدته التى قطعت معه من عمرها واحداً وستين عاماً ، حيث ماتت فى سنة ١٧٨٤

وفى سنة ١٧٣٧ التحق آدم سميث جامعة غلاسكو حيث درس على الاستاذ ردبرت سمسون وكان يدرس الرياضيات ، ثم حضر من بعد ذلك على الاستاذ فرنسيس هتشسون وكان يدرس الفلسفة الادبية فأثر فى عقلية سميث أبلغ الاثر وفى سنة ١٧٤٠ ذهب الى كلية باليول باكسفورد . ولم يكد يستقر به المقام فى هذه الكلية حتي أدرك ما كان في جامعة اكسفورد من سوء الادارة والنظام

إذ ذاك ، وماغشى جوها من محسوبيات ومفاسد . ولـكنه على الرغم من ذلك استمر فيها ست سنوات متوالية . ثم رجع بعد ذلك — سنة ١٧٤٦ — عن حياة الجامعات ليدرس في بيته وليكب على الاستفادة مما انصرفت اليه ميوله من فروع المعرفة . وفى سنة ١٧٤٨ — ١٧٤٩ التى فى جامعة أدنبرج محاضرات فى تاريخ الأدب الانجليزى ، وتبع ذلك محاضرات في الاقتصاد السياسى . وفى سنة ١٧٥١ انتخبه مجمع الاساتذة فى جامعة غلاسكو ليكون استاذاً للمنطق ، ثم استاذا للفلسفة الأدبية في سنة ١٧٥٢ . وطبع كتابه « نظرية في العواطف الادبية » — أو الاخلاقية ، سنة ١٧٥٩ فذاع بعد نشره اسمه فى دوائر العلم والفلسفة ووضع حداً فاصلا بين عهد استدبره سميث وعهدا استقبله. ولقد كان لهذا الـكتاب من التأثير فى عقلية « شارلز توزند » ماحمله على ان يطلب من سميث أن يرافق ابن الدوق « بوكلوك » فى رحلة الى القارة الأوروبية. وقبل سميث أن يقوم بهذه المهمة ، بعد أن ضمن « توزند » أن يجرى عليه معاشاً طول حياته . لهذا ترك أستاذيته ، ورحل عن انجلترا فى بداءة سنة ١٧٦٤ مستصحباً تلميذه . ولم يعودا الى انجلترا الا بعد ثلاث سنوات ، قضيا أكثرها فى فرنسا حيث صادق الانسيكلوبيذيين والفزيوقراطيين وغيرهم من الأشخاص الذين اشتهروا بين جنبات العالم بالعلم والفلسفة . وبعد أن عاد الى انجلترا سنة ١٧٦٦ أقام فى كركالدى ليكتب مؤلفه « ثروة الامم » الذى طبع ونشر سنة ١٧٧٦ فنال به أوسع شهرة فى العالم كله

وتوفي في شهر يوليةسنة ١٧٩٠ بعد أن أتم مراجعة كتابه الاخلاق فى طبعته السادسة التى طبعت حال حياته والتى كان من نتائجها أن جددت الـكتاب تجديداً زاد من قيمته العلمية والتاريخية

فصول مصورة
في التاريخ الطبيعي

البنغوين

البنغوين طير يشابه الغطيس Grebe في وضع أرجله أذ تكون في مؤخر الجسم ، وفي انتصابه عند الوقوف على اليابسة . ويعيش هذا الطير في نصف الكرة الارضية الجنوبي ، ويختلف عن بقية أجناس الفصيلة في اعتبارات تشريحيه ذات بال تتناول تكوين الأجنحة والارساغ .

واليك تقسيم هذه الأسرة حسب الآراء الاخيرة المعول عليها في كتب التاريخ الطبيعي :

Family الأسرة

Penguins—Spheniscidae

البنغوين — واصطلاحا الأسفينيسيدا

Genus 1. الجنس الأول

Aptenodytes — الابتينوديت

Species — أنواعه

King penguin—Aptenodytes pennanti الابتينوديت بنانتي

Empror penguin— " foresteri فورستري »

Genus 2. الجنس الثاني

Pygoscelis البيوغوسيلس

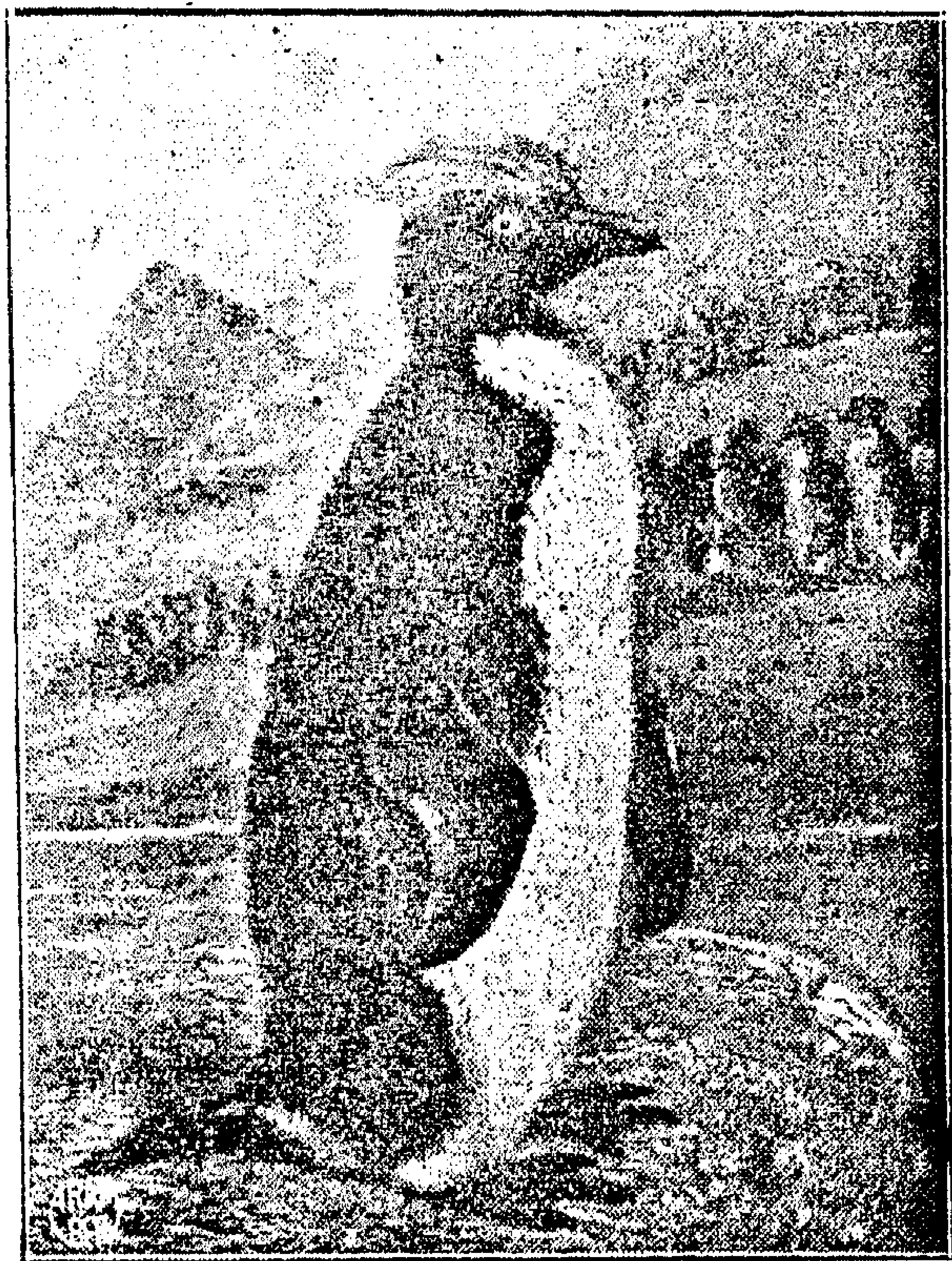
Species — أنواعه

Gentu penguin-Pygoscelis Taeniata البيوغوسيلس تنياتا

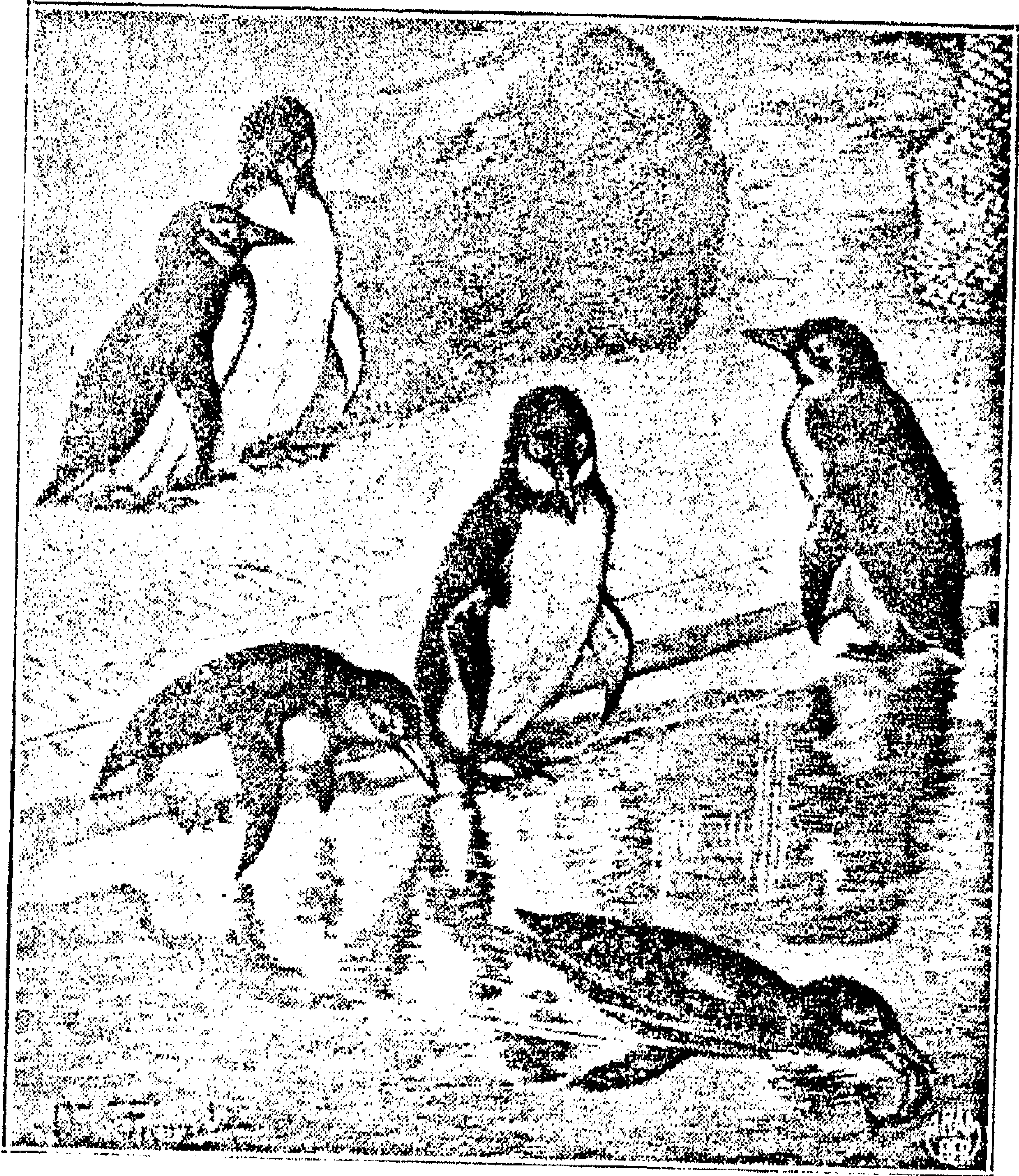
Adélie-Land penguin—pygoscelis Adéliae البيوغوسيلس أدليا



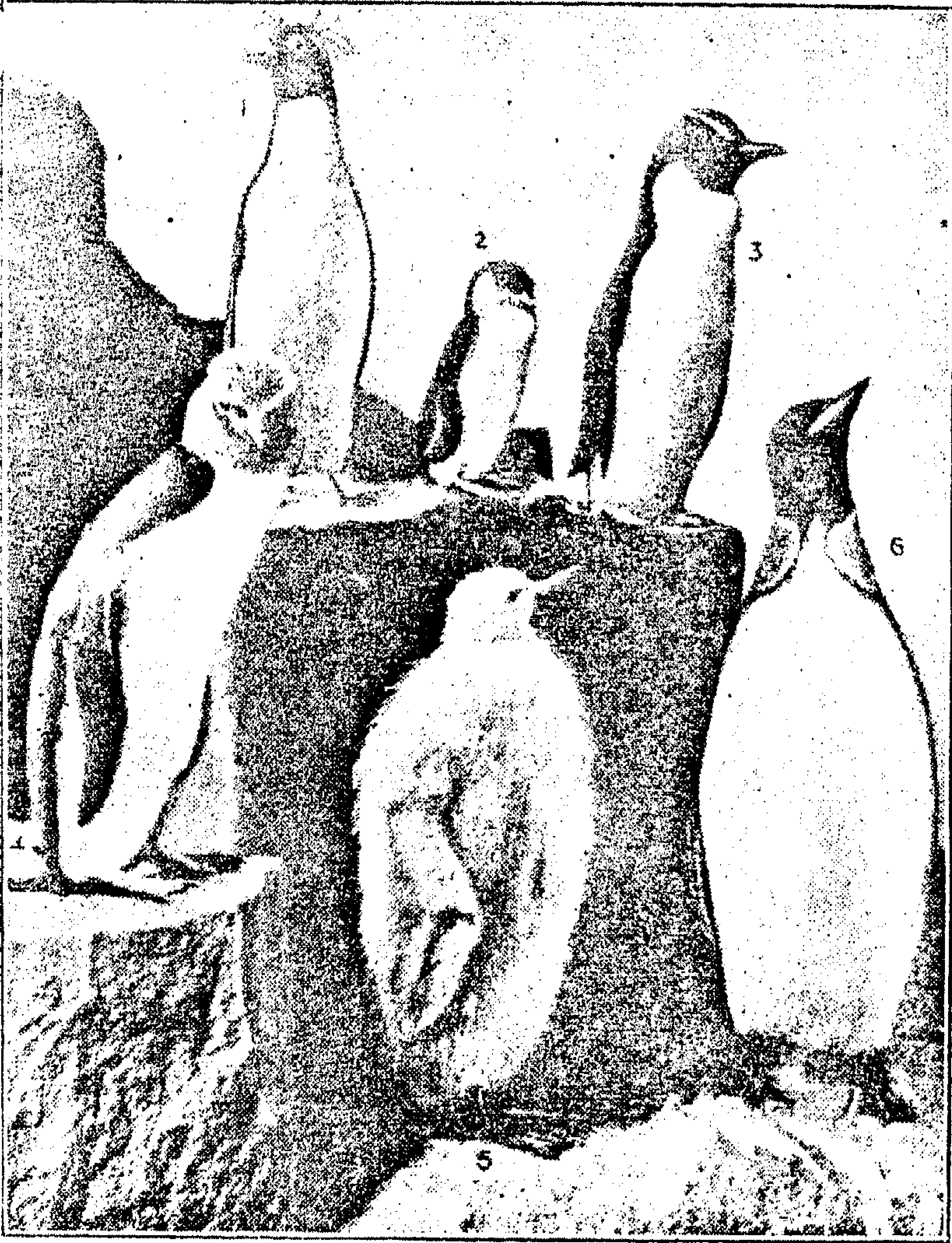
بنغوين همبولد



البنغوين القافز

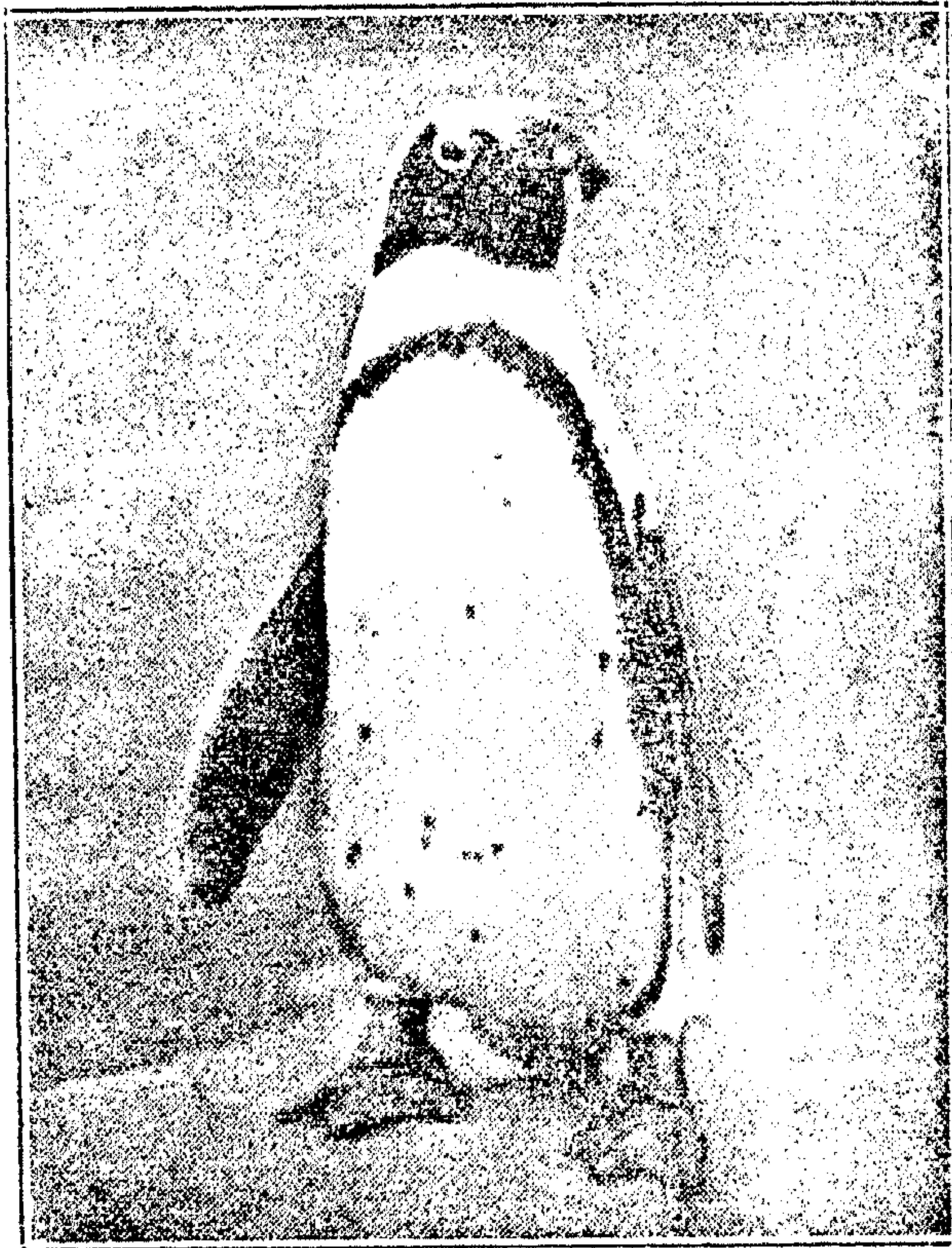


جمع من طيور البنغوين السوداء الاقدام فى مجاهلها الأصلية حيث
تقطن بالقرب من حوافي الماء تحيط بها الصخور



جمع من البنغوين

(١) البنغوين القافز (٢) البنغوين الازرق (٣) البنغوين الغليظ المنقار (٤) البنغوين الاصفر الصدر (٥) البنغوين الملكي (صغير) (٦) البنغوين الملكي (كبير)



بنغوين بلاد الكاب

Genus 3. — الجنس الثالث

الايوديبت Crested penguins-Eudyptes

Species — أنواعه

الايوديبت كريسوكوما Rock hopper—Endyptes chrysocoma

Yellow-crested penguin - pachyrhynchus باشيرينكوس »

Genus 4. الجنس الرابع

Eudyptula — الايودبتولا

Species — أنواعه

Blue penguin—Endyptula minor الايودبتولا مينور

Genus 5. — الجنس الخامس

Spheniscus — الاسفينوسكوس

Species — أنواعه

Black-footed penguin — Spheniscus demersus

الاسفينوسكوس ديمرسوس

Humboldts penguin -- spheniscus humboldti

الاسفينوسكوس همبولديتي

Jackass punguin -- spheniscus magellanicus

الاسفينوسكوس ماجيلانيكوس .

ولطير البنغوين حسب هذا التقسيم سبعة عشر نوعاً كلها تعيش في نصف الكرة الجنوبي . وهذا الطير لايبلغ مدى انتشاره شمالا لا كثر من المدار الجنوبي . غير أن بعض الانواع التي تعيش فى جزر الغلاباغوس قد تبلغ في انتشارها شمالا الى خط الاستواء وتمتد مآهلها الى الدرجة ٨٠ جنوبا . وعلى هذا لا يوجد طير البنغوين فى المناطق المنجمدة الجنوبية وحدها بل يوجد أيضا فى جنوب افريقية وجنوب امريكا واستراليا ونيوزيلاندا وفي كثير من الجزر الصغيرة التى تغشاها مياه المحيطات الجنوبية وعلى الاخص جزر فوكلاند وكرغلين وترسان دى كونها .

الزولوجيا

أو

مبـادىء علم الحيوان

— ٦ —

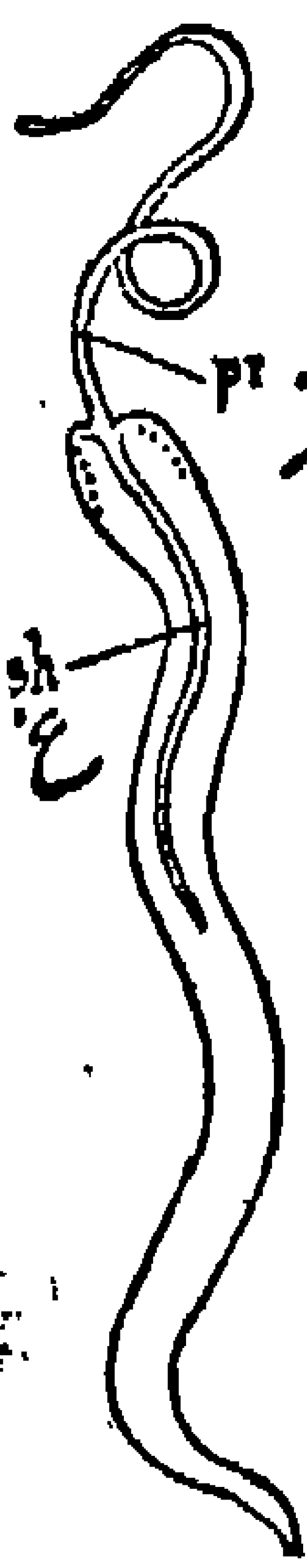
***

تابع تقسيم الحيوانات .

النمرتينا Nemertinea - هذا الاصل تدعى أعضاؤه «بالديدان» . وفي هذه الحيوانات نقع على هيكل عضوى يتكون من بشرة أو جلد وأنبوبة داخلية للهضم ، وبين البشرة والانبوبة الهضمية ، نجد كمية من الانسجة العضلية وكذلك نعثر على جهاز عصبي مركزى يتكون من عقدتين كبيرتين تدعيان اصطلاحا « بالمخ » ووتران جانبيان . غير أن هذه الحيوانات تختلف عن البلاتيهلمنثوس Platyhelminthes فى أنها تتقدمها فى سلم الرقى التركيبي . فان للانبوبة الهضمية فيها ثقبان أو فتحتان ، احداهما فى المقدمة وتدعى « الفم » وتستعمل لازدراد الطعام ، والاخرى في المؤخرة وتدعى « المخرج » Anus أو الشرج ، ووظيفتها تنحصر فى اخراج فضلات الطعام التى لم تهضم . وكذلك تمتاز الديدان النيمرتية بأن لها خراطيم قابلة للامتداد Protrusible تكون فى نهاية جسمها من الامام ، وتنكمش فى داخل « غمد » اذا كان الحيوان في غير حاجة الى استخدامها . وهذا الخرطوم يسمى اصطلاحا Proboscis وفي مستطاع الدودة أن ترسله فى سرعة عجيبة وتلفه حول فرائسها التى تغتذى بها . ومن خصائص النيرتيات أنها ذات نشاط محبة للسلب والافتراس .

---

(١) كتب الينا الكثيرون من قراء المصور يطلبون المضى فى نشر بقية الفصول التى كنا بدأنا بنشرها فى «مبادىء علم الحيوان» ووقفنا عن نشرها ظنا منا بأن قراء المصور لايهتمون بمثل هذه الابحاث العلمية الجافة . ونحن تلبية لنداء قرائنا نعود الى نشر بقية هذه الابحاث فاذا انتهينا منها بدأنا فى غيرها من فروع العلوم الحديثة (راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧ ففيه آخر بحث نشر .)



دوده نيمرتية منظورة من الجهة العليا «خ» الخرطوم — غ غمد الخرطوم

ولدينا أصل (١) Phylum آخر تدعى أعضاؤه بالديدان أيضاً هو ما يسمى اصطلاحاً « بالنياتودا » Nematoda وترجمة بالديدان الخيطية Thread-worms. وهذه الحيوانات فى أغلب حالاتها من الطفيليات Parasites التى تعيش على أجسام غيرها من الاحياء. وهذه الديدان موجودة في كل مكان على وجه التقريب ولها أهمية كبرى من الوجهتين الاقتصادية والطبية. وهى كالديدان النيمرتية، وككل الجذوع التى سوف نأتى على وصفها، لها فم ومخرج. وأهم صفاتها العلمية المعروفة أن تشريحها بسيط جدا البساطة بحيث لا يعتورك فى بحثها التشريحى أى تعقيد. فالقناة الهضمية بسيطة مستقيمة ليس فيها شيء من التركيب المعقد المهوش. والجهاز العضوى يتكون من طبقة واحدة من العضلات الطولية. ومن خارج هذين الجهازين يكون الجلد الخارجى، ويتكون من طبقة سيتو بلاسمية واحدة، تتخللها أنوية عديدة متناثرة تناثراً يتعذر عليك معه أن تميز بين الخلايا التى تكونها. ومن هذا الجلد يتكون أظهر ما فى هذه الحيوانات وأضرابها من الصفات. اذ منه تتكون « بشرة » هى عبارة عن مادة قرنية أو جلاتينية تدعى اصطلاحا (٢) Cuticle تكون بمثابة غمد يتركب من افراز ميت ويحدث من انقلاب عضوى يقع على المادة السيتو بلاسمية (٣) التى تكون فى الجلد الخارجى. وهذه البشرة Cuticle كثيرة المرونة. فعندما يبتدىء الحيوان

---

(١) ورد على خاطرنا ونحن نكتب هذا المقال أن نسمى اصطلاح Phylum بجذع. والراجح عندى أن هذه الترجمة صحيحة وأكثر انطباقا على المعنى المراد من أصل قال الشاعر:

ولم أر مثل جذعك قط جذعا تأصل فى صميم المكرمات

على انى عثرت على بعض المؤلفين الكبار ومنهم العلامه كارل فون زيتل يصرف اصطلاح phylum فى كتابه فى البالنتولوجيا على الفقاريات مثلا فى حين أن مكبريد الانجليزى يصرفه على صور ليست من الرئيسيات.

(٢) راجع ص ٢٤٤ جزء ٣ مجلد ١ من العصور س ١ ؛ ٣٠١.

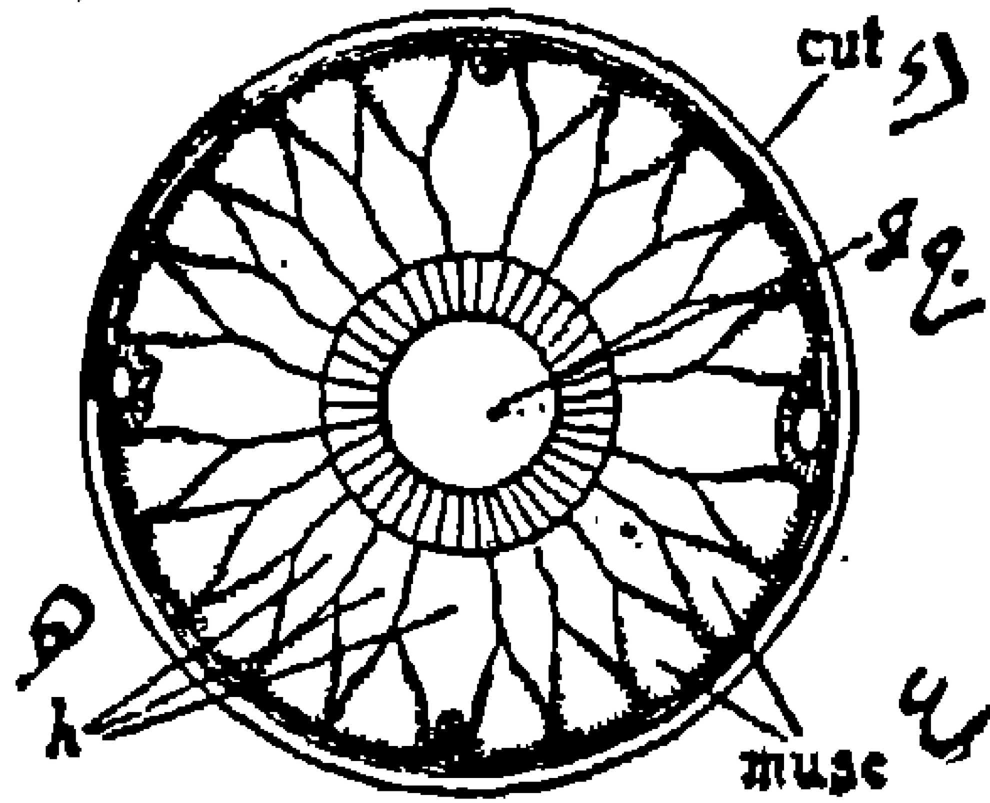
(٣) مادة النواة.

الصغير في النمو من حيث الطول تمتد مع امتداد جسمه . غير أن لمرونتها حداً تقف عنده . فقد يحدث في بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى بعيداً (١). وعندئذ يأخذ الحيوان في النماء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يمضى في تكوين «ثوب» آخر يتجدد بتجدد الافراز

وهذه العملية التى تدعى غالباً « التبديل » Moul ing واصطلاحاً Ecdysis تحدث أربع مرات أو خمس فى خلال حياة الحيوان .

من بين الطبقة العضلية والقناة الهضمية وتدعى اصطلاحاً Gut يكون فراغ أو بالاحرى نظام من الفقاعات المفرغة تتصل بعضها ببعض تسمى اصطلاحاً التجويف الجسمى Body-cavity وهذه التجاويف تمتلىء بسائل شفاف يفيض و يطمو اذا تحرك الحيوان حركته الالتوائية . وهذا السائل يحتوى على الفضلات لهضميه التى تكون قد ترشحت Exuded من الخلايا الهضمية . وهذا السائل هو « النموذج الاصلى » prototype الذى يتكون على مثال الدم في الحيوانات العليا ومن أجل أن نفرق علميا بين التجاويف الجسمية فى صورها المختلفة ، ندعو هذه « بالتجاويف الجسمية الاولية » Primary body-cavities أو « تجاويف الدم الاولية » Blood body-cavities واصطلاحا Hoemocoele

والديدان النيماتودية تختلف من حيث الحجم ، فتكون ديداناً ميكروسكوبية صغيرة تجهد الصغر ، أو ديدانا قد تبلغ ياردة انجليزية طولا . وهذه الديدان وتسمى اصطلاحاً « ديدان غينيا »



قطع عبرى لدودة نيماتودية (ك) ثوب (م) القنات الهضمية (ه) التجاويف الجسمية الاولية (ع) خلايا عضلية



دودة نيماتودية (و) موضع الفم

(١) كما يحدث على وجه التقريب فى ثوب الثعبان ، وأظن أن قليلا من القراء هم الذين لم يروا ثوبا من هذه الثياب . وأظن أننا اذا اصطلحنا على تسمية Cuticle بثوب تكون أقرب للمقصود من بشرة أو جلد وهو مايسمى اصطلاحا Epidermis

Guinea Worms تعيش في المناطق الحارة تغزو البشرة والخلايا التى تكون تحتها في الحيوانات العليا والانسان ، وتحدث هنالك قرحاً خطرة قد تقضى على الحياة. وقيل إن هذه الديدان هى التى عثر عليها فى أجسام اليهود، وزعم القدماء أنها ثعابين طيارة كانت تغزو أجسامهم انتقاماً وهم فى التيه .

وتظهر أعراض المرض فى الجسم أولا ، ثم يتكون في خارج الجسم قرحة صغيرة لا تجف أبداً . وأسلم طريق لاخراج هذه الديدان هو أن تلف طرفها الذى يكون حيث تظهر هذه القرحة على عصا رفيعة ثم تلوى العصا برفق وابين شيئا فشيئا فتلتف عليها الدودة وتسحب من داخل الجسم حتى تخرج كلها . فاذا جذبت دفعة واحدة فقد يتمزق جسمها ويتقطع ، والجزء الذى يتخلف في جسم المريض يموت ثم يبدأ في الانحلال ويحدث تسمما عاما تكون نتيجته الموت .

وكثير من الديدان الخيطية تغزو أجسام الخنازير . وقد يحدث أن احدى هذه الديدان — وتكون ميكروسكوبية عادة — قد تفلت الى جسم من يأكل لحم الخنزير ثم تعيش في الامعاء . ومن ثم تأخذ فى اختراق أغشية المعدة وجدرانها ويحتمل أن تحدث لدى اختراقها هذه الجدران مرضاً قاتلا يسمى اصطلاحا « تريخينوزيس » Trichinosis . ولقد أحدث هذا المرض كثيراً من الاضرار في المانيا ، حيث كان الناس يأكلون لحم الخنزير قبل أن ينضج بالطبخ تماما .

الوازعين الديني والأدبي

أيهما يجب الأخذ به

قال محدثي — إن نشر الالحاد جريمة كبيرة

قلت — وكيف كان ذلك ؟

قال — إذالم يكن هناك رادع ديني فعلى الدنيا السلام . اذ تعمها الفوضى والمذابح

قلت — وكيف عاش بعض الناس اذن قبل انتشار الاسلام والمسيحية واليهودية وغيرها من الاديان

قال — كان لهم اديان سابقة

قلت — ما هو الدين؟

قال — هو على الاقل الاعتراف بوجود خالق

قلت — وهل كل الاديان تعترف بوجود خالق ؟

قال — كلا . ولكن لكل منها نظام أخلاق

قلت — فاذن يصح لى أن أستنتج بان أساس الدين ليس واحدا بل هو قائم فى اعتقادك على الاخلاق أولا ثم على فكرة وجود الله أيضا (وذلك فى الغالب)

قال أصبت .

قلت — وانى أضيف الى ذلك أساساً ثالثاً للاديان هو علم الدين أو فلسفة الدين أو اللاهوت أو الخزعبلات، فيمكننا أذن أن نقول إن الدين هو عبارة عن

١ — التسليم بوجود الموجد الاول

٢ — وجوب اتباع نظام أخلاقى

٣ — حشو

قال — وهل تشك في وجود الله ؟ وهل يمكن أن تتصور موجوداً بدون واجد ؟

قلت — البينة على من ادعى. وأما تصورى امكان وجود واجد لكل موجود فهو بالاستنتاج لن يقف عند حد فبدلا من أن تقول ان الله خالق العالم

مثلا ثم تضرب من يسألك عن خالق الله ، اختصر الطريق واضرب من يسألك عن خالق العالم

قال — ولكن الكرسي له صانع ، والمنزل له صانع ، أفليس من الجهل أن تقول إن هذا العالم الفخم العظيم لا صانع له ؟

قلت — اجل . الكرسي له صانع (صنعه من مواد أولية) والمنزل له صناع وليس صانعا واحدا وقد استعملوا في اشادته موادا أولية أيضا ، بالقياس على ماسبق يكون استنتاجي منطقيا لو قلت إن صناع العالم لاشك كانوا كثيري العدد جداً وبالطبع صنعوه من مواد أولية . هل يعجبك هذا الاستنتاج الذي يتهمك بالشرك و يقلب نظريتك القائلة بأن الله قال للارض كوني فكانت رأساً على عقب ؟

قال — ولكن ألا ترى ان فكرة وجود الله جذابة جميلة ؟ أليست أحسن من فكرة النشوء والارتقاء

قلت — لا بأس بها . ولكني لا أرى وجهاً للتفضيل بينها وبين فكرة النشوء . فاذا ما اقتنعت بصحة الفكرة الثانية فلا تخف . فان باب الخيال أمامك لا يوصد . وتصوير الله على صورتك لا تتعارض مع فكرة التطور مطلقا

قال — اذن تسلم معي بأن الاحسن لنا التسليم بوجود الله

قلت — الاحسن ؟ لماذا ؟ ان فكرة وجود الله خيال جميل لا بأس به ولكن يجب أن لا تستنتج من ذلك أنه أثبت وجوده لنا بالفعل

قال — اذن أنت لا تسلم بأنه قادر وانه .....

قلت — ألا تظن الاجدر بنا أن نناقش البرنامج نقطة بعد أخرى بالتسلسل . فالنقطة الثانية المطلوب بحثها هي الاخلاق فهل تعتقد أن الدين هو الاخلاق ؟

قال — بالطبع الدين هو الذي يفرق بين الخير والشر و يأمرك باتباع الاول وترك الآخر

قلت — وهل الاخلاق دائما جامدة . أعني هل فكرة الاخلاق واحدة عند كافة الأمم في كافة الأزمان ؟ ومثل ذلك . كان السلف يتزوجون بأربع نساء

ويحتفظون لذواتهم بقطيع من الحايا دون أن يشعر أحدهم بأنه يفعل منكراً. فهل اذا حزت أنا عشرين امرأة فى الوقت الحاضر لاتحكم على بالاستهتار والاستسلام للملاذ الحيوانية ؟

قال — ولكن هذا مثل من الفرعيات . فلنتكلم عن موضوع أساسى مثل القتل أو السرقة

قلت — انتظر قليلا . كان الواجب عليك أن تقول لى رداً على سؤالى السابق. ان عقلية الوسط والظروف لم تظهرا سابقاً فكرة التعدد والتسرى بما يظهرهما به لنا الوسط والعقلية الحاليتين . ألا توافق على ذلك؟

قال — دون شك . فان للعقلية والوسط دخل كبير فى الموضوع

قلت — اذن فالاخلاق ليست ثابتة بل متغيرة . فلننتقل الآن الى السرقة فهل تظن أن الناس كانوا يسرقون دائما بمناسبة و بغير مناسبة قبل أن ينزل عليهم الرسل؟

قال — ولكن العرب كانوا يئدون بناتهم

قلت — اسمع ياصديقى . اننى لو سلمت معك ارضاء لخاطرك بان قبل نزول النبى محمدا كان العرب يئدون بناتهم (دائما) لما أمكنهم التناسل . فمن أين كانوا يأتون بالنساء اللاتى كانوا يتزوجون بهن ؟ ربما كن من الاسيرات . فهل في امكانك ذلك ؟ وهل كانت غارات العرب قبل الاسلام تقع بين العرب و بين الاعاجم ؟ أم بين قبائل العرب و بعضها ؟ اصغ إلى جيداً ياصديقى . إن جرائم وأد البنات كانت فردية تماماً يرتكبها بعض الذين يخشون على أعراضهم ، فكلما كان الرجل يفكر بأن ابنته سوف يمتلكها رجل كان يشمئز . وفكرة التناسل احتقرهاالعرب كما احتقرها العجم ولا يزال يحتقرها بعض الناس الفطر بين الذين يجدون غضاضة فى المساعدة على التناسل بطريقة سلبية ؛ ألا ترى مثلا بعض رجال العصر الحالى في مصر يوقفون ريع أموالهم على بناتهم مادمن غير متزوجات ؛ وفي هذا ارهاق لهن ؛ فهل اذا نبهت الحكومة الى وجوب ازالة هذا الحيف بعد حملة الجرائد والبرلمان عليها فسنت قانوناً لحمايتهن يصح لنا الاستنتاج بان المصريين فى

القرن العشرين كانوا يجبرون بناتهم على الترهب والا فيحرموهن من الاستفادة من الميراث ؟

ان ايجاد تشريع مخصوص لايتم عفواً بل يوجد فقط عند مايشعر الناس كافة بان النظام الساري سيؤدى الى افناء الجماعة . ولذلك تهب الجمعية للدفاع عن كيانها مسوقة بالغريزة . ولماذا لم يحدث الوأد فى الامبراطورية الرومانية مثلا ؟ أليس لان وجهة النظر كانت تخالف وجهة نظر العرب على خط مستقيم فكان لدى الرومان ميل الى تقديس الجمال ؟

لا يمكنك أن تتصور وجود وسط متحفز لقتل بعضه البعض. لأ نه اذا وجد هذا الوسط فى زمن من الازمان لكانت النتيجة الغير مشكوك فيها هو اندثار ذلك الوسط وانك ولا شك تسلم معى بأن قوى الناس متفاوتة . فالهيمنة تكون دائما للاقوى . فاذا ماتسلط فرد وضع الانظمة لاتباعه ودون شك يكون من صالحه نشر السلام والألفه بين الناس على قدر الامكان حتى يتيسر لهم العمل على خدمته دون شوشرة

وهل كل انسان ميال الى سفك الدماء ؟ أليس هذا الميل منحصر في طبقة مخصوصة من الناس فقط هى المشبعة بروح المقت أو المطالبة للثأر أو التى بعقلها شيء من الخلل ؟

كانت العرب قبائل صغيرة تقوم بالغارات على بعضها تقتل وتنهب فهل تغير هذ الآن عن قبل ؟ أليست الحرب الكبرى مثل مجسم من تلك الغارات . ثم فيها القتل والنهب بنظام أوسع يختلف في شدته ومدته باختلاف الاستعداد و باختلاف العقلية ؟

اذن أظن أن من حق مطالبتك بالتسليم بان الاخلاق دائمة التغير، وأن (الدين) يأتى فيعزز الحسن الذى وافق الجميع على صلاحيته من قبل أن يكون (ديناً) وكذلك يعزز نظرية القائلين بوجوب تغيير ما رأوا فيه نقصاً أوضرراً . و بالطبع يساعد قدم الفكرة الجديدة لأن لهم من ورائها مغنماً فى حين يناهضها آخرون يشعرون بمزايا النظام المتبع الذى عمل الدين على متابعة الرأى المخالف له

والحسن إما أن يكون قد تقرر حسنه بالاختبار، والدافع على هذا التقرير هو

الغريزة كالسرقة والقتل والزنا ؛ واما أن يكون قد تقرر على أساس فكرة خيالية طارئة. وهذه تكون عرضة للتغيير والتبديل الى أن تلائم العقلية والوسط. أو الى أن ينبذاها فتصبح فى خبر كان. وفي هذه الحالة اما أن يخفف المجتمع من غلوائه فيحذفها من قائمته الدينية أو الاخلاقية المختارة أو ينتهك الناس حرمة ذلك مدفوعين بدوافع لاقبل لهم بها. مثلا فكرة تنظيم العائلة . فـهو في اعتقادى نتج عن أن النظم الاقتصادية الحالية تجبرنا على تغيير أفكارنا فيها. فوالحالة هذه لن يتيسر لنا في المستقبل تنظيم العائلة على أساس أن الرجل هو ربها وعائلها. وعلى أن المرأة يجب أن تكون عالة عليه تأتمر بأمره . فالانظمة الاقتصادية الحديثة تدفع المرأة للتحرر اقتصادياً عن الرجل. ويستتبع ذلك بالطبع انه مادام لا يهيمن على مرافقها الحيوية فان يكون لها سيداً مطاعاً

بقى أن تسألنى الآن عن النقطة الثالثه وهى علم الدين أو الفلسفة أو اللاهوت أو الخزعبلات. فقد قلت ان الله قادر وربما تقول انه يسمع ويقضى و و

قال — أجل. فما رأيك؟

قلت — اننى سلمت معك جدلا بأن وجود موجد أول فكرة لا بأس بها ومعنى هذا أنها لم تثبت ولكن لامانع من التمسك بها حتى يثبت ماينفيها فمن أين لك أن تصف ذلك (المجهول العظيم) بصفات كذا وكذا

قال — وما قولك اذا قلت لك ان وصفى له بذلك يتم عن طريق الاستنتاج والاقتناع ليس الا . فما الذى يمنعك مثلا أن تقول ان هذه القوة قادرة ومحيطة بكل شيء ؟

قلت — لا مانع من ذلك . ولكنك تقول ايضا انها تقدر وانها تحرص على اتباع وجهة نظر أخلاقية مخصوصة وعلى عدم اتباع وجهة أخرى أليس كذلك ؟

قال — بالطبع أقول ذلك لانى أرى أن الله يرغب الناس فى اتباع ما اتفق الرأى العام على وجوب نشره الآن على حد قولك فائدة عامة

قلت — ولكن لا يتسنى ذلك ياصديقى لان الاخلاق دائمة التطور فمايتفق الرأى العام على أنه حسن فى وقت من الاوقات يتفق الرأي العام على سوئه في

وقت آخر ، والذى ترى أمة من الأمم فيه الخير تراه أمة أخرى عين الشر . فما قولك دام فضلك في فكرة تعدد الزوجات التى حرض عليها القرآن وقت ان كان التعدد لازماً للعرب . ذلك حين كان عدد النساء عندهم يزيد زيادة كبيرة على عدد الرجال. كان الرجال قديماً كانوا أكثر تعرضاً للموت مما هم عليه الآن. ولذلك كانت نساء العرب أكثر عدداً من رجالهم. أضف اليهن السرارى اللاتى كان يقتل الجيش الظافر رجالهن وآباءهن ويرجع بهن غنيمة باردة . فهل كان يعقل أن يبقيهن الناس دون فائدة؟ أم كان يستولوهن رجالا ينضمون الى قوات القبيلة المقاتلة ؟ فهل يمكن تطبيق هذه النظرية التى كانت قديماً صالحة على أى قطر فى الوقت الحاضر . مع العلم بأن عدد الجنسين يكاد يتساوى ؟ وان فكرة الاستعباد أو التسرى قد عدت الآن غير انسانية. وخصوصاً بعد أن ظهر للناس أن قتل المغلوب ليس من الشهامة في شيء ؟

قال — ولكنك تتهم القرآن بما لم يقله فهو لم يقرر حق التعدد بل قيده بالعدل .

قلت — أما إنه لم يقرر حق التعدد فهذا كلام لا أساس له من الصحة. فقد ذكر « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ». وهذا إطلاق قيده بعد ذلك بقوله « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » « ولن تعدلوا » فالتقييد أذن فرعى للاطلاق والا فلم يكن هناك داع للاطلاق بالمرة . ولكان النص قد وضع بصورة أخرى مثلا وبما أنه من المستحيل عليكم أن تعدلوا بين النساء فاقتصروا على زوج واحدة واذا رجعنا الى التاريخ. نجد النبي والصحابة وغيرهم كانوا يتخذون من النساء مثنى وثلاث ورباع. يضاف الى ماسبق « أوما ملكت ايمانهم » افليس من المعقول اذن أن « ولن تعدلوا » هذه اذا كان معناها نفى العدل بتاتاً ، الامر الذى يستوى أمامه كل البشر ، لما أقدم عليه الذين كانوا في صدر الاسلام؟ فاذا كان للظروف دخل فى الموضوع لقدرت هذه الظروف بتقدير كل شخص في كل وقت . ثم لماذا قصر عدد الزوجات بأربعة ولم يعمم؟ وذلك رداً على بعض الناس الذين يدعون بأن البلاغة تقتضى التصريح ثم التعجيز ؟ أفليس معنى التحديد بأربعة هو وقف

التزاوج عند حد ؟ وما معنى العدل ؟ اعتقد أن العدل بين الزوجات في وسط الاعراب تنحصر فى حقوق الزوجية الطبيعية أى كان يجب على الرجل تقسيم وقته بين نسائه تقسيما عادلا . أظنك الآن وقفت مثلى موقفاً تتجاذبك فيه الحيرة بين الجزم تارة والدينية أخرى ؟

قال — وما قولك في القضاء والقدر

قلت — ومن أين وقفت على أن الله يقضي و يقدر بالمعنى الذى تذكره؟ فهل يقدر على شخص الشقاء ؟ هو اذن ليس بعادل ؟ وهل يقضى على آخر بالكفر والالحاد. فاذن يعاقبه على أمر لم يتبعه بمطلق ارادته بل كان مسوقا اليه جبراً ؟ واذا فرض انى كفرت بالله اجتهاداً و بحسن نية فلماذا يحشرنى في النار حشراً لمدة كما يقولون لا نهاية لها؟ ان المحاكم التى تكون من البشر ترتكن عن اصدار أحكامها على مايسمونه سبق الاصرار وعلى مركز وعقلية الشخص. وكذلك على الدوافع التى تدفعه الى ارتكاب الجريمة . ولاشك أن المحكمة تقدر حسن النية حق قدرها قبل اصدار الحكم

قال — ولكن الشرع يقول .....

قلت — الشرع ومن أراكه ساقطاً من السماء . عندك سلسلة من الادعاءات مرتبطة ببعضها ربطا متينا . فاذا حاولت الاستفهام عن أحداها أتوك بالبرهان من نفس السلسلة فالله.موجود لأن ذلك مذكور في الكتب المقدسة. والكتب مقدسة لان فيها ما يفيد أنها منزلة من عند الله فالموضوع كله كالحلقة المفرغة يجب أن تأخذها كلها او تتركها كلها، واذا أخذتها على علاتها فلا يمكنك انتقاد مركز الضعف منها ولو كان غير معقول تماما لك

والذى يزيد الطين بله . هو انهم يعتمدون في التفسير على أساس ما قاله المتقدمون . أولئك الجهلة قليلوا الاختبار المنحطون عقلا وأخلاقا عما نحن عليه اليوم

قال — وهل تظن أن الوازع الادبى كفيل بالحلول محل الوازع الدينى؟

قلت — ومن قال لك أن الوازع الدينى قد أفلح في صد الشر من أن يحدث؟

فالشر كان موجوداً قبل الاديان وكان موجوداً في عهد الأديان (والبرهان على ذلك تحريم الاديان اقترافه على متبعيها) ولا يزال الشر موجوداً فى وقتنا الحاضر؟ ولكنه بالطبع دائم التغير ومعناه دائما يتطور. فينتابه العجز والزيادة . أليس أول ما يخيف الانسان اذا أقدم على قتل رفيقه هو فكرة حبل المشنقة أو انتقام عائلة القاتل ؟ وهل اذا قتل الانسان شخصاً وهو ثائر يكون هناك مجال للقول أنه تغاضى عن أوامر الدين.أو لم يهتم بالقانون الوضعى فى حين أنه يكون قد قتل فى حالة شبه جنونية

والسرقة هل لها معنى محدود ؟ أليس للرجل الذى يريد أن يعمل من أجل العيش ولا يجد من يعطيه عملا أحق بأن يعيش كأحد العجماوات على الأقل. فهل يصلح أى رادع مهما كانت قوته فى تفهيم هذا الشخص المشرف على الموت أن الواجب عليه أن يموت كالكلاب على قارعة الطريق بينما غيره يأكل أمامه حتى التخمه ؟

وهلا تظن أن الاشرف لنا كبشر أن ننظر الى الحقيقة مجردة،فنتعلم أن نقيم تعاليمنا على أساس تبادل المنفعة بدلا من اشادتها على أساس من الخوف اذا ظهر للمجرم دون سبق اصرار .لا أثر لهذا الاساس المفزع من الصحة . والركن الذى نعتمد عليه هو الاخلاق. مثلا الرجل منا قد يرى شخصا يرتكب جرماً معيناً ثم يجده ناجحاً فى حياته. أليس معنى هذا أن الله لا ينتقم من المسيء بل يحسن اليه

سكت مناظرى قليلا. ثم قال بعد ذلك ولكن يجب أن يكون لدينا ايمان يخفف عنا مشقة الحياة

قلت — لك أن تعتقد ماشئت وأن تستسلم الى القدر قدر ما شئت،وأن تصرح بأفكارك لمن حولك بأية طريقة تشاء. وانما أنصحك فقط أن لا تضطهد الذين ينظرون الى الحياة بمنظار يختلف عن منظارك.فقد يكونون أرقى منك فهماً وادراكا.

ساؤو باولو — بندلى البيلونى

١٦ م — ١٠ ع

الاحافيرولوجى

عتب علينا اتباع مدرسة المتأدبين العصرية (١) اقتباس مقالين عن شابوب الزاجل عن بلاد العراق وارض مأجوج ورمونا بالجمود والتقهقر فدفعا لهذه التهمة ، نقتبس لقرائنا هـذا المقال من كتاب الفيلسوف الاستاذ الاكثر كبرا (٢) والاديب المبتدع رب الاحافيرولوجى وهو أشهر من أن يعرف .

الاحافيرولوجى. موضوع لم يسبق لقراء العربية الوقوف عليه قبل الآن. لذلك أحاول أن أزيل كل الصعوبات التى قـد تعترض فهم القارئ للموضوع. وأولهـا بالطبع الابتعاد عن الاصطلاحات الفنية. و بدلا من أن أترجم كتاباً للناطقين بالضاد (وهو أمر مستحيل) فـكرت في تأليف كتاب سهل المأخذ وليس على الذين تعمقوا فى درس الموضوع الا الرجوع الى مقالى المعنون « مبادىء الاقتصاد ونوسى » وأما الذين لم يدرسوا الموضوع فعليهم الرجوع الى دائرة المعارف البريطانية للاطلاع على علم العظامولوجى والصخورولوجى حتى يتيسر لهم قراءة هذا الموضوع فى كتاب الفردوس المفقود لفردريك نيتشه الاديب الروسى وفي كتاب التربية لادم سميث الحياتولوجى الهندى فهذه كلها ضرورية لمن يريد الوقوف على هذا العلم الذى يعد من مسببات المدنية والرقى .

معنى الاحافير

جمع حافر وكلنا يعرف معنـاها وللفرس أربعـة حوافر وكذلك للحمـار أربعة حوافر .

سبب التسـمية

السبب بسيط ولو كنا تهذبنا ولم نكن أمة شرقية جاهلة حقيرة لـكان لدينا ولو بعض آثار العلم أو بمعنى آخر أحافيره .

« ١ » متأدبو العصر هم الذين يقرأون قشور العلوم فى دائرة معارف الاطفال ومطالعات علمية للمدارس الاولية ثم يؤلفون من عندياتهم كتبا علميه عويصه لا تفهم. ولذلك تقدرهم العامة حق قدرهم واما الخاصه فيندبون سوء حظهم

« ٢ » لقب الاستاذ له مكانة فى الغرب تغرى الواقف على معناها بالضحك اذا علم ان راقصات البارات « اصبحن استاذات ومحررى العرائض اصبح كل منهم » استاذا كبيرا ولا بد من ان يكون المؤلف فى علم عويص كهذا المبحث لقب « الاكثر كبرا » بالاقل

التطبيق

وكما نعرف من متابعة النظر الى الارض اذا كان السائر حماراً أو جحشاً كذلك يتيسر لنا بملء السهولة معرفة قيمة المؤلف من كتابه .

وإنني أظن أن هذه الديباجة لازمة قبل الدخول في الموضوع. وليعلم القارىء أنني قرأت مائة كتاب في الموضوع (١) وأتيت بأمثلة رأيتها شخصياً كما رآها الغير. ولكنني أعملت الروية والعقل في تفهمها بعكس كافة الخلق. فانهم لا يلاحظون بأنفسهم شيئاً وهذا ناتج بالطبع من عدم وقوفهم تمام الوقوف على أسرار العلوم كما وقفت عليها في جامعة (نسيت الاسم) . كنت مرة أسير مع صديق فوجدت النمل يتقاطر متوجها نحو ثقب في الارض فالفت نظره الى هذه الظاهرة العجيبة فهز رأسه استخفافا بالامر. ولكنني لم أقدر على مقاومة ميلي الغريزي للبحث والاطلاع فنبشت الارض بعصاي فوجدت أوكاراً متراصة بين كل واحد منها والآخر حديقة غناء مملوءة بالطحلب الزكي الرائحة فعلمت من هذا أن في العصر الماقبل الجليدي كان الناس يقطنون الاوكار الصغيرة الحجم وبالطبع يستدل من هذا أنهم كانوا صغار الاجسام بعكس ماادعاه السلف الجاهل وبالطبع كنتيجة طبيعية لنظرية المندلزم التي قال بها شوبنهاور الحياتولوجي الانكليزي الشهير كانت الطحالب أشجاراً باسقة نسبياً في ذلك الوقت . كذلك وجدت دبوساً ملقى بقرب جدار احدى الأوكار. فعلمت أن الترموايات كانت معروفة قبل ذلك العهد بمدة طويلة مستنتجاً ذلك من سمك طبقة الصدأ . وما دامت هذه الاشياء كانت معروفة لاقوام كان مقياس جماجمهم أقل من مقياس جماجمنا يكون استنتاج لامارك المصريولوجي خطأ في خطأ وكذلك سياحته الى جزائر الهند الغربية حديث خرافة .

بحثت أيضا وبحثت فلم أجد أثراً لاعمدة التليفونات فتيقنت أن التلغراف اللاسلكي كان معروفا . أما الطيارات فثبت لي وجودها من مشاهدة ثقب في أعلا

ـ١ـ يلاحظ أن عدد الكتب المطبوعة في جميع اللغات لا تزيد عن العشرين. ولكن هناك كتب أرسلت لفيلسوف الشرق لنقدها قبل أن تطبع ولذلك نرى استاذيته تقول انها قرأت مائة كتاب والله أعلم كم من الدقائق انفقت في قراءة كل منها

بحوطه ساحة منبسطة كانت ولا شك مهبطاً للطيارات. وأما أين ذهبت بواقى الطيارات فأمر لايحتاج الى سؤال. لان الثلج لما نزل دفنها. واذا بحثنا جيداً فقد نجدها وعلى هذا الاساس العامى الاستنتاجى سرت فوجدت هيكلا خشبياً مدفونا على بعد متر من سطح الارض بالقرب من علبة ثقاب وكان طرف الهيكل الخشبى محروقا وبالطبع حدث انفجار مريع

الخاتمة

اذا لم يفهم المبتدئون ماقلته وجب عليهم أن لايندبوا سوء حظهم لفقدانهم العشرة قروش التى دفعوها ثمناً لهذا الكتاب الثمين فلو اشتروا عدة نسخ منه لتمكنوا من فهم محتوياته. لان مائة صفحة فقط لاتثبت هذا العلم الواسع فى دماغ من يظن أنه خسر عشرة قروش فليشتر خمس نسخ على الاقل وبذلك يمكنه أن يفهم من الخمسمائة صفحة شيئاً أكثر .

تقريظ

كتب الينا الاستاذ حنا حنين الاديب المشهور يقول إن هذا الكتاب يستحق أن يطبع على نفقة وزارة المعارف فى عموم البلدان الشرقية لتوزيعه على طلبة الكليات العالية الفنية ونحن مستعدون للاتفاق مع المهاودة العظيمة .

تلخيص ومراجعة الاستاذ الصغير

ط. ه. حنين

فهرست

تابع الفهرست

أصل الانواع

﴿ ونشـوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة ﴾

(فى التناحر على البقاء)

تأليف العلامة معلم القرن التاسع عشر

شارلز روبرت داروين

ونقله الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها



ستشرع دار العصور للطبع والنشر فى طبع هذا الـكتاب واقعاً فى خمسـة مجلدات ضخام . وتسهيلا لاقتناء هذا الـكنز الثمين ستجعل توزيعه بطريقة الاشتراك بحيث يجعل ثمنه قبل الانتهاء من طبعه بقيمة توفر على المشترك عشرين فى المـائة على الاقل من ثمنه الاصلى وسيعلن قريبا عن ذلك وعمن تقبل لديه الاشتراكات من أصحاب المـكاتب الـكبرى بمصر فارتقب ذلك لتفوز بهذه الفرصة السانحة

العظماء

تأليف بلوطرخوس

الكاتب اليوناني المعروف

ترجمة ميخائيل بشاره داود

يظهر هذا الكتاب الكبير فى أجزاء متوالية وقد شرعت دار العصور فى طبع الجزء الأول منه ويعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب الأدبية التاريخية في الآداب القديمة فنلفت اليه الأنظار سلفاً .

العقائد

تأليف عمر عنايت

يظهر هذا الكتاب فى أوائل شهر يولية المقبل . وقد تناول فيه مؤلفه الكلام في العقائد الأكثر شيوعاً بين الناس وقسمه تقسيماً علمياً وتكلم فيه عن الأديان غير الكتابية والأديان الكتابية بأسلوب سهل ينتفع به كل عالم ومتعلم . فارتقب صدوره .



المرحوم الدكتور يعقوب صروف

بمناسبة تأبينه فى دار الأوبرا الملكية فى شهر ابريل سنة ١٩٢٨